

جورج أوقييد
اليسار الفرنسي
والحركة الوطنية المغربية
1905 - 1955

2



المعرفة التاريخية

د. الشرفي وعبد الحليل ناظم
الطيف المنونج



مكتبة

جورج أوليفيد

باحث فرنسي، تخصص فترة طويلة من حياته للدراسة قضايا الدول السائرة في طريق النمو. وقد كان مستشاراً اقتصادياً ومالياً للحكومة المغربية بعد الاستقلال من 1956 إلى 1961. حاصل على الدكتوراة في الآداب، ثم الإجازة في الفلسفة، ودبلوم الدراسات العليا في القانون العام والاقتصاد السياسي، وخريج المدرسة الوطنية للإدارة. يشغل حالياً منصب مستشار عام لمحكمة الحسابات بباريس.

دار ثوبقال للنشر

طبعة معها التيسير الطبقي، سادة مجاعة الفقار
الطبعة: الدار البيضاء 1976 - المغرب
الطبعة: 2444/47/47

المورثان: تظا هر في فرنسا
وعبد الكريم الخطابي

**اليسار الفرنسي
والحركة الوطنية المغربية
1905 - 1955**

Georges OVED
La Gauche Française
et le nationalisme marocain
1905 – 1955
Ed. L'harmattan, Paris, 1984

ننشر هذا الكتاب باتفاق خاص مع دار لارماتان (باريس)

جورج أوثييه

**اليسار الفرنسي
والحركة الوطنية المغربية
1905 ~ 1955**

الجزء الثاني

ترجمة: محمد الشوقي

مراجعة: عبد اللطيف المنوي وعبد الجليل ناظم

دار توبقال للنشر
عمارة معهد التسيير التطبيقي، ساحة محطة القطار
بلاطين الدار البيضاء 05 - المغرب
الهاتف : 24.06.05/42

تَمَّ نَشْرُ هَذَا الْكِتَابِ فِي سِلْسِلَةِ
المعرفة التاريخية

الطبعة الأولى 1988
جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع القانوني : 1987/621

فهرس الجزء الثاني

5.....	مقدمة
	الفصل الرابع : «المؤامرة البلشفية»
7.....	العمل الشيوعي في المغرب : من الواقع الى الأسطورة
7.....	الوقائع
7.....	أسس مواقف الحزب الشيوعي الفرنسي من الاستعمار
8.....	الامبريالية
8.....	السياسة
13.....	التنظيم
17.....	الحضور الشيوعي في المغرب حتى 1935
19.....	شيوعيون أم اشتراكيون
22.....	قضية آرمونكو — فالونتان
23.....	قضية دومون
25.....	المغرب الأحمر
27.....	الأسطورة
27.....	عناصر الأسطورة
28.....	تواطؤ اعداء فرنسا
34.....	«عملاء موسكو»
38.....	التسرب الشيوعي داخل الجيش
41.....	هوس الهيجان
43.....	عمل الكومنترن : ملف مالكا
49.....	تنفيذ الأسطورة
49.....	مصادر الأسطورة
55.....	الأساليب
62.....	وظائف الأسطورة
62.....	تقييد الحريات العامة

79.....	الفصل الخامس : اليسار الفرنسي وحرب الريف : اليسار أمام عبد الكريم.....
82.....	اليسار والحرب
82.....	المسؤوليات
87.....	قيادة النزاع
97.....	قيادة العمليات
105.....	اليسار والسلم
105.....	مبدأ التفاوض مع عبد الكريم
110.....	استقلال، استقلال ذاتي أم خضوع الريف ؟
121.....	الفصل السادس : اليسار الفرنسي وحرب الريف.....
121.....	الحملة الشيوعية.....
	سؤال أولي : هل بادرة الحملة الشيوعية متوقعة
122.....	على الحزب الشيوعي الفرنسي أم على الأهمية الثالثة.....
123.....	التوجهات والتنظيم.....
123.....	الشعارات والتكتيك
126.....	نخبة العمل ضد حرب المغرب.....
129.....	تنظيم الدعاية.....
131.....	تحريض في جمع الاتجاهات.....
132.....	حملة التجمعات العمومية.....
133.....	النقابات العمالية.....
138.....	الفلاحون.....
140.....	الشبان.....
145.....	النساء.....
148.....	قدماء المحاربين.....

155.....	تطبيق خطة الجبهة الموحدة واختفاؤها
157.....	المؤتمرات العمالية والفلاحية
158.....	المبادرات المحلية وردود فعل الأركان العامة
165.....	إضراب 12 أكتوبر
166.....	الدلالة
168.....	التنظيم
168.....	اختيار المسؤولين
170.....	موقف النقابات
174.....	اختيار التاريخ
176.....	الحصيلة
186.....	احتجاج اليسار غير الشيوعي
186.....	الفوضيون التحرريون والفوضيون
190.....	الاشتراكيون والكونفدراليون
196.....	خاتمة
201.....	الفصل السابع : اليسار الفرنسي وحرب الريف (تابع)
201.....	الأثر على العمليات العسكرية
201.....	التحريض في النكنات ولدى التجارة
205.....	شبكات الدعاية الشيوعية نحو المغرب
207.....	المساعدة الشيوعية لعمد الكريم
208.....	وجهة نظر المصالح المختصة والتصريحات الحكومية
211.....	شهادة العسكريين
213.....	التأخر بالأفعال
216.....	القمع
217.....	أشكال القمع
222.....	حصيلة القمع
225.....	الاحتجاجات ضد القمع
229.....	الانتقادات والانتقادات الذاتية
229.....	المعارضة داخل الحزب الشيوعي

233.....	تصحيح القيادة.....
235.....	النقاش أمام الأهمية وأمام مؤتمر الحزب.....
241.....	مخاتمة :.....
245.....	الفصل الثامن : اليسار الفرنسي وعمليات إخماد الفتن.....
245.....	اليسار الفرنسي أمام المقاومة المغربية.....
246.....	قضية آيت يعقوب.....
251.....	مسؤوليات راديكالية، تصلب الشيوعيين، انقسامات اشتراكية.....
258.....	تطور عصبة حقوق الإنسان.....
260.....	قيمة حجج اليسار حول أساليب «إخماد الفتن».....
264.....	تقوية التيار الاستعماري.....
264.....	ثقل المصالح الاقتصادية.....
265.....	الأبحاث المنهجية.....
271.....	الاعتبارات الاستراتيجية.....
271.....	موقف بول بونكور.....
272.....	القطار العابر للصحراء.....
274.....	الرأي العام وعمليات إخماد الفتن.....
274.....	الحملة الشيوعية.....
280.....	فشل الحملة.....
284.....	مخاتمة.....

مقدمة

إن الحرب الكبرى لم توقف العمليات العسكرية في المغرب. إذ بتقليصها للوسائل المتروكة تحت تصرف ليوطي، عملت فقط على إبطاء تقدم القوات الفرنسية. وقد ظلت هذه الأخيرة تصبّغ فاعلاً بمقاومات عنيفة. وستسمح الهزيمة الألمانية، تدريجياً، باستئناف مخطط احتلال مُنظَّم للبلاد. لقد قدم ليوطي في 1921، أثناء اجتماع لجنة برلمانية «ضمانة أن يكون المغرب هادئاً خلال سنتين أو ثلاث سنوات، إلا إذا وقع ما ليس في الحسبان»^(١). إلا أن «ماليس في الحسبان» هذا سيكون كبيراً، بما أن العمليات ستتواصل حتى سنة 1934. أمام هذا الانهيار الطويل، واللامنتهي، للغزو، يبدو اليسار مُنقسماً على نحو عميق. إن الأمر لم يعد يتعلق بالنسبة للزاديكاليين والاشتراكيين بشجْبِ الاحتلال الفرنسي في المغرب. لقد صار واقعاً قائماً بالنسبة للعديد منهم، لكنه لا يكتسي نفس الدلالة لدى هؤلاء وأولئك. عازّاديكاليوي يُبدون أكثر انتباهاً للاعتبارات الاستراتيجية والاقتصادية، بينما يُظهرون الاشتراكيون أكثر حساسيةً بمآل المغاربة وتحول وضعيتهم. لكنهم جميعهم منشغلون بمستقبل التعمير الفرنسي في إفريقيا الشمالية ويتفقون على أن فرنسا تلعب دوراً لا يُعوّض في الامبراطورية الشريفة. غير أنه بينما لا يوضع الزاديكاليون أيّ أُمْدٍ للنظام الاستعماري، يعتبر قِسْمٌ من الاشتراكيين على الأقل أن الوصاية الفرنسية لا تغدو مُبررةً إلّا بشرط السماح لـ «المُخجيين»، بواسطة مجهود تربوي طويل، بأن يتسلّموا يوماً زمام إدارة شؤونهم الخاصة. إن حرب الزيف واستمرار المقاومة المغربية في جبال الأطلس وفي مناطق الجنوب سيكونان مناسبةً للبعض لكي يُفصحوا عن مخاوفهم، ولللبعض الآخر لكي يؤكدوا إيمانهم بمغرب فرنسي. لكن مهما تكن اختلافاتهم، ومهما تكن أحياناً انتقاداتهم لإدارة يرون أنها جدّ خاضعة للسلطة العسكرية، فإنهم ينتظرون من باريس، أي من الحكومة نفسها، أن تعمل على تصحيح الأخطاء وعقْبِ المغاربة.

مجلس النواب، أرشيفات لجنة الجزائر، والمستعمرات والحمايات؛ محضر جلسة 9 مارس 1921 (الاستماع للمارشال ليوطي).

عندما نزل أليكساندر ميلران، رئيس الجمهورية، في 5 أبريل 1922، بالدار البيضاء، واحتفل بعد عشر سنوات من توقيع معاهدة الحماية بـ «نهضة المغرب»، صممت الجريدة الاشتراكية ليويلير هـ بالفعل عن هذا السفر، بينما انتهرت الصحف الراديكالية الفرصة لاستحسان عمل فرنسا دون تحفظات (2). في المقابل، وبعد بضعة أسابيع من ذلك، ووجه «نداء» سعى للرد على سفر ميلران نقراً فيه: إن الحضارة الفرنسية، في إفريقيا تُمارس بواسطة «اضطهاد شرس، وعبء ضرائب لا يُحتمل، والفقر الذي لا يُوصف للبروليتاريين المزارعين والمُعامل»، لكن «فُجر التحرير يلوح للبروليتاريين العرب (...) فالحرب الامبريالية قد أثارت روح التمرد في تونس والجزائر، كما في مصر والهند. ويتزامن مع المطالب الوطنية، نسمع، بالبحر يزداد أكثر فأكثر، مطالب طبقية». لقد أعلن أصحاب هذا النداء أنهم مُتأكدون من تضامن البروليتاريا الفرنسية مع الأهالي، فعلى هؤلاء أن يعلموا بأن لهم من الآن فصاعداً «حليفاً قويا وواثقاً يأخذ قضيتهم في يده وسيساندها حتى النصر: إنه حزب البروليتاريا، الحزب الشيوعي الفرنسي، فرع الأهمية الشيوعية» (3).

هذا النداء مُوقَّع، بالفعل، في موسكو، من طرف اللجنة التنفيذية للأهمية الشيوعية. إنه يشهد بأنه منذ الثورة الروسية وتأسيس الكومنترن، طرأ تغير جذري على شروط السياسة والعمل المناهضين للاستعمار. إن قطاعاً من اليسار الفرنسي، مُنظماً داخل الحزب الشيوعي، سيُجهّد نفسه لتطبيق توجيهات الأهمية الثالثة الرامية إلى تحرير الدول الواقعة تحت السيطرة. لقد أكد الشيوعيون تضامنهم مع المغاربة في الكفاح، وطالبوا بالاستقلال والجلء عن بلدهم. وهذا الموقف، الذي لن يتخلوا عنه حتى 1935، قادهم إلى محاربة أحزاب اليسار الأخرى بعنف، لا سيما وأنه بعد فترة وجيزة من المعارضة، عمّد الراديكاليون، الذين تسلموا السلطة، بمفردهم تارةً وبمؤازرة الاشتراكيين تارةً أخرى، وبالرغم من بعض الاحتجاجات، إلى ممارسة مسؤوليات بارزة في سائر العمليات العسكرية بالمغرب.

هل ينبغي أن نُقصر هذه الدعاية ضد الحرب على موقف الحزب الشيوعي؟ أو لم تقده الرغبة في وضع حدّ لنظام الحماية إلى أن يُطوّر في المغرب، بارتباط مع العناصر الوطنية، عملاً ثورياً؟ لقد أثبتت هذه الفكرة في مناسبات عديدة بين 1920 و1935. وشكّلت خلفية الكفاحات والجدالات التي أثارها وقتذاك ككل تحريض يُعتبر يسارياً وكذا كل حركة وطنية في المغرب. يبدو لنا من الضروري إذن القيام بفحصها قبل دراسة تصرف مختلف عائلات اليسار الفرنسي تجاه حرب الربيف وعمليات إخماد الفتن.

Le Populaire *

- 2 انظر أوفر، 17، 24 مارس، 14 أبريل 1912، لوراديكال، فاتح أبريل 1922.
- 3 مراسلة دولية، 7 يونيو 1922، ص 340 — 341 لسجل نأ هذا النداء لم بعد نشره من طرف الصحافة الشيوعية الفرنسية.

الفصل الرابع

«المؤامرة البلشفية» العمل الشيوعي في المغرب : من الواقع الى الأسطورة

بين 1920 و1935، أتاح النشاط الشيوعي في البلدان المستعمرة الفرصة لقيام أسطورة؛ أسطورة مؤامرة عبوكة من طرف موسكو ضد «الملكيات الفرنسية»، وفي الحالة التي تعيننا، ضد المصالح الفرنسية في المغرب. وهناك في الأرشيفات عناصر تاريخ حقيقي للسياسة الشيوعية في المغرب مرتبطة أشد الإرباط بعناصر هذه القصة الأسطورية. إن هذه الأخيرة تسمح لنا بفهم ردود فعل الرأي العام والطبقة السياسية تجاه المشاكل المغربية : مقاومة الاحتلال الفرنسي، ثم ميلاد وتطور الحركة الوطنية.

الوقائع

أسس مواقف الحزب الشيوعي الفرنسي من الاستعمار

يستعيد لينين، والشيوعيون الفرنسيون من بعده، إلى حد كبير، تحليل الاشتراكيين الفرنسيين والأجانب قبل الحرب الكبرى للامبريالية. وقد أدخلوا عليه قوة خاصة. لكن مساهمتهم الأصلية تبدو في الاستراتيجية التي نبعت من ذلك بتحليل وفي أسس منظمة جديدة. ولندكر بخطوطها العريضة (1).

نحلل على النصوص التي كانت تدرس وقتذاك بشكل خاص من طرف الشيوعيين الفرنسيين، أي لينين الامبريالية كمرحلة عليا للامبريالية، بيانات وأطروحات ومقررات مؤتمرات الأمانة الشيوعية ومؤتمرات الحرب الشيوعي الفرنسي وكذا المقالات والدراسات المنشورة من طرف مراسلة دولية و النشرة الشيوعية التي تلقتها دلائر البلشفية.

الامبريالية

نعرف أن الامبريالية تشكل بالنسبة للينين مرحلة حتمية من تطوّر الرأسمالية، تتميز بتشكّل الاحتكارات وهيمنة رأس المال المُموّل. وتفسر ضرورة العثور على مواد أولية جديدة وعلى منافذ جديدة لِسِلْعِهَا ورَسَامِيْلِهَا كيف أن هيمنتها امتدت، منذ نهاية القرن التاسع عشر، إلى كل مناطق الأرض تقريباً. وفي بَلَد مُصَنِّع، تعبّر الامبريالية عن رغبة الرأسمالية في الحفاظ على نظام مُؤَسَّس على استغلال العَمَال والتغلب على مصاعبها بتنمية أسس قُوَّتِهَا. وتتميز على الصعيد الدّولي بالنزوع إلى تقسيم العالم إلى دُولٍ مُضَعَّطَةٍ ودُولٍ مُضَعَّطَةٍ، وداخل الحقل الرأسمالي، بمقاومة المنافسات بين القوى العظمى. إن ثورة 1917 هزّت هذه الخطاطة: فقد جعلت من روسيا السوفياتية، في نفس الوقت، حليف الشّعاليين داخل بَلَد مُصَنِّع وحليف الشعوب المُسَيَّطَر عليها من طرف الامبريالية.

بالنسبة للشيوعيين، يبدو الاستعمار، تبعاً لذلك، تجلياً أساسياً للامبريالية. إنه يسمح بَمَدِّ الهيمنة الرأسمالية إلى مناطق جديدة. ويُمِلُّ هذا التحليل، الذي يلتقي بتحليل الكيدين، إلى الأخذ بالجوانب الاقتصادية ويُشْهَر بِكُلِّ البواعث الأخرى المُقَدِّمة من طرف المُستعمرين، باعتبارها ذرائع وهمية.

إن العلاقات بين الامبريالية والدول التي تسيطر عليها لا ينبغي أن تُخْفِي تطوّر العلاقات الاقتصادية والاجتماعية داخل الدول المُسَيَّطَر عليها. فبإمكان المُستعمر العثور لدى الطبقات الأكثر تخلفاً، من النمط الفئودالي، أو لدى الشرائع العليا للبورجوازية المحلية، على حلفاء، بالقدر الذي يُتيح توزيعه للسلطات والأعباء لهؤلاء أن يحافظوا على نفوذهم ونُسق استغلالهم الخاص. وفي الواقع، يبدو التحليل الشيوعي في هذا التقصّي لتقدير التغيرات التي جلبتها الامبريالية للبنيات الاقتصادية والاجتماعية التقليدية، ذو فائدة خاصة.

السياسة

تنبع الاستراتيجية السياسية للشيوعيين على صعيد القضايا الاستعمارية من تحليلهم للامبريالية: وهذا التحليل يأمُر المناضلين في جميع البلدان بالعمل على تحرير الشعوب المُستعَمرة. إن هذا التحرير يبدو، قبل كل شيء، شَرْطاً لاضعاف الامبريالية ويتموقع، في الحال، في سياق وطني ودولي. فالانحطاط المزدوج للشعوب المُسَيَّطَر عليها ولبروليتاريي الدّول الصّناعية يُثْبِتُه إلى الطابع التضامني لعملهم. إن مصلحة البروليتاريا لا تكمن فحسب في انزعاجها من الرأسمالية لقسط مهمّ من أرباحها (2)، بل أيضاً في منعها لحكومات البورجوازية

• أنصار حول كبد وهو زعيم اشتراكي.

2 انظر بيانات وأطروحات ومقررات المؤتمرات العالمية الأربع الأولى للأحمة الشيوعية، 1919 — 1923 (المؤتمر الثاني)، ص. 59، ودفاتر ابلشغلية. 0 يناير 1925، ص 473 — 476.

من استعمال الأهالي ضد الحركات الشعبية (3). فهذا التضامن لا يعبر فقط عن حقيقة اقتصادية واجتماعية؛ بل يترجم حقيقة إنسانية. إنه يسمح باكتشاف عبثية الأحكام المسبقة حول الجنس واللون : إذ بتقسيمهما للعمال، تلعب كل من العنصرية ومعاداة السامية لعبة الامبيالية (4). غير أن التعبير عن هذا التضامن لم ينتج في خطابات وكتابات الشيوعيين من الانتماء بنزوع أورلي — مركزي، أي بفكرة كون تحرير الشعوب المستعمرة يمر قبل ذلك بالثورة في أوروبا (5). وستطبع هذه الفكرة، التي كافحها بعض مناضلي ما وراء البحار (6)، السياسة الاستعمارية للشيوعيين بشكل عميق.

لتحرير المستعمرات طابع مزدوج : فهو يجب أن يكون اجتماعيا ووطنيا، ذلك أن الامبيالية ليست فحسب ذلك المستغل للشغالين المستعمرين؛ بل سعت هيمنتها تدريجيا الى تدمير المميزات الوطنية للشعوب المستعمر عليها. إن هذين العنصرين، العنصر الاجتماعي والعنصر الوطني، حاضران أيضا، بالنسبة للأمية الثالثة، منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، في كفاحات البلدان المستعمرة الأكثر تطورا. لكن على الشيوعيين أن يسهروا، مهما كان الأمر، على ألا يقصبي المطلب الوطني الإيديولوجيا الطبقية إلى الخلف. من جهة أخرى، وذلك لأنها لا تُدخِل في حسابها البُعد الثقافي للمعركة التي تخوضها الشعوب المستعمر عليها، وتُميل الأممية الشيوعية إلى الاستخفاف بالقوى الدينية، المُعتبرة في مجملها رجعية وحليفة للامبيالية. إن الاسلام، على الخصوص، يقابل بمحذر كبير — تغديهِ الكفاحات التي تخوضها داخل روسيا السوفياتية الشعوب المسلمة — ويتم انتقاد الجامعة الاسلامية دون تحفظات (7).

- 3 أنظر لومانيي، 6 دحبر 1923 (لوزوفسكي).
- 4 انظر النشرة الشيوعية، 18 يناير 1924، ص 93 — 96 (تقرير من أجل مؤتمر لينن).
- 5 «أبنا العبيد المستعمرون لافريقيا وآسيا : إن ساعة دكتاتورية الروليناندا في أوروبا ستدق من أجلكم مثلما ساعة الخلاص»، المؤتمر الأول للأممية الشيوعية (بيان الأممية الشيوعية الى رولينانداي العالم قاطبة 1)، مشار اليه، ص. 32.
- 6 «سيكون من الخطأ الاعتقاد بأنه يجب انتظار الثورة الشيوعية في أوروبا لتحرير جماهير الشعوب المستعمرة من التبر الامبيالي. إذ لا تطلب الشعوب المستعمرة، المستغلة بشاعة سوى الطرد القوي للعازي» (الخرايري، دلائل البلشفية، مقال مشار اليه).
- 7 انظر المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية، مشار اليه، ص 58. «إن الحركة الاسلامية حركة موحدة الى تحويل الجماهير المسلمة من كفاحها المعادي للامبيالية» ومراسلة دولية، 14 و 31 دحبر 1931 إن التقرير من أجل مؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي لـ 1924 شنع بـ «الكلبيكية المشوشة» للاسلام، لكن اعتبرا «لقابلية الأهالي للتأثر» طلب ألا تتم محاكمته إلا بشكل «لطيف ومعتدل» النشرة الشيوعية، 18 يناير 1924، ص 93 — 96. وقد نسب هذا التحفظ بعد بضع سنوات الى طبيعة المرحلة التي تم فيها، وانتقد الحزب الشيوعي الجزائري لكونه «روح أفكارا حاطنة تماما وحطوط حول «الدور الثوري» للديانة الاسلامية» دلائل البلشفية، فاتح مارس 1932، ص 934 — 337.

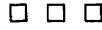
إن هذه الاستراتيجية المقدمة من طرف الشيوعيين تتعارض مع تصورات الأهمية الثانية والسياسة المتفردة من طرف الأحزاب الاشتراكية. فقد تكشفت هذه الأخيرة كحليفة «موضوعية» للامبريالية، وذلك بعد رفضها لمسألة تحرير الشعوب. ينبغي التشهير بها إذن على هذا الأساس ومحاربتها بقوة (8).

لقد لاقت هذه الاستراتيجية مقاومة أكيدة داخل الحركة الشيوعية الفرنسية. وصدرت في البدء عن مناضلين من أصل ميترولوجيا يبعثون في مستعمرات، خاصة في الجزائر، واعتبروا أن انضمام أغلب الاشتراكيين للأغلبية الشيوعية لا يتضمن موافقتهم على الأطروحات الخاصة بالاستعمار للأهمية الجديدة (9). لقد اعتبر العديد منهم أن التوجهات التي ترمي إلى تحرير الشعوب الواقعة تحت السيطرة تُترجم تجاهلاً كلياً للوضعية الاستعمارية. إنهم يرون بأن «الأهالي» ليسوا ناضجين للاستقلال وأن الوصاية الفرنسية لا تزال ضرورية (10). سوف يشجب كل من تروتسكي ومانويلسكي أمام الأهمية (11) والحاج علي، وهو مناضل جزائري مسلم ولوزون، وهو مناضل فرنسي من تونس، على أعمدة بولتان كومينست، في هذا الموقف ذهنية «رقية» (12). لقد كان بعض المناضلين المعنيين منشغلين، دون ريب، وقبل كل شيء، بالحفاظ على الوضع الاستعماري. ومع ذلك، ربما لا ينبغي ازدياد الخوف بلستيد الذي يمكن أن تجده هه المقاومة في التقليد الكيدي والعُمالي الذي لا يزال متأصلاً في الحركة الفرنسية.

- 8 انظر المؤتمر الثاني للأهمية الشيوعية، مشار إليه، ص 59 — 60. انظر أيضا تقرير إيركولي (توغلياتي) أمام المؤتمر السادس حول «الاشتراكية الديمقراطية والمسألة الاستعمارية»، مراسلة دولية، 4 أكتوبر 1928. إن المحطات ضد السياسة الاستعمارية للحزب الاشتراكي، سيقودها دوريو داخل الحزب الشيوعي الفرنسي، بشكل أكثر قوة انظر بالخصوص دافتر اللغوية، 31 يناير 1928، «الاشتراكيون الفرنسيون والمسألة الاستعمارية» (أنظر بالخصوص لوماني، 9 عشت 1933 «الأحزاب الاشتراكية في لجنة الاستعمار»).
- 9 انظر ش.ر. احرون : «الشيوعيون الفرنسيون أمام المسألة الجزائرية من 1921 إلى 1924»، موفون سوسال، يناير — مارس 1972، ص 7 — 37.
- 10 تقرير مقدم إلى المؤتمر بين فدرالي الشيوعي الثاني لشمال إفريقيا، النشرة الشيوعية، 7 و 14 دجنر 1922، ص 939 — 940 و 954 — 955.
- 11 خطاب تروتسكي أمام المؤتمر الرابع للأهمية الشيوعية (فاتح دجنر 1922)، النشرة الشيوعية، 11 — 18 يناير 1923، ص 30 — 35، مراسلة دولية، 10 مارس 1923، وخطاب مانويلسكي أمام المؤتمر الخامس (30 Bulletin communiste * يونيو 1924) مراسلة دولية، 27 عشت 1924.
- 12 14 دجنر 1922 و 4 يناير 1923.

لقد أتاح الموقف الذي كان على الشيوعيين أن يتخذوه تجاه حركات وطنية داخل البلدان الواقعة تحت السيطرة الفرصة لمناقشات طويلة داخل الأهمية الثالثة (13). فالبدأ الذي دافع عنه لينين، والقاضي بعقد حلف مؤقت مع البورجوازية المحلية، لم تقبله المؤتمرات الأولى إلا تحت شرط التمييز. بين مختلف فصائلها وتحفظ يقضي بأن تصون الاتفاقات المحتملة خصوصية المنظمات الشيوعية. لقد انعقد المؤتمر السادس في سنة 1928، في جو مشحون بوسواس الحرب. وقد وضع في مقدمة انشغالاته الدفاع عن الاتحاد السوفياتي، وكان أن انخرطت سياسته حول الاستعمار في هذا السياق. إن فشل تكتيك تعاون الشيوعيين الصينيين مع الكومنتونغ ومنذمة عمال شنغهاي دفعه إلى التشنيع بالبورجوازيات الوطنية الاصلاحية، ودعا مختلف الأحزاب الشيوعية إلى مزيد من الصرامة بحيث يمكنها ضمان هيمنتها في قيادة الحركات المناهضة للامبريالية. وفي 1935، قرّر المؤتمر السابع بأن الكفاح ضدّ الفاشية الدولية يتطلب أن تُشجّد المنظّمات الشيوعية في جميع البلدان المُستعمَرة تكتيكاً أكثر مرونة، ومفتوحاً على التحالفات مع البورجوازية (14).

لقد كانت الأهمية الشيوعية تذكّر أعضائها مراراً بضرورة القيام بدراسة يَظُنُّه للشروط الاقتصادية والاجتماعية لكل مُستعمَرة. لكننا نلاحظ مع ذلك بأن التكتيكات المُهيّأة تبعاً ترتكز على تحليل الوضعية في عدد قليل من الدّول: الهند، الصين، مصر، بينما تظلّ الاشارات للدول الأخرى سطحية. هكذا لم تخضع الدول الثلاث لافريقيا الشمالية لأيّ استقصاء يسمح بتقدير تركيبة وتوجّه بورجوازياتها الوطنية وعلاقاتها مع العالم العمالي والفلاحي. وتكشف هذه التكتيكات، من جهة أخرى، عن بُعْدٍ مستفحّلة أكثر فأكثر تجاه المحيط الدّولي، إذ صارت قضية الأهمية البروليتارية تنزع لأن تتطابق مع ضرورات السياسة السوفياتية.



ماذا ينبغي أن يكون المحتوى العملي للعمل الشيوعي في المستعمرات ؟ فأن تُدعَو الأهمية الشيوعية للهيجان الثوري، وأن يكون على الشيوعيين أن يظلّوا على أهبة حَمَلِ الأسلحة ذات يوم، هذا إعلان مبني نودّي به من طرف الأهمية دون أن تُلحَّ عليه (15). لكنّ هذا

13 نجل بالخصوص على تحليل هيلز كاير — دوكوس وسترات شرام، الماركسية وآسيا، 1853 — 1964، باريس، 1965.

14 كان هذا التعبير لتكتيك الأهمية الشيوعية قد ابتدأ بشكل واسع في 1934 وفي أوتال 1934 نادى أندري فولا إلى تحقيق «حبة وحيدة معادية للامبريالية في الدول الاستعمارية»، دلائل البلشفية، 15 فبراير 1935، ص 237 — 242.

15 المؤتمر الثالث، أطروحات حول بنية الأحزاب الشيوعية وأساليبها وعملها، مشار إليه، ص 121 — 122.

الخطاب، في الواقع، لم يتم استصداره من طرف الحزب الفرنسي. فقد رأى فايان كوتوريي منذ 1920، أنه من الضروري التعليق على الشرط الثامن لقبول الأحزاب في الأهمية، والذي يُلزم بـ «مساندة كل حركة تحرر في المستعمرات، لا بالكلام، بل بالفعل»، «المساعدة بالفعل، تعني إدخال الدعاية الشيوعية، بكل الوسائل، في المستعمرات والحمايات؛ والمساعدة بالفعل، تعني الشروع أخيراً في دعاية جديّة للحصول على رضى صنّيع أو نقل العتاد الحربي الموجه للحفاظ على الوضع البورجوازي بين السكان المنهيين» (16). ستظهر التجربة بأن الحزب الفرنسي سيكون أكثر ارتباطاً في تطوير دعاية وتحريض مناهض للاستعمار داخل موطنه منه داخل بلدان ما وراء البحر. إن السياسة القمعية للسلطات المحلية ليست وحدها المتهمة. فالعمل في وسط أهلي يصطدم، حتى من جانب المناضلين الشيوعيين، بأحكام مُسبقة تقوّيها الوضعية الممتازة نسبياً للشغالين الأوربيين بالمقارنة مع الشغالين الأهليين (17). وعليه، فقد دأبت الأجهزة العليا للحزب الشيوعي الفرنسي، مثلها في ذلك مثل الأهمية الشيوعية، على التذكير دورياً بضرورة النضال قرب السكان المستعمرين، والقيام باستقطابات بين الأهالي وعدم التردد في تفويض بعض المسؤوليات إليهم في قيادة الحركة (18). إن التحرير الاجتماعي والاستقلال الوطني بُعدان يتعين على المناضل جعلهما مألوفاً لدى الجماهير بعمل تروبي طويل وصبور. ولا يمكن لتطوير الأطروحات الشيوعية أن يعفي من النضال لصالح المطالب الفورية، إن على الصعيد السياسي أو على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي. إن الحزب الشيوعي الفرنسي يلح على الارتباط بين هذين الجانبين: «لأن الأول يهدف إلى تفضيل حديث يضرب بجلوره في لاشعور جماعي وطني. أما الثاني فيتركز على ظروف عيش الجماهير الشغيلة ويتم الحصول على تحسين للوضعية. هكذا طورت الدعاية استقطاباً مزدوجاً. من جهة نحو الاتحاد السوفياتي المُقَدَّم كنموذج مجتمع نجح في تحرير الشغالين وكُمْدافِع عن الشعوب المضطهدة (19). ومن جهة أخرى، نحو فرنسا، إلى الحد الذي تهدف فيه المطالب الفورية أساساً المساواة في الحقوق مع الشغالين الفرنسيين (إلغاء التبعية الأهلية، الانتخاب العام، ولوج الثقافات) ومَدّ الترتيبات ذات الطابع الاجتماعي السارية في الوطن الأصلي إلى المستعمرة (ظروف العمل، التعليم المجاني والاجباري).

16 لومانبي، 21 أكتوبر 1920.

17 النشرة الشيوعية، 4 أكتوبر 1923 (لورون).

18 أطر في الموضع نفسه، 14 دجنبر 1922 (الحاج علي)، 18 يناير 1924، ص 93 - 96 (تقرير من أجل مؤتمر ليون) ودفاتر البلشفية، أبريل 1930، ص 439 - 446.

19 «لأينفي أبداً نسيان جعل هُمس موسكو ساطعة في عين الأهالي» (مشهد عليه في النص)، نقرأ في «مشروع برنامج عمل» مقدم إلى المؤتمر الفدرالي للجزائر لـ 14 يناير 1923، النشرة الشيوعية، 11 - 18 يناير 1923. انظر أيضاً نداء اللجنة التنفيذية للأهمية الشيوعية، بمناسبة الذكرى العاشرة لفترة أكتوبر، مراسلة دولية، 9 نونبر 1927.

التنظيم

لقد ابتكرت سياسة الحركة الشيوعية تجاه الاستعمار ونوقشت وقيلت وُقِّدَتْ من طرف تنظيم سُنْدُكْر بعناصره الأساسية.

لقد تم تأمين وحدة المذهب والعمل المناهضين للاستعمار على الصعيد العالمي من طرف الأهمية الثالثة التي انتمت إليها جميع الأحزاب الشيوعية التي قبلت شروط الدخول، ومن بينها الالتزام بالتشهير بالامبريالية، ومساندة حركات تحرر المستعمرات والعمل من أجل استقلالها. إن الأهمية الشيوعية تتوفر على تنظيم دائم انتقل تدريجياً من بنية شبه فدرالية — حيث كانت الأحزاب الرئيسية تعين ممثلها بنفسها — إلى بنية جَدِّ متركزة — يعين فيها المؤتمر أعضاء اللجنة التنفيذية — مع احتفاظه بمكان متفوق للحزب الشيوعي البلشفي. لقد كان بإمكان اللجنة التنفيذية أن تجتمع في جلسة عامة «جلسة مكتملة مُوسَّعة» بدعوتها لممثلي الفروع الوطنية المعنية على الخصوص بجدول الأعمال. يُتوضَّح منذ الآن بأن مسألة المغرب لم تُناقش أبداً من طرف مختلف مؤتمرات الأهمية ابشيوعية (20). لكن يبدو في المقابل، أنها عُولِجَتْ أو على الأقل أُثِرَتْ مرتين من طرف الجلسة المكتملة، أولاً، في 1923 (21) والثانية في 1933 (22) وخمس مرات من طرف اللجنة التنفيذية، بين أبريل 1925 ومارس 1926، بمناسبة حرب الرِّيف (23).

لقد كان تنفيذ سياسة الأهمية الشيوعية في دول ما وراء البحر الواقعة تحت السيطرة الفرنسية مُؤمَّناً من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي. وارتفعت داخل الأهمية أصوات ترحب بإقامة تنظيمات شيوعية مستقلة في المستعمرات، تكون مرتبطة مباشرة بالكومينترن (24). غير

20 لقد أثبت فقط، بشكل عرضي، في مؤتمر شعوب الشرق، لساكر، في 1920، انطرح. كيرماديس، الحزب الشيوعي الفرنسي والمغرب، 1920 — 1938، أطروحة سلك ثالث، كتابات مرقونان، تولوز، 1975، الجزء الأول، ص. 66

21 من طرف أباريسيو، المدوب الانساني، الذي أثار الرراع الفرنسي — الانجليزي في الحماية وضرورة إطلاق حملة لمغادرة المغرب، إريكا كولوني، بيشيل وشيلار رويوتاري، الأهمية الشيوعية والمشاكل الاستعمارية، 1919 — 1935، باريس، 1968 ص. 107.

22 في تقرير مقدم من طرف بياتينسكي يعالج الوضع في آسيا وفي المستعمرات، نفسه، ص. 515.

23 نفسه، ص. 160. لقد نشرت صحيفتنا الأهمية الشيوعية، مراسلة دولية وأنيهكو، أربعين مقالا حول المغرب بين 1920 و1935 من بينها خمسة وعشرون حول حزب الرِّيف، حملة حول مشاكل اساتيا وخمسة حول مسألة طنجة. إن بعض هذه المقالات وقعت بالأحرف الأولى أو بأسماء مستعارة. ومع ذلك يمكن أن نتعرف فيها على خمسة صادرة عن مناضحين روس، ثمانية عن ماضلين إسبان، وثلاثة عشر عن ماضلين فرنسيين (خاصة سيمار، فايك — كوتوني، مارقي، ترائ، ل. جيزو، روسي، يهري).

24 انظر ندخل كوسنيس أمام المؤتمر السادس (جلسة فاتح شتتر 1928)، مراسلة دولية، 30 نوفمبر 1928، ص. 1663.

أنه بسبب الضعف العددي لهذه التنظيمات وبسبب نقص تجربتها، اعتبر أنه من الأفضل تشكيلها مؤقتاً كفروع للحزب الشيوعي الفرنسي (25). وستدوم هذه الوضعية المؤقتة من حيث المبدأ، إلى غاية 1936 بالنسبة للحزب الشيوعي الجزائري، وحتى غداة الحرب العالمية الثانية بالنسبة للحزب الشيوعي المغربي. وقد دأب الحزب الشيوعي الفرنسي الذي يتوفر على مندوب دائم في الجزائر، على تنظيم مهام مؤقتة في المستعمرات الأخرى. وانشغل أيضاً بإقامة مصلحة سرية ما أمكن، للاتصال معها، وذلك باستعماله على الخصوص للمناضلين المستغلين في البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية، وفي السكك الحديدية والمواصلات البحرية.

بعد مؤتمر تونز * بقليل، وبإيعاز من فايان كوتوري على الخصوص، وضمت أسس لجنة للدراسات الاستعمارية، وذلك «لإعداد الأدوات التي ستخدم النشاط المناهض للاستعمار للحزب» (26). وسيرسم المؤتمر الوطني الأول المنعقد بمارسيليا في دجنبر 1921، هذه البادرة، مع توضيحه بأن الجهاز الجديد ينبغي أن يتركب من مناضلين «يعرفون المستعمرات لكونهم سبق أن عاشوا فيها» (27). وهكذا وبعد فترة كانت اللجنة فيها منشطة أساساً من طرف مناضلين متحدين من ما وراء البحر (28)، تغيرت وأخذت تسمية المجلس المركزي لمناهضة الاستعمار. وتكلف لوزيري في بداية 1925 بسكرتاريته (29)، وفي 1926، تجددت تركيبته كلياً، باستثناء دوريو الذي ظل يقوم فيه بدور أساسي. لقد اشترك فيه حينئذ، إلى جانب نائب سان - دوني، هيركلي وإيلور وترويان وبن لكحال. كما أن لجناً فرعية، انضم إليها أعضاء آخرون، تشكلت حسب كل مجموعة من المستعمرات (30). إن إعادة التنظيم هذه كانت فرصة للمناضل الجزائري الحاج علي لكتي يشجب المكانة المتفوقة الممنوحة للعناصر

- 25 دلائل البلشفية، أبريل 1930، ص 439 - 446 (عمل الحزب الفرنسي في المستعمرات).
- * مؤتمر تونز هو ذلك المؤتمر التاريخي الذي انشق فيه الاشتراكيون الفرنسيون وأدى إلى بزوغ الحزب الشيوعي الفرنسي.
- 26 لوت سوبال، 3 شتنبر 1921 (مقال ساروت، ص 4)
- 27 الشرطة الشيوعية، 14 فبراير 1922، ص 22 - 23.
- 28 AN SOM SLOT FOM IX 3 (مذكرة مفروضة الشرطة لـ 16 مايو 1922).
- 29 لقد كانت اللجنة تضم وقتذاك، بالإضافة إلى لوزيري، أربعة أعضاء آخرين : دوريو، علي، كرمي ولايري، ونالبا فيزان. أرشيفات معهد موريس طويريز، سلسلة 92 (محضر اجتماع اللجنة المركزية في 3 فبراير 1925).
- 30 إن اللجنة الصغيرة من أجل شمال إفريقيا مكونة كالتالي : بلنكحال، رئيس (في شتنبر 1926، كان أحدهم يدعى فضيلة هو الذي يشغل هذا المنصب)، الحاج علي، بورالي، سيدون، إسعاد، معروف، جان (من الشيعة الشيوعية)، لوبيك (C.G.T.U)، كيو، فواسان، وعضو غير مشار إليه من المجموعة البلانية. نفسه، سلسلة 172. اللجنة المركزية والاستعمار (جلسة 14 أبريل 1906).

الفرنسية داخل المجلس ولكي يهاجم دوريو على الخصوص (31). لقد عُيِّن بعد بضعة أسابيع عضواً في المجلس (32)، ومع ذلك لا يبدو أن الصعوبات القائمة بين العناصر الفرنسية والعناصر المنحدرة من شمال إفريقيا قد دُلَّتْ (33). لقد أتى روجيه كايار لمساعد دوريو، ثم عوّضه عملياً ابتداءً من 1929 (34). غير أنه بدأ دون مستوى مهمته، وفي شتنبر 1931 عُيِّن أندري فيرا مسؤولاً عن الفرع الاستعماري؛ وسيظل في هذا المنصب إلى غاية 1936 (35). إننا نُمَيِّز من بين معاونيه هنرييت كارلبي التي اشتغلت خصوصاً بالمشاكل الإفريقية (36).

قاد تطبيق سياسة الحزب الشيوعي المناهضة للاستعمار إلى تأسيس أو إلى التشجيع على تأسيس نوعين من المنظمات المختصة، وكان النوع الأول محكوماً بضرورات الدعاية والتحريض بين الشغاليين المُستعمرين في فرنسا. هكذا سبى النور في 1922 «الاتحاد بين استعماري»، رابطة المُتَحَرِّرين من كل المُستعمرات»، الذي بدأ خلال العامين الأولين من وجوده، أنه قام أساساً بجمع هندصينيين، آنتيين، سنغاليين، ومدغشقرين، و عددٍ قليلٍ من المنحدرين من شمال إفريقيا (37). وألح ندائه الأول على اللامساواة في معاملة المُستعمرين

31 لقد ذكرت رسالة من الحزب الشيوعي الفرنسي في 10 يونيو 1926 إلى سكرتارية الأمانة الشيوعية الحملة التي يقودها الحاج علي، مذكّرة بأن هذا الأخير كان قد قدم للأمانة مشروعاً اعتبر «غير مقبول من طرف الحزب» بفرضي إلى خلق حزب حلي حقيقي (يتوفر على فروع مستقلة ثقافية، والتحريض، والدعاية، إلخ) داخل الحزب الفرنسي نفسه.

32 نفسه، (جلسة 9 شتنبر 1926).

33 في 1928، يبدو أن الحاج علي قد وحى بواسطة رفاله الحرائزين المسلمين، عناسة اسفاد المؤتمر العالمي السادس، رسالة جديدة إلى الأمانة، تشهر بـ «شوفينية» من بعض مناصلي اللجنة الاستعمارية والحزب نفسه. AN F7 13170 (مذكّرة 18 يناير 1929).

34 محادثات مع أندري فيرا. إن التاريخ ليس أكيداً. من بين الأعضاء الآخرين للفرع المعادي للاستعمار، كما سيقال بعد ذلك بقليل، كان يوجد كورمون، الذي سيصبح مدبراً لـ لومانيي وسيطرده من الحزب نسب حياة، حوير الذي سيقادر عما قرب الحزب الشيوعي («عزّ الويليس الفرنسي» كما ستوضح لاحقاً لومانيي، 30 عشت 1932) وبالأخص لوزيراوي الذي سيصبح بسبب الدعم الذي قدمه «للمعاعة بارلي — سيلور».

35 أندري فيرا، مزداد في 1902، ودوس بارليس. انحرف في الحزب في 1921، وصار أحد قادة الشبيبة الشيوعية. وقد كان تحت طائلة المحاكمة منذ 1927، وأحد يباغتل في السرية؛ اعتقل في مارس 1932 وأطلق سراحه في يوليو/بعضل بعضل عفو. لقد استطاع في شتنبر 1932 فعلاً أن يؤس قيادة الفرع المعادي للاستعمار. وفي 1936، تم طرد أندري فيرا من الحزب لاختلافه مع سياسة الجبهة الشعبية.

36 هنرييت كارلبي، من أصل ألماني، وصلت إلى فرنسا حوالي 1924، وكانت تشتغل في مصانع رونو قبل أن تصبح مداومة للحزب. وقد وقعت مقالات عديدة بالاسم المستعار هري كارلبي.

Union intercoloniale

37 لقد ضمت أول لجنة تنفيذية سبعة أعضاء يمثلون الهند الصينية (نكيان ات كوك، هو شي منه المقل)، لاويونيون، لوداهومي، لاكيادلوب، مارتنيك، لاكيان، ومدغشقر. AN SOM SLOT FOM III,3 (بيان تمهيدي للاتحاد ضد الاستعمار، غير مؤرخ، لكن من المحتمل حداً أن يكون في 1922 أو 1923).

والفرنسيين وعلى ضرورة تضافر جهودهم مع جهود «الأخوان المُضْطَهَدِينَ للميطروبول» (38). وانطلاقاً من 1924، دخلت العناصر الجزائرية، مثل الحاج علي وبن لكحال علي، إلى القيادة، وأخذت أهمية متعاظمة في الرابطة. إنهم، بمجموعهم تقريباً، يتواجدون في نجم شمال إفريقيا ٥، المنشأة في 1926، والتي كانت تخطي، خلال سنواته الأولى، بمودة الحزب الشيوعي.

من جهة أخرى، وطبقاً لتوصيات الأمية التي دعت مختلف الأحزاب الشيوعية لأن تطور بشكل أوسع، لدى الجماهير، سياسة مُساندة لصالح حركات التحرر الوطني، تشكّلت، عَقِبَ المؤتمر التَّوَلَّى لبروكسيل في 1927، عصبة فرنسية ضيّد الاضطهاد الاستعماري والامبريالية (39). لقد انفتحت لجنّتها القيادية الأولى على مختلف تيارات اليسار. وقد قامت العصبة بإصدار نشرة، لكن عملها ظل خجولاً جداً ويلزم انتظار 1931 لكي تتحرك، بمبادرة من الشيوعيين، بتنظيمها في باريس لمعرض استعماري مُضادّ، وهو المعرض المُعادي للامبرالية. إلّا أن ارتداد العناصر غير الشيوعية حدّ من إمكانياتها (40)، رغم الدفعة الجديدة التي أعطاهما إياها، ابتداءً من النصف الثاني من 1933، كلٌّ من فرنسيس جوردان وليو واري (41). حيثُ فقط عَمَدَتِ العصبة إلى إقامة علاقات مُباشرة مع بعض المُستعمرات : الجزائر ومدغشقر، وكذا مع سوريا. ولم يكن لها أي ارتباط بالمغرب (42).

- 38 هذا النداء لـ 28 مايو 1922، طبع خلف تشريعات الاتحاد بين استعماري. لفسد.
L'Etoile nord-africaine
- 39 أنظر نشرة العصبة، عدد محصص لمعرض مظاهرة بروكسيل، في AN SOM SLOT FOM V-1. إن هذا العرض لأشهر إلى متحفو مغربي، وتقرير الشرطة الذي يتحدث عن تدخل في المصّة لحسن المطار، أحد الرعايا المغاربة، يبدو لنا أن من الضروري أخذه بحسّر. AN F7 13166 (ملكوا شهيرة عن الدعاية الثورية في بلدان ما وراء البحار).
- 40 حسب معلومات مستقاة من مصدر بوليسي، كان المكتب المركزي للعصبة يضم في 1932 روجي كايار (الذي سيُعرض بعد ذلك بوقت قريب بماضل شيوعي آخر هو ألبير باهي، السمي كيزو)، أراغون، علي، يدي، دوماي، ماريلك كوفرو، هنريو، جوردان وبريكا. وحسب تلك المعلومات أُلح داناوي وفرنسيس جوردان، على ألا تدو العصبة تابعة للحزب الشيوعي الذي كان هنريو يريد أن يُقطع معه صراحة. إن وزن مناضلي الحزب الشيوعي داخل الحزب لم يكن مافضاً للحماس القليل الذي كان لقيادة الحزب في دعم هذه المنظمة، مثلما اشتكى أراغون من ذلك AN F7 13168 و AN SOM SLOT FOM III, 133.
- 41 لقد أطلقوا صحيفة جديدة للعصبة جريدة الشعوب المضطهدة، وهي شهيرة مطبوعة، موجهة لأن تعرض نشرة لم تكن سوى مرقونة، وقد صدر منها ثلاثة عشر عدداً من نونر 1933 إلى فبراير 1935 (مجموعة في AN SOM SLOT FOM V 27). عن ليو واري، انظر أدناه.
- 42 حياة العصبة، نشرة اتصال مرقونة، عدد دون تاريخ، لكن من المحتمل جداً أن يكون قد ظهر بين دحبر 1933 ومارس 1934. في AN SOM SLOT FOM III, 50.

الحضور الشيوعي في المغرب حتى 1935

تعود أول إشارة واضحة لنشاط شيوعي في المغرب إلى حرب الرّيف (43). فقد ارتبطت باكتشاف منشائر من أصل فرنسي، في الأوساط الأهلية، ثمّ جند عبد الكريم وتطالب بالجللاء عن المغرب (44). وتعرض ثلاثة فرنسيين، وهم ألامى، وهو رسام بالسكك الحديدية، وييني، وهو مطبعي، وسيلور، وهو مستخدم، اشتبهوا جميعا بكونهم وراء توزيع تلك المنشائر (45)، لاجراءات إبعاد اتخذها في حقهم ليوطي بنفسه في 30 ماي 1925 (46). بعد أسبوعين من ذلك تم إبعاد إدمون تاذي، وهو موظف بالضرائب، بدوره من المغرب، بتهمة «مناورات شيوعية» (47).

إن واجداً من الذين طُردوا من المغرب على هذا النحو، وهو بيير سيلور، سينجح، عند عودته إلى فرنسا، كما نعرف، بسرعة في الحزب (48)، قبل أن يُطْرَدَ منه سنة 1932. لقد كان الاجراء المتخذ في حقه عندئذ يستهدف نشاطه في الأجهزة القيادية للحزب الشيوعي الفرنسي؛ لكن الحزب رأى بأن تفسير «خيانته» موجود في تصرفه بالمغرب. إن كاشان يؤكد هذا (49)، ودور هو الذي تكلف بتقديم البرهنة عليه. ففي رأيه، يُعتبر طُرْدُ سيلور

- 43 أدى نشاط الحزب الشيوعي الفرنسي نحو المغرب بالخصوص إلى إرسال حرائد وناشير. لقد كانت بعض هذه الأحياء، التي عثوا على أثرها، محررة ترابط مع العمليات العسكرية التي ستواصل داخل الحماية حتى 1934. إننا ننظر تحليلها فيما بعد (انظر أدناه، الفصلان السادس والسابع). وعن النشاط الشيوعي في المغرب في 1935، تتوفر على مصادر ناشئة من مصدر شيوعي وهي صتيلة حنا فمحاصر اللجنة المركزية، والمكتب السياسي واللجنة المكلفة بالقضايا الاستعمارية التي تمكنتنا من استشارتها تتوقف في 1931، ووجدها إثنان منها يعودان إلى مناضلين قاطنين في الحماية. أما الشهادات الشفوية التي تمكنا من جمعها فلا تهم الفترة السالفة على 1935. لذا فإن أرشيفات الحماية نطل مصدرا الرئيسي للمعلومات.
- 44 AN F7 13171 (رسالة رقم 255 بتاريخ 10 أبريل 1925، من رئيس المجلس، رئيس الشؤون الخارجية، إلى وزير الداخلية، والتي ترجع إلى مراسلة لليوطي تاريخ 3 أبريل).
- 45 نفسه. (برقيات من ليوطي في 4 مايو 1925، إلى وزير الشؤون الخارجية وفي 31 مايو 1925 إلى وزير الداخلية).
- 46 نفسه، إن إبعاد الأفراد «الذين من شأن تصرفاتهم أن تزعج أمن الجيش والحماية» إجراء إداري مصورص عليه في الفصل الثاني، الفقرة الأولى، من نظام 25 يوليوز 1924.
- 47 نفسه. (برقية ليوطي إلى وزير الداخلية، تاريخ 13 يونيو 1925). في نهاية شهر يوليوز، وكان فرنسي آخر هو بيون لوردوفياك، ثم سويسريان، ألفريد هيمت وهيرمان ديشجر، مشوهين بمناورات شيوعية، تم «ترحيلهم طوعا» (كنا)، الأول على متن مائة نحو مرسيليا، والآخران في اتجاه بوردو. نفسه. (برقيتا ليوطي إلى وزير الداخلية، يومي 20 و22 يوليوز 1925).
- 48 لندكر بأنه انضم في 1928 في اللجنة المركزية للحزب، ثم في المكتب السياسي وفي السكرتارية في 1929.
- 49 لومانيي، 9 أكتوبر 1932.

من الحماية لإجراء تافهاً اكتفت السلطات باتخاذها في حقه مقابل تبليغ المعني بالأمر عن أعضاء آخرين من المجموعة الشيوعية للدار البيضاء. غير أن التجربة تُبين «بأنه في كل مرة يتكلم مناضل إلى البوليس، في التحقيق، يعطي معلومات، يلبي باعترافات جزئية، يبلغ عن بعض أسرار تنظيم الحزب، وخاصة إذا كان رفاقه، يغدو حتماً أداة في يد البورجوازية. فتقوم هذه الأخيرة باستعماله لصالحها، إما بالابتزاز أو التهديد أو الرشوة» (50). إن هذه الأطروحة مُقصرة بغير الشيء. لتُفعل واقع كون دوريو، العليم جداً بالشؤون المغربية، لا «يكشف» ملاسبات طرد سيلور، إلا بعد انصرام سبع سنوات على الأحداث، ولو أن هذا الأمر مشوش. إن التهمة تركز على الفكرة التي كانت لثائب سان «- دوني - أو التي كان يسعى لإعطائها - عن الدعاية الشيوعية في المغرب. وعن القمع المُمارس من طرف سلطات الجنامة. وفي الواقع، كان «العمل الثوري» للشيوعيين مقتصرًا على الأكثر على توزيع المنشورات، ولم يكن أكيداً أن المسؤولية الشخصية لسيلور في توزيع هذه المنشورات كانت قائمة. ومن جهة أخرى، لم نعر، بين 1924 و1925، في الحماية، على أي أثر لحاكمية بسبب الدعاية الشيوعية، أو بشكل أعم، بسبب نشاط تخريبي. أما فرضية خيانة سيلور لرفاقه، فهي مُغَيمة أكثر منها مضنية. وبالفعل، بأي رفاق تعلق الأمر؟ إن دوريو لا يشير لنا إلى هذا. إلا أن الأشتيفات صريحة حول هذه النقطة: وحدهم بعض الأوربيين تم اعتقالهم من طرف السلطات. ولم يتعرض أي واحد منهم لمتابعات قضائية؛ بل تم طرد ثلاثة من بينهم (51) تماماً مثلما وقع سيلور، بينما سيعود واحد منهم، على الأقل، وهو تادي، إلى المغرب. إن أسس التهمة، الصلبة ظاهرياً، تبدو لنا والحالة هذه، جِدَّ مُريبة. بخلاف ذلك، يبدو لنا محتملاً أن يكون سيلور، عند عودته إلى فرنسا، قد سعى إلى المبالغة في دوره، دون أن يفتن إلى أنه بذلك كان يقدم حجة لمُتهميه المُقيلين (52).

50 نفسه، 10 أكتوبر 1932

- تعلق الأمر بدوريو.

51 ألي، سبي وتادي، لاني، يشير إلى أن لوردفاك والسيريرين المشار إليهم أعلاه كانت لهم صلة بسيلور.

52 إن دوريو ليس المتهم الوحيد لسيلور، لكنه وحده، بعد كاشان، الذي اتهم نشاطه في المغرب. لقد أعقبت مقاله ثلاثة مقالات أخرى - في 11 أكتوبر 1932 من باري، الذي سيطر بدوره في 1934 (كشريك في المسؤولية مع سيلور عن جماعة مغامرة) والذي شهر في الوقت الراهن بـ «التصرفات الإجرامية» لرفيقه «هذا الخائن السافل»؛ في 12 أكتوبر، ساهم طويرير في الاتهام، وفي 13 أكتوبر عماد دوكلو إلى مواجهة سيلور بباري، الذي عرف كيف يقر بأخطائه، وأظهر «أنه كان مناصلاً منها، مستحقاً لثقة الحزب، وليس له من شيء مشترك مع الخائن سيلور». لنذكر بأن باري وسيلور سيلتحقان بدوريو في حرب الشعب الفرنسي (نازي) وسيحكم عليهما عند التحرير بسبب تعاونهما مع ألمانيا النازية.

اشتراكيون متقدمون ؟

1926، قدم دوريو التوضيح التالي أمام اللجنة المركزية للحزب : «فيما لمغرب : ليست لدينا هناك أية قُوَّة حزبية. إذ أنها مقتصرَة على مُتعاطفين هذه الوضعية بـ «سلسلة من الكوارث» : «لقد سبق أن شكلنا مجموعات ثم طرَدناها الواحدة تلو الأخرى، فألقى حزبنا نفسه مُفكِّكاً»، الأمر الذي من القيام بعمل فعلي في المغرب». وبناءً عليه، اقترح «أن يُرسَل إلى هناك التوجّل في الوداديات «العمالية» وفي الحزب الاشتراكي وفي عصبة حقوق جمعيات (كذا) التي لها الحق في التواجد بشكل قانوني»⁽⁵⁵⁾. إن اقتراح هليق، وفيما نعلم، لم يتم اتخاذ أي قرار وقتذاك من طرف اللجنة المركزية.

بعد أربعة أشهر على استسلام عبد الكريم، كانت الوضعية المغربية موضع لجنة مناهضة الاستعمار التابعة للحزب الشيوعي الفرنسي. وقد أُجريت حواراً مع سان — برو وهو صحفي بـ لومانيي، عائد من المغرب. فقد تأقراً بـ «التأثير» الهام نسبياً للحزب الاشتراكي في الحماية، «رغم كل الطابع المتنافر للمنضمين لفرع الدار البيضاء : فهو يضم ماسونيين من «العمال» مكوّنة في أغلبها من مُستخدمين في السكك الحديدية سراتهم سنة 1920⁽⁵⁶⁾. لقد كان على رأس هذه المجموعة الأخيرة أحدهم «هو الذي كان لنا معه الارتباط»⁽⁵⁶⁾. وهذه المجموعة، بعد أن اقترحت اشتراكي وتشكيل حزب شيوعي، صار على المجلس أن يحدّد موقفه. لقد بعة كهذه «ستكون شيئاً مؤسفاً». وبالفعل «يمكننا الاعتماد على خمسة أو ن على العمل معنا والذين لم يتموا بعد تأثروهم داخل الحزب الاشتراكي ولا الأخرى (الوداديات العمالية) وإذ ليسوا بمعروفين، ليس لديهم أي تأثير لدى اقتراح إعطائهم كتوجهات «تشكيل يسار داخل الحزب الاشتراكي في

. موريس طوزي، سلسلة 142 (محضر اللجنة المركزية الموسعة أيام 6 — 8 أبريل 1926).
مرض بصبغة لاشخصية. نفسه. سلسلة 172. اللجنة المركزية والاستعمار (عرض اجتماع 9 شتنر

الاشتراكي في الحماية. انظر الحزب الثالث. لنوضح هنا بأن الفدرالية الاشتراكية للمغرب أنشأت في 1925 كانت تضم ثلاثمائة وأربعة وأربعين منخرطاً وفي 1926 خمسمائة وسبعين. إن ما نعرفه، من الوسط الاشتراكي البيضاوي لا يظعن في الاشارات التي أوردها سان — برو.
حرى، إساد إلى المراسلة المشادة مع «ريق الدار البيضاء الذي دخل في اتصال مع الـ C.G.T.U. بالونتان ؟

المغرب، يكون هدفه أن يُسرَّب أوامرنا ببطء وأن يرغم الحزب الاشتراكي تدريجياً على الاهتمام بالأهالي». وبعد ذلك فقط يمكن التساؤل حول مدى مناسبة إنشاء حزب شيوعي (57). كما أنه من الوارد «بمجرد عودة التلاميذ الموجودين حالياً في الجامعة» أن يتم «إلحاق» أحدهم وإرساله إلى المغرب (58).

من هذه الوثيقة، يمكننا استعراض الانتباه إلى :

□ عدم وجود تنظيم شيوعي مستقل بالمغرب في 1926؛

□ الوجود، داخل الحزب الاشتراكي، لعناصر شيوعية أو متشائمة ينبغي التنبيه إلى ثلاث مميزات بصددها : إنها تنتمي لوسط عمالي، سيكتفي على الأرجح؛ إن عددها جد قليل؛ وأنه ليس لها أي صيت. إننا نعلم من جهة أخرى أن الفروع الاشتراكية، في الظرف الخاص بالحماية، تقتل بنوع من الليبرالية مناضلين شيوعيين. وهذا يسمح لنا بإبداء كل التحفظات حول الطابع السري، كثيراً أو قليلاً، للجناح الشيوعي داخل تنظيم الحزب الاشتراكي.

□ إقامة ارتباط بين، واحد من هؤلاء المناضلين «فالونطان» على الأقل وقيادة الحزب الشيوعي الفرنسي، وجرّص هذه الأخيرة على توجيه دعايتهم نحو المغاربة.

لكن ها هو تقرير للأمن العام للحماية يعلن في يوليو 1927 بعد أقل من سنة من ذلك، بأن «الدار البيضاء صارت مؤخراً مقراً لأول خلية شيوعية» (59). هل ينبغي الاستنتاج بأن التوجيهات قد تغيرت وأن عدد المناضلين الموالين للحزب الشيوعي قد غدا مهماً بما يكفي لتبرير إنشاء تنظيم مستقل ؟ إن صاحب التقرير يورد أسماء ثمانية أشخاص كانوا ينتمون لهذه الخلية (60)، وحوالي إثني عشر متعاطفاً «قابلين للانضمام إليها». ومن بين «الأعضاء» الثمانية، هناك إسمان معروفان لدينا على الخصوص : إنهما إسماء ميشيل أنطوميلي «وهو الموجود على رأس الخلية»، وكاريت — بولي. إن الأول تاجر مخور، والثاني مدير أسبوعية بيضاوية كبيرة، لوكري ماروكان *. كلاهما مناضلان اشتراكيان، في منتهى الفعالية، وذوا

57 نفسه. بموازاة ذلك سيم القيام بمجهود لكي تشكل العناصر الشيوعية والمتشائمة «فصائل» داخل وداديات عمالية، حتى يتم تدعيم «في ميدان نقالي صرف».

58 نفسه. لا يمكن أن يتعلق الأمر في رأينا، سوى بـ «جامعة بوبسي»، التي تم إنشاؤها لتكون أطرها من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي في نهاية 1924. إن «الحامات» التي تم إنشاؤها في الاتحاد السوفياتي لم تكن تفتح إلا بشكل استثنائي للتلاميذ الغربيين ولا يبدو أنها استقبلت فرنسيين. «رناكو لانيتش» «مدارس الأطر للكويترون» في مساهمات في تاريخ الكويترون، حنيف، 1965، ص 223 — 257. أما «المدرسة اللينينية» فلم تنشأ إلا في 1926، ولم تستقبل، حسب ناري، تلاميذ فرنسيين إلا ابتداء من 1927 (نفسه، ص. 241).

SHA MAROC RSD 79 (II C 2) 59

60 لانحد من بينهم سوى عاملين، أما الآخرون فنجار، مستخدمون، صحفيون.

Le Cri marocain *

علاقات منتظمة مع قيادة الحزب في باريس، خاصة مع رونديل، وجان لونكي (61). ولم يكن لهما أي ارتباط مع العناصر الشيوعية المنضمة للفرع البيضاء للحزب الاشتراكي التي ورد ذكرها. ثمة أسباب خاصة، كما سنرى، تفسر كون كاريث — بوفي يُنعت، في بعض تقارير الشرطة، بالشيوعي. لكن لا شيء، حسب علمنا، يسمح بهذا الخلط إن لم يكن نزوح ملحوظ في الأوساط البوليسية إلى اعتبار عناصر الحزب الاشتراكي التي تعبر عن آرائها بقوة أكبر عناصر شيوعية. إن جاك كرماديلس الذي درس الحزب الشيوعي في المغرب، معتمدا خصوصا على الأرشيفات البوليسية، لم ينتج من هذا الإغراء. فبعد أن سرّده المظاهرات التي وقعت في الدار البيضاء، في غشت 1927، لصالح صاكو وفانزيقي، بدا له «واضحاً» أن المناضلين الثلاثة، أنطونيلي، فارج، وكازانوف، المعتقلين بهذه المناسبة والمائلين أمام المحاكم «كانوا شيوعيين» (62). وإذا كنّا، في هذا الطّرف، لا نعرف شيئاً عن كازانوف، فإن الأمر مخالف بالنسبة لكل من أنطونيلي وفارج. فكلاهما، بعد أن أخذنا حُكمًا ابتدائياً بـ «سجن نافذ» (63)، سيحصلان على السّراح أمام محكمة الاستئناف التي أزرهما أمامهما، يطلب من القدرالية الاشتراكية للحماية، جان لونكي (64). وبعد ذلك، سيفقدان شريكين في العمل الذي كان يقوم به ابن محاميهما روبير — جان لونكي، الذي كان يناضل أيضاً في الحزب الاشتراكي، لصالح الوطنيين المغاربة الثّبات.

في 1928، طعن تقرير للمصالح الخاصة يتركز على معلومات مبلّغة من طرف الأمن العام في استنتاجات يوليو 1927 ونقرأ فيه: «لم يتمّ بعد، تشكيل أية خلية (...) إن التنظيم الشيوعي ليس قائماً في المغرب» (65). وفي 1929، كان الحزب الشيوعي الفرنسي، حسب وزارة الداخلية «يولي عناية خاصة لدعايته في المغرب. إن له في هذا البلد مناضلين يساعدونه بنشاط في مجهوداته، وهم منشغلون حالياً بإنشاء حزب شيوعي عربي»؛ وقد كان بينهم وبين الحزب في باريس اتصال منتظم (66). ويُعدّ أن سليل رئيس منطقة الشاوية (الدار البيضاء) من

- 61 محادثات، المؤلف مع روبير — جان لونكي.
- 62 كعب مشار إليه، الجزء الثالث.
- 63 انطونيلي عشرون يوماً من السجن، وفارج شهرين.
- 64 بعد سنوات من ذلك، أمام المؤتمر الوطني للحزب الاشتراكي، أثار جان لونكي هذه الحلقة. انظر المؤتمر الوطني الثلاثين المنعقد بباريس، 14 — 17 يوليو 1933، عرض مختزل، ص 129 — 130.
- 65 SHA MAROC RSD 79 (116، ملزمة SRII في 20 مارس 1928). إننا نقرأ فيها أيضاً بأن «العناصر المتطرفة للفروع الخلية للحزب الاشتراكي متوجهة بوضوح نحو الشيوعية»، لكن هذا التقدير لم يكن محل توضيح.
- 66 AN F7 13170 (ملزمة رقم 3257 في 4 أبريل 1929 من وزير الداخلية إلى وزير الشؤون الخارجية) إذ نفس المعلومات كانت موضع إرسال من وزارة المستعمرات إلى الشؤون الخارجية 734 S/n في 29 يوليو 1929 (AN SOM SLOT FOM III 45). وإن حوالي خمسة عشر إسماً لـ «مراسلين» تمت الإشارة إليهم: تسعة من بينهم يقيمون في الدار البيضاء، إثنان في الرباط، واحد في مكناس، واحد في طسعة وواحد في قصبة تادلة. ونقط ثمانية منهم في

طرف الإقامة في 1935 حول النشاط الشيوعي، قدّم جَزْداً تاريخياً، قبل أن يلخص الوضع في مُجمّله : في 1928، استرعى انتباه السُّلطات نشاط دُعائي، لكن هذا الأخير «ظل في بداياته مُبْتَعَثاً ولم يَزِم عن وجود تنظيم شيوعي قائم بداته في الدّار البيضاء أو في هذه المنطقة»، وفي غشت 1933 سجّل «تزايداً ملحوظاً للدعاية الشيوعية في الدّار البيضاء، وفي نفس الوقت بداية لتنظيم هذه الأخيرة على شكل مظاهرات وإضرابات صغيرة» واعتبر رئيس المنطقة أنّه منذ ذلك الوقت بدأ يتوضّح «هَدَف المُحَرِّضين (...) ألا وهو أن يُنشِئُوا في الدار البيضاء ورماً في مدن أخرى بالمغرب نوى خلايا شيوعية تُخفي عملها بستار منظماتٍ للتعاون العمّالي ضدّ عواقب البطالة». وأخيراً، ابتداءً من دجنبر 1934، تمّ تمييز «نزوء» أكيد نحو إنشاء تنظيم شيوعي بالدار البيضاء على أسس واضحة ودائمة» (67).

لم يكن هناك إذن تنظيم شيوعي حقيقي في المغرب قبل 1935. لكن كان هناك، بكل تأكيد، مناضلون منعزلون — أو منخرطون في الحزب الاشتراكي — والذين يبدو لنا أن نشاطهم كان مُوجَّهاً إلى توزيع منشورات وجرائد قادمة من باريس. هذا، على أية حال، تكشف عنه «القضيتان الشيوعيتان» الوحيدتان اللتان تحتفظ الأرشيفات بأثرهما : قضية آرْمُونكو — فالْوَيْتَان هـ وقضية دُومُون هـ. أما قضية المغرب الأحمر في بداية 1935 فهي تعبير على المحاولة الأولى المعروفة لهؤلاء المناضلين لكي يُنظّمُوا أنفسهم ويُعبّروا عنها علانية.

قضية آرْمُونكو — فالْوَيْتَان

في 19 فبراير 1928، فاجأت شرطة سوق أربعاء الغرب (وهو موضع يقع على بعد حوالي مائة كيلومتر شمال الرباط) أحدهم يُدعى آرْمُونكو، وهو أمين مساعد بالأشغال العمومية، في حالة تلبّس بدعاية شيوعية مناهضة للزرعة العسكرية (68)، وقد صرّح بأنه تلقى

توضيح منهم، أي : أربعة أعوان في السكك الحديدية، موظفان، ميكانيكي ويقال. وقد اعتر كل من جان ثوابي وهو مهندس زراعي بقصة تاذلة، وبيارشميون، بمثابة «مناضلين من الطراز الأول». لقد كان بيار شامبون ماضلاً نقابياً فصل من السكك الحديدية للمغرب إثر تخريب السكك سنة 1929. ويقدم بيار سيمار، في مداخلته في الدورة العاشرة للجنة التنفيذية للأهمية الشيوعية، عرضاً سريعاً للوضعية في المستعمرات الفرنسية، ويخصّص المغرب بوضع : «ليس لدينا حزب هناك، وإنما بعض المراسلين»، الجلسة التاسعة، 8 يوليوز 1929، مراسلة دولية، 10 شتنبر 1929، ص ص 1137 — 1151. وفي المؤتمر السادس للأهمية الشيوعية (غشت 1928) كان الولد الفرنسي يضم ثلاثة هندصينيين، لثلاثة جزائريين وفرنسيين، ولكن أي مغربي.

67 SHA MAROC RSD 88 (رسالة رقم 277/Al/C في 28 مارس 1935، من المراقب المدني، رئيس منطقة الشاوية (أورثولاب) إلى رئيس مصلحة المراقبة المدنية. Armengand-Valentin Dumont

68 نفسه، RSD 79 ملّكة 3501/SG (الأمن العام) في 24 فبراير 1928 لأجل رئيس الديوان العسكري. لقد كان ممسك في يده، بأحد المقاهي، منشوراً معنوناً «إبراهيم، قناص الرميقي شمال»، الذي عثر لديه على عدد من نسخ. وكلنا جرائد وملصقات شيوعية معادية للزرعة العسكرية. حول هذا المنشور أنظر أدناه، الفصل السابع.

المنشورات الموجودة في حوزته من فور، وهو مُقاول في النقل بالرباط. لقد حُجِرَتْ في منزل هذا الأخير «وثائق عديدة وجرائد شيوعية مناهضة للنزعة العسكرية» وأقر، بدوره، أنه أخذها من أحدهم يُدعى فالونتان بالدار البيضاء (69). وقد تلقى هذا الأخير هذه الوسائل للدعاية من «مُسْجَلين بحرين يعملون على ظهر بواخر شركة باكي» ويقومون بدور ضباط اتصال بين المنظمة المارسلية والمغرب، لكن هذا الاتهام الأخير، فيما يبدو، لم يُقضى إلى شيء (70). مثلما لم يقض إلى شيء اتهم فالونتان بكونه أمين صندوق الاتحاد الأحمر الدولي للمغرب وأنه بهذه الصفة كان عليه أن يتوجه «مُوكلاً بطريقة قانونية من طرف خمسة عشر متعاطفا» (كذا) إلى المؤتمر الرابع لـ S.R.I. بموسكو (71). وعند مثولهم أمام المجلس الحربي بفاس بتهمة الدعاية المناهضة للنزعة العسكرية، حُكِمَ عليهم يوم 27 أبريل 1928 : فور، بسنة سجنًا، أرمونكو بستين، وقالونتان بستة أشهر، مع تمتع هذين الأخيرين بوقف التنفيذ. لقد حصل فور على تقضى الحكم الخاص به، فأُرْسِلَ أمام المجلس الحربي بمكناس الذي حُكِمَ عليه في 30 يونيو 1928 بسنة سجنًا مع وقف التنفيذ (72). لكن كما كتب كرماديلس، الذي دُرِسَ القضية من خلال جرائد الحماية، لم يحصل في أي لحظة «لا في الصحافة المغربية، ولا في البلاغات الرسمية، ولا أثناء المحاكمة، أن اتهم الحزب الشيوعي الفرنسي» (73).

قضية دُومون Dumont

بين 1928 و1934، لم تذكر الأرشيفات أية «قضية شيوعية» داخل الحماية. إن ذهاب وعودة بعض الأجانب، ومن بينهم أشخاص يُفترض أنهم شيوعيون — سيمتich الفرصة، كما سنرى، لتأويلات مختلفة : غير أنه لم ينجم عن ذلك أية مظاهرة خاصة، ولم يتعرض أحد من المذكورين لأي اعتقال، أو بالأحرى لأي اتهام.

69 نفسه، ومذكرة SR 11 لـ 20 مارس 1928. يتعلق الأمر جيدًا بفالونتان ادي سجلنا أعلام أنه كان على صلة باللجنة الاستعمارية للحزب الشيوعي الفرنسي. ولكن إما لأن هذه الأخيرة لم تكن حسنة الاطلاع، أو أن فالونتان غير مهتمة، فلم يعد عاملا أو سكتيا، وإنما بالغ مشروبات (نفسه، HC1 رقم 23).

* Paquet

70 نفسه، مذكرة SR 11 لـ 20 مارس 1928. إنها لم تذكر سوى في مذكرة إخبارية واحدة لا يقيم قرار الاتهام بأية إشارة إلى الصلات التي لم يكن وإدا ألا تثار وتلك مع قوة أجنبية. أنظر كرماديلس، مشار إليه، ص 254 — 255.

72 SHA MAROC RSD 79, II C 1 رقم 33 (رسالة الجنرال فيدالور، قائد قوات المغرب، إلى المقيم العام، بتاريخ 8 يوليو 1928). حسب الجرائد المستشهد بها من طرف كرماديلس، فإن نص الحكم لـ 27 أبريل 1928 كان كالتالي : أرمونكو، ستة أشهر سجنًا، فور، سنة، وقالونتان سنتان. إنها لا تشير إلى وقف التنفيذ ولا إلى المحاكمة الثانية لفور، مشار إليه، ص 255.

73 نفسه، ص 254.

في نهاية 1934، تم اعتقال جول دومون، وهو قبطان احتياطي حاصل على وسام الشرف من درجة فارس، ووكيل بسوق مكناس، بسبب دعاية شيوعية في وسط أهلي (74). وبدقة أكثر، كان مُدنيًا بِجُنْحَتَيْن :

□ من جهة، بكونه أفاض في حديث يهاجم حقوق الجمهورية الفرنسية وسلطانها في الامبراطورية الشريفة (75)؛

□ من جهة أخرى، بكونه وَزَّع جرائد ممنوعة. وعند مثوله أمام المحكمة العسكرية بمكناس، أظهرت النقاشات بأن تصريحات دومون تُعْتَمَد أمام أحدهم يُدعى ادريس بنعبد العزيز وَكُرِّرَتْ أمام هذا الأخير وشاهدَيْن آخرين. لقد كان ادريس بنعبد العزيز، وهو «شاب أهلي متعلم» جاسوساً للشرطة : وقد فسّر رئيس الأمن الاقليمي بمكناس كيف تمكن من استعماله لاجتذاب دومون الى الفتح وَجَعْلِهِ يَكْرُر خطابه «المُعادي لفرنسا» في جلسة كان يحضرها مُقْتَشَان من رجاله. لقد أكرر دومون التصريحات المنسوبة إليه في وقت اعترف عن طواعية بكونه وزع بعض النسخ من الجريدة الممنوعة، الشرق العربي، وكونه طلب تلغرافياً مائة نسخة من طبعة خاصة لـ لومانييتي تم حجبها عند وصولها الى البريد. وحكم على المُتَّهَم، الذي لم يُبَيَّن خلال الجلسة «أي ندم وأية توبة» (76) بثلاثة أشهر سجنًا و مائة فرنك غرامة، وفور إطلاق سراحه، تُعْرَض لقرار طرد (77).

74 بعد الحرب، انشغل دومون بالزراعة في منطقة عين تالانت. وحسب لاثريون (صحيفة معمرى مكناس)، فإنه قد أحرق في مشروعه وبيعت أملاكه بواسطة القضاء (17 يناير 1935). إن ألبير عياش الذي يستند الى الشاهدة الشخصية لشارل دوبري، يلح على واقع كون دومون، المتأثر بشكل خاص بيويس الفلاحين المغاربة، تدخل لصالحهم لدى الإدارة. «إن قراءة لومانييتي، التي كان يروده بها رئيس محطة تولدته، جعلت منه شيوعياً.» (اليمين واليسار في الحماية الفرنسية للمغرب في 1934 - 1936 في لايلسي، عشت 1976، ص 97).

75 في 19 نونبر 1934، قال على الخصوص : «المغرب للمغاربة. ينبغي النجدة من أجل هذا... لن أكون سعيداً إلا يوم تطرد فرنسا من هنا؛ يا للفرح الذي سيغمرنا ذلك اليوم!» مذكورة رقم 12/5 في 5 دجنبر 1934، من معوض الحكومة لدى المحكمة العسكرية لمكناس، متعلقة بأمر الاختيار. SHA MAROC RSD 88 (ملف دومون).

76 SHA MAROC RSD 88 (ملف دومون)، رسالة رقم 143/5 في 18 فبراير 1935، من رئيس أمن مكناس الى قائد المنطقة. إن هذا الموقف يناقض موقف فالونتان، وأرمونكو وفور قبل بضعة سنوات، كرماديلس، مشار اليه، ص 255.

77 نفسه. يبدو أن دومون طعن بطريقة القرض، لأن مدير مصالح أمن المغرب شرح لرئيس الديوان العسكري للمقيم أن من رأيه انتظار قرار المحكمة قبل اتخاذ إجراء الطرد (رسالة رقم 4076 DSS في 2 مارس 1935). لكن هولاء المتتدب لدى الأمانة العامة، وقع في 6 مارس 1935 قرار الطرد (رقية مرقوبة، 106 - 107 - 108 الى الكي دورساي في نفس اليوم). عند عودته الى فرنسا، ناضل دومون في الحزب، بارتباط مع الفرع المعادي للاستعمار ومع ليو وانير من العصبة المناهضة للامبريالية (مهادنات مع أندري فيل). وإبان حرب اسبانيا، انخرط في الفيلق الدولي، حيث عمل مرتبة عقيد. وقدمت بفرنسا في 1947.

لغرب الأحمر *

منذ الأيام الأولى لفيبراير 1935، كان يوزع في الحماية العدد الأول من ماروك روج * هي «جريدة الحزب الشيوعي المغربي». لقد كانت هذه «الجريدة» على شكل ورقتين ضروبتين على الآلة الكاتبة، ومسحوبتين على الآلة التاسيخة وموجهتين داخل ظرف الى مختلف المرسل إليهم (78). لقد سعى أصحابها الى الرّد على محاكمة جول دومون : «هل من مسموح للمرء في المغرب بأن يكون شيوعياً أم لا ؟... إن الذعر الكبير الذي نجم عن محاكمة مكناس نتج عنه في نفس الوقت، على الأقل، نشوء الحزب الشيوعي المغربي، وهو ما لم يتوقعه خدام الرباط (79). فسواء رضيت حملة السيوف بذلك أم لم يرضوا، فإن حكمهم آثار في مجموع المغرب حركة من الفضول المتعاطف مع مذهبنا الذي انتظروه الكثيرون لاشعوريا. يسعير رفاقنا كيف يستفيدون من النتائج المفرحة لكل هذا التعاطف». إننا نقرأ في «نداء الى الثاقلين الصغار» (80) : «ليس ثمة أوريون، وليس ثمة أهالي؛ هناك أغنياء يستغلون الفقراء، وهناك فقراء يكسحون ويعاونون لتسمين الأغنياء»، وتوجه النداء بالتمرد بالضبط الى هؤلاء الثاقلين الصغار (81) : وهو لم يتعدّد الدعوة الى سدّ الطريق لمنع مرور حافلات الشركة المغربية للنقل (ستيام) وهي شركة النقل القوية المراقبة من طرف بنك باريس والأراضي المنخفضة. لقد منعت السلطات في 19 فبراير، توزيع جريدة ماروك روج (82)؛ وخلال شهر مارس، كان عكّد ثاب للورقة الشيوعية يروج داخل الحماية (83).

لقد توجه تحري الشرطة نحو أحدهم يدعى بيسيير، وهو طالب حقوق شاب، مسجل بكلية بوردو ومقيم بالدار البيضاء. فهو «يبدو منذ رُجّح من الزمن العضو الأكثر فعالية

* Maroc rouge

- 78 لقد عرفنا على نسخة من هذا العدد في أرشيفات الديوان العسكري للقيم العام. SHA MAROC RST 79 (مرسل بملكرة OLR رقم 844 لـ 2 أبريل 1935). لقد نشرت لافريك فرايسيز مقطعات منه (مايو 1935، ص 222) أخذتها من لافريس ماروكان : وهي مقطعات متفرقة حوت معناه. حسب كرماديلس الذي يستند الى مصادر بوليسية، فإن سحب هذا العدد الأول كان خمسة آلاف نسخة (مشار اليه، ص 332). وحسب أكبر عياش الذي تلقى شهادة شاول ديبوي، الذي شارك في إنجاز ماروك روج، فإن السحب كان حوالي خمسمائة نسخة (مقال مشار اليه، ص. 97).
- 79 ينبغي تأويل هذا التأكيد بحذر، لأنه بعد ذلك يقلل يوضح النص : «ثمة تعاطفات لا تحصى ممحوة لنا ينبغي أن نعرف عما قريب جمعها وتنسيقها لكي تشكل منها الحزب الشيوعي.
- 80 مهددين بالاندثار حكم إعادة تنظيم النقل الطرقي. وقد مثل هذا «النداء ثلث العدد.
- 81 «تمردوا ! الحزب الشيوعي المغرب يتأديكم للنضال، وسيساعدكم؛ سيكون الى جانبكم دائما وأبدا»
- 82 نشرة رسمية، 15 مارس 1935.
- 83 SHA MAROC RSD 88 (رسالة رقم 12 س لـ 14 مايو 1935 من المفوض عميد أمن الدار البيضاء، كايو، الى رئيس المنطقة المدنية).

للنواة الشيوعية لمدينتنا، ولا أدل على ذلك من الدور المهم الذي بدأ يحاول أن يلعبه» (84). وقد اعتبر البوليس وقتذاك أن بإمكانه البرهنة على ذلك بوثائق تثبت وجود علاقات بيسير بالحزب الشيوعي الفرنسي في باريس، لكنه ألح أكثر على العلاقات التي لبسها في الدار البيضاء : وعلى الخصوص، ببحار في البحرية الوطنية، وهو أوليفي روبر الذي كان يتوجه كل يوم تقريباً إلى منزله، وبعض أفراد التعليم (85)، وعامل عاطل (86) ومهندس (87). لقد كان العديد من هؤلاء الأشخاص يجمعون في «مجموعات صغيرة» ويظهرون لرجال البوليس «مشيرون بشكل خاص» (88). و «بدأ» أن ماروك روج «تخرج من هذا الوسط» (89). مع ذلك، لم يتقدم البحث البوليسي إلى اليوم الذي ذهب فيه بيسير بعفوية ليقترح خدماته على البوليس وليقدم «إفشاءات» حول التنظيم الشيوعي داخل الحماية : وحسب أقواله يوجد في الدار البيضاء «فرع» للمغرب يرتبط به بعض العناصر بطريقة فردية، كما ترتبط به عشر أو اثنا عشرة خلية، خاصة في مكناس وفي فاس. ويؤكد بيسير بـ «أن باريس، هي التي تعطي توجيهات»، وهي التي «تدفع» خاصة «إلى إنشاء خلايا أهلية»، لكن حول الأنشطة الشيوعية الصرفة، اقتضت «إفشاءات» بيسير على التوضيح كيف تم في رأيه، إنجاز وتوزيع المغرب الأحمر (90). وفي الواقع، لا يمكن لأقوال بيسير أن تقبل على علاقتها. فدون ريب، ظهر بسرعة أن من بين الأشخاص الذين بلغ عنهم للبوليس باعتبارهم شيوعيين، هناك كثير من المتعاطفين أو المناضلين المقتنعين : ستعرف عليهم. لكن إشاراته حول الانغماس الشيوعي في المغرب جد مباليغ فيها (91)، والدور الذي ينسبه إلى نفسه مشبوه (92). والبوليس الذي

- 84 نفسه. رسالة DC / 119 في 7 فبراير 1935، من أولياف، رئيس منطقة الشاوية إلى مدوب الإقامة.
85 روجي بروتوت، أستاذ بالمدرسة الصناعية، آلان كيايفري، معلم بمدرسة أبناء الأحياء، أندري جوانو، حارس عام سابق بدخلية المدرسة الصناعية. نفسه.
86 دورعان. نفسه.
87 روجي روكس. نفسه.
88 مشبهون بكونهم شيوعيين. إن التقرير يوضح أيضاً : «إن برونزو ليس معروفاً بعد لدى مصالحنا»؛ وكيايفري «يمكن أن يكون مناصلاً، لكن ليس ثمة واقعة محددة منسوبة حتى الآن من شأنها أن تؤكد هذه المعلومة»؛ أما دوغان، فـ «يبدو أنه يعمل كمون ربط». لقد تمت الإشارة إلى أوليفي روبر باعتباره أن له «صلات مشبوهة في الأساط الشيوعية». بينما قيل عن روجي روكس، وحده، بأنه «أحد الأعضاء الرئيسيين للتنظيم الشيوعي بالدار البيضاء». نفسه.
89 نفسه.
90 رسالة مشار إليها في 14 مايو 1935.
91 انظر كيماديلس، مشار إليه، ص 334 - 338.
92 إن الشاب يسير يقدم بعض الملاحظات الغريبة. فقد كتب إلى شاليو، مدير ماروك سوسالست، رسالة ملتصقة جداً لكي يرحي إليه بأن يسهل الاتصالات بين الشبيبات الاشتراكية، والشبيبات السلموية والشيوعية (رسالة مشار إليها في 14 مايو 1935). محاولة ذلك، طلب في 26 يناير 1935 من رئيس الفرع (منظمة يمينية متطرفة معادية للسامية) أن يكون ممثله في الدار البيضاء. وقد أعطاه السكرتير السياسي، مورييس دويوزار، موافقته وأوكل إليه بتوزيع

أعطى، مع ذلك، اعتباراً كبيراً لتصريحاته (93)، وجد نفسه مُرغمًا على إغلاق هذا الملف الذي لا يكشف عن أية مناورات شيوعية تقع تحت طائلة القانون (94).

الأسطورة

إن المغرب واحد من بلدان ما وراء البحار حيث أُلصق أن الحضور الشيوعي، بين 1920 و1935، جد ضعيف. فأطروحات الأهمية الشيوعية والحزب الشيوعي الفرنسي الداعية إلى التحرير الوطني والاجتماعي للشعوب الواقعة تحت السيطرة لم تعرف سوى تطبيقات ضئيلة داخل الحماية : فوجد النشاط الشيوعي أو المندود كذلك، نفسه محصوراً في توزيعات مقطعة للمناشير والجرائد، داخل الحدود الضيقة للسرية. لقد كان ذلك النشاط مطبوعاً بمرص بعض المناضلين على توجيه دعايتهم نحو الأوساط المغربية. وفي بلد كانت البروليتاريا العمالية فيه ما تزال بقاء قليلة، ليس مُدهشاً أن يعبر التحريض على دعائمه الأساسية في المصالح العمومية وخاصة لدى السككيين. إن الأرشيفات مكتنتنا من سرد الوقائع البارزة : فلم يحصل في أية لحظة أن وجدت مؤسسات الحماية، وبشكل أعم، الحضور الفرنسي في المغرب نفسه مُهتدداً. مع ذلك، وبشكل متوازي، كان قد تم بناء أسطورة : أسطورة مؤامرة مُدبرة ومُعقدة من طرف البلشفيين، بارتباط مع العناصر الوطنية، بهدف انفجار وطني وثوري بالمغرب. إن هذه الأسطورة لم تكن وليدة مُخيلة بعض الصحفيين. فبُثها من طرف المصالح الفرنسية المختصة، وتغلغلها في الأوساط السياسية المختلفة، كافيان لتنبية المؤرخ. ويهيب بنا تداعُلها مع تاريخ علاقات اليسار والحركة الوطنية المغربية أن نوليها الاهتمام. هكذا نقترح على أنفسنا تحليل مكونات هذه الأسطورة، ودراسة بدء تنفيذها، وأخير التساؤل حول دلالتها.

عناصر الأسطورة

يسمح تفصيل الأسطورة بتمييز :

□ اقتراح أساسي، ذي طبيعة سياسية ألا هو التأكيد على وجود تواطؤ بين أعداء فرنسا. وهو يُؤمق الخطر الشيوعي ويوضح نواياه؟

لوسياكل لوفو، صحيفة الحركة، بعد أن كانت لالبيهارول قد منعت في المغرب (رسالة 7 فبراير 1935، المشار إليها آنفاً). لقد رأت السلطة في هذا الاجراء «منارة لاختراق تصرفات هذه الجماعة لحساب الحزب الشيوعي» (رسالة 14 مايو 1935). إننا نعتقد بطيب خاطر بأن يسار مضطرب الشخصية ومهروس لفكرة فرض احصاره. وتبدو لنا رسالته الغفلة الى الشرطة مدعومة هذه التفسير.

93 ليس ثمة ما يمنع من الاعتقاد بأن يسار كان، على الأقل جزئيا، محركا من طرف مصالح الشرطة.

94 رسالة مغار إليها ل 14 مايو 1935.

- اقتراحين متلازمين يحددان الوسائل المستعملة من طرف الشيوعيين، ويمثلان في حضور عملاء موسكو في المغرب، والتسرب داخل القوات المتمركزة في الحماية؛
□ أما الخلاصة فتتمثل في الاعداد لهماج شعبي.

تواطؤ أعداء فرنسا

عقب الحرب العالمية الأولى، ظل قطاع عريض من الرأي مُرهف الجسّ بشكل عميق بمفهوم «أعداء فرنسا»، وخاصة في الوسط الاستعماري حيث يتم التعود بسرعة على نسب المصاعب التي تلاقيها ممارسة السيادة الفرنسية فيما وراء البحار، إلى تأثيرات وتدخلات أجنبية. والمغرب هو الوحيد ربما، من بين كل البلدان، الذي حُرِّك على نحو أكثر كثافة هذه الشبهة القليلة. فذكرى الكفاحات التي كان على المالية والدبلوماسية الفرنسيين أن تخوضها ضد الامبرياليات البريطانية والألمانية والأسبانية لم تُمنح بعد، ومن الملامح الصاق المقاومة التي ما تزال تُبليها القبائل المغربية تجاه القوات الفرنسية بعد توقيع الحماية، بمناورات ما وراء الزاين دون سواها (95). وبعد هزيمة ألمانيا، وضّح مسئولوا السياسة الفرنسية خطرين جديدين يهددان بشكل خاص، في رأيهما، السيطرة الفرنسية في إفريقيا الشمالية: الخطر الاسلامي والخطر البلشفي. لقد تم تقديم كليهما بطريقة كَبَلُغ فيها وكان هذا كافيا لأعطائهما طابعا أسطوريا. لكن، ما كان يؤدنا التنبيه إليه هنا هو الرغبة التي أبدتها، بين 1920 و1935، دعاية ما — مُغذاة بمجاملة من طرف المصالح المختصة — لربط مختلف التظاهرات الاسلامية والبلشفية ببعضها، ونسب استرشاد أجنبي مشترك، تارة ألماني، وتارة بريطاني، إليها معا.

إن التمييز بين الاسلاميين — «الاسلام الحق، الاسلام الصّرف» —، ذاك الذي يلتف عفويا حول الأمم المتحالفة «لحاربة ألمانيا، عدوه الحقيقي»، والآخر، اسلام الحرب المُقدَّسة، الذي انضم إلى «جانب العدو» (96) — هذا التمييز تم تصحيحه غداة الحرب: فقد أكد المكتب الثاني للمخابرات بأن الدول الاسلامية المحتلة والحكومة من طرف فرنسا والمجلت، كانت وما تزال قابلة للتأثر بالدعاية الألمانية (97). ولفظة اسلام نفسها — أو بالأحرى الجماعة

95 انظر لوي موريس (اسم مستعار للسفير موريس بومبار)، السياسة المغربية للألمانيا، باريس، 1916، ص 177 — 183. انظر أيضا لافريك فرانسيز، (بنابر — فبراير 1919، ص 18) ولوي بارثو، حرب المغرب، باريس، 1919، ص 34 — 48.

96 بن عبيط، المغرب، الحرب والاسلام (محاضرة أُلقيت بمعرض الرباط، في 30 شتنبر 1917 في محاضرات فرنسية — مغربية، باريس 1917، ص 112).

97 AN SOM. Aff. oplit. 923 (5)، معلومات مرسلة من طرف المكتب الثاني إلى وزارة المستعمرات في 24 نونبر 1920، s/n° 9856 SCR/2/11.

الاسلامية — صارت تأخذ داخل الطبقة السياسية، ورغم مجهودات ليوطي، وقّعاً مُعاديا (98)، لا يزال ملتبساً، ولكن يتوضّح بمجرد ما يتم تقريبه من الأفكار المتلقاة عموماً حول تأثير البلشفية و«حليفها» الألماني. وبالفعل، يتم التشهير بالبلشفية ليس فحسب كتهديد بالتخريب الاجتماعي، بل أيضاً كمحاولة لـ «إيقاظ الشعور الوطني لدى الأهالي بهدف دفعهم بأنفسهم الى العصيان» (99). وفي هذا الصدد، يرى وزير المستعمرات، بأن موسكو استعادت «التكتيك المُستعمل خلال الحرب من طرف الامبراطوريات المركزية ضد أعدائها»، ولم يتردّد في التأكيد بأن «عددًا من الجمعيات التي تدعى التعاطف مع الأهالي، المنشأة من طرف الجهاز الألماني (100) كانت تابعة للبلشفيين بدون قيد أو شرط»، الى حد أنه كان من الصعب جدا سنة 1920، «التمييز بجلال لطبيعة الدعاية المُتقلّدة من طرف هذه الجمعيات الألمانية — البلشفية» (101).

إن الرغبة في تفسير التحريض وحركات الرأي المُلاحَظَة في الدول الاسلامية بواسطة الاستقطاب المزدوج الألماني والبلشفي، لمي رغبة جليّة. فهي تُرضي مبدأ أساسيا للاستعمار، ألا هو رفض القبول بأن يكون مصدّر احتجاج المُستعمر داخلها (102). عندئذٍ، لا تعود تُهمّ محاذير اليسار المتطرف تجاه الاسلام، ولا التقذ الذي يوجّهه البلشفيون للجامعة

98 يبدو أن كالأري دو لايار (الذي ينتمي الى مجموعة اليسار الديمقراطي) هو أول من أثار بعد الحرب، من منصة مجلس النواب، «الخطر الاسلامي . هذا الخطر يهدد حاليا عبر آسيا الصغرى...» مناقشات المجلس، جلسة 17 يونيو 1920، المجلد الوهمي، ص 2216. أما بالنسبة لأوجين لوفغر، وهو نائب راديكالي اشتراكي للحزب، فإن هذا الخطر أكثر إلحاحا ولم يتورع عن أن يؤكد فحاة، أمام لجنة الحزب، والمستعمرات، والحمايات، أن «أوروبا متعرضة لخطر الاسلام»، دون أن يتحرر أحد على الرد عليه. محضرا احتجاج 5 يوليو 1920. بعد بضعة أشهر من ذلك، ومجيا لوفغر نفسه وطومسون، الناطق بلسان اليسار الراديكالي، اللذين استاء لرؤية شغالين أهالي يستعرضون في الحزب حلف راية حمراء، صرح ماريوس موتي، معبرا عن رأي أغلبية أصدقائه الاشتراكيين : «أفضل أن أراهم مع فرنسيين خلف الراية الحمراء على أن أراهم خلف الراية الحمراء للاسلام وحلف الحلال (...). ففي الحالة الأولى، مختطفون بنشاط الفرنسيين، فإنهم يتصرفون كفرنسيين، أما في الحالة الأخرى، فإنهم سيتصرفون ككثلة وتشكل جماعي ضد فرنسا». مناقشات المجلس، الجلسة الثانية لـ 28 دحر 1920، المجلد الوهمي ص 4082.

99 AN SOM Aff. polit. 2425. (مذكّرة حول الدعاية الثورية التي تبهم بلدان ما وراء البحار، 30 دحر 1924). مصلحة الاستخبارات الألمانية.

100 AN SOM SLOT FOM III 56 («الدعاية الشيوعية في المستعمرات»، ص 6 — 7). إنه من المهم أن نقر من هذه الوثيقة، عبر المؤرعة ولكن التي من المحتمل جدا أن تكون قد أعدت في 1929، التقرير الأول المخرج من طرف نفس المصلحة (إدارة الشؤون السياسية لوزارة المستعمرات) حول نفس الموضوع قبل سبع سنوات، والذي كان تعمير وفتد أكثر حذرا بكثير : «... لقد كان مستعصيا التمييز بين المسؤولية الواقعة على العملاء الألمان وتلك التي كان يسمي نسبتها الى المخرزين البولشفيك». AN SOM Aff. Pol 2415 (مذكّرة حول الدعاية الثورية التي تبهم بلدان ما وراء البحار، 19 أبريل 1922).

102 تؤكد نشرة المعلومات عن المسائل الاسلامية السرية حذا، المشورة من طرف وزارة الحربية «ليس مشكوكا به، أن تكون هذه الانفجارات للحس الوطني، في بلدان تقليدية الفوضى، جميعها ذات استظهام حارحي» 18 أكتوبر 1921.

الاسلامية، ولا الجندالات المُتأثرة من طرف الحركات الوطنية. لا تنهزم أبداً تحسرت بُنيته الذين يشددون، من موظفين أو صحفيين، على تنوع الاسلام، وعلى ثقافته المتنوعة الغربية والأهمية المتزايدة التي تكسبها المشاكل الاقتصادية والاجتماعية كسحر وكبح، لا يُحتفظ من الدعاية الشيوعية سوى بنيتها المُعلَّنة بوضوح في مساعدة دول غرب هي عن التحرر. من جهة أخرى، من المُسلم به أن ألمانيا لم تتمثل بعد عن فكرة ستعمار هذه الاسلام لتصبح السُكَّان الخاضعين للإدارة الفرنسية والانجليزية.

إن السياستين الشرقيتين لبرلين وموسكو لا تُعتبران، بصفتها عامة، سياسيتين مُستقيمتين، فمجهوداتهما تُعتبر مُتطافرة، وتواطؤهما مع الجامعة الاسلامية والحركات الوطنية مُفندة على كماله بديهي، سواءً من على منصّة البرلمان (103)، أو بأفلام كينار مُوظفي الحماية المغربية (104)، وبشر الأدوار المُتبادلة لهؤلاء مع بعض الاختلافات : ففي مارس 1921، شُهر وزير خارجية - «الحركة الثورية التي تُرجى إيقافها في المُستعمرات المُسلَّمة بوافق مع الدعم العسكري للبلشفيين والمُساندة المالية لألمانيا» (105)، وبعد بضعة شهور اعتبر أن عليه أن يوضح أن العمل الألماني يستهدف «تنسيق المُخطَّط المزدوج، التركي والبلشفي، ومدّ العمل لاسلامي لأنقرة والعمل الثوري لموسكو، والحركات الوطنية الناشئة في إفريقيا الشمالية» (106) : السمع والتنظيم والأطر.

وقد اعتقدت سلطات الحماية، خصوصا بعد ذهاب ليونسي لها كمنعت دحر المغرب نفسه أدلةً تواطؤ بين التظاهرات الاسلامية والدعاية الشيوعية (107)، ولتؤيد المُستب

103 يتحدث روكس - مرسيس عن «الفكر الكبير للاسلام» :
«إن القوة التي أطلقت هذه الروح والتي تريد أن تفرغ إلى عامرة ليست في قصصه، كما بعد «أ» في س.

ولا في رجال وسحاري العربية، وإنما في رؤس.

- مارسيل هانير (نائب من اليمن، ملازم أول سابق في ديوليد) : «مروءة جوسكو».

- مونتو (نائب القسطنطينية محل في الجمعية الجمهورية الاشتراكية) : «في موسكو».

مناقشات المجلس، الجلسة الثانية في 28 ديسر 1920، المجلد الرابع، ص 4082

104 إن جهود الأهمية الثالثة لكي تحلق فرنسا مشاكل في الجزائر، في تونس، وفي المغرب، «تتعاظم مع جهود دولة حكمة الاسلامية، وهي حركة يوحد مركز نشاطها، كما هو معروف، في برلين ويستعمار قادتها في أحد عشر (تد) من وراء الشؤون الخارجية للمرابح. أي أن موسكو يريدون تستعبد، في هذه المسألة من أجل الاشياء ههنا (أهمهم) بعد في التنسيق ضدنا». AIF 46 530 3715-SHA MAROC (ملكرة من الوزير المنتدب من 22 ديسر 1922)

105 لشرق المطروحات عن المسائل الاسلامية، 4 مارس 1921.

106 نفسه، 18 أكتوبر 1921. «في بقية المجهود (صد إفريقيا الشمالية)» سأل لايت دولتش - مرسكو. أتم

التيال... على الأقل في الطاهر، أنه ربما يهي القليل من الطر إلى الشرق. لكن من أجل هذا حدث 77-77

... إن... الشيوعية وإفريقيا الشمالية، ص 4.

وطي اعتقد في هذا «التواطؤ». فهو يعتقد بأن الحركة الوطنية تنحيزت بأحد شق، من جهة أخرى...

تحرير الشعوب التي تطلقها موسكو قد يكون لها في الأخير تأثير من على دولة س... ح

لدي الحماية رأى بأن هناك علاقة بين تحضير المؤتمر المناهض للامبريالية، ذي الاستطهام البلشفي (108) بمكة سنة 1928، وبث أفكار ذات مرامي إسلامية بالمغرب : إن واجداً من الدعاة، وهو فيليب تشيكا، «مشبهو جداً بكونه عميلاً لموسكو». وقد انشغلت المصالح المختصة بإقامة مُدَوِّنة للجمعيات ذات المرامي الإسلامية التي تبدل لها علاقاتها مع الكومنترن أو مع برلين بدينية (109). فوصفت الجمعية الامبراطورية الإسلامية باعتبارها الجمعية الأم : ويوجد مقرها في القسطنطينية؛ وهي تتلقى الأموال مباشرة من موسكو وتوزعها على باقي اللجان. من بين هذه الأخيرة، هناك «الاتحاد المغاربي»، الذي يوجد مقره بالقاهرة، والذي له فرع مغربي، يُدعى «جمعية الثقافة المغاربية» (110). في 1927، قطعت الجمعية الامبراطورية عزقتها بموسكو ونقلت مقرها الى لوزان : وقد انشأت تباعاً جمعية الاتحاد الإسلامي، ثم جمعية الشبيبة الإسلامية التي يوجد مقرها بالقاهرة (111). وتُسيبُ الى شكيب أرسلان مختلف المبادرات التي أدت الى نشوء جمعيات ذات توجه إسلامي في كل من النمسا وألمانيا. هكذا كان الأمر بالنسبة للجمعية الثقافية الإسلامية، المنشأة في 1932 بفينا، والتي كان كاتبها العام، علي زكي، معروفاً كـ «عميل سوفياتي أو على الأقل كمتعاطف بلشفي» (112)، «والجند الألهي»، التي يوجد مقرها ببرلين، والتي تبث دعايتها في المغرب عبر قناة عملاء سويسريين وبلجيكيين (113)، و«لجنة دفاع المغرب العربي»، الموجود مقرها أيضاً ببرلين، والتي قُدِّمت في 1930، عُقِبَ اجتماع مُنظَّم للاحتجاج ضد الامبريالية الأوربية، رجاءً لصالح

108 بالنسبة للوزير، هذا المؤتمر محرك من طرف الكومنترن، الذي سيفرض عليه «توجيهاته» التي ستكون أهمها «انتعاق اللدان الإسلامية الخاصة الى الهيمنة الأجنبية» إن قاضيا سانغا لكتاس يدعى أحمد اللغيتي، هو الذي ختير، بحكم «تبحره» و«آرائه المتقدمة»، لكي يمثل المغرب MAROC RSD 91 SHA (16)، رسالة رقم 430، لـ 6 مارس 1928، من أوريان مالا، المنتدب لدى الإقامة العامة الى وزير الشؤون الخارجية) لقد أخذ أوريان بلان قسماً من معلوماته من الجبرال فرايدبيرج، قائد منطقة مكناس (انظر رسالة هذا الأخير، رقم AIC 376 في 14 دجنبر 1927، نفسه، 530 3715 AI Fés).

إن اتهام موسكو وبرلين بمساسمة المؤتمر الإسلامي ليس مطلقاً ففي المذكرة النهائية المكونة من عشر صفحات والتي وجهتها الشؤون الخارجية الى وزارة المستعمرات حول الاجتماع المقل للمؤتمر بالققدس في 1931، ليس ثمة أية إشارة الى الفؤدس الألماني أو السوفياتي. AN SOM Aff. polit. 907/6 (رسالة رقم 365 في 3 دجنبر 1931).

109 أنظر بالأخص SHA MAROC RSD 79 و 91 وأخريات، جمعيات) والتقارير الشهيرة للحماية (الوضعية الاقتصادية والسياسية) خاصة في 1934.

110 بعد أن سئل عن نشاطات هذه الجمعية، أحاب هري كايلر، وزير فرنسا في القاهرة أن الاتحاد المغاربي لم يعد له وجود منذ 1913! وقد أضاف الصانع القديم لمعاهدة الحماية في المغرب : «أما فيما يخص إرسال الكتب أو المنشائر الى إفريقيا الشمالية، فليس ثمة، حسب علمي أية منظمة إسلامية من مصر مكلفة به حالياً» SHA MAROC RSD 91 (رسالة رقم 55 في 8 مارس 1928 الى الشؤون الخارجية).

111 لنفسه، مذكرة 13 مارس 1930.

112 الوضعية السياسية والاقتصادية، 16 — 30 شتنبر 1934

113 SHA MAROC RSD 91 (مذكرة SR Fés رقم 7944 في 16 شتنبر 1927).

استقلال البلدان العربية، من بغداد الى طنجة (114). ويعتبر شكيب أرسلان نفسه مُنشطاً لـ «الجمعية الأندلسية للثقافة المغاربية» وهي آخر تناسخ للفرع الطنجاي لـ «الاتحاد المغاربي» (115). فهذا الشخص، بالنسبة للمصالح المختصة، تعبير مُكتمل لـ «تواطؤ أعداء فرنسا»: لقد وضع هذا الأستقراطي السوري (116)، والمتقف المُرهف، الذي يُعتبرُ باعثاً لنهضة العالم العربي. كل وسائله النادرة في خدمة تحرر الشعوب الواقعة تحت السيطرة الفرنسية (والانجليزية)، فحظي، على هذا الأساس بتعاطف ومساعدات الحكومات الألمانية والسوفياتية (117).

بالنسبة للمصالح المختصة، يُعتبرُ انتشار الوهابية في الأوساط الاسلامية هو ما يُمكنُ أكثر من ضبط طرق تسرب الشيوعية. نعرف بأن سلطات الحماية تشير بلفظة «الوهابية» هذه (118) الى حركة تجديدية تنتشر في مدن المغرب، تكافح من أجل العودة الى بنابيع الاسلام، وتعارض الخرافة والكيانات الدينية المتجسدة في المؤسسات الطرقية. وبالنسبة للسلطات، تُعتبرُ هذه العقيدة الجديدة خطورة على نحو خاص: «إنها إذ تروم تجديد الاسلام، تطالب باستقلاله، ومن وجهة النظر هذه، تقترب الوهابية بالشيوعية» (119). وتُدعياً لهذا الاعمام، تذرعت السلطات بالتصريحات «العفوية» التي أدلى بها بعض الوجهاء (120).

- 114 الوضعية السياسية والاقتصادية، مشار اليه سابقا.
- 115 نفسه، 16 — 30 يونيو 1934 و RSD 91 (ملكرة رقم 3318 في 17 مارس 1928، من المفوض عميد أس الرابط).
- 116 وقد في 1869، في عائلة درزية كبيرة من لبنان، وقد تلقى شكيب أرسلان دراساته ببيروت، ثم أقام تباعاً في القسطنطينية حيث احتل بالمصلح الشهير الأفغالي، وفي باريس وفي لندن. في سن الثلاثين، كان من ألمع صحفيي العالم العربي. وإبان الحرب الإيطالية - التركية، صادق الجنرال إنغير ناشا وبعد أن كان ناشا في البلدان التركي في 1913، صار في 1917 في مهمة بولس. ثم استقر غداة الحرب في جنيف وصار بطل القضايا العربية لدى جمعية الأمم، عن علاقاته بالوطنيين المعاربة، انظر الجزء الثالث.
- 117 الوضعية السياسية والاقتصادية، 16 — 30 يونيو 1934. لقد اتهم بالخصوص بتلقي إعانات مالية ألمانية لقد كان معجبا وحما كتيلاً لكيوم الثاني، وسيدني نوحا من التعاطف مع ألمانيا المحتلة. ومن جهة أخرى، لم يكت المصالح المختصة أن تبرز علاقاته مع إنغير ناشا والأسوعين اللذين قضاهما في الاتحاد السوفياتي بصحبته.
- 118 الوهابية مذهب إصلاحي إسلامي نشأ في العربية السعودية في القرن الثامن عشر.
- 119 RSD 79 SHA MAROC (116)، تقرير رئيس الأسر الجمهوري لفاس، كيديسلي، رقم SR 4730 في 21 مايو 1928). «إننا نجد تأثير الأئمة الثانية في حركة دينية مستوردة حديثاً الى المغرب، فالوهابية تدعو في بأنها تشرع الباب للشيوعية».
- 120 «تمثل الوهابية خطراً كبيراً على الاسلام. إن هذا الخطر يمكن أن يقارن بالخطر الذي تهدد به البلشفية سلم أوروبا وإنه لما يخشى منه أن تتحول لزعة المصالحات وحلق نزاعات دموية بين الاخوة. فالوهابية مملوؤها في المغرب. وأعلامهم يظهرون وراء هذا المذهب، الذي يزعم أنه يريد العودة بالاسلام الى مفاده الأول، مشاعر معادية للأجانب. في هذه الأرض (المغرب) كل وهابي يدعي بأنه شيوعي» نفسه، RSD 91 (نشرة معلومات فاس في 26 يناير 1928 : تصريح سيدني محمد الزيمزي، ابن المرحوم بن حمير الكثاني).

وترى السلطات بأن الأفكار الشيوعية وذات الجنوح الاسلامي لا تروج في المغرب عبر الوسيط الألماني وحده، بل أيضا عبر القناة البريطانية. ففي أرض الاسلام، تُعتبر إنجلترا عَدُوًّا مُحتَمَلًا، هكذا يعتقد أولئك الذين يرون في كُلِّ مكان يد العقيد لورنس (121). وقد كان لمصالح الحماية سَبَبٌ خاص للاشتباه في الانجليز : فالديبلوماسية الفرنسية لَمْ تُفْلِح في الحصول على إلغاء الامتيازات الأجنبية التي يتمتعون بها. هكذا كانوا يمتلكون مكاتب بريد مستقلة، أي وسائل اتصال بالخارج يُمكنهم وضعها زهن إشارة الرعايا المغاربة في الانتماحين معاً، دون أن يكون بإمكان الادارة الفرنسية أن تتدخل (122). من جهة أخرى، كانت الدعاوي المتعلقة بالرعايا البريطانيين، كما بالرعايا المغاربة المشمولين بـ «حمايتهم» تقلت من العدالة الفرنسية أو من عدالة المحزن وتُثقل الى محاكم قنصلية. وهذا وحده كافٍ لكي يُغضب بعض الشيء مصالح الأمن المتحررة عن المسائل التي يحصل المغاربة غيرها على الكُراسات والجوازات الممنوعة، ويُداومون الاتصال ببراسلهم الأجانب (123). فَبَعْدَ أَنْ ذُكِرَتْ هذه المصالح بأن إنجلترا «هي التي سلَّحت عبد الكريم ضدَّ إسبانيا ثم ضدَّ فرنسا» سَعَتْ الى الترهئة بأنها، أي إنجلترا، تستعمل الشيوعية «كنقطة ارتكاز لسياستها في المغرب (...) ببراعة تُحيط من براعة الألمان» (124). هكذا أُلْهِمَتْ إنجلترا باستعمال الشيخ الطنطاوي — «المُعَلِّم الكبير للدعاة الانجليزية — البلشفية في العالم الاسلامي»، ومُنْظَم كل المؤتمرات ذات السمة الاسلامية — وشهرته في المغرب للتغلغل في أوساط البورجوازية المُثَقَّفَة ومهاجمة السياسة الفرنسية. لقد رأت تلك المصالح بأن العمل البريطاني يتطور، خاصةً في الريف وفي منطقة طنجة حيث كان الطنطاوي على صلةٍ بزعيم الزاوية الدرقاوية، وبفيلبي تشيكا، مُنْشِط «الجمعية الأندلسية للثقافة المغاربية» (125). إن أعضاء هذه الرابطة معروفون لدينا (126)؛ هكذا يطالعوننا التخريب البلشفي المناهض لفرنسا بوجوه غير متوقعة : قبطان سابق في الجيش البريطاني (127)؛ دكتور انجليزي، وهو طبيب سابق لعبد العزيز وصديق الكلاوي، كما أنه مدير

- 121 لم تكن أوساط اليمين الفرنسي وحدها التي كانت تخشى لفرنس وتطلق العنان لحيلها بخصوصه، قد ذهبت لوسويسالست ماروكان الى حد تأكيد أن «حضور (ه) مشار اليه ومبرهن عليه أيضا (التشديد متا) مجرد ما يتدلى من المغرب إلى الهند عمل عربي مشترك»، 11 نونبر 1933، ص. 2.
- 122 بالرغم من أن الأمريكيين كانوا يتمتعون من وجهة نظر الظهور المنظم للامتياز الهندي بحرية كاملة، فإنه لم تكن لديهم مكاتب بريد في المغرب. وستفلق المكاتب الانجليزية نهائيا في 15 عشت 1937.
- 123 SHA MAROC RSD 91 (16)، مذكرة OLR رقم 35 في 11 يناير 1932.
- 124 نفسه، RSD 79، IIb، تقرير رقم SR 5468 لعاس في 29 يوليوز 1927 : «الحركة البلشفية والدعاة الانجليزية في افريقيا الشمالية». انظر أدناه، الفصل السابع.
- 125 نفسه.
- 126 SHA MAROC RSD 91 (رسالة المفوض عميد الأمن بالرباط، كايو، رقم 3318 في 17 مارس 1928).
- 127 برسمورد مانديني . لقد تم التوضيح به على علاقة بلاك هاركينس (المورط في بهرب الأسلحة عو الريف).

شركة ملاحية انجليزية ومراسل لـ شيكاغو تريبون¹²⁸؛ دبلوماسي بريطاني، وهو عضو سابق بمفوضية إنجلترا غداً عضواً في الجمعية التشريعية لطنجة؛ عميين انجليز من يهم المنبي، الوزير السابق لعبد العزيز؛ ومحميين إسبان مغموين.

«عملاء موسكو»

إن حضور «عملاء موسكو» في المغرب يمثل مُعطى أساسياً لتكوين أسطورة عدواني بلشفي على الحماية الفرنسية. لقد كان بعضهم موضع شبهات لاغير. إن بسبب صفتهم كممثلين للحكومة السوفياتية¹²⁹، أو لأنه يُعتقد بأنهم كانوا، في فترة من حياتهم، على صلة وثيقة بالبلشفيين¹²⁹. أما آخرون فكانوا يُعتبرون مُحرضين خطيرين حتى وإن لم تقم أية علاقة مباشرة بين نشاطهم الثوري — المُفترض أو الأكيد — والحماية الفرنسية¹³⁰. إن «العملاء» الأكثر أهمية، أولئك الذين ترد أسمائهم باستمرار، هم المُكلفون حسب المصالح المُختصة، من طرف موسكو بمهمة خاصة في المغرب: ويتعلق الأمر إما بجمع معلومات ذات طبيعة مدنية أو عسكرية للحكومة السوفياتية أو للكونتري، وإما بتطوير دعاية وتحريض ذي طابع مُناهض لفرنسا. وأول من ظهر مُبكراً، حسب أبحاثنا، هو أندري جوليان¹³¹. فمُنذ 1921، سَجَلَتْ عودته من موسكو¹³² حيث كُلف بمهمة «إثارة»

Chicago Tribune *

- 128 كان بيكلامو، وهو وكيل تجاري للسوفيات في برشلونة. عد مروره بالدار البيضاء ونطحة في مارس 1936، «عميلاً محتملاً للكستار» (كنا) حسب المصالح التي شددت على أهمية تنقلاته (فقد كان عليه أن يتوجه إلى فرنسا، سويسرا، بلجيكا، النمسا، هنغاريا، تشيكوسلوفاكيا وبولونيا. SHA MAROC RSD 128 (ملكرة OLR رقم 582 في 12 مارس 1936، ملكرة المعرض عميد أمن الدار البيضاء رقم 14085 في 21 مارس 1936، ملكرة OLR رقم 930 في 17 أبريل 1936).
- 129 رفايل مانفريد، المزداد في بكا في 1886، وهو مصور متقل مد أكتوبر 1925 بالدار البيضاء «يبدو أنه الصديق الشخصي لثروتسكي» نفسه، RSD 79 (II C)، ملكرة 29 يونيو 1927).
- 130 يبدو أن فيتوريو ماني، وهو شيوعي إيطالي نشيط جداً ومقيم في اسبانيا، قد قام بأسفار متوالية إلى المغرب. وبعد أن اعتقلته الحكومة الإسبانية وإد كان على وشك أن يسلم بطلب من الحكومة الإيطالية، تم فقط طرده، على إثر مظاهرة «شيوعية» في برشلونة، إذ ذهب إلى فرنسا، يسجل المخرج، سيحد فيها «على وجه الاحتمال شيوعيين إيطاليين ذوي صلة ببعض محرضي المغرب» نفسه، (ملكرة OLR رقم 719 في 2 غشت 1931). من جهة أخرى، قلقت الإقامة العامة بالرباط من الوصول القريب لاسبانيا لأحدهم يدعى بيديس، «مبعوث حاسم للاتحاد السوفياتي»، مكلف بـ «تكتيف الدعاية السوفياتية» ونشرت من أن يقدم على عبور المنطقة الفرنسية للحماية، نفسه، الشؤون الأهلية فاس 291 510 (رسالة رقم 733/DAI/C/3 في 31 مارس 1931 إلى الميرال قائد منطقة فاس).
- 131 يتعلق الأمر بشارل — أندري جوليان.
- 132 لقد شارك ش. أ. جوليان في المؤتمر الثالث للأمة الشيوعية الممقد في يوليو 1921. إن تدخله وكذا النقاط المأخوذة خلال حوار كان قد تم قبل ذلك أسابيع من تشيخه، نشرت، مع تقديم لادوين روبينيوكس، في لومومون سوسيال، رقم 82، يناير — مارس، 1973، ص ص 103 — 113.

اضطرابات في إفريقيا الشمالية»، وحسب «التعليمات الدقيقة» التي بُلِّغَتْ إليه من طرف اللجنة التنفيذية للأمة الشيوعية فإنه قد «أوصى بالاستفادة بشكل خاص من الأحداث التي تجري في الجزء الإسباني من المغرب» (133)، لمحاولة القيام بأمر ما في منطقة نفوذنا. إن له مطلق السلطات لكي يتصرف في إفريقيا الشمالية، بارتباط مع شيوعيين إسبان وعرب، وإيطاليين ومصريين». وقد تمَّ التوضيح بأن موسكو ستُخَيَّرُ «كل أسبوع»، عبر جنيف، بنشاط جوليان (134). بعد سنة من ذلك، تعلق الأمر بأحدهم يُدعى باولينو دياز، الذي من الممكن أن يكون قد قدم إلى المغرب «للقيام بدعاية شيوعية لدى القبائل»؛ وقد توفر لهذا الغرض على أموال وُضِعَتْ رهن إشارته من طرف موسكو (135). حسب وزير الداخلية، كان كيلفان، وهو سكرتير القنصلية العامة للاتحاد السوفياتي في باريس، منذ 1926 «مُكَلِّفًا على الخصوص بنقل الأوامر من الكيبيو * إلى الفرقة العاملة بالمغرب» (136). أما ستير، وهو من الرعايا الرومانيين، وصيدلي مقيم في طنجة، فقد كان مُعْتَبَرًا كـ «عميل سوفياتي، يلعب دور الوسيط بين موسكو والريف» (137). وهناك كَثُوثٌ هولمبُو، المزداد في هولندا، الذي وصل إلى المغرب بصفته صحفياً، ثم أستاذًا للغات الأجنبية بالدار البيضاء، والذي كان عميلاً سرياً من طراز خاص : فهو «يُشْهَرُ على نحو جدِّ علني أفكاره ومشايخه (و) يصرِّح بأنه قدِم إلى المغرب بعد إقامته سنتين في روسيا، لإنشاء ارتباط بين الأمة الثالثة والمغرب». لقد ذُكِرَت السلطات علاقاته مع محمد الصقلي، وهو كُتِبِي بالدار البيضاء، ومشبهه بترويج العقيدة الوهابية (138). غير أن فكتور سبيلمان هو الأكثر رزانة فيما يبدو. إن نشاطاته كصحفي بالجزائر جعلت منه مناضلاً معروفاً منذ أمدٍ طويل (139)، لكن الأسفار التي من المفترض أنه كان يقوم بها للمغرب مُحاطة، حسب المصالح، بكثير من الغموض : أو لم يُعْتَبَر، انطلاقاً من 1927 كـ «ممثل للأمة الثالثة» (140).

- 133 تم الانتصار الكبير لعد الكرم على الإسبان في أنوال في يوليو 1921.
- 134 SHA MAROC AI Fés 530 3715 (مذكرة رقم 2486/DR/2/3 في 30 شتنر 1921، من مدير الشؤون الأهلية ومصلحة الاستخبارات).
- 135 نفسه (مذكرة رقم RC 171 في 13 يوليو 1922، من الجنرال ديشير القائد مؤقتاً منطقة تازة).
- 136 نفسه، RSD 79 (II c1)، رقم 35، رسالة بـ 9 مايو 1928.
- 137 نفسه، (II c1)، رقم 5، مذكرة بـ 13 أبريل 1926.
- 138 نفسه (مذكرة SR II 238/D بـ 26 أكتوبر 1928 و VM F 17 (مذكرة المكتب الثاني، 4 دجنر 1928).
- 139 إنه عضو المنطقة الجزائرية للحزب الشيوعي الفرنسي، ومدير تر دوليون، وهي صحيفة «حمة للأهالي» تصدر بالجزائر، ومعاون لالوت سوسال، وهي جريدة شيوعية. ويبدو أنه تربع أمام المحاكم في 1925 وبرزت ساحته. إننا نجد في الثلاثينيات، بعد قطيعته مع الحرب الشيوعي، بضعة معاون ظري لأولى المخابرات الوطنية المغربية، الصادرة بالفرنسية.
- 140 نفسه، RSD 79 (II c) رسالة رقم 7469 في 6 أبريل 1927 من رئيس الأمن القومي للدار البيضاء، إلى الديوان العسكري للمعم العام).

يُعتَبَرُ فيليب تشيكيا شخصاً من طراز مغاير. فهو إسباني (141)، مُتَقَفٌّ، وبعد أن تابع دراساته بالقاهرة، غدا معروفاً كـ «مُتَقَفٍّ عربي مُزَهَّفٍ». لقد جَمَعَ حوله، بطنجة، البورجوازيين المسلمين الشباب، وصار وكيلاً قويّ الفعالية للجمعية الثقافية الأندلسية بالمغرب، ومراسل جمعيات مختلفة للدعاية الإسلامية (142). ولا تتردد بعض التقارير في أن ترى فيه مندوب المغرب لدى العصبة ضد الامبريالية والاضطهاد الاستعماري (143). وأحد مدعوي موسكو إلى الذكرى العاشرة للسوفييت (144). لكن مع ذلك لا يبدو، أنه اعتُبرَ دائماً عميلاً شيوعياً، بل الأخرى عميلاً للحكومة الأسبانية (145)، تجعله علاقاته مع الأوساط العربية (خاصةً الزاوية الدرقاوية) ومع بعض الأوربيين المعروفين بعدائهم لفرنسا، على الخصوص، محطّ شبهات مصالح الرباط. وفي طنجة أيضاً، اكتشَفَ أَحَدُ الْمُخْبِرِينَ أَحَدَ الْأَشْخَاصِ الْمَغَارِبَةِ كان يوجد في عطلة بمدينة الأصلية، «مُرْتَدِياً وَفَقَّ الموضة الروسية» (كذا)، ولم يتردد في إغماره بأنّه يقيم بالاتحاد السوفياتي حيث يتلقى تعليمه «بمدرسة بلشفية رفيعة عدد كبير من إخوانه في الذين أُخِذُوا من المغرب والجزائر» وحالما سيني دراسته، سيعود نهائياً إلى بلاده (146).

قليلات هُنَّ النساء اللواتي بُلِّغَ عنهن كـ «عمليات شيوعيات». ينبغى الإشارة مع ذلك إلى سيدة تُدعى آرنا بطنجة (147)، وخاصة هُتْرِيثْ أَنْهَمَا. إن قصّة هذه الأخيرة تشبه رواية سيئة من روايات الجاسوسية. لقد كانت تمارس نشاطاتها في مرسيليا حيث تُسبَّب إليها عَدَدٌ مُذهِشٌ من العُشَاق يُفْتَرَضُ أنهم كانوا كذلك ضحايا لدساتسها السرية (148). ثم توجّهت إلى القسطنطينية حيث مارست، فوق ذلك، تهريب الكوكايين، ومن هناك إلى

- 141 ولد في باتير لو — بيكور، في 1893، من أب إسباني وأم مولودة في بوبس إيرس، وهو ما يفسر كون فيليبي تشيكيا يعتبر في بعض المذكرات أرحتينييا SHA MAROC RSD 91 (I c1).
- 142 كرمها دبلر، مشار إليه، ص 260 — 261.
- 143 حسب كيديسليل، المحوض الخاص لفاس، الذي كان يكتب اسمه، تبعاً للطرف، «تشيكيا» SHA MAROC I RSD 91 (زوايا، جمعيات، مذكّرة رقم 9111 في 12 أكتوبر 1927).
- 144 نفسه. لقد قال عنه أوربان بلان، الوزير المنتدب لدى الإقامة العامة، في رسالة إلى الشؤون الخارجية بأنه «مشتهر كثيراً بكونه عميلاً لموسكو» نفسه. (1b)، رسالة رقم 430 في 6 مارس 1928.
- 145 حسب تأويل المصالح الفرنسية، فإن الإنسان بعد أن كانوا على وشك طرده، قدموا له عرضاً فصار عميلهم الرئيسي. نفسه. (I c1) ورسالة القنصل سيروكوس رقم 124/R في 25 أبريل 1928 إلى مدير الشؤون الأهلية.
- 146 نفسه RSD 79 (II b)، مذكّرة 390 في 21 يونيو 1932، مرسلة من طرف ديوان المقيم العام إلى مدير الشؤون الأهلية.
- 147 نفسه (II c1).
- 148 من بين هؤلاء المدير البلجيكي لـ فيريروك هيرالد، قنصل إسبانيا في فينيا، الذي كان سائقاً في مرسيليا، قنصل تركيا الذي قتل في مرسيليا، وكذا حلمه الذي لا يزال عاملاً، قطان حراقة من قاعدة هيار ... معنى شهر عازف على الأكورديون. نفسه، RSD 128 (مذكّرة OLR رقم 1024 في 25 أبريل 1936).

المغرب حيث عقدت النية على الزواج من ضابط طيار ينتمي لعائلة أرستقراطية : لكن هذا الأخير قُتل في حادث طائري نجم عن عمل تخريبي : وقد وُضح ضابط المخابرات بأنه «في الفترة بالذات التي أقامت فيها هذه المرأة بالمغرب، وقعت حوادث جوية عديدة ناجمة عن أعمال تخريبية لم تكن هي بعيدة عنها» (149).

عندما توضح الخصائص البدنية والمعنوية للأفراد المشار إليهم، نادراً ما تكون هذه الخصائص محايدة . فـ «مُو» «حاجبان أستودان كنان : إنه النموذج الحقيقي ليهودي البلطيق» (150). وستير يقوم بتهميش الكوكاكين «الذي يُخفيه تحت عتبات من مواد صيدلية» (151). أما بالنسبة للويس لورينزي، المعروف بأيرمان فيمارس الثُعب (152). لكن إذا حكمنا على كل هذا انطلاقاً من التقديرات الواردة حول سان — مارك رومان (153)، فإن مجرد تجميع معلومات جيدة حول «عميل» مُفترض يمكن أن يكون من شأنه تهجير أخطر التوجّسات (154). بصفة عامة، لم تكن التهم الموجهة إلى «عملاء موسكو»، والتي أسلفنا بصددنا بعض الأمثلة، مُرتقة بأي عنصر إثبات. بل حُدث بالنسبة لبعضهم أن اعترفت السلطات في الأخير بأنه من غير الممكن إثبات الوقائع المنسوبة إليهم (155). فضلاً عن ذلك، إنه لذنو دلالة خاصة ألا يكون أي واحد من الأشخاص السابق ذكرهم، قد تخضع لمتابعات قضائية، أو حتى لاجراءات طرد، في حين كانت للسلطات المدنية والعسكرية سلطات تقديرية واسعة. وأخيراً، من النادر أن يُرد في تقرير مُوجّه من الرباط إلى باريس، ويُجهل وقائع المناورات الثورية والشيوعية في الحماية، ذكر «عملاء موسكو» الذين أسلفنا الحديث عنهم. لكن سيكون

- 149 نفسه، (مذكرة OLR رقم 1157 في 8 مايو 1936).
- 150 SHA MAROC RSD 128 (رسالة رقم 14085 في 21 مارس 1936 من المفوض عميد أس الدار البيضاء إلى الملاحظة المادية للسامية مستعمدة نصاً في OLR رقم 930 لـ 17 أبريل 1936).
- 151 نفسه، RSD 79 (ICI)، رقم 5، مذكرة مفوض الرباط في 14 يونيو 1927، لكن نغمة أية علامة قدمت لتدعيم هذا التأكيّد.
- 152 نفسه. (ICI)، رقم 44.
- 153 لم يكن سان — مارك رومان مشهوراً بكونه «عميلاً» لموسكو، لكن صغته كرفيق لكاتب علمي، المعد من المغرب بسبب دعاية شيوعية في 1925، متحمل منه أيضاً مشهوراً بعد عامين من ذلك. نفسه. (ICI) رقم 8، مذكرة 29 يونيو 1927).
- 154 «حسن السلوك في السلك الجديد (حيث هو مستخدم). إن مسلكه لم يسمح أبداً بإثبات انتساب أكيد إلى الحزب الشيوعي ذكي ومتق، طبع رزق. يصلح لأن يكون رعيماً خطيراً لأحد الأحزاب». نفسه
- 155 إنها حالة كيلمان (SHA MAROC RSD 79) (ICI) رقم 35) ظلمها هي حالة سيار الذي لم يُؤخذ عليه في الأخير أي نشاط ذي طابع سياسي. نفسه (مذكرة 14 يناير 1927). وعندما انفصل «أحد الخبير» ساهللمان لكي يحمل «يكشف عن نفسه»، لم يته إلى شيء. نفسه. (مذكرة S/54049 لـ 8 مايو 1928)، بها لم تتوصل الشرطة التي تعقت مو عند نقله في المغرب، وأنضمت إليه بدقة من الوقوع على أدق علامة لنشاط سري نفسه. RSD 128 (مذكرة 14085 في 21 مارس 1936).

من التهور أن تستند الى قلة الثقة الموضوعية في هذه الوثائق لنخلص الى ضرورة تنحيها من حقل بحث المؤرخ. إنه يبدو لنا، أنه من المستحيل فعلا فهم المواقف المُتَحَدَّة تجاه السياسة الشيوعية في المغرب دون أخذ المناخ المُصنَّع من طرف المصالح بعين الاعتبار. فالعدد الوافر للبطائق الفردية المُحرَّرة، والمتنقلة بين باريس والجزائر والرباط، وداخل الحماية، من مصالح البوليس ومكاتب الاستخبارات الى أعلى مستويات الإقامة العامة، ثم المردودة من هذه الأخيرة الى مختلف مراكز القيادة المدنية والعسكرية، يشهد بالأهمية المُعطاة لهم. وخلاصة القيمة المنوطة من طرف السلطات للمعلومات المتعلقة بهذا «العمل» أو ذاك، وهو ما يهنا هنا، هو أنها تساهم في الحفاظ على شعور بالالتباس والخطر يشجع التأويلات الأكثر بعدا عن الواقع.

التسرب الشيوعي داخل الجيش

هناك عنصر آخر لـ «المؤامرة البلشفية» في المغرب : إنه اكتشاف خلايا شيوعية داخل وحدات الجيش المُرابطة داخل الحماية، على أبهة شَنّ عمل ثوري بتنسيق مُحتمل مع العناصر الوطنية وذلك ضمن مشروع «انفصالي» و«مناهضي لفرنسا». منذ 1921، أتاح اعتماد تدابير هادفة لمنع الدعاية الشيوعية داخل الجيش وبالأخص داخل الفياق الاستعمارية، الفرصة لتوجيهات وزارية ثم التذكير بها مرّات عديدة أثناء احتلال الرور وحرب الريف (156). وفي 1927، بَلَغ المكتب الثاني لوزارة الداخلية، «من مصدر موثوق»، لائحة التنظيمات الشيوعية الموجودة داخل الجيش الفرنسي. وحسب هذه الوثيقة، توجد تسع خلايا في الوحدات المُرابطة في المغرب، لكن لا تتوفر أية معلومة لاعتن تركيتها ولا عَنْ نشاطها (157). بخلاف ذلك، عندما أُجْمِلَت مَصْلَحَةُ الأَمْن العام للحماية وَضَع النشاط الشيوعي، في شهر يوليوز من نفس السنة، وَضَحَتْ بأن «وجود شبان مجتهدين في المغرب معتبرين تابعين لتنظيمات شيوعية» وخاضعين لمراقبة خاصة، «لم يثر بعد أية مصاعب» (158). وبعد أشهر من ذلك، نُبِهَتْ سلطات الحماية الى وجود «محاولة واضحة للدعاية المناهضة للنزعة العسكرية لدى جنود الاحتلال في المغرب». لقد تعلق الأمر، في الواقع، بإرسال جريدة لاكازيرن * ومنشور من مراكز والدّار البيضاء. لكنّ الأَمْن العام

156 تعلية في 19 ماي 1921 مشتركة لوزاري الداخلية والحربية، تم التذكير بها من طرف الجنرال نولي، وزير كازيرل اليسارات، في مذكرته لـ 6 دجنر 1924، AI Fds 530 3715 SHA MAROC (C4)، مذكّرة رقم 15047/K. فيما يتعلق بوقوع الدعاية الشيوعية في المغرب إبان حرب الريف، انظر أدناه، الفصل السابع

157 AN F7 13099 (ورقة لإرسال 31 مايو 1927).

158 من جهة أخرى، فإن أحدهم «معدل التطوع» يدعى ييجوراك، وهو منحدر من لالوار، ومشار اليه من طرف والي مقاطعته باعتباره موضويا مشهورا، كان محل تقديرات جيدة من طرف رؤسائه. 79 SHA MAROC RSD (Ila)

* La Caserne

بالرباط وَضَحَ بأن كُلَّ الذين أُرْسِلَتْ لهم هذه المطبوعات «مُقَلِّرين بأجمعهم كجنود نشيطين، ومثليين، ومُحرِّكين بمعنوية جيِّدة» (159).

في 1928، تحدّثت تقارير عن «اجتماعات لعسكريين منتمين للحزب الشيوعي» بالدار البيضاء. لقد كانت تلك الاجتماعات سَتَنشِطُ من طرف فِيلِقِيّ فرنسي سابق معروف بإسم الرقيب كباي : ومحضرها جنودٌ عديدون من الفيلق الأول ل زَوَاف، وعند إقامة الأسطول، أربعة مُساعدٍ ضَبَّاط صف. إن السلطات العسكرية والأمن الذين كانوا يُخَبِّرون، عياناً، بواسطة واحد (أو عَدَدٍ) من «المنضوين» بدوا مُطمئنين لفحوى الأحاديث التي نَقَلَتْ إليهم (160).

لقد كان انتباه القيادة ينصبّ، دورياً، على بعض العسكريين الذين يفترض ارتباطهم بالحزب الشيوعي بسبب علاقاتهم الرّسائيّة، وقناعاتهم المناهضة للزعمة العسكرية أو بسبب أحاديثهم المُتَنَقِّلَة لغزو المغرب (161). غير أنه في كل هذه الحالات، لم تُعْتَبَر القضية مُهمّة بما يكفي لاستتباع عواقب تأديبية تُبلِّغ للسلطة العليا.

في 1935، نجد سلسلتين من المراسلات تسمحان باستجلاء التحريض الثوري داخل الجيش. لقد تمت أولاهما في إطار تحريّ ذي طابع عام حول العمل الشيوعي في المغرب، أنجز لدى مختلف المسؤولين المدنيين والعسكريين للحماية. فباستفسارهم، سعى الوزير المنتدب لدى الإقامة العامة، إلى إخطارهم، مسبقاً، بأنّه يُسَلِّمُ بكون «تطور الدعاية الشيوعية في إفريقيا الشّمالية، المُشجّع باستمرار من طرف الأزمة الاقتصادية والمُحافظ عليه على نحو محتمل من طرف تأثيرات أجنبية، قد استفحل خلال الشهور الأخيرة، بارتباط وثيق مع نشاط العناصر الوطنية في الجزائر، في تونس وفي المغرب...» (162). وفي جوابه، رأى الجنرال هوري، القائد الأعلى لقوات المغرب، بعد أن أبدى تحفظات مرّدها إلى نقص وسائل معلوماته (163)، بأن عليه أن يؤكد بأن التقارير الواردة إليه «لم تستدع أية ملاحظة من وجهة النظر الشيوعية». وأضاف قائلاً من جهة أخرى : «يبرز من المعلومات المُقدّمة من طرف رؤساء الدوائر القضائية العسكرية للمغرب أنه لم تُرَفَّعْ إلى المحاكم العسكرية أية وقائع تُهمّ العمل

159 AN F7 131 43 (رسالة رقم 16142 SG في 4 نونبر 1927، موجهة إلى وزير الداخلية، ومعاد إرسالها من طرف هذا الأخير إلى وزير الحربية في 17 نونبر). انظر أيضاً المراسلة الموجهة من طرف الجنرال قائد فرع الدار البيضاء، SHA MAROC RSD 79 (IIb)، رسالة رقم 265 في 26 أكتوبر 1927.

160 انظر نفسه RSD 79 (II a)، مذكّرة رقم 7256 من مكتب الشرطة الادارية في 19 أبريل 1928 و II b، مذكّرة SR II b 1 رقم 7 في 20 يونيو 1928.

161 لفسه، II b، مذكّرة الأس العام في 7 مارس 1930، II C1، رقم 15، 19، 38، 46، ومذكّرة 9 يوليو 1929.

162 SHA MAROC RSD 88 (عمل شيوعي، رسالة رقم 216/CMC في 21 فبراير 1935).

163 لأن مكتبها الثاني «لا يوفر على أية مصلحة مكلفة بإطلاعها مباشرة على تطورات العمل الشيوعي، سواء في الأوساط الأوربية أو في الأوساط الأهلية، هذا ليس صحيحاً تماماً : أنظر أدناه، مصادر الأسطورة.

الشيوعي. وحدها محكمة مكناس كُلفت بمتابعة دومون، المطرود حالياً بسبب تهجماته على حقوق الجمهورية الفرنسية وسلطاتها في المغرب وبسبب إدخاله وتوزيعه جرائد ممنوعة» (164).

في أبريل، أعادت الإقامة الكزة : لقد تعلق الأمر، هذه المرة، على نحو أدق، بالعمل المُدبّر من طرف الشيوعيين داخل الجيش. وقد رفعت الشؤون الخارجية إلى الرباط مراسلة من الحرية تقول : «إن الأحزاب الثورية لفرنسا التي تحاول نشر أفكارها في البلدان الموجودة تحت حمايتنا وتؤازر فيها حركات محلية، تُجهد نفسها أيضاً للوصول إلى وحدتنا الأهلية وذلك بقيامها لدينا بدعاية مناهضة للزعة العسكرية ومعادية لفرنسا». ففي تونس على الخصوص، تم جَمْع «حجج دامغة» لذلك النشاط (165). لذلك، استخلص الوزير بأنه لم يعد ممكناً «تحمل عمل ثوري يُروى تدمير دفاعنا الوطني في أحد عناصره الأساسية ويُشكّل، مثلما نعتة السيد رئيس المجلس أمام مجلس الشيوخ، في 20 مارس المنصرم، جريمة خيانة عظمى» (166). وعندما دُعِيَ الجنرال قائد قوات المغرب للتعريف بالاجراءات المُتخذة لافشال هذه الدعاية، أجاب : «حتى الآن، ليس ثمة أية إشارة خطيرة للدعاية الشيوعية في القوات الأهلية للمغرب». وبما أنه كان عليه أن يتطرق للتحريض الذي رَدّد الأمن العام صده، بالدار البيضاء على الخصوص، فقد وَضَح قائلاً : «لا يبدو أن البؤر الشيوعية والمناهضة للزعة العسكرية التي ظهرت في الآونة الأخيرة بالمغرب والتي يُعتبر جلّ أعضائها فرنسيين بل ينتمون غالباً إلى طبقات راقية من المجتمع، سَعَتْ للدخول في اتّصال مع جنود تجرّدة الاحتلال» (167).

إن رفض القيادة العليا لقوات المغرب أن تأخذ الاتهامات المتعلقة بالتهديد الشيوعي داخل الحماية، مأخذ الجدّ لم يمنع باريس من تهديد تحديدها. فقد نبّه وزير الحرية زميله في

- 164 SHA MAROC RSD 88 (نفسه EM المكتب الثاني رقم 242/2C في 2 أبريل 1935).
- 165 يمكن أن تكون فكرة عن هذه «الحجج الأكيدة» في نظر الـ «دراسة حول الدعاية المعادية لفرنسا لدى العسكريين الأفارقة الشماليين» المدة من طرف المقيم العام في تونس والتي أرسلت نسخة منها من طرف الكي دورساي إلى الإقامة العامة للرباط. إن الحصة التي قدمها بيرتون، السيد عن مجاملة «المغربين»، تتلخص كالتالي : «أولاً، اكتئاب الجنود الأهالي في جريدة الأهمية؛ ثانياً، اكتشاف مناهضة لفرنسا في حوزة بعض العسكريين، وهي من إنجاز لجنة همال الريقيا (لم يتم الإدلاء بالنص)، ثالثاً، حضور اجتماعات معادية لفرنسا في لوفالوا — بيري وزنقة كروا — نفير (يتعلق الأمر باجتماعات نظمت من طرف النجمة الأفريقية الشمالية ومرخص بها)؛ رابعاً، اكتشاف بطاقات شيوعية في حوزة حوالي عشرين عسكرياً من بريت؛ خامساً، اعتقال اثنين من العسكريين في بريت في حالة سكر بعينين الأهمية؛ سادساً، موكف مثير للسكان إزاء العسكريين في منطقة عفسة» نفسه، مذكّرة 21 مايو 1935، مرسلة بورقة إرسال للشؤون الخارجية رقمها 1215 في 3 يونيو 1935.
- 166 نفسه، (دعاية شيوعية في الجيش، رسالة الشؤون الخارجية تحت رقم 706 في 8 أبريل 1935، مرسلة نسخة من رسالة وزير الحرية (الجنرال موران) رقم 719/9EMA في 27 مارس 1935).
- 167 SHA MAROC RSD 88 (رسالة رقم 290/2C في 24 أبريل 1935).

الشؤون الخارجية «الى العمل المُعلن أكثر فأكثر للأحزاب المتطرفة الفرنسية بتواطؤ مع الأحزاب الوطنية لشمال إفريقيا» وإلى ضرورة عرقلة هذا النشاط «إذا أُهْدِ وقاية عقلية الجنود الأهالي والاطمئنان الى القدرة على تنفيذ التعبئة، عند الاقتضاء، في إفريقيا الشمالية في ظروف ملائمة لضرورات الدفاع الوطني» (168). إلا أن إدارة الشؤون الأهلية بالرباط أُجْرَتْ تَحْرِيًا حول «عقلية الجنود الأهالي». فلاحظت بأن الرؤساء — ويتعلق الأمر هنا به الجنرالين قائدَي فرع الدار البيضاء ومنطقة مكناس — يتشككون من الذَّهنية الجديدة للمسكرين المغاربة، التي نسبوها لأقاماتهم في فرنسا، حيث عادوا «أقل ليونة وأقل طواعية». لكن بالنسبة لأصحاب التقرير، «ليس هناك فعل خاص يؤكد شعوراً من هذا القبيل»: فتطوّر من هذا القبيل لا يمكن أن «يُبرهنَ عليه» بل فقط «أن يُلاحظَ في الحركة، والنظرة، والموقف، والأحداث المفصّل عنها صدقة». لقد حللت إدارة الشؤون الأهلية التغيرات الطارئة في الواقع ضمن شروط العيش الجديدة لحماية فرنسا في المغرب: وإذ كَيْسَ لنا ذو ميزة خاصّة لكونها لم تشر في أية لحظة، ولو عرضياً، لآثار الدعاية الشيوعية (169).

هوس الهيجان

في 5 يوليوز 1922، شهِرَ رايْمون بوانكاريه، رئيس البرلمان، من منصّة هذا الأخير به «المهجمة الشيوعية... في إفريقيا الشمالية»: ف «منذ عدة أشهر، أعلنت الأُممية الثالثة بشكل صاخب عن نيتها في نشر نظرياتها البلشفية في مِلْكياتنا الإفريقية وسَعَتْ الى تهميج السكّان الأهالي فيها ضد سلطة فرنسا. ومنذ 28 يوليوز 1921 أوصبت اللجنة التنفيذية للأُممية الثالثة لموسكو، بمناسبة الأحداث الواقعة في منطقة التّفود الاسبانية بالمغرب، بتطوير الدّعاية الثورية في كل مكان ممكن من إفريقيا، وأيضاً بإثارة ما يمكن من الهيجانات الوطنية فيها. ولم يتوقف هذا العمل البلشفي عن الاستفحال منذ ذلك الوقت» (170). إن التحضير لهيجانٍ من نموذج ثوري ووطني هذا هو العنصر الأخير الذي شكّل «المؤامرة البلشفية» في إفريقيا الشمالية، والذي افترض أنه يعطي لكل العناصر الأخرى دلالتها الحقيقية وانسجامها.

168 نفسه. رسالة وزير الحرية رقم 2613/9/EMA مؤرّجة في 3 أكتوبر 1935، الى رئيس المجلس، وزير الشؤون الخارجية، ومعاد إرسالها من طرف هذا الأخير الى هولو، المنتدب لدى الاقامة العامة بالرباط (الرباط) — الشرق رقم 2149 في 21 أكتوبر 1935.

169 نفسه. «مذكرة حول الحالة الذهنية للجنود الأهالي»، مايو 1935.

170 مناقشات مجلس النواب، الجلسة الثانية لـ 5 يوليوز 1922، المجلد الرسمي، ص 2323. لقد عرّ رئيس المجلس، روحه الاحتمال، على أساس هذه المعلومة في مذكرة لمصالح الاستخبارات تحفظ الأرشيفات بأورها، SHA MAROC AI Fés 5303715 C4 دعابة (إدارة الشؤون الأهلية ومصالحة الاستخبارات، الرباط، مذكرة رقم 5815/R3 في 5 شتنبر 1921).

بعد سنة من خطاب قسطنطين الشهير «الشيوعية، هذا هو العدو!» — وَضَحَ ألبير سارو، وزير الداخلية، أمام مجلس الشيوخ، بأنه لا ينبغي أبداً محاكمة آراء الشيوعيين : «يتعلق الأمر بعمل مباشر، وخروقات موصوفة للقانون : دعوات إلى الحرب الأهلية، موعظ بالعصيان، إهانات للجيش، تنظيم تمرد الجنود، إثارة الأهالي للقيام بالفتنة في المستعمرات، مبيجات يومية للكراهية والنزعات الدموية حثماً، وكل هذا يتم بأمر من موسكو، من الأهمية التي تُوجّه وتراقب» (172). لقد زعم مورينو، نائب قسطنطين، والمنتصم للفريق الجمهوري الاشتراكي، أنه فيما يتعلق بأفريقيا الشمالية يحمل إلى المجلس البراهين على هذه المؤامرة. وقد تعلق الأمر بملفين ثمَّ حُجِّزَهما عند اعتقال مناضلين شيوعيين في الجزائر. لقد كان الملف الأول عبارة عن «مخطط حثمة» تسعى إلى «تنسيق نضال البروليتاريا مع نضال الأهالي ضد الاضطهادات الامبريالية»، وإلى إتاحة «تمرد الشمال الأفريقي ضد الامبريالية الفرنسية — الاسبانية وضد السلطان نفسه». أما الملف الثاني فيذكر بالترتيب «الطرق الكثيلة بجعل الأهالي يتمردون» ألا وهي : «أولاً، رفض دفع الضرائب؛ ثانياً، العودة إلى اللصوصية : سرقات وجرائم ينجم عنها عصيان القائد، والقاضي، والحاكم؛ ثالثاً، حبس رجال الدرك؛ رابعاً، تنظيم جمهورية أهلية يحكمها مندوبون عن كل منطقة. وكل هذا تحت راية الحركة الخالدية» (173).

هاتان الوثيقتان لاثنين كثيراً، الأول بسبب طابعها المُغْرِق في العمومية : فهي لا تذهب أبداً أبعد من التصوص المنشورة من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي، والثانية لأن توضيحاتها تكشف عن استلهاهم مُغامر وفوضوي غريب عن الشيوعية. إن كون الحاكم العام، فيوليت، قد صدّق صحتها أم لا أمرٌ قليل الأهمية هنا (174). لقد لَحَّصَ جول أوري الذي تدخل باسم الحزب الاشتراكي، انطباعه على هذا التحجج : «صَحَّحَ كثير من أجل لاشيء (...) حُطِّبَ، قراءة بعض الكُراسات (...) هذا كل ما وجدتم إظهاروا خطر الشيوعية وتبرروا تصرفكم : الشيوعية، هذا هو العدو (...) وفيما يتعلق بالتخريب العسكري، لم تثيروا (...) أي عصيان وسط الجنود، ولكن فقط بضع حوادث قام بها «جنود» ساخطون لكون الحُضُر لم يُطَبِّحَ جيداً، والفاصولياء يابسة والحساء رديئاً» (175).

- 171 انظر لافريك فرانسيز، مايو 1927، ص 185 — 186.
- 172 مناقشات مجلس الشيوخ، 12 مارس 1928، المجلد الرسمية، ص 711. قبل ذلك لملاحظات، كان كاليل، وهو سياطور لاجيروود، قد صعد المنصة. «هل تريدون أن يتم هذا، في إحدى مستعمراتكم، وعقب تمرد يسره هؤلاء الفرنسيون السيئ (...) قل مئات الآلاف من المعمرين؟» نفسه، ص. 702.
- 173 مناقشات المجلس، 3 يونيو 1927 (الجلسة الثانية)، المجلد الرسمية، ص 1762. لقد كان الأمير خالد، حميد عبد القادر، والماضل الوطني، على علاقات ودية مع الحزب الشيوعي الفرنسي. وقد مات في المعنى سنة 1937
- 174 انظر مجلس النواب، لجنة الشؤون الخارجية، جلسة 10 مارس 1926.
- 175 مناقشات المجلس، 10 يونيو 1927 (الجلسة الثانية)، المجلد الرسمية، ص 1828

عمل الكومنترن : ملف مالاكا

لكن، ها إن ملفاً مهماً يُسلّم في 1927 إلى السلطات الفرنسية من طرف الحكومة الإسبانية وعبر المكتب الفرنسي الإسباني المختلط لمالاكا : ويتعلق الأمر فيه بعمل الأهمية الثالثة في المغرب بهدف تهيج القبائل الريفية المُتَوَقِّع في ربيع السَّنَةِ نفسها (176). قبل أن نبدي وجهة نظرنا حول قيمة هذه الوثائق، يجدر بنا أن نلخص ما تَضَمَّنَتْه من استنتاجات رئيسية (177).

لقد أبرز هذا الملف في البداية انغراس البنيات الشيوعية المُوجَّهة نحو الدعاية والعمل في المغرب، وخاصة في منطقة الريف. فقد قرّر الكومنترن، في نهاية دجنبر 1926، اعتبار الريفيين زُعماء لإشارة الحكومة السوفياتية وفي عهدها. وبعد بضعة أيام من ذلك، يبدو أنه كُلف فرعه الإسباني بتنظيم الشيوعية في المغرب والدعاية لها، وفرعه الفرنسي بالتزويد بالأسلحة والدخيرة وكلها بالعمل في المغرب الإسباني. لقد كان التَّنْظِيمُ مُتَشَطِّطاً في باريس أساساً من طرف دافتيان، وهو مستشار بالسفارة السوفياتية ورئيس «الفرع العسكري للكومنترن في باريس»، وفلكوف، وهو «ممثل عسكري» للاتحاد السوفياتي في باريس، ومستشار تقني للكومنترن. إن هذا الأخير هو الذي تَوَجَّه عليه على الخصوص قيادة عمليات تهريب الأسلحة. وفي المغرب، تُمَتُّ الإشارة لعدة أشخاص : هم «الوكيل العام للكومنترن»، ويُدعى شيلمان، ويشغل أيضاً منصب رئيس «لجنة إنجاد الريفيين»؛ و«الوكيل العام للشؤون السرية للمغرب»، وهو كلينس؛ و«الوكيل العام للاتحاد السوفياتي بالمغرب»، وهو أركاسوف، وقد كانت لهم كلهم صلة وثيقة بالقبائل الريفية المتمردة؛ كما أن هذه الأخيرة عُنِيَتْ، من جهتها، مُمَثِّلاً هو نورمي باي، الضابط السابق في الجيش العثماني.

176 أي سنة بعد استسلام عبد الكريم.

177 SHA MAROC RSD/79 (Iib). يتضمن هذا الملف أربع سلاسل من الوثائق : (1) التحليل المرسل من طرف مصالح الاستخبارات الفرنسية للجزائر إلى الإقامة العامة للمغرب، في 17 فبراير 1927، وهو تحليل لـ «وثائق شيوعية» (عددتها أربعون)، في حوزة الحكومة الإسبانية ومتعلقة بـ «استئناف العمل الشيوعي في الريف» (SSA, Iib)؛ (2) مذكرة في فاتح أبريل 1927، معدة من طرف مكتب مالاكا، على أساس اثنين وعشرين وثيقة مرفقة في ملحق (رسائل «مسؤولين» أو «عمال شيوعيين» مؤرخة في شهري يناير وفبراير 1927) سلمت إليه من طرف السلطات الإسبانية، وقد أعيد إرسال الكل في 21 أبريل 1927 إلى الرباط من طرف المكتب الثاني لوزارة الحربية (II b, 4)؛ (3) سلسلة من ثمان رسائل (والنفس المراسلات سابقاً، مؤرخة في شهر أبريل 1927) مرسلة بعناية مكتب مالاكا (II b, 613 26)؛ (4) وأخيراً، ثمان وثائق متعلقة بالخصوص بجلوسات انعقدت في فيرساي، ثم في باريس من 16 أبريل إلى 3 مايو 1927، من طرف نفس هؤلاء «العمال الشيوعيين» حول الشؤون المغربية، وموجهة إلى الرباط من طرف مكتب مالاكا في 9 يونيو 1927 (II b 6, 620 à 627/G). مالم نند توضيحات معاكسة، فإن الاشارات التالية نابعة من هذا الملف. ص المكتب المختلط الفرنسي — الإسباني لمالاكا، أنظر أدناه، مصادر الاضطراب.

لقد سلّم مكتب مالاكا نصّ الرسائل والملاحظات (178)، المتبادلة بين هؤلاء «العملاء» ومراسلهم في المغرب، وإنجلترا، وموسكو، خلال الأشهر الأولى من 1927، وهي الفترة التي تميّت فيها الوقائع والسلوكات المذكورة. أكثر من ذلك، تضمّن الملف محاضر ثلاثة اجتماعات عُقدت في فرساي أيام 16 و17 أبريل و3 ماي من طرف هيئة خاصة لتنظيم يدعى «المجلس المُصنّف»، وخصّصت بكاملها لفحص «الشؤون المغربية». وقد ترأّس الاجتماع الأول راكوفسكي سفير الاتحاد السوفياتي في باريس، وشارك فيه، فضلاً عن دافتيان وفولكوف ووزيري باي، أشخاص سوفيات آخرون على درجة من الأهمية، وكذا هيركلي وباردو ممثّلين للحزبين الشيوعيين الفرنسي والاسباني.

إن سياسة موسكو والكومنترن مُصاغة بوضوح في هذه المراسلات وتلك الاجتماعات: فالأمر يتعلق بتنظيم الجيش الأحمر الريفي بمساعدة لجنة اتحاد الريفيين، والتخضير، بتعاون مع الحزب الشيوعي الاسباني، للتمرد الداخلي سواء في المغرب أو في إسبانيا. لقد أكّد راكوفسكي بأن «الاتحاد السوفياتي يُمكن أن يساعد القبائل المغربية للتحرر من التأثير الاسباني ويريد ذلك»؛ ويمكنه تعيين الوسائل الضرورية، غير أنه ليس وارداً، في كل الأحوال، القيام بالعمليات في المنطقة الفرنسية؛ لأنها عمليات موجهة خصوصاً ضد المنطقة الاسبانية. لقد تعلّق الأمر في بداية 1927 بعمليات عديدة ومهمّة، وفي 16 أبريل، صرّح راكوفسكي بنفسه بأن «اللحظة حاثّة للشروع في عمليات على نطاق واسع». ولأجل هذا، يلزم السلاح والذخيرة. لقد كلّف فولكوف، منذ 4 يناير 1927، أحدهم يُدعى كالاهير بإنجلترا بالقيام بشرائه وإرساله وأخطّر تنظيم المغرب بأن عليه تحضير الانزال وحراسة تسلّم البضاعة؛ وكلف بهذه المهمة أحدهم يُدعى مارتشيلو، وهو من الرعايا الإيطاليين ومقاول بالأشغال العمومية بطنجة. وقد تمّ إعداد شحنات أخرى من الأسلحة قادمة من بلجيكا وألمانيا. كما تمّ التفكير في وضع مُدربين عسكريين تحت تصرّف الريفيين. وفي هذا الصدد، أقيم وزني كبير لضابطين ألمانيين، المُلازم أول (أو القبطان) إنجيلهارت والتقيب جورغنس اللذين ألحقا في السابق بالركان العامة لعبد الكريم. فبعد أن حضّر السفير السوفياتي ببرلين ذهابهما الجديد إلى المغرب، حلّا بالدار البيضاء حيث تكلف شيلمان باستقبالهما. أما سائل الدعاية، فكان جزء منها يرد من موسكو، والجزء الآخر من مرسيليا. لكن فولكوف الذي وجّه لمارتشيلو مناشير مُعدّة للتوزيع بين الجنود الاسبان طلب منه أن ينظم بشكل مُستعجل «أوراشاً للطباعة» وأن يُحرّر «الاعلانات» المُتفق عليها. ولهذا الهدف، كان على وكيل طنجة أن يتصل بمندوبي القبائل. وكان التمويل الضروري لانجاز مختلف هذه العمليات

178 هل يتعلق الأمر بترجمات أم نصوص بالفرنسية. (ين مراسلين روس) ؟ إن المصالح لا توضح هنا أيضاً، لكنها ترقى ملفها بصورة جغرافية لثلاث رسائل خطية، كتبها فولكوف بالفرنسية.

بشكل جيد مؤمناً من طرف موسكو. فيعد أن وَعَدَ تشيشفسكي بالمساعدة المالية للحكومة السوفياتية «على الأساس المُتَّفِق عليه من قبل، أي بالاقرار المُتبادل للحكومة والمبادئ السوفياتية» تَقَرَّرَ أَنْ يُوضَعَ رَهْن إشارة نوري باي اعتدَّ قدره 2.350.000 فرنكا. كل شيء كان جاهزاً، فيما يبدو، لَشَنِّ عمليات كبيرة؛ لكن، ها أَنْ فُولكوف يَتَقَيَّد بالتقارير الموجهة إليه من طرف مُراسليه في المغرب والتي ترى بأن «الوضعية العسكرية الريفية ليست ملائمة تماماً» من جهة أخرى، أُخْبِرَ مِنْ طرف شيلمان بأنه «لا يوجد أي اتفاق ممكن بين الزعماء المغاربة» ومن طرف أركاسوف بأن «ممثلي القيادة المغربية بالغوا كثيراً بخصوص المَقْدرة القتالية لجيشهم». لذلك، بدا له أنه من الأنسب الاكتفاء بـ «هجمات مفاجئة، بطريقة لاتدع للقوات الاسبانية أية إمكانية للراحة» والعمل على الزيادة في عتاد الريفيين وتحسينه. وبشكل مُوازٍ، كان على مجهود الدعاية أن يتطور، أي أن يعمل على «ترسيخ كراهية الغازي والمستغلين والأجنبي في أذهان الأهالي» والقيام بـ «أعمال عدوانية تجاه الأجانب المقيمين في المغرب، وذلك لخلق وضعية مماثلة لتلك الموجودة في الصين».



تبرز القراءة الأولى لـ «ملف مالاكا» الاختلاف الكبير القائم بين الخطابات والوقائع. فالنوايا السياسية المنسوبة للقادة الشيوعيين ليست فيها، مطلقاً، أية جدّة : فلا الاتحاد السوفياتي، ولا الأممية، ولا مختلف الأحزاب الشيوعية، كانت تمنع نفسها، في تلك الفترة، من تأكيد عدائها للامبرالية ورغبتها في المساهمة في انتعاق الشعوب المُستَعمَرة. ومن جهة أخرى، كانت دكتاتورية بريمو دوريفير، بدهاءة، جزءاً من الأنظمة السياسية المُهَاجِمَة على الخصوص من طرف الصحافة الشيوعية. لقد كانت رغبة موسكو، أو بالأحرى إرادتها، في أن تضرب عصفورين بحجر واحد، بمساعدتها لتمرّد الريفيين وإسهامها في إضعاف النظام الاسباني، تُشكّل إذن فُرْضية مقبولة قَبلياً. مع أنه يلزم التساؤل عما إذا كانت مطابقة للأسبقيات التي سَطَرُها الأممية الثالثة : هل تُمّ اختيار اللحظة جيّداً، سواء بالنظر الى الظُرف السياسي المغربي أو الى الأحداث التي تُهزّ القارة الآسيوية ؟ لتتجاوز هذا التحفظ، مع أنه أساسي، ولنتوقف هنا عند الفحص الحرفي للنصوص.

إن الوقائع المُشَهَّر بها، هي في الأخير وقائع عديمة الصلابة : فخلال أسابيع، يتم الانتقال من تَحْضِيرِ تمرّد عسكري واسع، عليه أن يَرفُقَ بانفجار ثوري في المغرب وفي إسبانيا الى الفكرة القاضية بالاكْتفاء حاليّاً، ببعض «الهجمات المفاجئة». وبالرغم من أن الخطر المباشر تَمّ إبعاده، فإن التهديد ظل قائماً، مُجسّداً في البُنيات الهائلة للتنظيم الشيوعي وفي تدخلها في المغرب قَصْدَ تحضير شروط تمرّد ظافري للريفيين. غير أنه، لم يَصِلْ أي شيء أبداً، لا

الأسلحة ولا المدربين. وإنه لَدُو دلالة خاصة، بالفعل، أن يَصِفَ «ملف مالكا»، بملخ كبير في التفاصيل، ظروف شراء ونقل الأسلحة المرصودة للرفيين. هكذا نتبع باهتمام التبدلات المفروضة على تركيب الحملة، على الجلول الزمني للانزال وعلى المكان المتوقع للاستقبال، كل هذه الترتيبات ذُكرت بوضوح كبير. لكن خالماً ثم الاعلان عن التاريخ النهائي للذهاب، حَيَمَ الصُّمْتُ. هل صار مختلف عملاء الكومنترن، الذين لم يكونوا حتى ذلك الوقت يهابون أي تسرب، بُكماً فجأة؟ أم ينبغي أن نفهم بأن المكتب الفرنسي الاسباني لمالكا، الذي عرف كيف يحصل ببراعة على صورة المراسلات المتبادلة، فقد الحُط في اللحظة الدقيقة : لحظة وصول الباخرة أمام السواحل المغربية وإنزال الأسلحة. على كل حال، لا بد من ملاحظة أن الحكومتين الفرنسية والاسبانية اللتين تحرسان السواحل المغربية بيقظة، واللتين أخطرتا بالأمنية المتوقعة يتبعاً لانزال الحملات الموجهة للرفيين، لم تُدفعاً الى التدخل : إذ لم ترد أية إشارة، في تلك الفترة، حول مُساحلة الباخرة الانجليزية واكتشاف أو إمساك كمية من الأسلحة (179). نفس الأمر بالنسبة للمُدربين الألمانين : فقد تم إخبارنا ماضياً، بظروف ذهابهما الى المغرب، ومرورهما بإيطاليا، وهويتهما الموزونتين. لاشيء من ذلك وقع : إذ لم يراهما أحد يدخلان الى الحماية أو ينتقلان داخلها.

هل غير الشيوعيون فكرتهم في آخر لحظة وعدلوا عن إنزال هذين الاختصاصيين وكذا الأسلحة التي كان عليهما أن يُدربا الرفيين عليها ؟ أم أن هذه التنقلات محض خرافة ؟ لكن، أليس معنى التشكك في صحة محاولة التمرد أيضاً هو اتهام البنات الشيوعية كما كُشِفَ لنا عنها، ليس بشكل غير مباشر عبر تقارير المصالح المختصة، بل مُباشرةً بفضل المراسلات المتبادلة بين عملاء الأمانة ومخاضير الاجتماعات التي عقَلوها لمعالجة شؤون المغرب ؟ لقد كان برانكو لازيتش، المعروف بكفاءته في الموضوع، صريحاً لَمَّا حرصنا على استشارته : أولاً، لا تسمح لنا المعرفة التي لدينا عن أطر الكومنترن في تلك الحقبة، بالتحقق من أي واحد من الأشخاص المذكورين في ملف مالكا، وفضلاً عن ذلك، لا تتماشى أغلب الوظائف المنسوبة إليهم مع البنات الحقيقية للتنظيم الشيوعي الدولي : فليس ثمة رئيس للفرع العسكري للكومنترن، ولا وكيل عام للكومنترن، ولا مكتب سياسي للكومنترن؛

179 لا أثر لها في الأرشيفات التي استشرناها. ومن ملف هام أعدته السلطات العسكرية لمطلة أكادير بين 1925 و 1931 حول مسألة تهريب الأسلحة هذه، تظهر ثلاث إشارات : أولاً، إن السلطات علمت مباشرة أو بشكل غير مباشر عبر مصادر خاصة بدخول أسلحة مهربة الى تراب الحماية. ثانياً، لم يتم تقديم أي توضيح حول المصدر الخارجي لهذه الأسلحة. ثالثاً، لم تقض التحريات التي أجريت الى أية نتائج مثمرة . فلم يتم أبداً اكتشاف مخازن سرية للأسلحة أو الذخيرة. SHA MAROC AI SAC 710 221. إنه غير وارد أن نستنتج من هذه المعطيات الحرة جفا حياث أي تهريب للأسلحة الى المغرب. لكن من الصعب ألا نندهش للمغارقة القائمة بين كثة الروايات التي تُحكى عن هذا التهريب وغياب أية علامة مادية.

ثانياً، ابتداءً من 1921 على الأقل، لم يعد يتم أي اجتماع، في الدول الأجنبية، بين ممثلي السفارة السوفياتية وممثلي الكومنترن وممثلي الأحزاب الشيوعية. فالحاجز كان مُقَنَّأً، وحتى إذا اعتبرنا بأنه لم يكن غائلاً تماماً، فإنه من غير الوارد مطلقاً أن تكون عُقِدَتِ اجتماعات من طراز تلك الواردة في ملف مالاكا.

ثالثاً، وأخيراً، يمثل الحديث، مرّات عديدة خلال تلك الاجتماعات، عن مساعدات مالية يمكن أن تكون قد مُنِحَتْ للرفيقين، حالة أخرى مُسْتَبَعْدَةٌ في رأي لايتش، إذ بما أن المسائل المالية تُعالج من طرف فرع مختصّ للكومنترن، فإن فُحَصَها لم يُخلَطَ أبداً بفحص المسائل السياسية.

في الحاصل، ودون أن يكون من المجدي المضي بعيداً حول محتوى «الافتشاعات» المتعلقة بعمل الكومنترن في المغرب، تلبو قناعة برانكو لايتش قاطعة: إن ملف مالاكا مُزَوَّرٌ وحتى مُزَوَّرٌ بشكل غير مُتَقَنٍّ (180). لقد كانت بعض مصالح الاستخبارات تُشاطر هذه القناعة منذ البدء، فيما يبدو. ألا يتعلق التنبيه الذي وجهه القبطان فانلاند، رئيس مصلحة استخبارات شمال إفريقيا، من الجزائر إلى الديوان العسكري للمقيم العام، بالوثائق المبعوثة من طرف مكتب مالاكا، وهو التنبيه الذي يقول فيه: «بالنسبة لما يتعلق، بتهرب الأسلحة وعمل موسكو بصفة عامة في الشؤون المغربية سجّلت مصلحة استخبارات إفريقيا الشمالية من مصادر عديدة أنه كان ثمة جنوحٌ للمبالغة في تقدير النشاط الحالي للأهمية الثالثة وأنه ثَمٌّ، في هذا الصدد ترويج وثائق من أصل مشكوك فيه» (181).

مع ذلك، فإن السلطات المدنية والعسكرية للرباط حملت «معلومات» مالاكا على حمل الجدل، بما أن المُقيم اعتبر من الضروري إخطار جميع رؤساء المناطق، مُنْهَياً إياهم بالوصول الوشيك إلى المغرب، من جهة لضابطي ألمانيين وهما جورغنيس وأنجيلهارت، ومن جهة أخرى لشحنة أولى من الأسلحة والذخيرة مُوجَّهَةٌ للرفيقين (182). ومنذ ذلك الوقت ظل هوس تمرّد مُدبّر من طرف البلشفيين يُغذّى بشكل دوري :

□ «تكشف» وكالة الرّاديو، في بداية 1928، عن كون بعض الشيوعيين قد حضّروا، باتفاق مع «لجنة وهابية» لـ «تمرّد أهليّ بفاس» (183).

180 إن الأمر من الدعاية بالنسبة للسيد رانكو لايتش حيث كال علينا أن نلح لكي يقبل بترويدا بالإيضاحات التي أوردناها أعلاه.

181 SHA MAROC RSD 79 (II C)، رسالة رقم 362 في 15 عشت 1927، يسفي مع ذلك أن نوضح بأن القبطان فاندل لا يرجع بشكل حلّي إلى ملف مالاكا.

182 SHA MAROC AI FES 5303 715 (C4)، دعابة، مذكرة DG/AI C/3 144 في 16 فبراير 1927.

183 إن الشؤون الخارجية تذكر هذه المعلومة في رقية للاقامة العامة 79 SHA MAROC RSD 79 II b رقم 34. برقية رقم 76 في 29 فبراير 1928 وفي مذكرة إلى وزارة المستعمرات، موضحة لهذه الأهمية بأنه حسب إقامة الرباط فإن «معلومات وكالة راديو لا تتركز على أي أساس حدي» 45 AN SLOT FOM III، (رقم 287 في 3 مارس 1928)

□ في 1932، أُطلعت الشؤون الخارجية بالرباط بأنه، حسب أحد المخبين، «في نية الحزب الشيوعي مساندة ما اصطلح على تسميته بـ «الكفاح من أجل الحرية» للعرب المتمردين في المغرب حالياً؛ وأن قبائل المغرب الجنوبي تتأهب لشن «عمل مُركّز خلال الحريف أو الشتاء» بمساعدة غوييلين للسوفييات يوجدان بالمغرب «للقيام بالتدابير الأخيرة لإرسال السلاح» (184)؛

□ في معرض حديثها عن الاهتمام الذي يوليه الكومنترن للمغرب، أكدت وزارة المستعمرات، في مارس 1934، بأنه، في رأي الأمانة الثالثة «وحده كفاح مُسلح يمكنه أن يحمل إليهم (العرب) التحرر من التّير الامبرالي وأن تزامن التمرّدات في البلدان الإسلامية سيكون تبعاً لذلك ضرورياً للانتصار» (185). بعد بضعة أشهر من ذلك، أشرت نفس هذه الوزارة لمكي دُورساي في قلقها: إن موسكو توشك على الاستفادة من نصر مُحتمل لـ «المتطرفين» في إسبانيا «لتعلن عن جمهورية سوفياتية ريفية» تكون، حسب مُحطّط الكومنترن، «مقبرة لتحرير شعوب شمال إفريقيا» (186)؛

□ وأخيراً، ذكّر مدير الشؤون الأهلية بالرباط، في بداية 1935، معلومات بلغت إلى إدارة الأمن الوطني بباريس، وتتعلّق «بمشروع عام للتمرد في إفريقيا الشمالية مُدبّر على الخصوص من طرف رعايا تونسنيين باتّفاق مع العناصر الشيوعية» (187). لنختم بنص يشهد بأن «هوس الهيجان» لم يكن وفقاً فحسب على بعض أوساط الإدارة العليا، وعلى صحفيين من اليمين المتطرف أو صحفيين مشتاقين إلى موضوع مقالة: «يلزم أن يكون المرء في متبى الغفلة أو المحايهة لأنكار الجهود التي أنجزها السوفييات بهدف تفكيك دفاعنا الوطني، وتخريب نشاطنا الاقتصادي، وتدمير قلاع وإضرابات، وإثارة

184 SHA MAROC BSD 79، II b)، إطلاع للشؤون الخارجية تاريخ 8 أكتوبر 1932، معاد إرساله من طرف الإقامة العامة إلى الجزائر قائد قوات المغرب تحت ورقة إرسال رقم 753/CMC في 4 نونبر. لقد وردت هذه المعلومة من استوداه، حيث سجل أحد المخبين، الذي يدعى أنه عضو في الحزب الشيوعي، «اهتماماً متزايداً بكل ما يجرى بالمغرب». إنه يؤكد بأن نابوس، الذي تحدث معه، «كاد يبيى معالجة هذه المسألة مع الكومنترن»، وأن أغلب معلوماته استقاه من جيلاني.

185 AN F7 13169. مذكرات شهرية عن الدعاية الثورية التي يجرى بلدان ما وراء البحار (31 مارس 1934)، quai d'orsay *

186 AN SOM SLOF FOM III 45 (المغرب، مذكورة 10 أكتوبر 1934). يعني أن سجل أيضاً وجود ملف في أرشيفات وزارة المستعمرات يحتر عيانه ذا دلالة: «التنظيم في نابل — مسير لمصلحة مكلفة بقيادة الحركة الشيوعية في المستعمرات الفرنسية وتسليح الجماهير الثورية» (1931) للأسم، فإن حافظة الملف فارغة. نفسه، 10.III.

187 SHA MAROC A1 FEF 532 375 (دعاية شيوعية، مذكورة رقم 65/DAI/C3 في 8 يناير 1935)، «بالرغم من أن قيمة هذا الخبر، يوضح يساري، مدير الشؤون الأهلية، تقى جوهرها قاطلة للفتن، فإنه من غير المشكوك فيه أن العناصر الثورية تكثف دعايتها الخاصة ونداءاتها إلى التمرد. إن هذا الوضع يتطلب نقطة خاصة»

هيجانات في مستعمراتنا، خاصة في المغرب والهند الصينية» (188). إن صاحب هذا النص راديكالي اشتراكي، ويُدعى إيفون ديلبو : وسيفدو بعد ثلاث سنوات من ذلك، أول وزير للشؤون الخارجية للجنة الشعبية.

تنفيذ الأسطورة

مصادر الأسطورة

إن المعلومات التي سمحت بين 1920 و1935 بخلق أسطورة عدوان بلشفي في المغرب لم تكن فقط وليدة خيال بضعة صحفيين متعطشين لما هو مثير. لا يمكن إغفال المصادر الخاصة، ومن الأتيق، دون شك، أن نتحدث عنها قليلا، غير أنها لا تأخذ دلائلها الحقيقية إلا في سياق تدخل المصالح المكلفة بتثوير حكومات الجمهورية حول مشاكل الأمن. فقد كان على هذه المصالح، الموجهة للبحث عن الاستخبار السياسي، أن تعلم في لحظة أو أخرى بنشاطات شيوعية في المغرب. سنكتفي بالإشارات التي تسمح بإضاءة المصادر الرئيسية للمعلومات المستقاة حول موضوعنا. هناك أربع وزارات معنية : الداخلية، المستعمرات، الحرية والشؤون الخارجية.

ففي الداخلية، ينبغي تسجيل كون الأمن العام كان يتوفر على قناة غربية موجهة للبحث عن الاستخبارات السياسية ذات الأصل اللبني والمتعلقة بالتحريض الشيوعي بصفة خاصة : يتعلق الأمر بمفوضية أمناس * الخاصة والتي ربما كان موقعها الجغرافي يُعدها سلفاً لهذه المهمة (189). وفي إدارة الشرطة، أمنت مصلحة الشؤون الشمال إفريقية، المستقلة عن قسم الاستخبارات العامة، من 1925 إلى 1945 ، مراقبة مُشددة لأفارقة الشمال الموجودين في المنطقة الباريسية، مُرجعة (٥) معلوماتها للأمن العام، ولكن أيضاً للحرية، والشؤون الخارجية ووزارة المستعمرات (190).

188 هذه الفقرة المقتطعة من التجربة الحمراء، وهو كتاب كرسه إيفون ديلبو للاتحاد السوفياتي ويدعي أنه معتدل، تم الاستشهاد بها من طرف مايو روستان (نائب رئيس لجنة المستعمرات بمجلس الشيوخ) في مقال لطلوليات الاستعمارية، 29 يونيو 1933.

Annemasse

189 AN SOM SLOT FOM III, 142 (الشيوعية في الخارج). عندما سيحين الوقت، سيجم حصوصا بـ «المساندات الأجنبية لعد الكرم» أنظر أدناه، الفصل السابع.

* من الترجيع.

190 APP 4 519-91. حول الحراسة التي مارسها هذه المصلحة على الوطنيين المغاربة، انظر الجزء الثالث.

وفي وزارة المستعمرات تُؤمّن مصلحة للشؤون الإسلامية اتصالاً وثيقاً مع حمايات إفريقيا الشمالية وتسعى إلى جمع توثيق حول كل الأسئلة المتعلقة بالسياسة الإسلامية (191). أما مصلحة المراقبة والمساعدة لأهالي المستعمرات في فرنسا فتهم على الأخص بالمنحدرين من الهند الصينية، من مدغشقر وإفريقيا السوداء وعلى نحو أقل بأفارقة الشمال؛ ويبدو نشاطها محكوماً أساساً بانشغالات سياسية وبوليسية (192). من جهة أخرى، عهد ألير سارو وزير المستعمرات، منذ 1922، إلى إدارته للشؤون السياسية (المكتب الأول) بمركزة كل الاستخبارات المتعلقة بـ «الدعاية البلشفية» (193). إننا نسجل أيضاً، لدى نفس الإدارة، حضور شخص غريب «مكلف بالدراسات»، ويتعلق الأمر بغريغوار أليكسيسكي، وهو نائب سابق لبيطروغراد، ثم اختياره من طرف ألير سارو لهم بخصوصاً بـ «النشاط المتعلق بالاستعمار الشيوعي» (194). فضلاً عن ذلك، تُرَوِّج وزارة المستعمرات مذكرات شهرية حول الدعاية الثورية التي تهم بلدان ما وراء البحار مخصصة أساساً لسياسة الأهمية الثالثة وللتحريض الشيوعي سواء في مختلف بلدان ما وراء البحار أو في الأوساط الاستعمارية بالبلاد. قد عثرنا في مستودعات الأرشيفات على تقارير صادرة عن المكتب الثاني للقيادة العامة للجيش (قسم مركزة الاستخبارات) ومتعلقة بالدعاية الشيوعية في المغرب. وتتوفر الوزارة في الجزائر على مصلحة لتنسيق الاستخبارات على مستوى شمال إفريقيا، لا تكفي بإعادة إرسال مذكرات المصالح المركزية للاستخبارات أو مصالح الاستخبارات المحلية، بل يبدو أنها كانت تتمتع، على الأقل حتى 1930، بوسائل مستقلة للأبحاث. إننا نكتشف أيضاً وجود جهاز في منتهى الخصوصية، نشأ في أعقاب الاتفاقات الفرنسية - الإسبانية المبرمة خلال حرب الزيف : يتعلق الأمر بـ «المكتب الإسباني - الفرنسي» لـ «اللاك المسعى» أيضاً «المكتب المختلط» الذي يضم ضباطاً للمخابرات الفرنسية والإسبانية (195). لقد بدا هذا

191 لقد دعا الوزير حكامه في المستعمرات من جهة، ومعاونيه المباشرين من جهة أخرى إلى استلهم الأساليب المتبعة من طرف المخابرات الأخرية (كانا) في تحريهم عن المعلومات AN SOM Aff. polit. 2662 (23)، رسالة مفتح فبراير 1928).

192 AN SOM SLOT FOM (خاصة صناديق السلسلة III) لقد اقترح وزير المستعمرات على زميله في الداخلية تعاون C.A.I مع مصلحة الشؤون الأفريقية - الشمالية عمومية الشرطة (في طور التكوين وقتذاك) AN SOM SLOT FOM IX.3 (الشؤون الأهلية الأفريقية الشمالية، رسالة رقم 484 CAI في 9 أكتوبر 1924). إن مكتب مرسيلا لـ C.A.I هو الذي أرسل إلى الوزارة تقريراً حول «العمل الاشتراكي - الشيوعي في المغرب» AN. 45. III. 45. AN SOM، الدعاية الشيوعية في المغرب، ورقة إرسال رقم 944 في 27 يونيو 1935

193 «نظم النشاط المدول من طرف التنظيمات الشيوعية وروعها إلى مد دعائها إلى المستعمرات» AN SOM. 94. III. 94. AN SOM (مذكرة رقم 268 في 21 أبريل 1922).

194 يبدو أن أليكسيسكي حافظ على مصبه على الأقل إلى غاية يونيو 1936، AN SOM SLOT FOM, III, 62.

195 «إن ضرورة مراقبة ومع تهريب الدحية والمواد الغذائية صوب المغرب جعلت الحكومتين تقرران مؤجراً إنشاء مكتب اساني - فرنسي عمالكا» (ثم تلت ذلك تشكيلة المكتب المذكور) SHA VM E 24 (مذكرة EM، المكتب الثاني في 19 ديسمبر 1925). ويبدو أن دليل المكتب كان هو SR 11 (انظر SHA VM F 17 et MAROC RSD).

بأخصيصاً نحو البحث عن المعلومات المتعلقة بالتحريض الثوري وتوضح مُذَكَّرَةٌ للمكتب الثاني دوره في هذا الصدد : «إن الوطنية الإسلامية، والشيوعية، مُراقبة في المغرب من طرف الأمن تب الثاني للقيادة العليا. فدور المكتب المختلط يتمثل إذن، من قبة في المغرب بالأنشطة المعادية التي تستهدف الحماية والتي تتم في تنبئه، خارج المغرب، لتصرفات المنظمات أو الأشخاص مشكوكاً فيه لسلطات الحماية» (196)، وهذا الجهاز هو الذي قضية المؤامرة البلشفية في 1927 بالمغرب. وأخيراً، فإن فرع ما رة للاستخبارات للمسائل الإسلامية «، ذات توزيع محدود، وتمنع لقة بالجامعة الإسلامية وبالتحريض الثوري في علاقته بالحركات

فارجية، فيترجيها للرباط لبعض المعلومات المستقاة من مراكزها ب إعطاء تلك المعلومات نوعاً من الأهمية. فبصفة خاصة، ينبغي ن طرف الكي دورساي للأساليب المتبعة من قِبَل المقيم العام في د كان هذا الأخير، الذي اتخذ تدابير قمعية تجاه «المُحَرِّضين» ين، يُقَدَّم كَقُلُوبَةٍ للمقيم العام للمغرب (197).

إدارات الحماية (أمكنة التفتيش المدنية أو مكاتب الشؤون الأهلية لة من جهة أخرى)، في مجموع البلاد، لاستقاء مختلف المعلومات . كان يتم إرسالها إلى الإقامة العامة من طرف رؤساء المناطق. مُع في الرباط من قِبَل إدارة مصالح الأمن وإدارة الشؤون الأهلية ثم لعسكري للمقيم العام. وقد استجاب لإنشاء جهاز وصِل يُسمَّى

ة EMA، المكتب الثاني SR رقم E 788 في 19 فبراير 1928). يبدو أن المكتب اتل هامة : فبعض أعضائه قد يكونون أعضاء لدى قيادات الأحزاب الشيوعية الأوربية؛ انظر نأصلة عن تقرير لـ «عون يشتغل لدى المكتب المركزي (كذلك للحزب الشيوعي بلندن» SHA MARO Bulletin de renseignements des qui SHA N (رسالة رقم 2081 في 11 أكتوبر 1935 للشؤون الخارجية، انظر أيضا الإرسال م 1215 في 3 يونيو 1935، لك «دراسة حول الدعاية المعادية لفرنسا لدى العسكريين ، بتاريخ 21 مايو 1935).

O.L.R، فيما يبدو، لضرورة مَرَكِزة الاستخبارات ذات الطابع السياسي الآتية من الخارج (198).¹⁹⁸ قاد تَشَكُّتُ مصادر الخبر الرّسمية حول الأنشطة الثورية بَعْضَ الأجهزة في كثير من الأحيان، إلى المَناداة بِمَرَكِزة صارمة لها. هكذا طَلَبَ السّكرتير العام في الدّفاع الوطني، في 1929، بأن يُعْهَدَ إليه بِمَجْمَع وتنفيذ العناصر الضرورية لقيادة جميع أشكال مكافحة الدعايات المناهضة لفرنسا، سواء كان أصلها في شمال إفريقيا، أو في فرنسا أو في الخارج، غير أن الفكرة لم تؤخذ بعين الاعتبار، إذ رَأَتْ كُلُّ من الشؤون الخارجية ووزارة المستعمرات، من جهتهما، أن المصالح الموجودة وتبادل الاستخبارات الذي تقوم به مُلَيَّية لمتطلبات الوضع

(199).

لقد كانت المصالح التي ورد ذكرها تستعمل وسائل متنوعة لجمع الاستخبارات التي تبحث عنها. ومن بين هذه الوسائل، ينبغي الحديث قليلا عن «المُخْبِرِينَ». أولاً لاسترعاء الانتباه إلى أننا نعلم في الأرشيفات التي اطلعنا عليها على مراسلات وتقارير رسمية مؤرخة، مُسنّدة، وموقعة في الغالب، مختلطة بذكرات مُخْبِرِينَ، مجهولين، غير واضحة الأصل في مُعْظَمها. ويبدو لنا من الغفلة إهمال هذه المذكرات أو إعطاؤها أهمية مبالغ فيها. وفي الواقع، ليس ثمة دائما تعارض أساسي بين عِيْنَتِي الوثائق، بالرغم من طابعهما المختلفين، إذ أن مذكرات الاستخبار تُرسل غالبا كما هي، تحت لائحة مُفصّلة بمحتواها، هذا المحتوى الذي يُشْطَبُ قليلا أو كثيرا في التقارير المُنتجة من طرف الرؤساء المسؤولين عن المصلحة. ويلعب توجيه المَكاتِب، ومزاج الموظف، حساسيته المفرطة أو القليلة بالظرف السياسي، دوراً حاسماً في الأمر.

هذا، وتستدعي أهمية شبكات المُخْبِرِينَ المُختصين في مراقبة الحركات الثورية أو السياسية فحسب بَعْضَ التوضيحات. فبصفة عامة، لا تتم المراقبة البوليسية بشكل مُتَقَطِّع؛ فهي ليست متناوبة؛ بل لها طابع المُداومة خلال فترة طويلة نسبياً؛ طبعاً يمكن لهذه المداومة، في بعض الظروف (انعقاد مؤتمر، معرض استعماري) أن تستعمل وسائل مضاعفة. وتتطلب هذه الحراسة أن يكون لدى المصالح أَعْوَانُ قرييون جداً من التنظيمات المُراقبة. ويحدث غالباً أن يصل بعض هؤلاء الأعوان إلى مناصب ذات مسؤولية عالية في التنظيمات المذكورة. غير

198 انظر 128، 91، 88، 79، SHA MAROC RSD. إن صايط الربط يوحه عدة مرات في الأسوع، سواء إلى مصالح الأركان العامة للرباط أو إلى مصالح الإقامة، مذكرات إخبارية متعلقة بالخصوص بالتحريض الثوري والحركات الإسلامية.

199 AN SOM SLOT FOM III 2 (رسالة برناتل في 19 عشت 1929) ولفسه 94 (رسالة المقيم العام في المغرب في 10 أبريل 1930 إلى وزير الشؤون الخارجية). إن المسألة مستعدة لاحقاً، تحت الحجة الشعبية، مع اللجنة المتوسطة العليا. انظر الجزء الثالث.

أن الأرشيفات لا توضح، في هذه الحالة، هل يتعلق الأمر بأعوان مدسوسين أم بمناضلين قبلوا في لحظة معينة بأن يصيروا مخبرين (200). وتستعمل المصالح المختصة أيضا مخبرين متطوعين يودون إظهار مزايدهم أو إرضاء نزوع منحرف للوشاية. هناك واحد منهم يستحق إشارة خاصة. ويتعلق الأمر بجبان رونو وهو مدير جريدة يومية كبرى، لالريس ماروكان «، ثم مدير وكالة هافاس في المغرب في العشرينات. إنه معروف لدى الجمهور كمؤلف لما يقارب خمسة وعشرين رواية وقصة قصيرة، وسيحصل على جائزة الأدب الاستعماري. وهو ضابط سابق، وكان في الهند الصينية «مُرافق ورفيق كل لحظات» ألبير سارو (201)، واحتفظ بعلاقات وثيقة مع الأوساط العسكرية. وكمُعادٍ عنيف للشيوعية، كان يرى يد موسكو في كل مكان من المستعمرات — وخاصة في المغرب — ولم يكن يكتفي بكتابة ذلك في رواياته. بل ضاعف من التشهيرات في مذكرات سرية كان يوجهها إلى الديوان العسكري للمقيم العام (202). وبعد عودته إلى فرنسا، سيصير واحداً من المُعاونين الرئيسيين لفرانسوا كوتي في صحيفة «الشيء» وفي 1933 رئيساً لـ «التضامن الفرنسي»، وهو تنظيم ذو نزعة فاشية.

إن المصادر الخاصة للمعلومات المتعلقة بوجود مؤامرة شيوعية في إفريقيا الشمالية متعددة. وإذا تعلقنا جزئياً، ينبغي منح إشارة خاصة لجهازين مختصين في الدعاية لمكافحة البلشفية: وهما المكتب الاستعماري الدولي للإلهائي، والوفاك الدولي ضد الأممية الثالثة الذي يوجد مقره بمجنيف. إن الأول، بإنجازه في 1930 لـ «تقرير حول إعداد الحكومة السوفياتية لثمرات في البلدان المستعمرة» يُثبته القارئ إلى «أنه من واجب المنظمات الخاصة والمختصة مثل المكتب الاستعماري الدولي أن تقدم العون للحكومات وذلك بأن تضع تحت تصرفها نتائج تقصياتها وأبحاثها. فيفضل هذا التعاون، يغدو بوسع المؤسسات الرسمية أن تستمر

200 «النشاط المزدوج للون السري: كأداة للأمر، يحرب العول السري الحرب، من جهة أخرى، ويكتم في هذا الحزب فإنه يساهم في عمله ويقويه. وبشأن ومبادرة نسبية، يمكن أن يصير «طلا» للحزب وفي الوقت ذاته طلاء للأمر. أحياناً، ومساعدة الأمر، يقوم المحرص معمرات في عمله الحزبي، ومرواة ذلك، وحتى لا يفقد ثقة الأمر، عليه أن يعبر دائماً في التلويح عن أعضاء الحرب، في تدمير محال من عمل الحرب، وهذا بطريقة لا تسمح بكشفه في عيون المظنون». يوجد هذا النص المدهش في مذكرة تاريخ 10 فبراير 1925، غير محددة الأصل، ولا إسم المؤلف، متعلقة تشطب ووظائف الأمر العام، يبدو أنها كانت من بين الوثائق التي احتجرت عند تعيش منزل سوزان جيرو (عضو قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي) لم 24 أبريل 1925 (حادث زقة داميريد)، AN F7 13188. نعلم، من جهة أخرى، أن لوماني، قد شتهرت مرات عديدة، خاصة في الفترة 1926 — 1932، بـ «الحواشيس» و«الأحواش» (العضء السابق للحزب الشيوعي ودعت المناضلين إلى بقطة متزايدة.

La presse marocaine
201 نقرأ في الأهداء نهاية السكة الحديدية إلى ألبير سارو، وهي رواية استعمارية، باريس، 1927، «اعترافاً بالكفاح ضد الدساتير الثورية في المستعمرات، التي أتى حديثاً وبشجاعة على كشف حطرها إلى الأمة».

202 SHA MAROC RSD 79 («استعلامات حال ريو»).

بسرعة ويُسر على حماية النظام العمومي» (203). أما الوفاق الدولي ضد الأهمية الثالثة فكان يتوفر على «مراكز وطنية مستقلة». ف «المركز الفرنسي المناهض للشيوعية» يُصنّف مجلة شهرية اسمها الموجة الحمراء • يُديرها كوستيف كوترو، مؤلف لكتاب ضخيم عنوانه : البلشفية في المستعمرات والأميرالية الحمراء. وتظهر مذكرات استخبارات المصالح المختصة مَصْنُوداً قريباً نسبياً من هذه الأجهزة : أوساط الهجرة الروسية. وقد عالجت عدد من المؤلفات المؤامرة البلشفية ضد إفريقيا الشمالية. وكلها موسومة بانشغال سجلاتي على الخصوص وفقر كبير في المعلومات. مع ذلك، ينبغي الإشارة لبعض المؤلفين بحكم شهرتهم : فمعرفتهم العامة بالمغرب، واتصالاتهم الوثيقة مع الأوساط القيادية أمنت لهم خطوة لائضاً. ومن بين هؤلاء : ج. لادري دولاشاير (204) وروبير رايو (205). وأخيراً، لا ينبغي الاستغفاف بالأهمية المُعطاة من طرف الإدارة لـ «إفشاءات» الصحافة حول وجود مؤامرة بلشفية. هكذا كانت بعض الحملات هي الباحث على فتح تحقيق قضائي (206). فقضية إيبيرلين، وهو شيوعي مشبه بارتباطه بتحضيرات تمرد بلشفي في المستعمرات، مميزة لحساسية بعض الموظفين السامين تجاه المعلومات «الثقيرة» المُقدّمة من طرف الصحافة، والتردد الحاصل، على الصعيد الأهلي، في تكذيب الحكايات التي لا تُصَدَّق (207). وفي مقابل هذا الموقف، ينبغي تسجيل رد فعل الأمن العام للمغرب، في 1927، بخصوص المعلومات المتعلقة بتصرفات الشيوعيين في الحماية : «إن بعض الصحفيين قد شهِروا، دون ريب، وربما بضجة مبالغ فيها، بالخطر الشيوعي في المنطقة الفرنسية، لكن المقالات التي صَدَرَتْ حَوْلَ هذا الموضوع هي لِسِجَالِيين كان وُكُفُّهُمْ على الأقل مُعادِلاً لَمَوْهَبَتِهِمْ» (208).

- 203 AN SOM SLOT FOM III 142 (تقرير... توطئة) انظر أيضا AN F7 131 70.
* La vague rouge
- 204 ج. لادري دولاشاير، دون ريب أهم صحفي أهم بالمغرب تشكل كتبه ومقالاته في لافريك فرانسيز مصادر ثمينة للأخبار حول الحماية وحول السياسة للفرقة الاستعماري، وقد نشر بتأثير البلشفية في حرب الريف (علم عهد الكريم، باريس، 1925)، ثم ضخم إلى أكثر حد ممكن «المؤامرة الشيوعية» في الشيوعية وإفريقيا الشمالية، باريس، 1929.
- 205 إن بوربير — رايو، الذي أسس لاديش ماروكان بطبعة في 1905، والذي ظل معاوناً للافريك فرانسيز، متوجها بشكل خاص نحو المسائل الدولية، كتب هو أيضا كتاباً حول الدعاية الشيوعية في إفريقيا الشمالية، باريس (1925) أو (1926).
- 206 AN F7 131 43 (حجر حريدة لوكولسكوي).
- 207 انظر AN SOM SLOT FOM III 133، عمل الكومنترون في المستعمرات الفرنسية (رسالة 20 فبراير 1936 من الحاكم العام للهند الصينية، وحواراً رئيس المجلس، وزير الداخلية في 16 أبريل 1936 ووزير العدل في 18 مايو 1936).
- 208 SHA MAROC RSD 79 (أفراد مشوهون، IIC2 ملكة الأمن العام للرباط، يوليو 1927).

الأساليب

يظهر فحص التصوص التي تتوفر عليها أساليب مختلفة لتنفيذ الأسطورة، سنميز :
الافشاء المزعوم، والتأكيد بدون حجج، والمغالاة والخطأ.

□ **الافشاء المزعوم.** إن عدداً كبيراً من المعلومات المتعلقة بـ «المؤامرة البلشفية» في إفريقيا الشمالية والمزوجة سواء من طرف المصادر العمومية أو الخاصة تُقدّم على أنها ثمرة تقصّي صعب وعميق لاسيما وأنه يستهدف أنشطة تُفترض على أنها سرّية. وفي الواقع، غالباً ما تستند «الافشاءات» إلى وقائع ذات طابع عمومي. هكذا هو الأمر، على الخصوص، بالنسبة لتلك المتعلقة بمنظمة الأمية الثالثة، بالفرع المكلف بالقضايا الاستعمارية لدى الحزب الشيوعي الفرنسي وبمختلف اللجان المناهضة للإمبريالية (209). بنفس الطريقة، يتم «إفشاء» نوايا البلشفيين بفضل تحطّط وتقارير تُقدّم على نحو يوهم بأنها قرّئت في اجتماعات مغلقة، في حين أنها ليست سوى استنساخ لنصوص ظهرت في المراسلة الدولية * وفي الصحافة الشيوعية الفرنسية (210).

إن القمع وكذا هذيانات الجمعيات السّرية للقرن التاسع عشر، يفسر، دون ريب، كون الأنشطة المُطوّرة من طرف الحزب الشيوعي قد أمكنها أحياناً أن تُخَصَّر وتُدقّق في السّرية. لكنه ليس ضرورياً اللجوء إلى قرارات اتُّخذت في السّر لتفسير الدعاية والتّحريض

209 انظر العقيد ريراوب : العمل السري للأحزاب البلشفية، باريس، 1926. كوستاف كورنور : البلشفية في المستعمرات والإمبريالية الحمراء، باريس، 1930. إن مذكرات المصالح المختصة مألوف هذا النوع من الكشوفات : هكذا اكتشف المقصود كبديل أن «جميع فروع النشاط الثوري المعادي لفرنسا متشابكة حول نجمة شمال إفريقيا» وهذا فقط لأن «الأفراد المستهدفين بهذه الدعاية هم قلة كل شيء، طلبة أفارقة شمال إفريقيا، وبالتالي، فقد بلغ عواصم» «لبؤرة نجمة شمال إفريقيا» كان قد أعطاه إياها عمه الذي «هو على وشك... أن يمسك بقلب هذه الحركة» SHA MAROC RSD 79 IIb، رسالة رقم SR 55 124 في 12 دجنبر 1928. وكان الفرع المكلف بالقضايا الاستعمارية للحزب الشيوعي الفرنسي، في 1935، موضوع مذكرة موجهة لتوضيح هتئاته : 120، نقطة لافايت (إنه المقر المعروف حيناً لقيادة الحزب الشيوعي الفرنسي أ) واسم المناضل المسؤول : أندري فور. (مذكرة OLR، رقم 2972 في 23 أكتوبر 1935).

* Correspondance internationale
210 انظر المذكرات الشهيرة عن الدعاية الثورية التي هم بملكان ما وراء البحار لوزارة المستعمرات والنشرة الشهيرة للأمانة العامة للحزب (الوضعية السياسية والاقتصادية). يؤكد الطابع «السري» لهاتين النشرتين الفكرة بأن الأمر يتعلق حيناً بـ «إفشاء» أخبار يتم إخفاؤها عن الجمهور لعدد قليل من المسؤولين. كما أن المغالاة في استعمال كلمة «سري» معروف جداً لدى الموظفين؛ ومع ذلك لا ينبغي أن نغفل أنه السيكلوجي. إن اللامعقول تم طروقه من طرف مصلحة المخابرات OLR التي كانت ترسل إلى الديوان العسكري للمقيم العام بانتظام، تحت ورقة إرسال «سري» بقصاصات من لومبايتي عصبة المغرب والسياسة الاستعمارية (نفسه RSD 79, II b). وكانت اليومية الشيوعية مسموعة فعلاً في الحماية.

الشيوعيين في الموضوع الاستعماري (211). فالنصوص العمومية كثيرة بالفعل وخالية من لبس. وتصنع اكتشافاتها، ومضاعفة «الافشاءات المزعومة» إنما يُسهمان ، بالعكس تحويل البرنامج السياسي الشيوعي، بمنهجية، إلى مؤامرة مُعَيَّنة (212).

□ التأكيد بدون حرج. إنها تقنية كلاسيكية لتسميم الخير. لكن هل يتعلل حقاً ودائماً بأسلوب ؟ فمن الافتراض البسيط الى الغلط البين المقصود نجد تنوع للتصرفات.

منذ 1922، كان لتعليق وزارة المستعمرات، العامّ جدّاً، قيمة توجيهية : «حالياً، التفكير بأن الحركات التي تأخذ طابع ما يُسمّى بالوطنية ستسمح في الغالب بافراض سابق ومنسوب الى مناورات شيوعية (...) فكل مظاهر ذات نزعات انفصالية يجب ا من الآن فصاعداً بمثابة عنصر مهم يشجّع على ترويج الأفكار الشيوعية المتطرفة» (213) ذلك الوقت، صار على التواطؤ بين الشيوعيين الأوربيين والتحريصات الوطنية أن كمعطى أساسي لا يحتاج الى برهنة. وفي نفس الوقت كان يشكل اعتقاداً وتوجيهاً يفرض على المسؤولين السياسيين والبوليسيين.

في يوليوز 1927، قامت مذكرة للأمن العام في الرباط بتوضيح الوضع : «بالمعلومات المتلقاة من جهات مختلفة، وخاصة من باريس، نعرف كم هي متعددة الروابط التي تجمع بعض المعرضين المسلمين بالشيوعيين. لذا يجب على المراء تنصيب بشكل مكثف على كل الدعاة المعيّنين من طرف موسكو والذين يتوصل بأ، غالباً من فرنسا. إلا أنه من المفيد مع ذلك الإشارة الى أن المبعوثين الذين تمكّنوا من ال الى المغرب حتى هذا اليوم قلة قليلة» (214). هكذا، لا يشكل غياب الوقائع حافزاً - الاعتقاد في وجود خطر بلشفي : فإذا كان لم يحدث أي شيء لحد الآن، فلأن شيئاً ما ريب، سيحدث في مستقبل قريب. وفي 1928، اعتبر رئيس الأمن الجهوي بفاس بأن با

211 إن «السر» يبدو لنا بخلاف ذلك أكثر بدهية، وتفرضه السرية، في مادة تقنية الدعاية. فمثلاً توزيع منشور سياء وضعها في كتيبات للدعاية التحاوية، وتوزيع خريطة ممنوعة مدرجة داخل عدد من مائات، هذان أسلوبان لفتت المصالح السياسية لوزارة المستعمرات، في وقت سكر حدا، انتاه المسؤولين (AN SOM Aff. polit 2415)، حول الدعاية اللشفية في المستعمرات، 19 أبريل 1922)، ومن المحتمل حدا أنهما استعملتا مرات عديدة كتيبات أو منشور أو حرائد مجموعة الى المغرب (انظر أدناه).

212 يحدث أن تشهر مصالح الشرطة نفسها بالأسلوب انظر AN F7 13101 (حملة ضد الحزب الشيوعي. 27 1929، مذكرة 21 شتر 1927).

213 AN SOM Aff. polit 2415 (مذكرات عن الدعاية الثورية التي هم بلدان ما وراء البحار). مذكرة 9 1922.

214 SHA MAROC RSD 79 (II C2) مشدد عليه من طرف الذي أرسلت اليه هذه المذكرة (الديوان اله للمقيم العام بالرباط).

أن يستخلص من تحرّيه الطويل أن «الآثار العملية للدعاية الشيوعية شبه معدومة في الوقت الحاضر» (كذا)؛ لكنه يضيف فوراً: «إلا أنه من المُحتمل جداً أن يتوصّل المبعوثون المأجورون من طرف موسكو، عمّا قريب، إلى خلق مصاعب لنا بتحريكهم ضدنا للجماهير غير المتعلمة» (215).

لكنّ البمثال الأكثر بروزاً دون ريب، لهذه العقلية، هو الذي يجسده رئيس منطقة الغرب الذي كتب للمقيم العام: «في المدينة، بيور — ليوطي، ليس ثمة بين الأهالي حركة شيوعية بمصر المعنى. يوجد تحريض وطني قد يكون — منطقياً ينبغي أن يكون (216) — متحزباً جزئياً للحركة الشيوعية ومُساعداً من طرفها، لكن حالياً، ليس هناك أي برهان، ولا حتى أي غرض لتواطؤات من هذا القبيل أمكن كشفها» (217). إن غياب الحجج مؤكّد عليه هنا صراحة في الخاتمة؛ فهل ينبغي التفكير بأن الشكل المُعطى للمقدمات «يوجد تحريض وطني قد يكون — منطقياً ينبغي أن يكون...» لا يُعبّر سوى عن اعتراف بحقائق السّاعة من قِبَل موظّف سام مُتحمّس أو مجرد معترع للقيّم السائلة ولكنه يحتفظ لنفسه، في ممارسة مهامه، بإمكانية الوصول إلى استخلاصات مُخالفة؟ أو ليس من الأبسط التفكير بأن الضّغط المُمارَس من طرف الايديولوجيا السائلة — سواء مورست هذه الأخيرة بواسطة توجيهات وزرية أو بواسطة حملات الصحافة — يُرغم موظفي السلطة في بعض الفترات على تكريس انتباههم للخطر البلشفي وللتواطؤ بين العناصر الشيوعية والوطنيين إلى حدّ خلق تصرّف ينتمي للتسّم الذاتي؟

لقد سبق أن لاحظنا الشكل المُفرض الذي تتخذه المراسلات الوزارية، خاصّة فيما يتعلق بالدسائس الشيوعية في الجيش. إن المُدكّرة التي وجهها المقيم العام للمغرب لمعاونيه، في 1937، لطلب «المعلومات التي أمكن لمصالح (هم) استقائها حول العمل الشيوعي في المغرب» تبدأ بالتأكيد على أن «تطوّر الدعاية الشيوعية في إفريقيا الشمالية، المُشجّع باستمرار الأزمة الاقتصادية والمُتّهدّة، احتمالاً، من طرف تأثيرات أجنبية، قد ازداد خلال

215 نفسه. (II b)، رقم 49، تقرير رقم 4739/SR 21 مايو 1928).

216 التشديد منا.

217 SHA MAROCS 88 (رسالة رقم 149 في 9 مارس 1935). لنسجل، في اتجاه مشابه، جواب نائب قنصل فرنسا بتطوان، الذي سئل من طرف المقيم العام حول العمل الشيوعي بالمنطقة الاسبانية (رسالة رقم 44 في 26 فبراير 1935). فيعد أن ذكر أسماء بعض المشبوهين، نتم هذا الموظف قائلاً: «في كل هذا، لا نرى أبداً أثر الشيوعية الموسكوبية... وهو ما لا يعني أن موسكو لا تتدخل في السياسة الاسبانية، لكن عملها لا يبتدى إلا بمقتضى التهديد وعبر أشخاص مسخرين. أي أنه لا يمكنها أن تجعل وجودها محسوساً في المنطقة الاسبانية إلا بدرجة ثانية وحتى ثالثة». نفسه. (رسالة رقم 76 في 14 مارس 1935).

الشهور الأخيرة، بارتباط وثيق مع نشاط العناصر الوطنية في الجزائر، وتونس والمغرب» (218). كيف يمكن التفكير بأن مؤلفاً لا يهتبه لتكوينه ولا ممارسة مهمته، في هذا الصدد، لتطوير ملكات نقدية، لا يتخذ بالشكل الصريح الممنوح من قبل رؤسائه لتغليب من هذا القبيل ؟

بل هل من الضروري النطق بلفظتي «شيوعية» و«وطنية» لاثارة هذا التواطؤ ؟ في 1931، أعلنت جريدة لوتون * عن اعتقال أحد المسلمين بالرباط يدعى أحمد الجيلي، وذلك بتهمة توزيع منشور «تدعو الأهالي الى التمرد». وقد وضحت الجريدة قائلة بأن هذا الأهلي «ينتسب الى الحماية الروسية». وسيستنتج قراء لوتون الخلاصات بأنفسهم (219). فهم لا يعلمون بأن الخبر الذي قلّم لهم تحريراً مقلّق (220) : إذ ليس فحسب لم يتم أي توزيع لمنشور تدعو الى التمرد، وليس فحسب لم تعد «الحماية الروسية» توجد منذ 1914 (221)، ولكن المعنى بالأمر ينتسب، بالعكس، الى الحماية الفرنسية، وسيكون الامتياز القضائي المترتب عليها في أساس المرافعة التي قدّمها محاميه.

□ ثمّ كل المغالاة شكلاً آخر لتسميم الرأي. إن الأمر يتعلق، انطلاقاً من وقائع دعائية حقيقية، بتصحيح أهميتها الى درجة لا يبقى معها سوى مقاضاة «المُخرّضين» أمام المحاكم. عندئذ يُظهرُ تهم أكثر عمقاً وعند الاقتضاء تحقيق قضائي هشاشات الاتهام. إن قضية دومون وقضية المغرب الأحمر ترصعان هذا المسعى. فملف دومون انتهى في الواقع الى قضية تافهية للدعابة الشيوعية. ففي الأخير، لم تؤخذ بعين الاعتبار ضد المعنى بالأمر سوى أحاديث ذات طابع «هدام» قبلت أمام بعض المغاربة، وتوزيع جريدة باللغة العربية، ممنوعة في تراب الحماية. إن ظروف الاتهام هي التي تُثبّت هنا عن المغالاة. فمدير مصالح أمن المغرب، بعد أن رُفِعَ إليه الملف وتقرير للجنرال قائد منطقة مكناس، أبلغ المقيم العام بأنه يشاطر السلطة العسكرية استنتاجاتهما : يجب إبعاد جول دومون من تراب الحماية (222). لكن في غياب المقيم، كان لهيلو، الوزير المنتدب الذي ينوب عنه، رأي آخر؛ فهو يرجو فتح تحقيق قضائي (223). وبعد

218 نفسه. رسالة رقم CMC 216 في 21 فبراير 1935.

* Le temps

219 لوطون، 2 مايو 1931 (Le Temps).

220 أبطر الجزء الثالث.

221 إن الحكومة الروسية هي أول من تكلّم عن الامتيازات المتحدرة من نظام الامتيازات الأجنبية.

222 SHA MAROC RSD 88 (ملف دومون، رسالة رقم DSS 20051 في 24 نونر 1934).

223 نفسه، في الرسالة المشار إليها سابقاً للأمن، كتب المنتدب لدى الإقامة محط بدء : «في رأيي، من الأفضل التصرف بواسطة تحقيق قضائي. ولا حاجة الى القول بأن هذا ينبغي أن يتم بطريقة مستعجلة حتى يمكن للتفتيش أن يعطي النتائج الإيجابية المتوخاة».

يومين من ذلك، ارتأى مدير الأمن أن من الواجب عليه الالتفات على الأهمية التي يمثلها حلُّ من مستوى الإبعاد، ذلك أن الاتهام «يمكن أن تنجم عنه مساوئ». فإذا أُفِّر، ستكون المناقشات المتبوعة بمرافعات بمثابة إشهار يبدو أنَّ من الأحسن تلافيه : ذلك أنها يمكن أن تضع موضع الاتهام شخصيات كانت لها علاقة مع المتهَم عند دعايته. فضلاً عن ذلك، فإن مناقشات من هذا القبيل لا يمكنها إلا أن تثير حماسة العنصر الأهلي، الذي هو حالياً، أو على الأقل فيما يبدو، قليل الانشغال بدعاية من هذا القبيل. وأخيراً، من الممكن ألا تنتهي المحاكمة بإقرار الحكم، وفي هذه الحالة سيفقدو إبعاد دومون صعب التحقيق» (224). هذه الخشية لا تُشهِدُ بخُذَرٍ ما تجاه القضاة، لا سيما وأنَّ دمون من الذين يمكنهم المثول أمام المحاكم العسكرية، ولكنها تُشهِدُ بنقص الاثباتات المستقاة ضد المعني بالأمر. غير أن السلطة السياسية تجاهبت هذا النقص في الاثبات. كما أن الحكم على دومون بثلاثة أشهر سجناً ومائة فرنك غرامة والحجيات التي بررت طرده تظهر المغالاة التي طبعت هذه القضية (225).

في قضية المغرب الأحمر، تمَّ الكشف عن هذه المغالاة من طرف السلطات الادارية نفسها. فكاربو، مُقوَّض مقاطعة الدار البيضاء، يخلص في تقريره الى أن هناك، في هذه القضية، ثلاثة مستويات من الوقائع ينبغي الأخذ بها : أولاً، التنظيم لدعاية معادية لفرنسا لدى الأهالي؛ ثانياً، دعاية معادية للنزعة العسكرية؛ ثالثاً، إنجاز وتوزيع جريمة ممنوعة مُوجَّهة للأهالي. فيما يتعلق بالنقطة الأولى، يقول المقوض موضحاً : «ليست لدينا أية حجة مادية. هذه الحجة يمكن الحصول عليها بواسطة تفتيشات دقيقة لدى الشخصيات الرئيسية، لكن هذا ليس أكيداً، لأن هؤلاء يقظون». وبالنسبة للدعاية المعادية للنزعة الاستعمارية، «وحده يستشير يمكن أن يُورطَ فيها، وتحتي هنا لا يمكن مؤاخذته سوى على علاقاته بالبحار روبرو، لأنه لم يتم أبداً تسجيل أي عمل مادي للدعاية». وأخيراً، فيما يتعلق بإنجاز وتوزيع المغرب الأحمر، يرى كايو بأنه مادام الأمر يتعلق بجريدة باللغة الفرنسية، وبما أنها لا تتضمن أي مقال يهيم أمن الجيش وأنَّ اللجنة ارتكبت في التراب المدني، فإن المحكمة المدنية هي المختصة (226). وبناءً عليه، يلاحظ المقوض، من «التهور الدخول في درب المقاضاة حيث تولد النتيجة على الانقلاب لصالح المتهَمين، وهو ما سيكون مؤيماً جداً». في الختام، يقترح مسؤول

224. الملف. (ملكرة رقم DSS 13 في 26 نونبر 1934).

225. لم تحتفظ المحكمة في الأخير ضد المتهم سوى بتوزيع حرائد مبرقة في التراب المغربي. وفي برقية موجهة الى الكي دورساي، لإعلان طرد دومون، وضع هولوبان «المتهم كالأحد لسحري الرئيسي للدعاية الشيوعية في المغرب»، لكن أضاف قائلاً «دعابة ليست سوى في بداياتها، ويتابع تنظيمها بنشاط، خاصة في الدار البيضاء» نفسه (برقية مرقومة 106 — 107 — 108 في 6 مارس 1935).

226. برجع المقوض هنا الى وجهة النظر المعبر عنها من طرف رئيس المحكمة العسكرية للدار البيضاء.

أُمن الدّار البيضاء، عوض مُتابعا قضائية، أن يقتصر الحكم على إجراء إبعاد في حق الأشخاص السّنة المُجرّمين في هذه القضية (227). لكن ها إن الجنرال قائد وَحَدَات المغرب، الذي تلقى نُسخة من هذا التقرير، يعلق للتوابع التي تُخصّص لهذا الاقتراح (228). لقد كان جواب المقيم العام ذا دلالة : «يتم حاليا إجراء تقصّيات تكميلية، كما تمارس مراقبة في متبى الفعالية على العناصر الشيوعية التي ستتخذ في حقها الإجراءات اللازمة عند الاقتضاء» (229). هكذا تمّ إفراغ القضية بأكملها : ففي فترة أول، تمّ ذلك من طرف مُفوض الشرطة الذي بدا عاجزا عن متابعة المناضلين الشيوعيين المُتهمين أمام المحاكم، وفي فترة ثانية من طرف المقيم العام نفسه، الذي رفض اتّخاذ عقاب إداري في حقهم، رغم الطّابع التّقديري المتعلق بهذا الإجراء.

□ الخطأ. يمكن افتراض أن تطور الكفاحات الوطنية والثورية في إفريقيا الشمالية ترافق مع إنتاج عدد من الوثائق التي لم تكن صحتها أكيدة دائما. إننا لا نتوفر على عناصر تسمح لنا بتقدير أهميتها والتّدليل على إصابتها. وسنكتفي بواحدة من تلك الوثائق ساقنا صدّفت البحث الى تخصيص حيز لها والتي سمينها «خطأ مالاكا».

تستدعي الأساليب المستعملة من طرف أصحاب هذه الوثيقة بادىء ذي بدء بعض الملاحظات الشّكلية. فلنكتفي بفتح الذين أرسل إليهم الملف بصحّة الوثائق المُرسلة من طرف مكتب مالاكا، أرفق هذا الأخير بصورة الرسائل المخطوطة — بالفرنسية — الصّادرة عن فولكوف، أحد العملاء الرئيسيين لـ «المؤامرة البلشفية». يعتبر الأشخاص المقدمون في هذه الوثائق في متبى القرب والبعده معا؛ وهم أيضا أشخاص في متبى القوة : إنهم غرباء ذوو شأن. وغالبيتهم يوجدون في باريس (فوظائف بعضهم توضعهم بالضبط في سفارة السّوفيات)، وعندما لا يجتمعون في العاصمة، فإن اختيارهم يقع على فرساي كمكان لنشاطهم السّريّة. نُمة من بينهم فرنسي وإسبانيّ يلعبان دورا عَرَضِيّا. ويمكن أن نتساءل عما إذا كانت المهام المسندة للانجليز والألمان، الأوائل كمُهرّبي أسلحة وبخارة مجرّمين، والآخرين كمُدربين عسكريين، لا تتطابق مع خيال تقليدي، تقوى بمناسبة حرب الرّيف الحديثة العهد (230). إننا نجد أيضا إيطاليا وتركيا. لكن الأشخاص الرئيسيين من الروس؛ كممثلين للحكومة

227 يمي رولي شامبون، روبرت بيسار، شاول ديبوي، ماكسيميليان رومرو، روجي ناتشي، ومحمد شريف. SHA

MAROC RSD 88، (رسالة رقم 12، سري، في 14 مايو 1935 الى رئيس منطقة الدار البيضاء).

228 نفسه. (رسالة رقم 788/2C في 19 أكتوبر 1945 الى المندوب العام لدى الإقامة).

229 نفسه. (رسالة رقم 1251/CMC موقعة من طرف بونسو، بتاريخ 9 نوفمبر 1935).

230 انظر أدناه، الفصل السادس.

السوفييتية أو للكونترن، نجد أنهم هم الذين يلهمون ويوجهون ويراقبون تنفيذ مخطط التمرد. لقد قُدِّمَ انطباع القوة عبر الاطار الجغرافي للمؤامرة (من موسكو تمر الخيوط عبر باريس، لندن، برلين، برشلونة، وطنجة لكي تصل الى الربيف)، وعبر الفعالية (شراء وتسليم أسلحة، إرسال مُدَرِّبين، التّحضير في نفس الوقت لأعمال سياسة وعسكرية). وتستدعي قوّة المُتآمِرين فكرة قوّة مترابطة للمصالح الفرنسية — الاسبانية : أو لَمَ تمضي هذه الأخيرة الى حدّ الحصول على المراسلات والمذكرات المتبادلة بين العملاء الشيوعيين ؟ إن معرفة تخطيط العدو قمينّة بالسّماح بإحباطها.

في العمق، يمكن أن نتساءل كيف تستطيع هذه المتنوعات، التي تبدو طالعة من رواية رديئة في الجاسوسية، أن تصير موضوع إرسالات رسمية من طرف مصالح وزارة الحربية ومصالح الجزائر والرباط . أو لم تُعَلِّمُ مصالح الاستخبارات المدنية والعسكرية للحماية، على الخصوص، بأن أيّاً من الأشخاص المورطين لم يُضبط أبداً ولا كان حتّى موضوع إشارة في التراب المغربي وأنّ لاشيء يسمح بتأكيد الاشارات المُعطاة من طرف مالكا والمتعلقة بتنظيم موسكو لتمرد السكان الريفيين ؟ إن الانتباه الذي أولته السلطات لهذه المعلومات يُفسّر، في رأينا، بقراءة أخرى للملف، لم تُشكِّدْ على قُرب حدوث تمردٍ بقدر ما شددت على الطابع المُستمر للتهديد البلشفي.

يتضمن هوس التمرّد، كما نجّم عن ملف مالكا، بالفعل، وجهين. ففي مقام أول، هناك الوصف الدقيق قُدِّر الامكان للبنىات الشيوعية المُتّهمة، والاشارات المتعلقة بالوضعية والاتصالات القائمة بين «عملاء موسكو» والحكاية المُفصلة لجهوداتهم بهدف تأمين التسليح ثم التأطير العسكري الضروري للريفيين، كل هذه العناصر استهدفت جعل إمكانية تمرّد ثوري في المدى القصير ذات مصداقية. فالذين أُرسِل إليهم الملف ليعلمون أن التدقيقات المتعلقة بأسماء ووظائف وعلاقات العملاء الشيوعيين هي، في أساسها، خيالية بخلاف ذلك، يعلمون أن الانزالات المُعتمَزة القيام بها في المغرب لم تتم. من الأتيق إذن — وهذا هو الجانب الآخر للملف — التوفيق بين الرواية ومنطق الوقائع. إلّا أنّ هذه الأخيرة تُظهِر بأنّه انطلاقاً من 1927 تمكّن الاسبان تدريجياً من التحكم في الوضع في الربيف، ماعدا بعض الاشتباكات وبعض الحوادث الرَّاجعة الى «هجمات مفاجئة». إن استحالة تمرّد مُعَمَّم وفوري قُدِّمَ إذن كإقرار، من طرف البلشفيين أنفسهم، باستتباب الأمور لصالح الاسبان. غير أن الخطر لم يَمِ إبعاده، لأنّ بِنْيَات التدخّل الشيوعي في المغرب، حسب أصحاب ملف مالكا، لا تزال قائمة وتعمل جاهدة لقلب الوضع، بتطويرها للدعاية الثورية وبتزويدها للريفيين بالأسلحة والمُدَرِّبين. والبرهنة المُستعملة هي بالضبط نفس البرهنة التي

سبق أن وصّفنا : فكّون الهجمة الشيوعية المحضّر لها والمرتبقة لم تتمّ ليس معناه أنها لن تقع. فالؤامرة البلشفية تشكّل تهديداً مُستمرّاً لا ينبغي صرّف الاهتمام عنه.

وظائف الأسطورة

هكذا، بتسميم كان بعضُ خالقيه أحيانا هم أول ضحاياه، بُنيتْ أسطورة العدوان البلشفي في المغرب. يبقى أن نتساءل عن دلالتها الحقيقية. إذ لا يمكننا، بالفعل، أن نكتفي بملاحظة أنها تتطابق مع شعور واسع الذبوع في الطبقات الحاكمة وجهاز الدولة : الخشية من رؤية «الموجة الحمراء» تتدفق على الغرب، مهددة سيطرته على أراضي ما وراء البحار. إن مؤلفي التقارير الأكثر ثِقنا من التحريض الشيوعي يعرفون جيداً، في الأخير — وهم غالباً ما يكتبون هذا بأنفسهم — بأن الخطر ليس فورياً. فتحليل الوضع يسوقهم إلى الدّفع بأجل التهديد البلشفي إلى المَدَى البعيد. في هذه الحالات، هل يكون لتقاريرهم قيمة تنبئية فحسب ؟ ألا يسمح تحليل النصوص بالمُضي أبعد من هذا وتمييز من خلال الحوافز المُعبّر عنها من طرف السلطات البوليسية والقادة السياسيين وظائف الأسطورة ؟

تقييد الحريات العامة

يلزمنا التذكير بأن إحماد الفتن يستهدف، بكل معنى الكلمة، إخضاع السكّان الأهالي. لقد أُلشِّب، تدريجياً، جهاز يسهر في المغرب على تأمين الهيمنة الفرنسية على جميع الأصعدة : الاقتصادي، والسياسي والاجتماعي. وتركز هذه الهيمنة على الفكرة الواضحة والمتصّلة لتفوق الغازي وإمكانية تطور تدريجي، ولكن بطيء، للسكّان المحميين وفق الطرق والوسائل الوحيدة المحددة من طرف المستعمر وحده. عبر وارد إذن بسطُ الترتيبات المتعلقة بممارسة الحريات الديمقراطية داخل الحماية. من هنا منشأ نظام تقييدي مفروض على الصحافة، والتجمعات العمومية والجمعيات، ومُشدّد على الخصوص عندما يتعلق الأمر بالمغاربة. إن تاريخ الحماية مليء، كما سنرى، بمعالم الاحتجاجات التي تزداد قُوّتها أو تقلّ ضد هذا الوضع. وهذه الاحتجاجات لم تصدر فحسب عن الأوساط المغربية أو اليسار الفرنسي. بل تصاعدت أيضاً من مختلف قطاعات الرأي التي كانت تهبّ دورياً ضدّ نظام كانت تُشهر بطابعه التعسفي. بالنسبة للسلطات، كانت الضغوط العسكرية تُبرّر حالة الحصار، لكن بعد استسلام عبد الكريم (1926)، لم يعد المُنشقون المغاربة يُعرّضون حقاً الوجود الفرنسي في المغرب للخطر، رغم أن المعارك الأخيرة امتدت إلى غاية 1934. وأثناء ذلك، كانت

الخشية من الشيوعية مُستغل كذريعة. لقد شكّلت بالنسبة للسلطات سبباً كافياً لاعطاء الأسبقية لدواعي الأمن على متطلبات الحرية (231).

بعد أن أشارت مذكرة لوزير الداخلية، بتاريخ 2 غشت 1927، إلى أن الحرب الشيوعي «يجد لخلق التحريض بين السكان المسلمين لافريقيا الشمالية، وفي المغرب على الخصوص»، أُلزمت الولاية بالألا بمنحوا جوازات سفر باتجاه الحماية «ألا ممتنبي الاحتراز. هذه الجوازات ينبغي أن تُرفض لكل فرد معروف علانية كشخص قابل لأن يُزعج النظام والطمأنينة العمومية» (232). لقد بدا لنا مع ذلك، أن النشاط الشيوعي في المغرب خلال هذه الفترة كان يُعتبر عديم الأهمية. بعد سنوات من ذلك، طلب الجنرال قائد قوات المغرب، بعد أن أخبر بأن في نية بعض الجزائريين القدوم إلى المغرب «للقيام فيه بدعاية شيوعية أو وطنية (كلنا)»، أن يُمنع «إلى أقصى حد ممكن، كل فرد مشبوه من دخول الحماية» (233). لكن في بعض الحالات، لم يكن منع الدخول إلى المغرب مُمكناً دائماً؛ لذا اقترح الحد من عواقبه. هكذا تقرر أن يمنع فيليسيان شالاي، وهو أستاذ ثانوية كوندورسي، ومُعرف بأرائه المُعادية للاستعمار وكان قد ألقى مؤخرًا سلسلة من المُحاضرات في منطقة تونس (أبريل 1934)، «من إلقاء أية محاضرة أو أن يقوم بأي تجمع عمومي» (234) في حالة قدومه إلى المغرب.

لقد كانت بعض الفئات من الفرنسيين معروفة، بشكل مُسبق، بتشجيع التحريض المُناهض لفرنسا. خاصةً، كما أشار مدير الشؤون الأهلية، المُوظفون الذين لهم علاقات مع الأوساط المغربية أو الذين دُعوا لممارسة تأثير ما على تلك الأوساط؛ فالمُعلمون واليهوديين ينبغي أن يُخضعوا لمراقبة خاصة (235). لكن قائد درك فاس لم ينتظر هذه التوضيحية لكي يقول ما يُفكر فيه بخصوص الحرية المتروكة للمُدرسين. فبعد أن نُظّم فرغ عصبة حقوق الانسان بفاس، في 22 فبراير 1933، اجتماعاً نُشِطهُ أستاذ ومُعلم حول موضوع رفض

231 لسجل من الآن بأن عصبة حقوق الانسان لم تكن مقتنعة بالأسباب ذات الطابع العسكري التي قدمتها الحكومة لتفسير حالة الحصار في المغرب. وبنيير تميرها عن خلافها إشكاليها : «لأنه لمن المعلوم على الأقل التأكيد على أن الأمر يتعلق بإجراء ذي طبيعة عسكرية : إنه إجراء من طبيعة سياسية أو بالأحرى إدارية هذا الذي يسمح للسلطة ليس بمواجهة خطر لوجود له، ولكن تلافي الانتقادات التي ستكسر بعض الموظفين». رسالة من اللجنة المركزية للعصبة إلى وزير الشؤون الخارجية تاريخ 23 فبراير 1921. دفاتر حقوق الانسان، 10 أبريل 1921، ص ص 161 - 162.

232 APP BA 1676 (نشاطات سياسية في المغرب).

233 SHA MAROC RSD 88 (رسالة رقم 760/2C في 7 أكتوبر 1934 إلى المقيم العام).

234 SHA MAROC AI MAR 630 372 (مذكرة رقم 1155 DAI C/3 في 7 يونيو 1934، من إدارة الشؤون الأهلية).

235 نفسه. (رسالة رقم 15/DAI C/3 في 4 يناير 1936 موجهة إلى جميع رؤساء المناطق).

المُخابرة، أُرْسِلَ إلى السُّلطة العليا قُصاصة الجريدة التي عَرَضَتْ للاجتماع (236)، وأضاف تعليقاً شخصياً : «إنه لما يصعب احتمالُه أن نلاحظ أن كل الاجتماعات التي تدور حول موضوع التنقيص من قوات البلاد منظمة من طرف مرينين رسميين للشباب نخدمهم أكثر حرصاً على النزعة الأهمية منهم على وطنهم الخاص» (237). إذا كان المُدرسون يُشكّلون فئةً حَظِيَّةً على نُحو خاص، فليس ثمة ضَرُورة، في بعض الحالات، لانتظار تورطهم في مؤامرة شيوعية للتخلص منهم. هذا ما سعى رئيس منطقة الغرب إلى تفسيره للمقيم العام. فبعد أن سُئِلَ عن العمل الشيوعي في دائرته، أجاب بأن ليس ثمة تحريض بحصر المعنى يمكن الإشارة إليه. ومع ذلك، انتبه الفرصة لِشَهَرٍ بـ «الدعاية المتطرفة» التي تقوم بها الشبيبات الاشتراكية على الخصوص والتي يتشكّل مُنْشَطُوهَا من أربعة مُعَلِّمين. «إن الأكثر خطراً، من كثيرين، هو السيد دولما الذي يسعى علانية إلى جَرِّ الأهالي في أثره». لقد كان له خلال اجتماع صندوق المدارس، «موقف من أكثر المواقف شُبُهَةً» حيث، بعد أن انتقد تَصَرُّفَ أغلبية الوُجَّهَاء الأهالي ليور — ليوطي، طَلَبَ «أن تمنح ملابس للأطفال الأهالي الفقراء» ومن جهة أخرى، يكتب مقالات معادية للنزعة العسكرية في جريدة لوماروك سوسياسيت. وهذا يبدو كافياً لرئيس المنطقة كمبرر لطرد المعنى بالأمر من المغرب (238)، وكفرصة يستنتج من خلالها قائلاً : «من المستعجل إيقاف هذا النوع من النشاط غير المقبول خصوصاً حين يَصْدُرُ عن موظفين يُدْمُون ويقاتلون النظام الذي يُؤْمَنُ عَيْشُهُمْ ويسعون إلى جَلْبِ قلائل، أو ما هو أسوأ من هذا، في بلد أرسلتهم فرنسا إليه، مُكَلِّفين برسالة حضارية نبيلة» (239).

لقد كان على الموظفين الفرنسيين في المغرب، بصفة عامة، أن يكونوا، خارج العمل، «قُدُوةً»، وألا يُظْهَرُوا مزاجاً رافضاً. ولأنه نسي هذا، أو شك موريس روبي، وهو محرر شاب بإدارة المالية بالرباط وعضو نشيط في الشبيبات الاشتراكية، أن يُؤدِّي الثمن غالياً. لقد سمح لنفسه، بإحدى صالات السينما (240)، خلال عُرْضٍ للأبناء، أن يُعَبِّرَ بصوت عالٍ عن استهجانهِ أمام استعراض عسكري (241). هذا حدث صغير، لكن تم تضخيمه. وبما أن

236 يتلقى الأمر من كورني دوماوروك في 26 فبراير 1933.

237 SHA MAROC RSD 88 (رفض المخابرة)

238 «سيكون مرحباً جداً أن يتم إرجاع المعنى للأمر، وهو موظف ميتروبوليتاني، كان قد وضع تحت تصرف الحماية، إلى إدارته الأصلية إن السيد ديلما غير مرغوب فيه، ليس فقط في بوليطي، وإنما في عموم المغرب». SHA MAROC RSD 88 (رسالة رقم 149 في 9 مارس 1935). الرغبة التي عبر عنها هذا الموظف السامي ستحقق جريئاً، بعد سنة من ذلك، من طرف المقيم العام بيوتون الذي سيقوم من تلقاء نفسه بنقل ديلما.

239 نفسه.

240 في 14 أبريل 1934.

241 لقد أُوْحِدَ على كونه صاح : «ليسقط الحيش»، بينما قال بأنه صاح : «لتسقط الحرب أ». إن روبي ضابط احتياطي.

رؤساء روبي، المرتاحين لطريقته في العمل، لم يفكروا في اتخاذ عقوبات؛ عمّد دوفيزوا الى إخطار المارشال بيتان نفسه، الذي أمسك القلم لكي يقول للمقيم العام ما يفكر فيه بهذا الصدد : إن حدثاً كهذا «ينم عن عقلية مُزعجة لدى موظف فرنسي في المغرب». يضيف قائلا، يبدو أن لديكم «عددا كبيرا من الموظفين الفاضلين. أية فرصة ممتازة لتخلصوا من شخص غير مرغوب فيه. سيكون هذا الاجراء، فضلاً عن هذا، قوي المفعول بالنسبة للزملاء الذين يمكن أن يستهينهم تقليده» (243). وتطورت حملة في هذا الاتجاه (244). وأخيراً مثل روبي أمام المحكمة العسكرية بالدار البيضاء التي حكمت عليه بالعقوبة القصوى، أي ثلاثة أشهر سجنًا مع وقف التنفيذ (245).

هناك فئة أخرى من الفرنسيين في المغرب وَجَّهَتْ مراقبتها : إنهم الصحفيون. لقد كان بعضهم مكروهين من طرف السلطات. فانتقادهم لعمل الحماية في بعض الظروف أو فقط قريحتهم اللاذعة تنتهي بأن تجعل منهم أشخاصاً غير مرغوب فيهم. وقد كانت إجراءات الطرد تُقرَّر بسرعة. ولا يبدو، أن الإدارة تحت ولاية ليوطي، رأت من الضروري أن تُبَرِّر قراراتها بِنِسْبَتِها الى الآراء «التخريبية» للمعنيين بالأمر. ومع ذلك هناك استثناء، يتمثل في قضية هيدلين. لقد كان شارل هيدلين، الذي قدم الى المغرب منذ 1913، محرراً في جريدة البروغري ماروكان ه، ثم في جريدة لابريس ماروكان ه، حيث لم يكن يتَّهَب من تخدش الإقامة العامة. في 24 نونبر 1919، مُسَّه قرارُ إبعاد من المنطقة الفرنسية للحماية بسبب دَفْع عُمَـال شركة شنيدر الى الاضراب، هذا الاضراب الذي «بدأ» أن هيدلين «حَسَب السلطات، قد حاول إعطاه طابعاً بلشفيًا» (كذا). وبعد التحري، تمّ الاقرار بأن هيدلين لم ينم أبداً لأَي تنظيم من اليسار المتطرف. ومع ذلك، أُكْمِل قرار الإبعاد الذي أُنْجِدَ في حَقِّه بقرار طرد في 20 مارس 1925. فاستقرَّ هيدلين بطنججة، حيث أسَّسَ مجلَّة الحوليات الطنججوية ه. وبعد ذلك بقليل، يكتب ضابط المخابرات الذي نأخُذ عنه هذه التفاسيل، اعتاد على التوجّه

242 يبدو أنه قد عاد الى المغرب، بعد أن أغمي من الأخر، بصفة ملتبس للعديد ديلاوك لافريقيا الشمالية، لوماروك سوميالست، 24 عشت 1935.

243 SAH MAROC RSD 88 (رسالة حطية، لي 13 مايو 1935).

244 منشطة خصرصا من طرف لوجور (ليونيل بيلي) ولايكوار (لكوسطاف هيريس) اللتين كانت تستعد مقالتهما ويعلق عليهما بكلمة من طرف هاري ميتشيل، كاتب افتتاحيات لابريس ماروكان (انظر حصصا 18 و 22 بوير 1935).

245 في 23 يوليوز 1935.

Le Progrès marocain *

La Presse marocaine *

Les Annales tangéroises *

«عَفْوِيَا» إلى الفصلية العامة لفرنسا، «لكي يعبر فيها عن تصرفاته الوفية، ويؤكد تعلقه الشخصي بالمقيم العام، ويطلب إرشادات يتبعها» (246). أما كاريت — بوفي فهو صحفي من طينة أخرى. إن قِصَّةَ علاقاته مع السلطات المدنية والعسكرية للحماية أحدثت هي أيضا ضجة كبيرة. وهي تقدَّم قبل 1930 أحسن مثال على استعمال الأسطورة البلشفية في المغرب.

قضية كاريت — بوفي

في بداية 1926، أُطْلِقَتْ لوكري ماروكان، وهي الأسبوعية الكبيرة لليساار بالدار البيضاء (247)، حَمَلَةً جِدَّ قاسية ضِدَّ الجنرال فرايديبورغ، قائد منطقة مكناس، الذي اتهمته بِتَرْكِ الأهالي يُجْرِدُونَ من أراضيهم لصالح بعض المتاجرين (248). لقد كان مُؤَسَّسُها ومديرها العام كاريت — بوفي عضواً بالفرع الاشتراكي للدار البيضاء. إنه ليس ثورياً. فهو يعتبر الحماية أمراً واقعاً لا يُعاد فيه النظر، ولكنه يؤخِّد الإقامة على كون سياستها مضادة للمجتمع وغير آبهة بما فيه الكفاية بمصالح الجماهير المغربية (249). وفوق ذلك كله، كان يكره العسكريين. لقد اغتبط لتعويض ليوطي بستيك، ولكنه قَلِقَ لاحتفاظ بعض الضباط بالجنرالات، الذين كان يشجب لديهم التهور والاعتباط بوظائفهم (250).

في 26 أبريل، وصل نبأ اعتقال كاريت — بوفي بتهمة مساعدة بعض القَازِين من الجيش. فقد استقبل قِلَقِيَّين قَرْنِيَّين صرَّحَا له بأنَّ لهما آراء شيوعية وأنهما قَرَا، بعد أن

- 246 SHA MAROC RSD 91 (ملكو OLR في 12 يناير 1932).
- 247 لقد أسست في 1923 تحت إشارة «جمهورية حرة، لسان حال التجارة، والزراعة والصناعة». وصارت في 1926 «الجريدة الرسمية للحزب الاشتراكي» وبشكل أسط «الجريدة الاشتراكية في الدار البيضاء» في 1928. وبعد أن كانت نصف أسبوعية من ست صفحات في 1923 صارت أسبوعية في أربع صفحات ابتداء من 1926، ويبدو أن سحبها كان سنة آلاف نسخة في 1926 وسبعة آلاف في 1928 (معلومات مستقاة من الدلائل السنوية للمصالحات) في 1923 إلى 1933، ولا تبدو لوكري ماروكان معروفة لديها إلا بواسطة قصاصات (محتفظ بها في بعض الأرشيفات) أو مقتطفات أعادت نشرها حرالد ميتروبوليتانية أو استعادتها بعض التقارير. وباستثناء عدد واحد موزَّج في 1925، فإن الحوازة الوطنية لا تتوفر، بالفعل، على مجموعة منتظمة لهذه الجريدة إلا ابتداء من شهر يوليو 1933.
- 248 انظر لالالك، عدد 54، 15 مايو 1926، التي أعادت نشر مقال طويل لـ لوكري ماروكان.
- 249 في 1921، أسس في الدار البيضاء أسبوعية باللغة العربية، الأخبار المغربية، يتعاون مع شاب قاسي، بدر الدين بن الفاطمي بن إدريس الدراري. لقد امتدحت هذه الجريدة تفوقات أنصار مصطفى كمال، ولصحت بمس الاصلاحات في الحماية، خاصة في مسألة التعليم الأهل، وقامت سجال مع صحيفة الإقامة العام، السعادة. وقد اختلت بعد بضعة أشهر. الصحافة العربية في 1927، محاصرة لضباط الطور الامتدادي للشؤون الأهلية من طرف العقيد مازكو، مدير السعادة، الدار البيضاء، 1928.
- 250 مناقشات مجلس النواب، الجلسة الثانية لـ 11 يونيو 1926 (استفسار لحري فريطاني)، الجريدة الرسمية، ص ص 2491 وما يليها.

أطلق أحدهما النار على ضابط. وعندئذ أعطاهما مدير لوكري ماروكان المال وَوَجَّهَهُمَا إلى بعض أصدقائه السياسيين، إِمَّا تَهْكِيَهُمَا من العمل أو لتيسير فرارهما. وقد سَلَّمَهُمَا هؤلاء، ضمن هذا الاحتمال، ملابس وجوازات سفر مزورة (251). لقد احتج كاريت — بوفي بقوة : فالعسكريان لم يُقَدِّمَا نفسيهما كقارئين بل كمرُجَّصين لهما «استنفذا ما كان معهما من نقود» ويبحثان عن عَوْنٍ مالي. وقد سَلَّمَهُمَا 50 فرنكاً و10 فرنكات في اليوم التالي «للتخلص منهما». لاشيء عدا ذلك (252). ومع ذلك أودِعَ السُّجْنُ، ومعه، بنفس التهمة، آريغي، رئيس ودادية السُّكَّكِين (253)، وسورين، سكرتير الحزب الاشتراكي ورئيس فدرالية الجمعيات المهنية، وشامبيون، وهو سَكَّكِي ورئيس الودادية العمالية للرباط، وكرينو، رئيس فدرالية البناء وعضو لجنة الاضراب، ودبل أكيل، عضو نفس اللجنة، وإيسكورو، وهو حلاق. وقيل بأنه في فاتح مايو، سيشن التقابيون والاشتراكيون والشيوعيون عملاً ثورياً (254). لقد اعتبرت القضية في أوج حرب الريف، ذات أهمية : ألا يتعلق الأمر بمشروع حقيقي للفرار ؟ ثم ألا يقود «العدد الكبير للفرارات الملاحظة والسهولة التي تمت بها» إلى الاعتقاد بأن انكشاف المتواطئين فيها غداً ممكناً؟ (255). لقد سُجِنَ الموقوفون في السجن المدني للدار البيضاء، في انتظار المثل أمام مجلس الحرب. لقد قام اثنان من الاشتراكيين الشبان، وهما إيف فارغ وأنطونيلي، بإخطار قيادة الحزب، وفي 30 أبريل أبق ليون بلم الى ستيك يقول : «رُفِعَتْ لِي احتجاجات كثيرة تتعلق باعتقال العديد من رفاقنا الاشتراكيين، أرجوكم فحص المسألة بنفسكم» (256). وفي الواقع، استجوبَ المفوضُ المُقرَّر لدى مجلس الحرب المُتهمين في 20 و30 أبريل، ومباشرة بعد ذلك مَتَّعَهُم بالسراح المؤقت باستثناء كاريت — بوفي وإيسكورو. لقد أُطْلِقَ سراح هذين الأخيرين بدورهما في 12 و17 مايو. لكن كان يجب انتظار شهرين آخرين لكي يصدر لصالح جميع المُتهمين قرار عدم المتابعة «بَعْدَ أَنْ لَمْ تسمَحِ التحريات التي تُمَّ القِيَامُ بها بتقديم براهين على الوقائع المنصوص عليها في أمر

- 251 AN مجموعة باللولي، 313 AP 186 (رسالة 19 أبريل 1927 موجهة من طرف وزير الشؤون الخارجية الى عصبة حقوق الانسان).
- 252 نفسه.
- 253 لم يكن بإمكان الشغالين أن يجتمعوا وقتذاك إلا في إطار ظهير 29 مايو 1914 الذي استعاد أحكام القانون الفرنسي لـ 1901 حول الجمعيات.
- 254 رسالة 19 أبريل 1927، المشار إليها سابقاً. استفسار في المجلس لحري فرنطاني مشار إليه سابقاً، انظر أيضا لاني صوبالست، السلسلة الجديدة، عدد 11، 13 مايو 1926.
- 255 رسالة 19 أبريل 1927.
- 256 AN F7 13171 (دعاية شيعية في المغرب).

التحقيق» (257). لهذا لم تنته القضية. ففي أوساط اليسار، جرى الحديث علانية عن دسيسة. وقد تم التشهير بها من طرف المعني بالأمر، في 9 يونيو، في رسالة الى جريدة تونس سوسالست (258) - ومن طرف هنري فوتناني، الذي سأل الحكومة من منصة البرلمان في 11 يونيو «عن الشروط التي باشرت السلطات العسكرية ضمنها في 26 أبريل الماضي بالدار البيضاء اعتقال مناضلين اشتراكيين ونقابيين عديدين» (259) - ومن طرف عصبة حقوق الانسان في 15 يونيو (260) - ومن طرف الماسونيين، في 28 يوليو (261). لقد مارس ضغط على بانلوفي لاجراء تحقيق. وبدا أن وزير الحرية قد أُخْرِجَ كثيراً. فمنذ 14 مايو، كان قد كتب للجنرال القائد الأعلى لقوات المغرب بأنه بالرغم من إطلاق سراح كاريت - بوفي فإن التفاصيل المنشورة من طرف بعض الجرائد تترك انطباعاً مقلقاً وينبغي توضيحها (...). إن أصل القضية، تابع قائلاً، يكمن في الأحاديث التي صدرت عن قناص من فيالق إفريقيا، ما إسم هذا القناص وما سيرته؟» (262).

تدريجياً أخذت الحقيقة أو على أية حال جزء كبير من الحقيقة يظهر: فريس منطقة مكناس، الجنرال فرايد نبرغ، هذا الشخص نفسه الذي ألهم من طرف جريدة لوكري ماروكان بتشجيع المضاربة العقارية على حساب الأهالي، هو الذي كان من وراء القضية. لقد قسّر الأمر في رسالة الى الجنرال بواشو، قائد قوات المغرب. لقد كان القناص يُدعى دورفو؛ ويبدو أنه كان عضواً في الخلية الشيوعية لفانسين (263)، وعحبوساً من طرف مجلس الحرب بمكناس بسبب فراره الى الخارج. وفي 20 أبريل 1926، طلب رؤية الجنرال الذي جعل رئيس الأركان العامة يستقبله. لقد تحدث الى هذا الأخير عن تنظيم وكالة للفرار بالدار البيضاء، يقودها كاريت بوفي، تقوم أيضا بتهريب الأسلحة لصالح عبد الكريم. وزعم بأنه تلقى هذه المعلومات من إثنين من الألمان التقى بهما في مكناس. وقد أرسل رئيس المنطقة، بعد أن تم إخطاره دورفو مصحوباً بمفتش أمن الى الرباط حيث استقبل في اليوم التالي من طرف مدير الأمن العام. وقد أمرهما هذا الأخير بأن يضعا نفسيهما زهن إشارة مفوض شرطة الدار البيضاء فوراً. إن السلطات الأمنية هي التي قررت حينئذ، حسب فرايد نبرغ، أن يذهب

257 رسالة 19 أبريل 1927. إن القرار بعدم وجود وجه لاقامة الدعوى كان في 17 يوليو 1926.

258 SHA MAROC CSTM 22002 (رقابة عسكرية، ١٥ محتلفات).

259 لقد نشر فوتناني قبل ذلك مقالا مهما في لوبيلو («مؤامرة بولسية في الدار البيضاء»)، 14 مايو 1926.

260 رسالة اللجنة المركزية للعصبة الى وزارة الشؤون الخارجية. دفاتر حقوق الانسان، 10 يوليو 1926، ص. 331.

261 رسالة الى بانلوفي. AN 313 AP 186.

262 AN 313 AP 206

263 لا توجد هذه الاشارة في أية وثيقة أخرى من الأرشيفات التي استعثرناها.

كُلٌّ من دورفو والمفتش في نفس اليوم الى كاريت — بوفي، مُتَبَكِّرِينَ كَفِيلَاتِيْن، لكي يلعبا أمامه دور شيوعيين فآرين ويجعلا مدير لوكري ماروكان يكشف عن مشروعه (264). وقد أظهرت التقارير العسكرية التي تتوفّر عليها ضيقاً واضحاً، ليس فحسب أمام الأسلوب المُستعمل، ولكن أيضاً حول القضية برمتها (265)، ولم يعد لدى بانلوفي سوى انشغال واحد : تبرئة الجيش من المسؤولية (266).

في الواقع، كيف لا يمكن التفكير في أنّ العملية بأكملها كانت من مكر فرايد نيرغ ؟ من المُحتمل أن هذا الأخير لم يكن يطبق مدير لوكري ماروكان، هذا أقل ما يمكن أن يقال. هل حاول القيام بِمَسْعَى لديه ؟ (267). على كل حال، كان من مصلحته توريط كاريت — بوفي، لا سيما وأنّ هذا الأخير يعتقد أنه يُدَقِّم ستيك في العمق ويؤكد عن طيب خاطر بأن عمل المقمّ العام الجديد تعوقه زُمرة يقودها رئيس منطقة مكناش وبعض المُوظَّفين المدنيين السّامين من الدّين لديهم حنين لـ «النّظام السابق» — نظام ليوطي الذي يتمّ معارضته بـ «الجمهوري» ستيك (268). لقد كان أوربان بلان، الوزير المنتدب لدى الإقامة، من المتعاطفين مع هذه المجموعة، وقد تعرّض لانتقادات حادة من طرف لوكري ماروكان (269).

264 AN 313 AP 206. رسالة بتاريخ 19 مايو 1926 من الجنرال فرايد نيرغ الى الجنرال بواشو الذي وجه نسخة منها الى وزير الحربية. انظر أيضاً رسالة 19 أبريل 1927 المشار إليها.

265 أنظر بالخصوص رسالة 18 مايو 1926، الموجة من طرف الجنرال برتراند، القائد الأعلى لقوات الساحل الى الجنرال بواشو. نفسه. 313 AP 186.

266 إن المشروع الأولي للرد على عصبة حقوق الانسان الموجه من طرف وزير الحربية الى الشؤون الخارجية والمعد من قبل مدير العدل العسكري قد أُرْجِع الى كاتيه من طرف مدير الديوان المدني لبانلوفي مرفقاً بالاشارة التالية : «إن الوزير يود أن توضح في هذه الرسالة، التي يصادق على مجموعها، المادرات المتحلة من طرف مصالح الأمن التابعة للمقيم العام، خاصة تلك المتعلقة باعتقال النّقابيين، حتى يتم الاظهار جيداً بأن السلطات العسكرية ليس لها دخل في هذه الاعتقالات» لنفسه. (ملكرة مصلحة في 23 نونبر 1926).

267 إن لوكري ماروكان تؤكد هذا، أنظر المقال المعاد نشو من طرف لافالك، 15 مايو 1926.

268 إنها الأطروحة الاشتراكية التي دافع عنها هنري فونطاني. أمام مجلس النواب وضمن ملتقى نقوش في 7 مايو 1926، احتج فرع الدار البيضاء لمعصية حقوق الانسان على «الاعتقالات التعسفية» التي قامت بها السلطات، مع تمهيد في نفس الوقت من تعاطفه مع ستيك. دلائل حقوق الانسان، 25 يونيو 1926، ص. 310. تحدثت لاتييهين ماروكان التي حاولت أن تمدي نوعاً من الموضوعية في وقت بلغت حرب الريف دروبها (أنظر أدناه)، الفصل السادس من «استفزاز سافل» عن «مؤامرة بوليسية»، وأكدت أن «قضية كاريت — بوفي وشركاه» تنفع «أولئك الذين يظنون بدو عزم لاستئناف الأساليب القديمة للحكومة (...)» (و أولئك الذين كان من مصلحتهم أن يستنفروا ليس فقط العناصر الجمهورية للمغرب، وإنما أيضاً وبخصوصاً العناصر الجمهورية لفرنسا الأكثر قلقاً والأكثر استسلاماً للاندحار) ضد لورييه وليكان التي توجد مصائر هذه البلاد حالياً في عهدها. رقم 35، 2 مايو 1926 في SHA MAROC AI FFS 530 2431

269 «كنت أواصل في لوكري ماروكان ضد السيد أوربان بلان، لأنه ثبت طبعياً أن هذا الشخص سرق الدولة وشطبها». رسالة من كاريت — بوفي الى لويس موسيانست 9 يونيو 1926، في SHA MAROC CSTM 22002. إن

ومن جهة أخرى، كَانَ بعض المدنيين والعسكريين مُتَّفِقِينَ على نَسَبِ جانب كبير من الصَّعوباتِ المُعْتَرِضةِ في الرِّيفِ إلى الدُّعْمِ الذي يَتَلَقَّاهُ عبد الكريم من الشُّيُوعِيِّينَ (270). لقد شكَّلَ استعمالُ القَنَاصِ دورفو منذ ذلك الوقتَ فرضيةً معقولةً؛ فَتَحَقِّقُ ذلكَ لم يكن على كُلِّ حالٍ لِيَسْتَعْصِي كثيرًا، خاصَّةً بالنسبة لرؤسائه في الرِّيفِ.

لذا، فَإِنَّ نقابة الصحفيين تَوَجَّهَتْ بِمُنْتَهَى القُوَّةِ في 18 غشت 1926، عَبرَ قَلَمِ جورج بُورْدُون، إلى بانلوفي: «لا يتعلق الأمر، في الحالةِ الرَّاهنة، بمعرفة ما إذا كانت محاولة تشويه سمعة كاريت — بوفي وَتَسْلِيهِ حُرِيَّتِهِ قد تَمَّتْ حَسَبَ الأَصُولِ، ولكن في آيَّةِ ظروف، وبأيَّةِ وسائلٍ مُشْبِهَةٍ، وبأيِّ إِرْشَادٍ تُفْعَلُ؟» (271)، وَبَعْدَ أسبوعَيْنِ من ذلكَ، أعاد الكَرَّةَ، غير مُتَرَدِّدٍ في إثارة قضية دريفوس: «هناك في هذه القضية تجاوزات كثيرة للسلطة، ومخالفات مَذْمُومَةٌ، واستخفاف بالعدل، وأخيرًا عادات مماثلة تمامًا لتلك التي دفعْتُ من قبل عددًا منّا، كما نعرفون، إلى رَهْنِ حُرِيَّاتِهِمْ إن لم تكن أَعْمَارُهُمْ...» (272). وفي 9 فبراير 1927، كتبت عصبة حقوق الإنسان بدورها: «لقد تَبَيَّنَ إِذْنٌ من خلال وثيقة قضائية أنه تَمَّ استعمالُ أعوان مُخَرَّضِينَ لتوريط مواطنين فرنسيين. لن نؤكد على مافي أسلوب كهذا من شناعة»، وطلب مَكْتُبُهَا من الوزير اتِّخَاذَ عقوباتٍ في حق المسؤولين (273). لكن بانوفي امتنع عن ذلكَ، متعلِّلًا بالتنباس القضية (274)، فلم تعد العصبة للالحاح. ربما كانت قد اطمأنت قبل ذلكَ بزيارة ستيلك، الذي أقرَّ لِيُوضَّحَ بأنَّ كاريت — بوفي وأصدقائه الثَّقَائِبِينَ اعْتُقِلُوا في غيابه، وأنَّه بِمَجْرَدِ عودته طلب توضيحاتٍ، وعَجَّلَ بالتحقيق وحصل على إطلاق سراح المعنيتين؛ وعلى الخصوص، أكَّدَ المُقِيمَ لِلْمُصْبِيِّينَ رَسميًا بأنَّ حوادثَ من هذا القبيل لن تقع مستقبلًا (275).

لقد انتهت الحلقة الأولى من قضية كاريت — بوفي. وهي تظهر كيف تَمَّ استعمالُ أسنطورة التَّدخُّلِ الشُّيُوعِيِّ في الرِّيفِ لمحاولة إسكات أحد الصحفيين (276). لكن الأسطورة

270 = أوريان دلائل هو الذي ناب عن المقيم العام ستيلك، الذي كان غائبًا، عند اعتقال كاريت — بوفي وأصدقائه.

270 أنظر أدناه، الفصل السادس.

271 AN 313 AP 186

272 نفسه. (رسالة فاتح شنتير 1926).

273 نفسه. 313 AP 190.

274 نفسه. (رسالة 20 فبراير 1927).

275 دلائل حقوق الإنسان، 10 مارس 1927، ص 107 — 109. إن استقبال ستيلك كان في 17 يناير.

276 تقودنا ضرورات التحليل إلى أن نرجح مقارنة مسألة «التدخل الشيوعي» في الريف إلى الفصول اللاحقة. ويمكن تفسير «الدميسة» ضد كاريت — بوفي بشكل مستقل عن الاستنتاجات التي سيم إيرادها حول هذه النقطة. فبالفعل إن المعنى بالأمر ليس شيوعيًا، فهو ينتمي للحزب الاشتراكي ولم يجر موقفه إبان حرب الريف أبدًا انتباه السلطات. من جهة أخرى، لم يسمح التحقيق القضائي (المردوج بشكل مولاي). كما رأينا بتجريحي حقيقي قامت به وزارة الحرية بإثبات

البلشفية لم تقتصر، كما نعرف، على زمن الحرب وحده. إن الحلقة الثانية من قضية كاريت — بولي ستسمح لنا بإضاءة وظيقتها في زمن السلم.

في السنوات التي تلت حرب الزيف، واطلب كاريت — بولي على الخط الذي عيّنه لنفسه : فكان يدعو المغاربة والفرنسيين الى العيش في وفاق (277)؛ ويعمل بما ينصح به، إذ كان عدّد من المغاربة من بين أصدقائه ومعارفه (278)؛ بل يبدو حتى أنه رُحِبَ عن طيب خاطر بكتابات البعض منهم في جريدته (279). وظلّ يُشهرُّ بالفضائح والممارسات التي يعاني منها الفلاحون. وينتدب ببعض الأساليب العسكرية. وأخيراً، كان يهتَزُّ من الدُخْر المُعادي للشيوعية الذي كان لدى السُلطات الأثيمية (280).

في نظر الشرطة والمصالح المُختصّة، أخذَ كاريت — بولي، وهو الاشتراكي المعجوز وصديق آل لونكي، يُعتَبَرُ تدريجياً بمثابة شيوعي (281)، وأنه يسعى لجمع الأموال الضرورية لإرسال مُمثِّل للمغرب في مؤتمر الأثيمية الثالثة بموسكو (282). ولا داعي حتى الى اعتباره «غوّاصاً» يُخفي آراءه. كتب يقول رئيس الأمن الاقليمي بفاس : فـ «الصحيفة الرئيسية الناطقة بلسان الدعاية البلشفية في العالم الاسلامي هي لوكري ماروكان». ويسمح لنا هذا الموظف الذي عاش وسط السكان المغاربة لسنوات عديدة، بتوضيحه لاهتماماته، بفهم أفضل

وجود أية «وكالة للفرار» أو منظمة لتهرب الأسلحة لقائدة عبد الكريم في الدار البيضاء أو أية مدينة أخرى في المنطقة الفرنسية للحماية.

277 أنظر لوكري ماروكان، 22 شتنر 1928 (في SHA MAROC CSTM 22001 حواريات الملف مع روبر — جان لوكي).

278 لقد تم تقديم هذا التوضيح من طرف رئيس الأمن الجهوي لفاس (44, 79 IIB, SHA MAROC RSD، تقرير 29 يوليو 1927 عن «الحركة الشفوية والدعاية الانجليزوية في افريقيا الشمالية»). ولأسباب المذكورة أعلاه، لا يمكننا التحقق من صحته، إلا أنها تبدو لنا محسنة جداً.

280 أنظر لوكري ماروكان، 25 غشت، 8 و 22 شتنر 1928 (في SHA MAROC CSTM 22001).

281 لقد تم تقييده في باديء الأمر كمتعامل لاخير يشارك في اجتماعات تضم «أفراداً يشار إليهم باعتبارهم شيوعين» : أنطونيل، توليس، بوران، كولان، صال، كونفران، يهوز، كلاليل وديني. SHA MAROC RSD 79 (II C) مكتورة 22 يناير 1927. لتسجيل بأن الاثنين الأليديم، انطونيل وتوليس، كانا معروفين كاشتراكيين في تلك الفترة؛ وليست لدينا أية إشارة حول الانتهاء السياسي للاخريين. بعد خمسة أشهر على ذلك، كتب المفوض عميد أمن الدار البيضاء يقول : إن كاريت — بولي «قد يكون مملاً هنا للحزب الشيوعي»، نفسه. (72, II b).

282 «من الممكن وحتى من المحتمل أنه يتلقى المال من باريس، لأن طريقة عيشه لا تتلائم مع موارده العادية. فقد سافر مؤخرًا الى الجزائر وإلى باريس. واشترى قبل وقت قليل دراجة نارية وهو يتعلم حالياً سيطرة» (كلدا). رسالة 27 يونيو 1927، المشار اليه أعلاه. إن اخبر جان روتو يتحدث عن أموال تلقاها كاريت — بولي «لتصريفها» حتى يتضح المكس. مرسلة من طرف محلية من أصل روسي» (مشدد عليه في النص). SHA MAROC RSD 79 (11, 11 b)، معلومات جان روتو، رسالة 20 يونيو 1927.

283 نفسه، RSD 82 (نشرة أخبار رقم 14 في 9 أبريل 1929). لتذكر بأن المؤتمر السادس للأثيمية الشيوعية تم في 1928 وأن السامع لن يتم إلا في... 1935.

للوظيفة الأساسية للأسطورة البلشفية : «إن هذه الجريدة ترضي التطلعات العميقة والأفكار الخلفية لمشايحي النزعة البلشفية في المغرب، أي نفى السلطة الفرنسية، والنزوع في الاستنزاء من كل ماهو فرنسي واعتباره فاسداً، وأخيراً تأويل التدابير والإصلاحات الفرنسية بمنتهى الاجحاف، حتى عندما تكون ذات نفع بديهي للمجتمع المسلم. كل هذه الأفكار تتسرب الى النخبة المثقفة بواسطة شبان متخرجين من المدارس الفرنسية أو من المدارس العصرية (...) فهؤلاء هم الذين يتوصلون بـ لوكري ماروكان ويترجمونها للبورجوازيين والعلماء، بل هم الذين يكتبون هذه المقالات التي تنشر في الجريدة» (284).

هكذا كان انتقاد لسلطات الحماية يعتبر «شيوعياً» بل «بلشفياً»، مثلما كانت تعتبر كذلك كل محاولة للاتصال أو للتقارب بين أوربيين ومغاربة (وخاصة الشبان) تم خارج القنوات الرسمية. إن ما لم يكن ممكناً احتمالاً بوجه خاص هو أن كاريث - بوفي كان يدعي الانتساب الى المقيم العام الجديد ويحتكم إليه لاصلاح قرارات رؤوسه. هكذا دعا المغاربة الى إخطاره بـ «كل أخطاء السلطات المحلية للمراقبة وكذا بالتجاوزات المحتملة للرؤساء الأهالي» (285). وقد بدأت هذه المآخذ الأخيرة ترهص بموضوع سيصير مشتركا لدى اليسار الاشتراكي (وعما قريب الشيوعي) ولدى الوطنيين المغاربة الشبان في الثلاثينات وهو موضوع فرنسا المزدوجة، فرنسا التي تكشف عنها الممارسات التمييزية التعسفية للإدارة المحلية، وفرنسا الليبرالية والتقدمية التي كان من المأمول دائماً أن تتجسد في المقيم اللاحق. لكن كاريث - بوفي لن يشارك في هذه المعركة. لقد مات قبل الأوان في 3 مايو 1933. ومنذ ذلك الوقت، ستغير لوكري ماروكان من توجهها. ستبدي تدريجياً من التفهم لسياسة الحماية بقدر ما ستبديه من الصرامة تجاه المناصرين الفرنسيين والمغاربة للإصلاحات والتغيير.

نحو قانون للاستثناء

لقطع الطريق على «التحريض المُعَادِي لفرنسا»، استعملت السلطات كل الوسائل التي يمنحها تشريع الحماية، سواء تعلق الأمر بترتيباتها العامة أو بالقرارات الخاصة التي تسمح بها. ومع ذلك، أظهرت قضية كاريث - بوفي حدود العمل الإداري : فلا «دسيسة» 1926، ولا مضاعفة التقارير التي تتهمه بالدفاع المأجور عن البلشفيين في السنوات اللاحقة

284 تقرير رئيس الأمن الجهوي لفاس في 29 يوليوز 1927، المشار اليه آنفا.

285 نفسه.

تمكّنت من إسكات مدير لوكري ماروكان. وحسب قادة الحماية، ضاعف تقدّم حركات اليسار خلال الثلاثينات بفرنسا وصعود الجبهة الشعبية إلى الحكم من الخطر. هذا ما فسّره بينازي، مدير الشؤون الأهلية، للسكتير العام للحماية. بينازي هو الوحيد ضمن الموظفين السّامين الذين استفسرهم المقيم العام حول النشاط الشيوعي في الحماية الذي أعطى لهذا النشاط أهمية مبالغاً فيها. فقد كتب يقول : «إنه يستأثر جدّياً باهتمامي، (...) لقد اكتسبت الحركة الشيوعية تعاطفات لأمراء فيها في الأوساط الوطنية المغربية التي تستفيد بشكّ واسع من دعمها في متابعة مطالبها» ودون أن يُدعّم تأكيداً بأي فعل، تابع في الحال : «إنّه لفي حكم الواقع أن دسائس الجبهة الموحدة (286)، رغم المراقبة اليقظة التي يخضع لها مناضلوها، غالباً ما تفلت من كل عقاب، فيتمّ الاكتفاء بملاحظة نتائج هذا النشاط المؤذي، دون أن تثبت وقائع الدعاية وتوصف بما يكفي للسّماح بعمل قضائي أو بتدخل قوّي ومُعزّل للسلطة. لا يمكن أن تستمر هذه الوضعية التي يستغلها العملاء الخارجيون بتمكّنهم من الدّخول بسهولة إلى المغرب وبالإقامة فيه والعملاء الدّاخلون الذين لهم من الرّفاهة النسبية، خاصّة إذا كانوا مُوظّفين، ما يجعلهم يقومون بدعاية مزعجة لسمعتنا وسلطاننا في هذه البلاد» (287).

إنّ ما كان يشغل، بالتالي، بال هذا الموظّف السّامي هو أن التصوّر الموجودة — ولو أنّها تختمل التّأويل الواسع — لا تعطي للسلطة وسائل قنّج كافية. لذلك، أخذ على عاتقه بادرة اقتراح بأن يوافق المقيم العام، على «ظهير (288)، يتضمّن عقوبات ضدّ المخلّين بالنّظام في المغرب أيّاً كانوا ومهما كانت الوسائل التي يستعملون»، وذلك قبل أن يعهد به إلى توقيع السلطان (289). وسيوقع النصّ المقترح في 29 يونيو 1935 بعد شهر من ذلك، وسيكون موضوعه «قمع المظاهرات المُناوئة للنّظام وأشكال المُساس بالاحترام المفروض للسلطة» (290). لقد وضّحت مذكرة التّأويل نوايا الإدارة. ففرض الظّهير الجديد هو «أن يطلّ وسيلتين للدّعاية لم تكونا واقعتين تحت التّشريع الحالي، (أ) هما : إدخال وحيازة وترويج كتابات تحريضية، والقملّ الكلامي السّاعي إلى أن يخلق، عبر العدوى الدّهنية، عقلية مخالفة للنّظام، للهدوء أو للأمن» (291). إن عبارات الفقرة الأخيرة من الفصل الأوّل،

286 اشتراكي شيوعي.

287 SHA MAROC RSD 88 (رسالة رقم 051 DAI C/3 في 20 مايو 1935).

288 ها : قانون، في بعض الحالات، مرسوم.

289 نفسه. مشدد عليه في النص.

290 نشرة رسمية لـ 5 يوليو 1935. في الواقع، كان الظّهير المغربي يستلهم المراسم النّسبة قبل ذلك بضعة أسابيع والتي

كانت تهم المستعمرات الفرنسية

291 التشديد منا.

المفرقة في العمومية عن قصد، والتي تُصنّف على أنّ «أيّ شخص يكون قد مَسَّ بالاحترام الواجب للسلطة الفرنسية أو الشرفية سيكون مُستجِحا لنفس العقوبات» (السجن : من ثلاثة أشهر الى سنتين، الغرامة : من 500 الى 2000 فرنكا) «تسعى لأن تُطال جميع المناورات ضدّ هذه السلطة والتي لا ينطبق عليها أيّ نعتٍ دقيقٍ منصوص عليه من طرف التشريع الجاري به العمل» (292).

هل صارت الحماية منذ ذلك الوقت فصاعداً في مأمن من العدوى البلشفية وبصفة عامة من التحريض المُطوّر من طرف أحزاب اليسار ؟ إنّ بيناوي لا يعتقد هذا. فبعد بضعة أيام من نشر هذه المذكرة، أبلغ الديوان العسكري للمقيم بانسغالاته : «إنّ الدعاية المعادية لفرنسا ستكون، فعلاً، خطيئة وصعبة المكافحة طالما أنّ التنظيمات الوطنية تحظى بدعم الأحزاب الفرنسية المُتطرفة التي تصدر جرائد في إفريقيا الشمالية وترسل الدعاة إليها.» (293). وهو يرى، مثله في ذلك مثل بيروتون، المقيم العام لتونس، والذي سيعين عما قريب في الرباط، بأنّ «مَكْمَنُ الداء في فرنسا» (294). فـ «المعارضة الوطنية والمُعادية لفرنسا» تجد دُعماً داخل أحزاب اليسار التي تسعى الى تنظيم «العمال المغاربة العاملين بفرنسا» و«المثقفين الشبان» (295). إننا في عشية الجبهة الشعبية.

خاتمة

نعتقد أننا أثبتنا أنّ النشاط الشيوعي في المغرب سمح بإعداد أسطورة حقيقية. وإنّه لَوَاقِعٌ بأنّ لاسبيل الى المقارنة بين واقع الشيوعية في المغرب والصورة التي تمّ السَّعيّ لاعطائها عنه أي صورة مشروع مُوجّه من طرف الأهمية الثالثة، ومُخصّص له بإرسال «عمالها»، والتغلغل في الجيش، ويستهدف إثارة انتفاضة وطنية وثورية. لقد كانت كلّ عناصر الأخبار والتعليقات التي أسهمت في إعداد هذه الأسطورة موضوع اتصالات متواترة على نحو كبير من طرف المصالح المُختصّة. وساهمت هذه الوضعية، على مستوى موظفي السلطة، في تحليق جوٍّ من القلق والتوتر يعطي مصداقية لما

292 مذكرة 13 يوليوز 1935، رقم 418 DAI C/3، موقعة من طرف الوزير المنتدب لدى الإقامة العامة (إن مرّح

المذكرة يسمح بفهم أيتها أعدت من طرف نازي). FES 520 291. SHA MAROC AI.

293 نفسه. RSD 88 (رسالة رقم 1506 DAI/C/3 في 25 يوليوز 1925)

294 نفسه. (رسالة B/4777 التي وجهت نسخة منها من طرف الكي دورساي الى الرباط).

295 رسالة 25 يوليوز، المشار إليها آنفاً.

و لنا، عن مسافة، مُجرد مبالغة، وهو بالتالي جدير بالاعغال (296). لذا يكون من العَبَث، حُذْ سواء، إنكار هذه الأسطورة أو المُبالغة في أهميتها. فلا تاريخ اليسار الفرنسي في رب، ولا تاريخ الوطنيين يرتدان إليها، ولكنها تنير تصرف السلطات المحلية تجاههم، سمح، ربّما، بفهم أفضل لردود فعل الطبقة السياسية — ومن ضمنها قادة اليسار — أمام دات المغرب.

للأسطورة البلشفية، بالفعل، وقبل كل شيء، وظيفة تفسيرية. ففي نظام مُراقب على و شديد كنظام الحماية، الذي تزعم السلطة الادارية فيه بأنها تتدخل على جميع مستويات باة السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، من المُغري كسبُ الصعوبات المُعترضة، للخارج. رد فعل طبيعي في وسط استعماري، وصادر عن رفض مزدوج : رفض الاقرار بأخطائه ضنه لأن يرى في مغاربة عنيدون ومُعترضين شيئا آخر سوى أدوات مُحرّك من الخارج. قوت الحرب العالمية الأولى، التي فاجأت فرنسا في منتصف غزوها للمغرب، هذا الموقف. نساتس الانجليزية والاسبانية والألمانية التي كانت الدبلوماسية ثم القوات الفرنسية تُعزّو إليها ماعب توغلها لم يتم نسيانها. وقد أٌخيت الثورة البلشفية، التي لم تُخفِ عداها للعالم شمالي وللإمبريالية الاستعمارية، مخاوف كانت قد هدأت بالكاد. فتم التأكيد على الخطر ي يهدد الحضور الفرنسي في إفريقيا الشمالية وبالأخص في المغرب، بالتواطؤ الذي تم نعي لاكتشافه بين موسكو وبرلين والدول العربية. لقد اعتُبر العُدوان الخارجي خفيفا، لا ما وأه يتوفر، بفضل إيديولوجية تحريرية، على متواطئين داخل المغرب نفسه. هكذا اعتُبر لك الذي ينتقدون مؤسسات أو سياسة الحماية مُساعدين عن وعي أو بلا وعي خارج : إنهم «فرنسا المُضادة». على أية حال، من الأفضل مُماثلتهم ب «الشيوخين»، أن النزعة الأممية هؤلاء تسمح بربطهم بموسكو. وقد كانت أوساط التعليم وبعض صحفيين مخطّ انتباه خاص. كذلك، فإن كل حركة رأي في وسط مُستلم كانت تُعزى، التحليل الأخير لتوجهات الكومنترن، سواء تجلّت هذه الأخيرة عبر قنواتها الخاصة أو نسّت دروب الاصلاحية الاسلامية. لكن خيذين من هذا : إنها نفس المُحاجة التي طُبّق ليس فقط من طرف قسّم، من رجال اليسار واليسار المتطرف، بل من طرف أغلبيتهم ساحقة، في إطار سياسي مختلف، عندما ستنسب المظاهرات الوطنية لعمَل الفاشية الدولية.

عندما أكدت مصالغ الاستخبارات أن عرضا إيطاليا غربا يوجد بطبعة ومُعرف باسم تسالينو وعندما رتب الديوان العسكري للمقيم العام الأورالي التي تتعلق بالعمل الاساس فيليب تشكيا في ملف معبود «Tcheka» يمكن القول أن الأمر يتعلق هنا بدلائل صغيرة لماخ يبدو لنا صانعو، دون رب، هم أول ضحاياها.

هكذا استُعمِلَت أسطورة العلوان البلشفي ليس فحسب ضد الشيوعيين، الذين كان عددهم في المغرب وقتذاك قليلا جدا، ولكن، كما أظهرت ذلك التهجيمات على كاريات - بوفي أو فارغ، ضد اليسار بأكمله. فلم يكن الأمر يتعلق بمنع تحريض فحسب، ولكن بمنع كل إمكانية لمعارضة السلطة. من هنا كان تقييد الحريات العمومية والخاصة : حريات الدخول إلى الحماية، والتنقل فيها، والحديث فيها أمام العموم، والكتابة أو الاجتماع فيها، هو الوظيفة الثانية للأسطورة الشيوعية في المغرب. هل ينبغي التمييز إذن بين أولئك الذين كانوا يستعملون الأسطورة لغايات شخصية وأولئك الذين كانت بالنسبة إليهم وسيلة للحكم ؟ فحينما أثَّمت الجنرال فرايدنبرغ، كاريات - بوفي بقيادة مشروع شيوعي لفرار الجنود، وحينما أكدت بعض السلطات أن مدير لوكري ماروكان هو عميل لموسكو، بدا جيدا أن الأمر يتعلق بإبعاد خصم مُزعج وإيقاف حملات تضع موظفين سامين موضع الاتهام. وعندما ضُحِّم مدير الشؤون الأهلية جميع علامات التحريض مهما تكن صغيرة، واقتراح بالاستناد على ذلك قانونا للاستثناء انتهى إلى الحصول عليه، قام بذلك لأنه اعتبر أن الثَّغْد الحُرُّ يُشكِّل عايلا لتفكك النظام الاستعماري. فمصالح المجموعات ذات الامتياز تتوقف دون ريب على الحفاظ على هذا النظام، ولكن أيضا الفكرة التي يمكن أن تكون لدى البعض عن قوة وعظمة فرنسا. لكن في نظر أولئك الذين يعتبرون أن الحرية غير قابلة للقسمة، يمكن لهذه الاعتبارات حَوْل تراتبية اللواحق أن تُبْلَو باعثة على السخرية.

هل ينبغي المضي بعيدا ونسب وظائف غريبة على الحماية للعلوان البلشفي في المغرب ؟ إننا نلجأ لآخرين العناية بتحديد الأسباب العامة التي تفسر كَوْن الأسطورة تجلَّت بحدة أكبر في 1927 و 1935. فالسياسة الداخلية الفرنسية من جهة، والسياسات الدولية من جهة أخرى، ليسا غريبين دون ريب عن هذا الأمر. لِنَكْتِفِ بملاحظتين اثنتين. الأولى تتعلق بسياسة القمع المُمارَسَة وقتذاك في فرنسا ضد الحزب الشيوعي الفرنسي. لقد سعى وزير العدل بارتو، ووزيرا الداخلية، سارو في 1927 - 1928، وطاردو في 1928 - 1929، لِدَعْم طلب رفع الحصانة البرلمانية عن النواب الرئيسيين للحزب، وترويج فكرة «مؤامرة شيوعية»، ألَّه بُرَج وقتذاك في الأوساط الحاكمة أن يتم التمكن من اتهام الشيوعيين بدسائس تخريبية في المغرب للتمكن بشكل أفضل من تبيير المُتَابَعَات التي تُشَنُّ في فرنسا ضد حزبهم ؟

تتعلق ملاحظتنا الثانية بتطور العلاقات بين الدول الغربية الكبرى والاتحاد السوفياتي : لقد كانت وقتذاك خاضعة لضغوط قَوِيَّة : «من المستحيل تماما ضمان السَّلم في القارتين الآسيوية والأفريقية، كتب المكتب الاستعماري الدولي للاهاي، طالما أن هناك سلطة بلشفية

تُحكَم في موسكو. ولا يحتاج الاستنتاج إلى توضيح» (كذا) (1971). وفي انتظار قلب السوفييات، فإن أقل ما يمكن عمله، كما اعتبرت ذلك بعض الأوساط، هو قطع العلاقات الدبلوماسية معهم. لقد استُجِلتْ أسطورة العدوان البلشفي في المغرب من طرف جريدة لومانان خصيصاً لهذه الغاية، فقد نشرت هذه الصحيفة الكبيرة قسماً من «ملف مالكا»، وهو القسم المتعلق بالتحضير لاتفاضة القبائل الزينية (1928). لكن بعد أن عجزت الجريدة أمام ردود فعل سفارة الاتحاد السوفياتي، عن توضيح اتهاماتها، حوكت، بعد بضعة أيام حملتها : لقد صارت تطالب بذهاب راكوفسكي، سفير السوفييات في فرنسا، الآثم ليس باشتراكه في مؤامرة ضدّ حماية المغرب، ولكن بكونه وَضَعَ توقيعه على بيان أممي (1991). وسيفادر راكوفسكي باريس في الأخير في 16 أكتوبر 1927. لقد لعب «مالكا المزور» دوره في إخضاع الرأي العام الفرنسي (1991).

- 297 AN SOM SLOT FOM III 142 (تقرير حول التحضير من طرف الحكومة السوفياتية لقرارات امصمالية، 1930، ص. 90).
- 298 لومانان، 19 و 20 غشت 1927.
- 299 لومانان، 10 و 11 شتنم 1927.
- 300 إن فحص اليومية السنوية قد يقدم لنا إشارة إضافية.
- 19 و 20 غشت 1927 : نشر وثائق مكتب مالكا. 3 شتنم 1927 : بداية الحملة ضد راكوفسكي.
- خلال ذلك، في 23 غشت، كان قد تم إعداد ساكو والفانزي، وهو إعداد سفته بقلته، كما نعرف، مظاهرات احتجاجية عديدة في العالم هل يعني أن دعى، منذ ذلك الوقت، في نشر «مالكا المزور» ليس فقط إسهام في تهيئة الرأي لقطع العلاقات الدبلوماسية مع روسيا السوفياتية بل أيضاً مآورة أمام الاضطرابات التي خلقتها قضية ساكو والفانزي والتي لومت لومانان، الصمت حولها ؟

الفصل الخامس

اليسار الفرنسي وحرب الرّيف : اليسار أمام عبد الكريم

في الأيام الأخيرة من يوليو 1921 سرى نبأ الاختفاء، في شمال المغرب، لجيش من أربعة وعشرين ألف رجل (1)، مزوّد بمدافع سريعة وبكُلّ المُعدّات الحربية التي ابتكرها العلم الأوروبي، تحت ضربات جَبَلِيّين، يقودهم واحد منهم يُدعى عبد الكريم، سبق أن شوهد وهو يلعب الدومينو، كما وضحت ذلك جريدة لافريك فرانسيز «، على مواثد مقاهي مليلية (2). ومع ذلك، لم تنشر الصحف الفرنسية هذا الخبر تحت عناوين كبيرة : ذلك أن الجيش اسباني، وقد اصطحب الاندهاش لدى المعلقين بارتياح مقنع، أو لَمْ يفضّل الاسبان في إدارة المنطقة المعهود بها الى حمايتهم ؟! (3) أو لَمْ يكونوا في منتهى الشّطط عند استقبالهم، خلال الحرب، لأغوانِ ألمان، غاضّين الطرف عن تهريب الأسلحة المُوجّهة للمغاربة (4) ؟ إن اليسار الفرنسي لم يُولِ كبيرَ اهتمام للحدث. فقد خرج وإبناً من الحرب، لقد كانت الكتلة الوطنية في السلطة؛ والرّاديكاليون يستعدّون للانتقال الى المُعارضة، وكان الحزب الشيوعي قد نشأ منذ بضعة أشهر من انشقاق الحزب الاشتراكية. فلم يول هؤلاء وأولئك الذين كانوا مُجاهدين بالصعوبات الاقتصادية والاجتماعية وبالمشاكل التّاجمة عن بناء أوروبا الجديدة، سوى اهتمام قليل للمسائل الاستعمارية. «لقد أزعّت الساعة، يكتب مع ذلك بول لويس في لومانيتي، أُرْفِت

- 1 حسب لافريك فرانسيز، شتبر 1921، ص 265. وحسب عبد العزيز أمين، فإن الجيش كان مكوناً من ستين ألف رجل، تاريخ المغرب، 1967، ص 380.
- 2 لافريك فرانسيز، مقال مشار اليه.
- 3 «لقد ندوا بحماية تثير الغضب، لاستجيب لا إلى التقليد الديني ولا إلى الواقع المغربي» نفسه
- 4 أنظر لومانان، 28 يوليو 1921، لافريك فرانسيز، غشت 1921، ص 238.

السّاعة التي تتساعل فيها الجماهير المسلمة المُستعبدة في كل مكان، والمُستغلة سياسيا واقتصاديا، عما إذا كان محكوماً عليها أن تظلّ أبداً في وضعية القنانة. وإن تحرّرها الشامل يمكن أن يكون أكبر حدث تاريخي للغد؛ هذا ما فهمته جيداً الثورة الروسية» (5). لا ينبغي أن نتخذ: فقد كان هذا التعليق حينئذ فريداً من نوعه. وكانت الصحيفة الشيوعية، مهمة مثل الجرائد الاشتراكية والراديكالية، بمواقب كارثة أنوال على السياسة الداخلية لاسبانيا أكثر من اهتمامها بصداها في العالم الاسلامي ومآل المُستعمرين (6).

في السنوات التي تلت، بسطَ عبد الكريم سيطرته على المنطقة الاسبانية وعمقها. إقْد خشيت السّلاطت الفرنسية أن تتطور المجابهة. وسريعا، من مناوشات الى كائن، تحول الصّراع بين القبائل المتحالفة مع الرّعيم الرّيفي والقوات الفرنسية الى حرب حقيقية. أثناء ذلك، أعطت انتخابات 1924 لفرنسا أغلبية من اليسار؛ فصار الرّاديكاليون والجمهوريون الاشتراكيون يحكمون بمؤازرة الاشتراكيين الذين سينزلون تدريجيا نحو الامتناع، قبل أن يجدوا أنفسهم مرّة أخرى في المعارضة إلى جانب الاخوة الأعداء في الحزب الشيوعي. هكذا ستكون حرب الرّيف بمثابة اختبار للمذاهب الاستعمارية والمعادية للاستعمار التي تتوزع مختلف عائلات اليسار الفرنسي، ولقدرتها على الاجابة على أول هيجان وطني ذي بال يتم في الامبراطورية الاستعمارية منذ نهاية النزاع العالمي الأوّل.

إن الموضوع الذي نقاربه عولج جزئيا خلال السنوات الأخيرة. فقد كانت الذّكري الخمسينية لجمهورية الرّيف مناسبة لدعوة مهمّة انعقدت بباريس (7)؛ وعرض كثير من المُشاركين وقتذاك بعض جوانب المواقف المتّخذة من طرف اليسار الفرنسي تجاه الحركة الرّيفية، وخاصة على مستوى الصحافة والمناقشات البرلمانية. وتسمح لنا اليوم العودة إلى مصادر لم تُستغل وقتذاك بإثراء هذه المعرفة. هكذا تمّذنا أرشيفات بانلوفي ه وكذا أرشيفات اللجان البرلمانية بمعلومات مفيدة عن سياسة الكارتيل ه. أما أرشيفات معهد موريس طويريز ه، حيث أمكننا فحصر محاضر اجتماعات المكتب السياسي واللجنة المركزية لتلك الفترة، فتثير موقف الحزب الشيوعي الفرنسي، المدروس حتى الآن من خلال صحافته أساسا، ومن خلال

5 لوماني، 28 يوليوز 1921. ص 3 «الترعة العسكرية الاسانية لي العرب».

6 لوماني، 2 شتنبر 1921 (بول لوي) و 3 شتنبر 1921 والتي تليه، تحقيق رنار لوكاش.

7 لقد بشرت وقائع هذه الندوة، التي انعقدت أيام 18 - 20 يناير 1973، تحت عنوان عبد الكريم وجمهورية الرّيف، باريس، 1976.

تسمية Cartel تطلق على تحالف اليسار الذي تحمل المسؤوليات الحكومية سنة 1924.

* L'Afrique française S.F.I.O.

* Painlevé

* Maurice Thorez

مناقشات مجلس النواب وبعض تقارير الشرطة (8). لقد بدت لنا دراسة الياسار غير الشيوعي المقارنة سابقاً من خلال تحليل الصحافة الاشتراكية (9)، ضرورة التكملة سواء من خلال تحليل الجرائد الراديكالية من جهة، والتروتسكية والتحررية الفوضوية من جهة أخرى، أو من خلال فحص المواقف المُعبر عنها داخل عصبة حقوق الانسان. وتسمح لنا العودة الى الأرشيفات الوطنية بأخذ نظرة عامة عن الحملة التي طوّرها الحزب الشيوعي الفرنسي ضدّ حرب الريف وعن إجراءات القمع الصّادرة عن السّلطة. أما أرشيفات المقاطعات، ومناقشات المجالس العامة، وكذا بعض الجرائد المحليّة، فتتير سلوك مناضلي الاقليم. وأخيراً، فإن آثار هذه الحملة في المغرب وتأثيرها على العمليات العسكرية قد دُرست خصوصاً من خلال أرشيفات المصلحة التاريخية للجيش.



يُعتبر عبد الكريم بالنسبة لليمين، سواءً وصِفَ بأنه قاطع طريق، أو مغامر أو ثوري، عدُوّ فرنساً؛ حتى قبل أن يهاجم القوات الفرنسية. هذا ما تكلف بتفسيره واحد من أحسن مُحلّليه وهو أندري فرانسوا — بونسي. فبعد أن سجّل الانتصارات التي حقّقها الزعيم الريفي على الاسبان، ساءل الحكومة المتحدّرة من كارتيل الياسار : «ماذا تُراكم ستفعلون ؟ هناك في لجانكم للدّعم أصدقاء مناصرون لعبارة «المغرب للمغاربة». فهل ستُنصتون إليهم ؟» (10). إن السّؤال المركزي الذي ستجيب عنه قوى الياسار، سواء تلك التي تؤازر الحكومة أو تلك الموجودة في المعارضة، هو: سؤال شرعية تمرد عبد الكريم. لقد كان هذا السّؤال في قلب المناقشات حول الحرب — أي المسؤوليات المباشرة للنزاع، والدّلالة التي ينبغي إعطاؤها له، وكذا سير العمليات — وحول السّلم : مبدأ التفاوض مع عبد الكريم والمال المُخصّص للجمهورية الريف.

- 8 في البذة المشار إليها آنفاً، عالجت ثلاثة تقارير موقف الحزب الشيوعي الفرنسي : ب. إيروار، حرب الريف والبرلمان الفرنسي، مشار إليه سابقاً، ص 173 — 217، ر. شارقان، الحزب الشيوعي الفرنسي أمام حرب الريف، نفسه، ص 218 — 236، ر. كاليسو، الحزب الشيوعي وحرب الريف، نفسه، ص 237 — 261. أنظر أيضاً ر. لوكينيك، الحزب الشيوعي الفرنسي وحرب الريف (أطروحة تميز) في موقعون سوسيال، يناير — مارس 1972، ص 7 — 37، وأطروحة السلك الثالث ل. خ. كزيماديلس، المشار إليها آنفاً.
- 9 ش. ر. أجورون، الاشتراكيون الفرنسيون وحرب الريف، مناقلة في البذة المشار إليها سابقاً، مرجع مشار إليه، ص 273 — 292.
- 10 لوميموريال دولالوار، 17 دجنر 1924، الخزنة العامة للرباط (ملف K 3).

اليسار والحرب

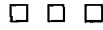
المسؤوليات

نعرف الأطروحة الفرنسية الرسمية حول جذور حرب الريف. ففي مايو 1924، بعد أن اعتبر ليوطي أن من الضروري حماية منطقة فاس من التهديدات المحتملة للقبايل المتمركزة شمال ورغة، عبرت القوات الفرنسية النهر، حتى تحتل موقعا دفاعيا أفضل. لقد تمت هذه العملية بلا مقاومة ولن يشهر عبد الكريم العداء إلا في أبريل 1925، متذرعاً بالطابع الهجومي للتقدم الفرنسي. والحال، يؤكد بانلوفي، «أن جنودنا لم يعبروا النهر في أية لحظة ولا حتى أدركوا حد الأراضي الموكولة إلى حمايتنا حسب التأويل الحرفي للمعاهدات. إنهم يقاتلون حالياً، دون هذه الحدود، ضد غزاة طوفوا مراكنا وانهالوا على حامياتها بالرصاص. يقاتلون للدفاع عن سكان أخذنا على عاتقنا حمايتهم، هؤلاء السكان لن ينحرفوا إلا بسبب انتقامات الغاري المتهذبة إن نحن ضعفنا أو بسبب تخوف من تخليتنا عنهم»⁽¹¹⁾.

هذه الأطروحة تُعارضها بوضوح الأطروحة الشيوعية التي تقع مسؤولية حرب الريف، في رأيها، أساساً على الحكومة الفرنسية. فمنذ شهر مارس 1924، شجبت لومانيتي التحضيرات لحملة عسكرية على عبد الكريم⁽¹²⁾. وفي بداية العمليات، قرأ جاك دوريو، أمام البرلمان، رسالة وجهها فاتان — بيتهيون، رئيس ديوان ليوطي، ابن أخ حفيد هذا الأخير، وتم احتجازها وتبليغها إلى مكاتب الجريدة الشيوعية⁽¹³⁾. لقد كان فحوى هذه الرسالة أن ليوطي، الذي كان يخشى منذ يناير 1924 هجوماً للريفيين، شكّل جبهة جديدة شمال فاس «في حين كان عبد الكريم، المشغل جداً مع الأسبان، غير قادر على الرد». هذا الخبر ليس

- 11 مناقشات المجلس، 28 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص. 2479. انظر أيضاً مناقشات مجلس الشيوخ، 2 يوليو 1925، جريدة الرسمية، ص. 1967 وما يليها ويوجد سرد للوقائع في هيرير حاك، مغامرة الريفية وخلفياتها السياسية، باريس، 1927، الذي يعتبر استلهاه قرنها من الفريق الاستعماري، وعرض موحز للعمليات العسكرية التي تم القيام بها في 1925 في كتاب القبطانين لوستونو — لاكمو ومونتان، في المغرب الفرنسي في 1925 مارس 1928.
- 12 أنظر هاليتي، 15 مارس، 2 يونيو، 3 غشت، 6 شتنبر، 15 نوفمبر، 20 و24 دجنبر 1924؛ 21 فبراير، 13 مارس 1925.
- 13 مناقشات المجلس 9 يونيو 1925، جريدة الرسمية، ص. 2612 2613. يوجد النص الكامل لهذه الرسالة بالخصوص في لومانيتي، 10 يونيو، لافيلوسيون بروليتاريون، يوليو 1925، ص. 30 — 31 و: ب. سيمار، حرب الريف، ص. 125 — 128. إن اختطافه كان موضوع شكوى؛ وقد فتح تحقيق قضائي، لكنه لم يؤد إلى أية نتيجة. انظر APP BA 1676 (تقرير 31 يوليو 1925).

جديداً. فهو لا يناقض الأطروحة الرسمية. لكنه قدّم بطريقة جعلته يأخذ دلالة خاصّة (١٤). فمبادرة ليوطي تدخل في ترتيب استراتيجي يبدو أنّه يُلغى كل محاولة لتحديد تسوية ما مع عبد الكريم في حين يقول معاون المارشال : إن ليوطي قد يقبل كل إمكانية التعاون الفرنسي مع إسبانيا ضد الريفين، داخل أراضيهم. ويؤكد فانتان — بيرثيون من جهة أخرى بأن المارشال مُتفق تماماً مع الحكومة ويُذكر مُراسلته بأن «الاتصال» قد تمّ مع مختلف شخصيات الكارتيل. لقد استفاد الشيوعيون من هذه الوثيقة للتشهير بالطابع الإحتراي للتدابير المُتخذة من طرف ليوطي ومسؤولية الكارتيل في شتّى العمليات العسكرية. من جهة أخرى، سعى الحزب الشيوعي إلى إظهار خداع الحكومة التي كانت على علم بتبريق للأسلحة نظّمته نقابة فرنسية — إنجليزية لحساب الريفين. هكذا، لم يكن عبد الكريم يُعتبر دائماً من طرف الكي دورساي بمثابة عدو (١٥). وفي الواقع، إذا كان الريفيون مُعادين للاسبان، فإنهم لا يطلبون، حسب الشيوعيين، سوى العيش بسلام مع فرنسا (١٦).



للهولة الأولى، لم يضع الراديكاليون موضع شك المسؤولية الخاصة لعبد الكريم. إن ليرنوفيل تؤكد أن «الرّيف هو الذي هاجم وليس نحن» (١٧). كتب بيار برتراند، المنشق عن الحزب الاشتراكي وعن لوماني الذي كان يداوم على إعداد افتتاحيات الجريدة الممثلة بحق للكارتيل أي لوكوتيدبال (١٨). «إن الريفين هاجمونا. ونحن ندافع عن أنفسنا. وباستثناء الشيوعيين — الذين سيُسمح لنا بعدم ذكرهم كثيراً — من يمكنه أن يجد في الأمر ما يُناقش؟» وقد انتهز إدوار هيريو إنعقاد دورة المجلس العام للرون لكي يُؤازر نفوذه حكومة بانلوفي والمارشال ليوطي (١٩). هكذا ضُربَ عصافورين بحجر : فهو ردّ على الاشتراكيين الذي أمّلوا في جعله يُعارض تحلفه، وعلى اليمين الذي زعم بأن المقيم العام لم يجد لديه كل

- 14 لقد حاول فانتان — بيرثيون قتل كل شيء الرد على الاتقادات الصادرة عن الكارتيل وعن بعض أوساط اليمين التي ترى أن ليوطي «فوسح» — هجومه عند الكريم.
- 15 مناقشات المجلس، 28 مايو 1925، الجريدة الرسمية ص 2487 — 2488.
- 16 نفسه، 27 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2453 — 2454.
- 17 ليرنوفيل، 24 مايو 1925.
- 18 لوكوتيدبال، 27 مايو 1925 (المذكر بأن محله السياسي يضم راديكاليين، فريماند بوسون وأولرا، واشتراكيين واحداً، رينديلي)، بالنسبة لكوسطاف تيري، لايستر الريفوي «أعداء» وإعما «حاة حق عام»، لوفر (L'oeuvre)، 29 مايو 1925.
- 19 مناقشات المجلس العام للرون، 1925 (جلسة 22 مايو) ص 394 — 397.

الدعم الضروري. ومع ذلك فقد كان في حوزته، منذ نهاية 1924، تقرير حول مشكل الزيف كان قد طلبه من نائب من وسط اليسار، وهو كالاري دو لامازير (20). لقد عبر هذا الأخير، الذي كان قد ذهب إلى الحماية، عن يقينه بأن إسبانيا «ستأخذ حسابها» قريباً تحت ضربات الريفيين، وحينئذٍ، فإنّ الوضعية التاجمة عن «جوار جمهورية ريفية غربية تماماً عن عملنا كأمة حامية» لن تكف عن إقلاقنا. غير أنّه في الامكانه تلافي النزاع، شريطة الحديث مع عبد الكريم. إن هذا الأخير يعلم بأنه «ليس له من خيارٍ معنا سوى الاتفاق أو الحرب (...) وباب المغرب الفرنسي المقل والمعلق على كل تفاوض يؤسفه ويُدهشه. لثقلها مادام في الوقت مُتَّسَع: إذ لم يتمّ الحديث، سينفجر النزاع في الربيع». ويأسف المقرر للنوايا الاحترازية التي يرى بأنه تبيّنها في بعض أوساط الحماية، وقد طلب بالخاص بأن تُعطى تعليمات للرباط «لتلافي الأحاديث التي لا يمكن إصلاح وقوعها والتي تنم عن امبيالية عديمة الجدوى وذلك من أجل تمكين ضباط الاستخبارات من ربط اتصالات مع عناصر ريفية وإعطاء حكومة عبد الكريم إحساساً بأنها غير مُهمَّلة وأنها محلّ تقدير» (21). تُرى هل راجت نسخ من هذا التقرير؟ على أي حال، سرعان ما أخذت الشكوك تظهر داخل الكارتيل نفسه: هل مسؤولية عبد الكريم على تلك الدرجة من البهامة؟ «إن بادرة الاجراء (اختراق) ورغبة الذي منح الريفيين سبباً أو ذريعة لكي يقوموا بعدوانهم اتَّخَذَتْ من طرف حكومة السيد بوانكاري في لحظة لم يكن من حقها اتّخاذها»، كما أكّد هذا بيار برتراند. ففي مارس، طلب ليوطي من الحكومة الترخيص له بالقيام بهذه الحركة، وفي مايو أجابته هذه الأخيرة. غير أنّه بعد 11 مايو، كان قد تمّ عزل بوانكاري، وقبل ذلك كانت عشية الانتخابات (22). وبزائد كوسطاف تيري على هذا: فبوانكاري هو الآثم. أمّا بالنسبة لبانلوفي «فهرَّم، يُصْلِح؛ ويجهد نفسه لأجل السِّلْم» (23).

ولقد ألحّت قيادة الحزب الاشتراكي على كون الرأي العام ظلّ متروكاً في الجهل بمنشأ العمليات العسكرية الدائرة في المغرب وطبيعتها وأهميتها (24). ويرى رونوديل، من منصّة المجلس، أنّ هناك مسؤوليات عديدة. إنّ عدوان عبد الكريم يبدو له لا غبار عليه؛ ولكن أَلَمْ يتمّ

20 كالاري دولامازير (1879 - 1932)، نائب السين، وهو مسجل في مجموعة اليسار الجمهوري الديمقراطي؛ وقد كان مديراً للشركة الشريفة للتصوير.

21 AN مجموعة بانلوفي، 313 AP 205. لقد تمّ تسليم تقرير كالاري دولامازير في 3 دجنبر 1924 إلى هيرو، الذي كان وقتئذٍ رئيساً للمجلس ووزيراً للشؤون الخارجية. وقد بلغ هذا الأخير نسخة منه إلى خلفه بانلوفي.

22 لوكوتيديان، 31 ماي 1925.

23 لوفر، 23 يونيو 1925.

24 لهريل، 24 مايو 1925 (ص. 2).

تشجيعه بتبورات القيادة الفرنسية ؟ ألا تُفسّر نجاحات الرّيفي من جهة أخرى، بالسياسة اللاشعبية للحماية (25) ؟ في الواقع، كان الاشتراكيون منقسمين داخل البلاد، كما تشهد على ذلك تدخلاتهم بمناسبة الدورات التي عقدتها المجالس العامة. ففي الشمال كان سالونكرو صريحاً : «لقد استعرت حرب الرّيف أساساً بأخطاء الإدارة العسكرية الاسبانية»، وكان عدوان عبد الكريم «يمكن التّجنب بسياسة فرنسية في المغرب أقل نزوعاً الى الرّوح العسكرية حيث لم يتم السّعي الى اكتساب مودة سكّان القبائل بقدر ما تمّ العمل على إبقائهم تحت خشية القمع» (26). أما لوبّا، فقد جرّم بدوره القيادة الفرنسية؛ لكن، قال «للبلشفية أيضاً مسؤوليتها في منشأ التّزاع المغربي»؛ فبأمر من موسكو، عمل الحزب الشيوعي كل ما في وسعه «لتحريض سكّان شمال إفريقيا» (27). وفي الهوط — فين، كان كلّ من فالير وبارفي، يتشاطران وجهة النّظر هذه (28) لكنّ جريدتهما، لوبولير دسوتتر هُكّدت بأنه «منذ سنوات عديدة، كانت قواتنا، في نفس الوقت، مُهيأة وعلى أهبة التّحضير المُتّظم بغزو الرّيف وبواسطة العنف، وتطوير «سليم فرنسي» على هذا النّحو في الامبراطورية الشّرقية» (29). وفي البوش دورون، رفض بون أن يرى في عبد الكريم مُعتدياً. «لقد كان الشعب الآخر دائماً هو المُعتدي. ومع ذلك، كانت هناك حالات كان الفرنسيون فيها هم المُعتدين : فيوم غزت فرنسا المغرب (...) وبعد كل حساب، لم تتم استشارة المغاربة لغزو البلد الذي يسكنون. وإذن من السّهّل إثارة حوادث حدود أو حوادث داخلية تتحول يوماً إلى نزاع مُسلّح ثم يقال بعد ذلك : إن المغاربة هم الذين بدأوا» (30).

في عصبية حقوق الانسان، كانت قضية المسؤوليات فُرصة لنقاش حقيقي. بالنسبة لامليل كان، تبدو أطروحة العدوان اللامُبرّر للرّيفيين «منطوية على جزء من الحقيقة»، لكن «لم يثبت بأن الحرب لم تكن ممكنة التّلافي. كان في الامكان التفاهم مع عبد الكريم، عندما كان في الوقت مُتّسع. وليس فحسب لم يتمّ التفاهم معه، بل عومل مسبقاً كعدو مُقبل» (31). أمّا فكتور باش، فتقدّم بخطوة أخرى : «أو ليست الحرب الدائرة في المغرب حرباً

25 مناقشات المجلس العام للشمال، 1925 (جلسة 7 أكتوبر)، ص. 418.

27 نفسه، ص. 425.

28 انظر مناقشات المجلس العام للهوط — فين، 1925 (جلسة 19 مايو)، ص ص 180 — 185 و 205

* Le Populaire du Centre

29 لوبولير دوسوتتر، 17 مايو 1925.

30 مناقشات المجلس العام للوش — دو — دون، 1925 (جلسة 22 مايو)، ص 536

31 دوائر حقوق الانسان، 25 يبرير 1925، ص ص 291 — 299

دفاعيةً وعلينا أن نتعاطف كلياً مع رجال يدافعون عن أرضهم وبقائهم؟» (32). وعندما كتب مكتب العصبة إلى بالولفي، قحم المسؤولية الشخصية لليوطي: «ليس خافياً على أحد أن منشأ النزاع الذي جعل الريفيين يحملون السلاح ضد الحكومة هي الحاميات، فنوايا عبد الكريم تجاه فرنسا كانت صادرة عن حيادٍ خيّر كان بإمكان سياسة حاذقة أن تحولها إلى علاقات صداقة (...) إن اعتقادنا واسع في أن مقيماً عاماً مدنياً، ليست له أية مصلحة في إثارة حالة الحرب، كان سيبدل كل مساعيه لتذليل صعوبات جوار ثم تحويله بمنهجية إلى جوار خطير» (33). لقد دافع عن وجهة النظر الرسمية داخل العصبة، خاصةً من طرف الاشتراكي موني الذي أكد لزملائه بأن «كُلّ التعلّات التي يتذرّع بها عبد الكريم خاطئة. فالأسواق المنظمة لم تُغلّق في وجهه أبداً. ولم نعترض سوى على التّهيب الذي كان يقوم به هو وأنصاره» (34). وقد دَعَّم في هذا أنطوان دو بيوتي، رئيس الفدرالية المغرب، الذي وَضَحَ بأن الريفيين يُملّون بانتصاراتهم على الأسبان، وأنهم واقعون تحت تأثير مغامرين أجنب، ويستفيدون من مساعدات ألمانية ومن دَعْم موسكو وألقرّة، وأنه ينبغي تلبّس السبب الرئيسي لهجوم عبد الكريم في رغبته في أن يفوز بالعرش الشريف (35). وفي الجهة المُعارضة المتطرفة، نجد موزار، عضو اللجنة المركزية، ومنشّط فرع مونيير — أوديون الذي رأينا، قبل الحرب، كيف أنه اتَّخَذَ موقفاً قوياً ضدّ غزو المغرب، وخاصةً رينبي، رئيس الفدرالية الأندلسية. فهذا الأخير لم يتورّع عن اتّهام قادة العصبة بمحاباة الحكومة. بالتأكيد، «لقد كانت الحرب مرغوباً فيها من طرف عسكريّنا» لكن «من الصّيبانيات حقاً أن تُنسب لليوطي وبوانكاري في هذه الأحداث مسؤولية حاسمة. إننا نجد هنا، بحُكم صداقة جزئية للحكومة الحالية، «تحويلاً» مشابهاً لذلك الذي يتمّ بتحريض الناس على الشيوعيين» (36). حقاً، لقد انزعج أغلب المُصنّبين لأن واجداً منهم هو الذي يوجد على رأس الحكومة (37). وتمنّوا لو أن تصريحاته تأكّدت بنصوص لا يمكن دحضها، يُبرهن على صحّة الموقف

- 32 رسالة من هنري باربوس، جونا على بناء هذا الأخير (انظر أدناه) المنشور من طرف ليونفيل في 7 يوليو ودفاتر حقوق الإنسان لـ 25 يوليو 1925، ص 342.
- 33 AN مجموعة بالولفي 313 AP 190، رسالة من مكتب العصبة إلى بالولفي (نسخة إلى وزير الشؤون الخارجية) في 21 يوليو 1925. إن هذه الرسالة لم تنشر من طرف دلائل حقوق الإنسان.
- 34 الدفاتر، 1925، ص 375 — 376 (جلسة اللجنة المركزية لـ 6 يولي 1925).
- 35 نفسه، ص 363 — 367.
- 36 نفسه، ص 459 — 466.
- 37 «من الأكيد أننا كما سترفع احتجاجاً أكثر حدة ضدّ حرب المغرب (...) لو أن زميلنا وصديقنا، السيد بالولفي لم يكن رئيساً للمجلس أو وزيراً للحرية» سيترفع لاحقاً مكتوب ناش (جلسة اللجنة المركزية لـ 6 فبراير 1926). نفسه، 1926، ص 206.

الفرنسي تجاه عبد الكريم. ومن هنا إلحاحهم على طلب نشر الوثائق الرسمية عن منشأ النزاع. وفي اليسار المتطرف، طالب الشيوعيون أيضاً بهذا النشر، متيقنين من أنّه سيؤكد أطروحتهم. لكن هذه المناقشات حول المسؤولية البدئية للعمليات الدائرة في الرّيف سرعان ما تُجوزّت. وقد كتب الزعيم الشيوعي أ. تران «إنّ الحجة تكون المبادرة الشكلية للتعدّوا حاءت من الجيش الفرنسي، لا ينبغي وضعها في المقدمة ولا أن تثار بشكل حاسم. فالبروليتاريا، والجماهير الفرنسية مطالبون بدعم الرّيف، من أجل استقلاله، حتّى لو كان هو الذي هاجم، إذ أن الأمر يتعلق بكفاح شعب مضطّهد من طرف الامبريالية الفرنسية التي هي أيضاً عدوة بروليتاريا بلادنا وجماهيرها»⁽³⁸⁾. لقد كانت الأسباب العميقة التي يتقاتل من جرائها الفرنسيون والريفيون هي موضوع السؤال، وقد بدت أحزاب اليسار منقسمة بشكل خاص حول معنى النزاع.

معنى النزاع

بالنسبة لحكومة بانلوفي، ينتمي الكفاح الذي يخوضه عبد الكريم، في التحليل الأول، للكفاحات التي يخوضها تقليدياً مطالبون بالعرش — روكيات — ضدّ الحكم المركزي. إن المغرب امبراطورية تحت سيادة السُلطان. وقد أوكل هذا الأخير لفرنسا عبّر معاهدة الحماية بقيادة بلاده في طريق التّقدّم، وبموجب الاتفاقات المعقودة بين فرنسا وإسبانيا، صارت إدارة هذه الامبراطورية مُقسّمة إلى ثلاث مناطق: منطقة فرنسية، ومنطقة إسبانية، ومنطقة دولية، مع حصص هذه الأخيرة عملياً في مدينة طنجة. فمن واجب فرنسا إذن الحفاظ على الوحدة المغربية وحماية العاهل الشّريفي⁽³⁹⁾. إن الرّيف يشكّل منطقة جغرافية من المغرب دون وحدة سياسية. فجمهورية عبد الكريم الرّيفية تُضمّ في الواقع فسيفساء من القبائل المتناحرة تقليدياً. ليس ثمة شعب ريفي، كما ألحّ على ذلك بريان أمام هيئة الشّؤون الخارجية دون أن يحاول أي نائب وقتذاك تفنيد قوله⁽⁴⁰⁾. فعبد الكريم إذن ليس سوى متمرّد يستهدف، أبعد من السيطرة على الرّيف، العرش الشّريفي، ومغامر تتغيّر ميوله التّفسية تجاه فرنسا باستمرار، حسب بانلوفي⁽⁴¹⁾، ولكنه أساساً شرّس وهيجي، كما سنوضّح ذلك جرائد الكارتيل. لقد حملت

38 دلائل البلشفية، فاتح غشت 1925، ص 1540 — 1546. انظر أيضاً لالي أولفير، 26 يونيو 1925 (مومبوس)

39 انظر بالخصوص مناقشات المجلس، 28 مايو و 23 يونيو 1925

40 مجلس النواب، لجنة الشّؤون الخارجية، فاتح يوليو 1925.

41 نفسه، 17 يونيو 1925 (الاستماع إلى بانلوفي، رئيس المجلس ووزير الحرية).

فرنسا للمغرب السُّلْمَ والتَّعَدُّلَ والتَّقَدُّمَ. ومن شأن ذهابها أن يُورِّط ليس فحسب وجودها في الجزائر كما في تونس، بل أن يشكّل عودة للمهمجية. ومن الطبيعي أن يُدعّم البلشفيون، أعداء الديمقراطية الغربية، عبد الكريم. فمن واجب فرنسا أن تُقاتل، وأن تحمي السّكان الذين يمنحونها ثقتهم ضدّ «هجمة التعصّب المُسْلِم». ففرنسا هي جُنْدِيّ الحِصْصَة أمام عبد الكريم⁽⁴²⁾.

وفي الاتجاه المعاكس لهذه المُحاجة، يؤكّد الشيوعيون بأن الكفاح الذي يخوضه الرّيفيون ذو طابع تحريري. وهم يقولون بأن عمل فرنسا لم يكن نافعا حقا للمغرب. فمُنذ ثمانية عشرة سنة، والمُبارك لا عهداً رحاها في مختلف مناطق المغرب التي رَفَضَ سَكانُها الخُضُوعَ للهيمنة الأسبانية أو الفرنسية، وفي المناطق «التي تُثمّ إحماد قُتيها»، تبدو الإدارة في خدمة مصالح المجموعات المالية والصّناعية التي تسعى للاستحواذ على الغروات الفلاحية والمعدنية للبلاد وتُخضِعُ المغاربة لاستغلال قاس. أما السُّلطان فليس سوى ألعوبة بين أيدي الإقامة. إن تمرد عبد الكريم يَتهرّط في إطار كفاحات الشّعوب المُستَعمَرة ضدّ الامبريالية. فَمَصْلُحَةُ البروليتاريين الفرنسيين المُضطَّهَدِينَ من طرف البورجوازية الرأسمالية تلتقي بمصلحة الرّيفيين : إذ أن لهم معاً نفس العدو. لقد كان من الضّروري التخلّص من عبد الكريم حتّى تتمكن الامبريالية من تعميق هيمنتها على المغرب وتوسيعها، ولأجل هذا تقتل جنوداً فرنسيين. ومن الضّروري للبروليتاريا الفرنسية المتضامنة مع الرّيفيين أن يُحرّر هؤلاء بلادهم. من هنا برقية التّهاني المشهورة التي بعث بها الحزب الشيوعي الفرنسي إلى عبد الكريم منذ 1924⁽⁴³⁾. ويستنتج الشيوعيون بأن الحل الوحيد هو الجلاء عن المغرب. سنعود لاحقاً إلى هذا الاقتراح. لنتمسك حالياً بالسؤالين اللذين تُستَنتِجُهُما مُحاجةُ الحزب الشيوعي الفرنسي : الأول يعني العلاقة القائمة بين الامبريالية والرّيف، والثاني يتعلّق بالطابع الوطني والشعبي لتمرّد عبد الكريم.

42 أنظر تصريحات بالوبو أمام مجلس النواب، 28 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2479 — 2480، و23 يونيو الجريدة الرسمية، ص 2758. إن تفخيم الكلام لم يكن ليفزع هذا العالم : «إن قوة فرنسا، يقول، ستبشر لترغم المحمية على التراجع. في السابق، كان بإمكان الغازي أن يصبح : إن النبات لا ينمو على الأرض التي وطأها حوافر حصاني. وأنا، في وسعي القول بأن المحمية لا تعود للنمو أبداً حينما مرت فرنسا». تصريحات ثم الادلاء بها عند مفادرة الرباط، حيث كان رئيس الحكومة قد تحدّث مع لوبوطي، وأوردتها لافريك فرانسوا، يونيو 1925، ص 309.

43 «إن المجموعة البرلانية، واللجنة القيادية للحزب الشيوعي، واللجنة الوطنية للشبيات الشيوعية تحيي الانتصار الرابع للشعب المغربي على الامبرياليين الاساد. بهيء زعيمه المقدم عبد الكريم. تسمى له، بعد الانتصار النهائي على الامبريالية الاسبانية، أن يواصل، رفقة البروليتاريا الفرنسية والأوربية، الكفاح ضد جميع الامبرياليين، والفرنسيين من ضمهم، حتى التحرير الكامل للأرض المغربية، عاش استقلال المغرب ! عاش النضال الدولي للشعوب المستعمرة والبروليتاريا العالمية ! توقيع سيمار ودويرو» لومالهي، 11 شتنبر 1924.

يعتبر المغرب بالنسبة للشيوعيين خاضعاً للامبريالية، مُثَلَّةً أساساً ببنك باريس والبيتي (44). ويبدو لنا بأن دوريو، الذي سعى الى وصف قوة هذا البنك أمام المجلس، ظل مجافياً للواقع (45). من الأكيد أنه منذ اتهامها من طرف جوريس، طوّرت هذه المؤسسة كثيراً مصالحها في الامبراطورية الشريفة. وقد قوت مواقعها كمتزعة للمجموعة المصرفية الفرنسية، داخل بنك الدولة الذي كانت تعين عملياً مُسَيَّرِهِ. من هذا الجانب، كانت تراقب قسماً كبيراً من النشاط المالي للحماية. فباري با كان يمتلك، سواء مباشرة، أو بواسطة الكومباني جنيرال دوماروك، التي تعتبر هي المُساهِم الرئيسي فيه، حصّةً أساسيةً في إنشاء شركات عديدة تمارس أنشطتها في مجالات متنوعة. وقد حصل على امتياز إنتاج وتوزيع الكهرباء، وامتياز النقل بالسكة الحديدية، ونقل البضائع بميناء الدار البيضاء، وشركة التبغ. كما أنشأ مشاريع صناعية في القطاع الغذائي وقطاع أدوات البناء، وتدخل في الأشغال العمومية والتجارة الداخلية والشؤون الفلاحية. لقد كان يضمن هيمنته بالسيطرة على القنوات المالية واختيار مُسَيَّرِي المشاريع الرئيسية. فقد كان باري با، حسب دوريو، يراقب مائتين وستة وأربعين مليوناً من الفرنكات من بين الأربعمئة وثلاثة وثمانين المُوظفة في الحماية (46). ويبدو هذا الرقم، الذي لم تتمكن من إثبات أصله دون الواقع على الأرجح (47).

في تحطّ تحليلات الأهمية الثالثة، رأى الحزب الشيوعي الفرنسي بأن حرب الرّيف مرتبطة بأزمة للامبريالية. غير أنه لم يقدم هذه الفكرة سوى في عدد قليل من الوثائق، بشكل عام وموجّه جداً. هكذا، أكد بأن الامبريالية الفرنسية «كانت في حاجة مُطلقة للعشور على منافذ من خلال حرب جديدة : تموينات الجيوش خلال العمليات، وغزو أراضي جديدة حيث يمكن تصدير المنتجات والرأسمال» (48). يمكن أن نتساءل عما إذا لم تكن هذه

- 44 الذي سنشر اليه، ترحيماً للسهولة، بالتسمية المألوفة باري با (Paribas).
- 45 مناقشات المجلس، 5 فبراير 1925، الجريدة الرسمية، ص 559 — 561. لقد خصصت دفاتر البلشفية وتلك أربعة لباري با من توقيع دوليكس (1925)، ص 854 — 861، 1013 — 1024، 1162، 1167.
- 46 1233، 1243) خصصت منها بضع صفحات فقط لتدخلات البنك في المغرب (ص 1014 — 1017). أي مائة وخمسة وتسعون مليوناً مباشرة وخمسة وأربعين مليوناً عبر قناة الشركة العامة للمغرب. مناقشات المجلس، 4 فبراير 1925، الجريدة الرسمية، ص 559. لقد تمت استعادة هذه الإشارة من طرف سيمار، مشار اليه سابقاً، ص 21.
- 47 لقد قدر ب. كيان المبلغ الإجمالي للاستثمارات الخاصة المباشرة في 1926 في المغرب بألفين وستة وخمسين مليوناً من الفرنكات، ينبغي أن تضاف اليها ألف ومائة وخمسون مليوناً عن الاستثمارات المحققة من طرف الشركات صاحبة الامتياز للمصالح العمومية (خاصة السكك الحديدية والكهرباء). الاستثمارات الفرنسية في المغرب من 1912 إلى 1939، مداخلة في المؤتمر الثاني للجمعية الفرنسية للمؤرخين الاقتصاديين، باريس، 5 و 6 أكتوبر 1973، المخصص لفحص الموقف الدولي لفرنسا، الجوانب الاقتصادية والمالية، القرنان التاسع عشر والعشرون. نشر موجراً بنفس العنوان، باريس، 1977.
- 48 لوماني، 22 شتنر 1925 (أطروحات حول الحرب) ودفاتر البلشفية، فاتح نونبر 1925، ص 1076.

الصناعة تفصح عن تطبيق جد ميكانيكي بعض الشيء لخطاطة صالحة، على الأقل جزئياً، للغزوات الاستعمارية السابقة على 1914، أو، بعيداً عن الحرب الأولى، بالنسبة للتوسع الأوربي في الصين. إن تمهينات الجيوش تبدو تافهة بالقياس الى المشاكل النوعية التي تطرحها الصناعات العاملة لأجل الدفاع الوطني. من جهة أخرى، أن يرى في الرّيف سوقاً لتصدير السلع والرّساميل فهذا ينم عن جهل خطير بالحقائق الاقتصادية والاجتماعية المحلية. تبقى المسألة التي يثيرها الشيوعيون بإلحاح أكبر وهي مسألة الثروات الكامنة في الرّيف، وخاصة الثروات المعدنية. فمن أجل الاستحواذ عليها، دفع بنك باريس والتي با الحكومة الى شنّ الحرب على عبد الكريم^(٥٥). أكيد أن في الرّيف طبقات من الحديد تستغلّ بعضها منذ بداية القرن. وممحت استكشافات جيولوجية سطحية من جهة أخرى، باكتشاف آثار الرصاص، والزنك، والزنك، والزنك، والزنك، وفي الواقع، لم يَسْمَح تنوّع التشكيلات المُتمعدنة لباطن الأرض باستنتاج وجود مناجم هامة في المغرب الشمالي. بخلاف ذلك ظهر على بُعيد مئات الكيلومترات، أن وعداً غيبه بالمنغنيز، والرصاص، والزنك كامنة في ثانيا الأطلس، أو في التّخوم الجزائرية — المغربية، لكن الاستخلاصات الأولى لم تكن سوى بزّات قليلة. في 1925، كان الاستغلال المنجمي الهامّ والوحيد في المنطقة الفرنسية هو استغلال فوسفات خريكة، جنوب شرق الدّار البيضاء. وسيُظهر المستقبل بأنه فيما يخص الرّيف وحدهما منجما ويشان — أشارا وسيطو لآزار، المُسلّمان للشركة الإسبانية لمناجم الرّيف، كانت لهما نوع من الأهمية. مع ذلك، لم يكن الشيوعيون وُحدَهُم، الذين كانوا يعتقدون في 1925 في ثروة باطن الرّيف^(٥٥). فقد كانت هناك خرافة عامة الانتشار شجعت المضاربات السياسية والمالية، واعتقد مغامرون من كل الجنسيات أن من الجذّج الاستفادة من الظروف لمحاولة الحصول من عبد الكريم على وُعد بامتيازات منجمية. وبشكل مُوازٍ، اقترحوا خدماتهم على التقابلات المالية، وخاصة الانجليزية منها^(٥٦). لقد ألْهَبَتْ إفشاءات سير مدرّوسة الأحملة. لكن رجال المال أشخاص منطقيين ولا تتوفّر على أيّ عُصْصِر يسمح بالتفكير في أن بنك يّاري والتي با، المُطلّع جيّداً على الحقائق المغربية، قد اعتقد جدياً في إلْدُورادو ريفي^(٥٧)، ويبدو لنا

49 لوماني، فاتح 22 يوليو 1925، دفاثر البلشفية، فاتح يوليو 1925، ص 1381 — 1382، وفاتح غشت 1925، ص 1540 وما يليها.

50 انظر مثلاً مقال الاشتراكي أورمي في لوبول، 3 يونيو 1925

51 انظر مثلاً مقال الاشتراكي أورمي في لوبول، 3 يونيو 1925. انظر 1678، AN F7 13413، APP و SHA VM (14 RIF). لقد نشر أ.ف. دوتي، مدير لاروي كولونيل، ال «ميناك كاردينى — عبد الكريم» في المجاعة المغربية

الدائمة، باريس، 1926، ص 85 — 96.

* Edorado : تّوطين أسطوري للثروة.

من المشكوك فيه أن يكون الطمع في الثروات المنجمية للريف قد لعب دوراً حاسماً في الحزب التي شنت على عبد الكريم. على عكس ذلك، من المحتمل جداً أن يكون باري با والمجموعات الرأسمالية الفرنسية، التي لها مصالح في الحماية، قد توجسوا من أن يهز انتصار عبد الكريم في الريف مجموع الامبراطورية الشريفة وأن يستدّ ضربة قاضية لأقامتهم في المغرب (52).

إذا كانت حرب المغرب حرب اضطهاد استعماري من جانب الامبرالية الفرنسية، فهي حرب تحرير وطني من جانب الريفيين. لقد قدّمت هذه الفكرة من طرف الشيوعيين تحت مظهرين. من جهة، بارتباط مع الحركة العامة لانعتاق الشعوب المستعمرة. إن علي حمامو يثير انتفاضة 1871 في منطقة القبائل ويؤكد بأنه «بعد نصف قرن من الفارق الزمني، يكرر عبد الكريم بضخامة أوسع، محاولة الانعتاق الوطني التي شرع فيها (وقدذاك) مقراني» (53). وكتب مارتى بأن جمهورية الريف تشكل أملاً لشعوب إفريقيا الشمالية المضطهدة (54). ويشمل هذا الاستقطاب الاسلام ككله، ومجموع شعوب الشرق التي تُظهرها لنا الباري ه مثلثة لانعتاق من ثير الغرب المهنيين (55). من جهة أخرى، وصيف تمرّد عبد الكريم دون إلحاح خاص على الرجوع الى الاسلام. إنه لم يمس إسقاط العلاقة مسلمون — شعوب مضطهدة في دائرة الصمت، لكن وقع تشديد أكثر على الملّح الأوربي للظاهرة الريفية أو، بدقة أكثر، على خصائصها الأكثر تأثيراً في وغي أوربي. إن كتاب بيار سيمار كاشف في هذا الصدد. فالسكرتير العام للحزب الشيوعي الفرنسي يبلو منشغلاً بتوضيح كَوْن الريف «مُنظماً على طريقة اللّول الديمقراطية (...)» فعلى رأس كل قبيلة توجد دوماً مُنتخبة من طرف مجموع السّكان» (56). ويبدو الهمّ البيداغوجي للرّعيم الشيوعي، بكل تأكيد، واضحاً. لكن هل يكفي تفسير رغبة تقديم الريفيين على أنهم «قادرين على فهم

52 لقد طرح سؤال آخر في لدوة 1973 من طرف مجالي مرسى، كان يتعلق بمرامي الاستعماري في وادي ورغة، مغار اليه سابقاً، ص 144. وثمة دراسة ينفي القيام بها حول شروط إسناد أراضي الاستعمار في هذه المنطقة. لنلاحظ بأنه في السنوات الثلاث التي أعقت انطلاق العمليات، أي من 1926 إلى 1928 مع إدخال الغابيين، شمل توزيع القطع الاستعمارية من طرف الادارة 29.000 هكتار في إقليم فاس وتازة وحمدا، بينما لم تكن قد هملت حتى نهاية 1925 سوى 15.000. إن الجزء الأعظم من هذه الأراضي تم اقتطاعه من الأراضي الجماعية التي في حوزة قبائل سنيكون مهما توضيح موقفها إبان الحرب الريفية.

53 دفاور البلشفية، 15 شتر 1925، ص ص 1774 — 1776.

54 نفسه، فاتح يوليو 1925، ص. 1382.

Paria *

55 جريدة لوبانيا عدد 33 أبريل 1927.

56 ب. سيمار، حرب الريف، 1926، ص. 34.

منافع الحضارة الأوربية». لقد استُعملت اقتباسات من الصحفي الأمريكي سكوت مآورر لظهار أن الاستقلال بالنسبة للريفيين ليس انكفاءً على أنفسهم، ولكنه إمكانية الوصول إلى «الابتكارات المعجبية» للغرب. إن لهذه الحجّة مغزى مزدوجاً: فهي تستهدف الرّد على الاتهامات بالهمجية الصادرة عن الدّعاية الرّسمية، والتّقريب من البروليتاريين الفرنسيين لأولئك الذين يتأثرون مثلهم تماماً بمنافع التّقدّم التقني، ولكن يظلّون محرومين منه من طرف الامبريالية. فالأخوان عبد الكريم، يُلقّب سيمار قاتلاً، هم «رجال مُثقفون»، مُرتّبون «على الطريقة الأوربية»، وقادرون على عقْد اتفاقات مع مجموعات أجنبية لتسهيل استغلال ثروات بلادهم، شريطة ألا يَهرُثُوا استقلالهم (57). فإزاء صورة عصابات الجلبين النّهايين والمُحمّسين بالتّعصّب الاسلامي، يرد الحزب الشيوعي بصورة شتّى يثوي العيش في سلام داخل حدوده وتُجلب الوسائل التّقنية لتحرّره، من الغرب. و«النزعة الوطنية الرّيفية» هي التّعبير، عن هذه الرّغبة في الاستقلال والتّقدّم الاجتماعي أمام الامبريالية.

يبدو النزوع إلى «تغريب» الحركة الريفية وتعلّمها أكثر جلاء لدى أحدهم ويُدعى لوزون. فهو كَمُنْشَق حديث عن الحزب الشيوعي الفرنسي، الذي كان يوافق على موقفه تجاه عبد الكريم، خولت التجربة التونسية لهذا المناضل، في أوساط اليسار المتطرف، سلطة كبيرة فيما يتعلق بالسياسة العربية (58). لقد قادته الانتفاضة الريفية إلى التساؤل عن طبيعة «الوطنية الأهلية» في إفريقيا الشمالية. فعارض الفكرة القائلة بأن الأمر يتعلق بـ «حركة تضع نصب عينها إرجاع النظام الوطني الأهلي القديم بأكمله» (59). ويقول بأنه إذا كان هذا الغرض، فلا داعي للكفاح: فقد عرفت الدولة الفرنسية دائماً كيف تحافظ على الأطر التقليدية للمجتمع، واستعملتها لضمان هيمنتها. «إن الحفاظ على الاسلام داخل الاسلام، والحفاظة على العربية في وُضْعها الفزائي والأخلاقي كان أفضل ما قامت به سياسة الاستعمار» (60). لكن الاحتلال الاستعماري استتبع، تَقْلُفُ الأفكار الغربية، سواء في الأوساط البورجوازية والمثقفة أو داخل البروليتاريا الحضرية. لذا فإن مطالب الوطنيين هي «مطالب مأخوذة عن الغرب، مطالب تقليدية لشعوب أوربية» (61). ولم يظّل الريفيون في

57 نفسه، ص 35 — 39.

58 عن لوزون، انظر س. لوزو: الأجراء والحركة العمالية في تونس خلال نصف قرن من الاستعمار، أطروحة دولة، نيس، 1978.

59 ريفولسيون بروليتاريان، يوليو 1925، ص 6.

60 نفسه، ص 1.

61 نفسه، ص 6.

معزى عن هذه الحركة. لقد جعلتهم معاركهم المستمرة ضيّد الأسبان، والأعمال الموسمية التي يقومون بها في وهران، في اتصال مع الحضارة الغربية. وكما تظهر ذلك تصريحات عديدة لعبد الكريم، يحتمل لوزون قائلاً، «إنهم حاملون لهذه الرغبة في التطور، في التغرّب، التي تُحرّك سكّان إفريقيا الشمالية». لكنهم يعرفون أيضاً بـ «أنهم لن يتمكنوا من التّحضّر إلّا إذا خرجوا من نير المُحضّر». من هنا عنادهم في القتال من أجل استقلالهم، والأهمية الكبيرة التي يمثّلها كفاحهم بالنسبة لمجموع إفريقيا الشمالية وربما أبعد من ذلك بالنسبة لسكّان مصر والهند (62).



لقد فنّد اليسار غير الشيوعي تحليل الحزب الشيوعي الفرنسي. ومع ذلك كانت عناصره الأكثر تقدماً — من تحرّرين، واشتراكيين أحراراً وشيوعيين منفصلين عن الحزب — تشهّر بقوة بالامبريالية الفرنسية ومخططات الهيمنة التي يرسمها البعض عقب هزيمة الأسبان (63). لقد كانت المجلّة التروتسكية الثورة البروليتارية «، قريبة جداً من الحزب الشيوعي عندما أُكِّدَتْ بأنّ غزو الرّيف من طرف القوات الفرنسية يشكل الفاتورة التي على الكارتيل أن يُستدّها لبنك باريس والّتي — با لكونه مكّنه من البقاء قرابة السّنة في الحُكم (64). لكنّ كثيرون هم الذين حرصوا على فصل الفعل الاستعماري عن الهيمنة الامبريالية. لقد كانت فلاهبو «، وهي صحيفة فوضوية لإفريقيا الشمالية، تحلم باستعمار يَتِمُّ دون قصف مدافع ودون تدخّل للرأسمالية (65). ويدافع ح — هـ. روسني البكر في جريدة التّعلّم عن «استعمار كريم» (66). ويتمنى إميل كان، وهو شخصية مرموقة من عصبة حقوق الإنسان، «نظاماً استعمارياً حيث تُثبّق إدارة الأشياء مع حقوق الشّخص» (67)، أما فكتور أوكانيوز فطالب بكل بساطة بـ «الحقّ في الاستعمار» (68). لقد عبّر رونوديل في الحزب الاشتراكي عن

62 نفسه، ص 9

63 انظر لوليتير، 16 مايو و 8 عشت 1925، دلائل حقوق الإنسان، 5 أكتوبر 1925، ص ص 459 — 466

* La Révolution prolétarienne

64 ريفوليسيون بروليتاريان، مايو 1925، ص 27 انظر أيضاً دوني، المغامرة الغربية الدامية، باريس، 1926، ص ص

14 — 15.

Flambeau *

65 ماتج يوليو 1925

66 ليروليتير، 15 عشت 1925.

68 نفسه، 8 فبراير 1926

تؤكد من الطابع الإيجابي للعمل الاستعماري. إنه يتضمن «حُكَاة» دون ريب، لكن هناك أيضا «إلى جانب مشاريع النصابين كلائم الحرية وشعلة الفكر الفرنسي» (69). لقد كان سيفاجا، دون ريب، لو عُلِمَ بأن التعليم في الحماية لا يُمنَح سوى لقلّة قليلة من المغاربة (70) وأنهم لا يتمتعون بحرية الصحافة، ولا بحرية إنشاء جمعيات، وأن الإدارة الفرنسية لم تُلغ أبداً تعسف الزعماء الأهالي. ولأن ليون بلوم يتمتع بحس نقدي أكبر، فقد كان يستشعر بأن اللوحة ليست وردية إلى هذه الدرجة وفضل الحديث عن «واجبات» القوة الاستعمارية. لقد ذكر بأن حزبه كان حصصاً للاستعمار «طالما أنه الشكل العصري للامبريالية» ورأى أن عمَل فرنسا لا يُمارَس «إلا بالتأثير، والاجتذاب، والشعور المُعطى للاجناس المُستَعمَرة دُنيا بالتفجع المادي أو المعنوي الذي نعمله إليها» (71). هكذا يتم التشديد على المنفعة التي يمثلها التعمير الفرنسي بالنسبة لتطوّر السُكّان المَحْصِين.

إن التعارض الذي أذخله حينئذٍ قسم من اليسار بين الاستعمار المُعَمَّر والاستعمار الرأسمالي شكّل مُعطًى أساسياً سَيَسْطِرُّ على تاريخ علاقاته مع الحماية، وانطلاقاً منها، مع الحركة الوطنية. ففي نظره، لا ينبغي للحضور الفرنسي أن يتطابق مع حضور بنك باري والبيي با. إن هذا الأخير لا يعمل على تقوية التعمير الفرنسي، بل هو، بالعكس، يعوق نُموّه. فليس الاستعمار في حدّ ذاته هو الذي يشكّل تهديداً للمغاربة، بل كونه يُخدم بعض الاحتكارات. فللجمهور الواسع للسُكّان الفرنسيين، من مزارعين، وتجار، وتقنيين وعُمّال، تأثير إيجابي على المغرب: ولا يمكن لنشاطهم سوى أن يجر السُكّان الأهالي في طريق التقدّم. هكذا طالب كاريت — بوفي، الاشتراكي الصادق، الذي لا يمكن لمشاعر تعلقه العميق بالمغاربة، أن تكون موضع شك كما رأينا، بإنشاء «قرى مُعَمَّرين فرنسيين» ومضاعفتها (72). وفي هذا الاتجاه، مؤقّت لاثريون ماروكان ه، وهي أسبوعية من الرّباط، تأسست في أوج

69 مناقشات المجلس، 23 يوليوز 1925، الجريدة الرسمية، ص. 2779.

70 في 1925، تحد من بين العدد الاجمالي للمدرسين يبلغ 28.759 تلميذا 14.324 مغربيا. أي 5947 مسلما و 8377 اسرائيليا، والـ 5947 مسلما يمثلون أقل من 1% من الساكنة القابلة للتدريس وصادرون في معظمهم عن المدارس الابتدائية والمهنية الاسلامية. ولم يكن التعليم الأوربي يستقل، بالفعل، سوى مائة وسعة من المسلمين في مدارسه الابتدائية وأربعة وخمسين في مؤسساته الثانوية، بينما كان أبناء البورجوازيين المسلمين يذهبون إلى «ثانويات إسلامية» و«مدارس الأحياء» التي كانت تعداداتها خمسمائة وخمسة تلميذا. حماية المغرب، مديرية التثقيف العمومي عرض تاريخي (1912 — 1913).

71 مناقشات المجلس، الجلسة الثانية لـ 9 يوليوز 1925، الجريدة الرسمية، ص 3316

72 لوكري ماروكان، يناير 1924 «لستعمار».

LA Tribune marocaine *

حرب الرّيف (73) معركتها. فلأنها كانت مقتنعة بأهمية الرّسالة الحضارية لفرنسا، رأت هذه الجريدة أن ليوطي أخطأ الطريق باعتراضه على توسّع الاستعمار. وبشكل مُتّربط، أشاعت سياسته الأهلية «الحبيّة» و«الكراهية» داخل الجماهير المغربية (74). «لقد ارتكبت أكبر أنواع انعدام الشرف، وأكبر أنواع الجبن، وجرائم فعلية (...) جازة هذا اليثال الانساني الذي يُبرّر ويلهم وينبغي أن يُجسّد عملنا على هذه الأرض في الوحل» (75). منذ ذلك الوقت «هل نحن موقنون بأن أبناء فرنسا الذين يموتون في الجبهة الرّيفية يقاتلون من أجل قضية عادلة ويدافعون حقاً عن فرنسا؟» (76). يستحقّ هذا القلق أن يتمّ التشديد عليه. فهو صادر عن صحفيين حصّل تردّد في تصنيفهم في اليسار، ولكنّ مثيلهم العلني إلى الحرّية يكفي لترتيبهم، في أرض الحماية، تحت علامة اللامنتهين. وهو صادر عن أشخاص اعتقدوا بحماس في فضائل الاستعمار، وكانوا متعلقين على نحو عميق بالمغرب ويحشون رؤية الحضور الفرنسي مُوطّأ بشكل نهائي بسبب خطأ المُستعمر. لقد كانوا يمتنعون عن إدانة عبد الكريم بقدر ما كانوا يمتنعون عن تمجيد مشروعه. وفي المقابل، كانوا يشددون على أن تفوّقه ناتج قبل كلّ شيء عن أخطاء الحماية. إن هذه المقاربة للمسألة الريفية غريبة عن الرّأي الميتروبوليتاني الذي ينزع إلى محاكمة عبد الكريم انطلاقاً من معايير ثقافته السياسية وحدها.

لم يكن اليسار غير الشيوعي، في غالبية العظمى، يرغب في أن يكون عبد الكريم بطلاً للاستقلال، ولكن زعيماً فيودالياً يُعتبّر نظام هيمنته مُتعارضاً مع المبادئ الديمقراطية، وليس لقتاله قيمة تحريرية. غير أن الاتهام ليس له نفس الدلالة لدى أغلبية الرّاديكاليين أو بعض الاشتراكيين وبالنسبة لعدّد من مناضلي اليسار النقابي، من تروتسكيين وتحرّرين فوضويين. فعند الأوائل، يسمح رُفضهم لعبد الكريم بتحديد اتفاقهم، مع السياسة الحكومية بكلّ تصميم. لقد تساءل كوستاف تيري «كيف يمكن تصوّر أن يتم الاستناد بشكل خطير إلى حقوق الانسان، وحتى إلى حق الشعوب في تقرير مصيرها لتبرير لصوبيات عبد الكريم وعصابته؟» (77). أمّا بيار برتراند فتحدّث عن «الوطنية الوحشية للقبائل» وعن «امبريالية أخيد الروكيين» (78)، بينما أكّد إميل كان بأن «الرّيفيين لا يشعرون بأنفسهم

73 يانير لاثريون ماروكان، التي يوجد جزء من مجموعتها في المصلحة التاريخية للحيش، (MAROC. AI FES 530 2431) ح. كولر، وله كمارزين رئيسين أوغست مونتاني (أخ روبر، المستشار شه الرسمي للاقامة) ومكسيم دوروكسور، وهو صحفي يقيم منذ أمد طويل في المغرب.

74 لاثريون ماروكان، 14 مارس 1926.

75 نفسه، 28 فبراير 1926.

76 نفسه، 26 فبراير 1926 (عدد خاص).

77 لوفور، 29 مايو 1925.

78 لوكوتيديان، 9 يوليو 1925.

مضطهدين إن لم يكن من طرف عبد الكريم نفسه» (79). ويمر الدفاع عن الحضارة، بالنسبة لبعض كتابي الافتتاحيات، عبر الكفاح ضدّ الاسلام؛ هذا هو المعنى الذي ارتأوا إعطائه لخزب الرّيف : «ليس في حقول بواثني، بل في سهول ورّغة، في مقدّمة المُرْتَفَع الرّيفي، ينبغي إعادة شارل مارتيل» (80). ولم يتردد وماريوس موي الذي تتفق قناعاته الاشتراكية مع الدفاع عن مصالح المجموعات المصرفية والصّناعية في المغرب (81)، طويلاً في اتّخاذ موقف : «إن عبد الكريم ليس سوى جندي مُقَامِر يطمع في امبراطورية. غير وارِد لديه أُمُر حرّية الغرب، وحقّ الشعوب (...) وسيكرس حلول نظامه الطّاغي مَحَلّ حمايتنا انتكاساً للحضارة» (82). أما في لوهويل ٥، جريدة الس.ج.ت. فكان عبد الكريم يُقَدِّم إمّا كُمُقَامِر، بقلم النائب الاشتراكي أورّي (83) وإمّا كزعيم فيودالي، بقلم التقائي مليون (84).

لم يكن لجميع المنشقين عن الحزب الشيوعي نفس الموقف الايجابي تجاه عبد الكريم الذي كان يُعبّر عنه لوزون. فايرنست لافون (85)، الذي كان له تعاطف مع قضية الرّيفيين، لم يكن يُقدّر أبداً زعيمهم (86). وبول لوي، مُنظّر معاداة النزعة الاستعمارية، لم يكن يفهم كيف أن حزبه السابق يُمجّد «هذا السّلطان بالحقّ الالهي» ويُداهِن «لا أحد يدري أية وطنية ملكية وإكليريكية» (87). أمّا راول فيرفوي (88)، فكتب ساخراً : «إن عبد الكريم إذن ليس رئيس عصابات أو على الأقلّ ليس رئيساً لحكومة بورجوازية» ولكن كي يختم قائلاً : «لا ليوطي، ولا عبد الكريم» (89). إنها نفس الصّرخة التي نجاهها في فلاهبو : «تقرّنا وطنية أحدهم يُسمّى ليوطي بقدر ما تفعل ذلك وطنية أحدهم يُسمّى عبد الكريم. فالانثان يبعثان قبل كل شيء عن سنبل الجلوس على مقعد الحكم، وتقوية سيادة وسلطة خطيرة على حدّ

79 لوهويل، 9 يوليو 1925.

80 نفسه، 11 يونيو 1925.

81 إنه عامي مطاحن المغرب، أبطر المؤتمر الوطني الرابع والعشرون للحزب الاشتراكي (1927) عرض، ص ص 433 - 436 و 453 - 454

82 دفاثر حقوق الانسان، 1925، ص ص (375 - 376) (عرض جلسة اللّحة المركزيّة لـ 6 يوليو 1925).
le Peuple *

83 لوهويل، 3 يونيو 1925

84 نفسه، 10 يونيو 1925.

85 غادر الحزب الشيوعي في 1923. وقد انتخب نائبا في 1924 في لائحة كتلة اليسارات، وظلت تدرجته تحتل ترحاب من طرف رفاقه القدامى في الحزب.

86 انظر مناقشات المجلس، 28 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص ص 2497 - 2501.

87 لافاك أولفهار أي بايرال، 24 أكتوبر 1925

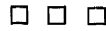
88 طرد من الحزب الشيوعي الفرنسي في 1922

89 لافاك أولفهار أي بايرال، 6 - 20 يونيو 1925، ص 2.

سواء. ليس لدينا مطلقاً أي شيء مشترك معهما» (90). بينما بَدَتْ لوليتير «، التي تعتبر عبد الكريم «دكتاتوراً»، و «رجعياً شرساً، غَدَوْاً للفقراء» (91)، و«نصّاباً دمويّاً عصريّاً» (92)، حريصة مع ذلك على إظهار تعاطفها مع المُقاتلين الرّيفيين (93) مع أن عبارة «المغرب للمغاربة» لم تعد محلّ إجماع معاونيها (94).

قيادة العمليات

أمام الانتفاضة الرّيفية التي أخذت تتعمّم وتهدّد المواقع الفرنسية، طُرِحَتْ ثلاثة أسئلة : ماهي الوسائل التي يتعيّن على فرنسا اللجوء إليها أمام القبائل المتمردة ؟ هل يتوجّب أن يظلّ ليوطي مؤمناً لقيادة العمليات وقيادة حكومة الحماية ؟ وأخيراً هل ينبغي للعلاقات بين فرنسا وإسبانيا في المغرب أن تمتدّ إلى تنسيق وثيق لقواتهما المُسلّحة ؟ تسمح هذه الأسئلة بتقدير إلى أيّ حدّ وأيضاً وفق أية عقلية اعتزمت القوات التي دُعِمَتْ كارليل اليسارات مؤازرة السياسة الهجومية المُتبّنة من طرف حكومتَي بانلوفي وبريان إزاء عبد الكريم.



لقد نهت الراديكالي أنه «لم يعد الأمر يتعلّق بعملية شُرطية؛ إننا نرى حرباً، حرباً حقيقية...» (95). وكتب الجنرال طوفلياب «إذا كنّا نقوم بالحرب، فينبغي أن نقوم بها بوسائل عصرية»، ونصّح بأنه عوض المدفعية المحرورة بالخيول ينبغي تجريب «تلك ابدبابات المُصنّعة للمُشاة والمُسلّحة ببنادق رشاشة» التي تنتقل في كل الميادين، «وجرارات المدفعية، ودبابات الاقتحام، ومدافع الجبال» (96). أما ليرلوفيل «، فاختارت «الطيران

90 لوفلاهو، فاتح يوليو 1925.

Le libertaire *

91 لوليتير، 16 مايو 1925.

92 نفسه، 11 يوليو 1925.

93 نفسه، 4 و 11 يوليو 1925.

94 انظر في مقال مقال توررو، نفسه، 30 مايو 1925 ومقالات 25 يوليو (غير مرقمة) وفاتح عشت 1925 (ديار مولد).

95 لوراديكال، 24 يوليو 1925 (بول بلويسير، سناتور راديكالي اشتراكي للأراضي الفرنسية في الهد).

96 لوفر، 13 يوليو 1925

L'ère nouvelle *

الثقل: «فالنسبة للطيار، كل الأهداف ممكنة، من الأعلى الى الأسفل، ويمكنه أن يصُبْ أطنانا من المتفجرات من شأنها زرع الموت والرعب (...) فتحت طوفان مماثل من النار والرصاص، لن يتأخر الريفيون في مدّ أيدي الصداقة، وحتى ننتهي سريعا ونوفر أرواحا غالية، لابد من الطائرات، والمزيد من الطائرات!» (٩٧).

لقد سمع اجتماع مشترك للجنة الجيش والشؤون الخارجية في المجلس بمعرفة إلى أي حد ينوي اليمين الذهاب. وصرح جان كوري، رئيس الاتحاد الوطني للمقاومين، بأن الطريقة الوحيدة «لوضع حد سريع للعدوان، هو استعمال قذائف غازات سامة، ستمكثون بها من الوصول للعدو بشكل يقيني مما لو استعملت قذائف عادية» (٩٨). لكن بانلوفي نحى هذا الاحتمال. كما بدا له استعمال الطائرات المُقنبلة غير ملائم للميدان؛ وعلى عكس ذلك، أيد كثيرًا استعمال الدبابات، غير أنه ظل متكئًا جدًا حول الأعداد المستعملة رغم أن الجلسة كانت مُغلقة. لقد بدأ الاجتماع بخلاصة حادة، فبعد أن ألح بانلوفي على أن يتقضى عرضه سريعًا، رفض النواب الشيوعيون، من حيث المبدأ الالتزام بالسرية، كما سبق لهم أن قاموا بذلك (٩٩)، فتم إقصاؤهم من المناقشات. أما الاشتراكيون، الأكثر امتثالية، فقد سعوا ليس فقط إلى التمييز عن الشيوعيين، ولكن إلى إظهار حرصهم على ضرورات الدفاع الوطني، بالمعنى التقليدي للعبارة. فبالنسبة لرونوديل، لا مجال لمساومة الحكومة حول وسائل القيام بالحرب، بل إن المُعاون السابق لجوريس أضاف أكثر من هذا، حيث رأى أمام هذا الحضور القليل، أن من غير المُجدي أي جذر كلامي، وقال منذ بداية تدخله «إنني أعتقد بأن المُشاة غير مُسلحين بما فيه الكفاية. فليس لدينا هناك مدافع من عيار 37. أعتقد أيضاً بأن عَدَدَ بنادقنا الرشاشة هو دون ما كان ينبغي أن يكون عليه. إذا أردنا تطوير القوة النارية، فسننتقل إلى ذلك بسهولة بواسطة أسلحة أسهل عند الحمل والنقل من استعمال المدافع الثقيلة. هذه ملاحظة أبلغني بها رجال الجبهة. إن تكتيك الريفيين، الذي حدّثتموه جيداً، يُظهر أن من المصلحية الأكيدة جعل القوة النارية كبيرة ومتنقلة» (١٠٠). بعد ذلك بقليل، عاد إلى مسألة الوسائل العسكرية، وقرّر للأعداء المتوفرة، وتحتّم كلامه مطالباً الحكومة بعدم التردد في طلب متطوعين. لقد كان مُتفقاً في هذه النقطة مع الجنرال كاستولنو. ولا تعكس وجهة نظر

97 ليونيل، 10 يوليوز 1925.

98 مجلس النواب، لجنة الشؤون الخارجية، جلسة 17 يونيو 1925.

99 نفسه، جلسة 3 دجنر 1924.

100 نفسه، جلسة 17 يونيو 1925، إن هذه الفقرة هي الاستعادة الحرفية لتصرّح رونوديل في اللجنة، الذي أدلى به مباشرة بعد تصرّح بانلوفي. لقد تحدث هذا الأخير عن التكتيك وعن استعمال بعض الأسلحة، ولكن أيضاً وأساساً عن مسائل أكبر عمومية. ووقف في تدخل ثاب، تحدث النائب الاشتراكي عن شروط الصلح المقترحة على عبد الكريم (انظر أدناه).

رونوديل وجهة نظر الحزب الاشتراكي في مجموعه، ولا حتّى وجهة نظر أغلبية الفريق البرلاني (101). إنه لم يتمكّن، من اجتذابه في 9 يوليو، للتصويت على الاعتداءات العسكرية التي طلبها بانلوفي (102)، فصعد بلوم الى منصّة المجلس ليعلن عن امتناع الاشتراكيين. لقد أكد زعيم الحزب الاشتراكي بأن «استعمار الحرب الذي يستقرّ بالاحتلال والغزو شيء أنكرناه دائماً وسنظلّ ننبذه». إن الكفاحات التي خاضها الحزب الاشتراكي سابقاً ضدّ احتلال المغرب تجعله اليوم، مرتاح الضمير (103). فهذا الاحتلال أمر واقع، لكننا، يقول ليون بلوم، «للسنا متضامين، ولا مسؤولين» عن الصعوبات الرّاهنة، وعليه، فإن من شأن التصويت على الاعتداءات المطلوبة تشجيع الاستعماريين الذين لا يتصوّرون الحضور الفرنسي إلّا مدّعوماً بالقوّة العسكرية. لكن لن يذهب الاشتراكيون الى التصويت ضدّ الاعتداءات، لأنّ تصويتاً من هذا القبيل يمكن أن يُزوّل في اتجاهٍ مشنّج لـ «جلاء بلا شرط» عن المغرب (104).

يكشف هذا الرّفص لاتخاذ موقف واضح عن التيارات المتناقضة التي كانت تُهزّ الحزب الاشتراكي بصدد حرب الرّيف. لقد امتنع ستة اشتراكيين فقط في 29 مايو عن التصويت على جدول أعمال الثقة في الحكومة (بعد أن صوّت إثنان آخرون، لاباتو ورانيو ضيّده) (105). وكانوا عشرة أولئك الذين امتنعوا في 19 يونيو عند التصويت على الرّدّ عقب استفسار دوريو (106) وخسمة وثلاثين في 23 يونيو، عند جدول الأعمال الجديد للثقة في الحكومة (107). ويُفسّر هذا الموقف أيضاً بحكّم الانشقاق الذي كشفت عنه المناقشات داخل الحزب بين أنصار المشاركة في الحُكْم وأولئك الذين يرون بأنّ السياسة الاقتصادية

101 إنه مع ذلك هو الذي تدخل لوقت أطول في اللحنة عن القضية المغربية. أما بول فور، فقد كان خلال الجلسة التي أتيا على ذكرها، أكثر تحفظاً بكثير. لقد سأل إذا كان حقاً «لا يمكن للمعاملات أن تتواصل إلا بوحدة أكثر عدداً» ولم يقل أبداً أن تدبيراً من هذا القبيل سيحصل على موافقته. وبعد بضعة أيام من ذلك، كتب في لوبويل: «إن حزبنا لم ينضم في أية لحظة إلى حرب استعمارية (...)». وإذا استمر متخو الحرب في التضامن البرلاني والحكومي للأيام الأحيوة بخصوص المغرب، تتعلّ عدم قلب الحكومة، وبعد إبعاد الطر، فإنهم سيدبرون ظهورهم لتاريخ الاشتراكية بأكمله» (29 يونيو 1925).

102 بعد أن دافع بول — بونكور ورونوديل عن الاعتداءات العسكرية، أعلن فولالمر وبريسمان، وبارون، وموران أنهم ضدّها، بيما فصل كرويسر — مرويل الانتعاج. لقد أعطى تصويت داخل المجموعة البرلانية النتائج التالية: تسعة أصوات مع، تسعة أصوات ضد، أربعة وعشرون لصالح الانتعاج، حسب لوبويل، 17 يوليو 1925

103 إننا «مؤننون (...) محررون ومطهرون نعهد وبطولة رجال شهرنا، سيقا، تمحاطر الاحتلال المغرقي»، مناقشات المجلس، الجلسة الثانية لـ 9 يولي 1925، المجلدة الرّسمية، 3316 — 3317

نفسه.

104 نفسه، المجلدة الرّسمية، ص 2523.

105 نفسه، المجلدة الرّسمية، ص 2752 — 2753.

106 نفسه، المجلدة الرّسمية، ص 2791 — 2792.

والاجتماعية للحكومة ينبغي أن نقودهم الى أخذ مسافة من حلفائهم في الكارتيل. وقد تضاعف فسادُ علاقاتهم خلال النصف الثاني من 1925؛ كما أن المشاريع المالية لتبزل دومير قوّت من عداء الاشتراكيين، بينما قادهم تمديد العمليات العسكرية في الريف أكثر من سنة إلى أي يرفضوا برفقة الشيوعيين الاعتمادات العسكرية الجديدة المطلوبة من طرف الحكومة. لكن الأعداد المتوقعة من طرف القيادة العليا كانت قد تُمثت قبل ذلك : فقد انتقلت من ستة وستين ألفاً وخمسة وسبعين رجلاً في فاتح أبريل 1925 إلى مائة وواحد من الآلاف وأربعمائة وثلاثة وتسعين في فاتح يوليو، وإلى مائة واثنين وأربعين ألفاً وثلاثمائة وأربعة وخمسين في فاتح أكتوبر. لقد كان الفرنسيون يُمثلون 30 % من هذه الأرقام، بينما شكّلت المجموعات الشمال افريقية والسينغالية أغلبية الوحدات. إن هذه الأعداد لن يتم تجاوزها (108)، ولكن ستمكن بفضل وسائل المدفعية والطيران التي وُضعت تحت تصرفها، من شنّ عمليات كبيرة، وترميم الوضع في الجبهة الشمالية للحماية الفرنسية والتحضير لهجوم واسع ضد عبد الكريم. لقد كانت هناك مسألتان أوليتان ينبغي حلّهما : تعويض ليوطي وإبرام اتفاق سياسي وعسكري مع الحكومة الاسبانية. وقد اعتزمت أوساط اليسار إبداء وجهة نظرها في كليهما.



لقد تطلبت قيادة العمليات العسكرية استبدال ليوطي : هذا هو الرأي المقبول عموماً من طرف الأوساط الراديكالية والاشتراكية. فقد عملت مظاهر ليوطي كسبب كبير، وميله للحكم المطلق، وازدراءهم للأشكال البرلمانية، وعموما قناعاته المحافظة، دون ريب، على إثارة نفور اليسار منه. لكن عنف التهجّمات التي تُعرض لها يُفسّر قبل كل شيء بجرّص أغلبية الاشتراكيين والراديكاليين على العثور على كبش فداء في القضية الريفية. إذا كان التباحث مع عبد الكريم لم يتم في الوقت المُجدي، فذلك خطأ ليوطي، وإذا لم يتم، بعد ذلك، احتواء اندفاع الريفيين فذلك خطأه أيضاً. إنه ليس رجل السّلم. ولا هو أيضاً بزعم الحزب التي يتطلبها الوضع (109). لقد كانت رسالة فاتان — بيرينيون هي قطرة الماء التي أفاضت

108 AN مجموعة بالولوي 313 AP 205. إن ديوان وزير الحرية يقابل طلبات التعرّيات المعبر عنها من طرف المقيم العام أو القيادة العليا لقوات المغرب بالوحدات التي تم إرسالها لكي يخلص إلى أن باريس قد أرست دوما الرّباط في مصر. الانتقام، وحلّاماً للأراء التي أداها هووير — حاك، مشار إليه سابقاً، أنظر المقدم لور، الانتصار الفرنسي — الاسباني في الريف، 1927

109 إنه لم يعرف كيف يتوقع إخماد الريفي، ولا كيف يتحد صده التداير الضرورية، كتبت كل من لوكوتيديان (19 يوليو 1925)، لوفر (22 يوليو 1925)، لوراديكال (29 شتنر 1925)، ليوتويل («ليوطي التصادم، الذي لم يتوقع

الكأس. فصار عليه أن يتخلّى عن سلطاته العسكرية للجنرال نولان قبل أن يخضع نهائياً من السّاحة المغربية. ولم ينتبه اليسار الذي لم يكن مُحرّكاً، بحصر المعنى، إلى أن هجماته ضدّ ليوطي، كانت تساعده أنصار حرب الإبادة ضدّ عبد الكريم. لقد كانت أركان الحرب العامة مُتَعَجِّلَةً لِأَنّ تستبدل تصورات المقيم العام، الذي لا ينفصل العمل الحربي بالنسبة إليه عن العمل السّياسي، بِمَذْهَبِ حَرْبٍ أَكْثَرَ كِلَاسِيكِيَّةً، لا يتردّد في استعمال الوسائل الأكثر أهيمّة والأكثر عُصْرِيَّةً. وسيجسد بيتان، الذي استقبل تعيينه بترحاب من طرف قطاع كبير من اليسار (110)، هذه الزّيادة (111).

لم تكن لذهاب ليوطي تيّحات عسكرية فحسب، ولكن أيضاً دلالة سياسة ينبغي أن نتوقّف عندها قليلاً، لأنّها تمنحنا وإحداً من مفاتيح قطاع من اليسار تجاه الحركة الوطنية المغربية. لقد احتفت الأوساط الراديكالية والاشتراكية في أكتوبر 1925 بتعيين رجل سياسي، هو السناتور ستيك (112)، في منصب المقيم العام، واعتبرت ذلك بمثابة انتصار. كيف أمكن أن يكون الأمر مخالفاً لذلك، في حين أنّ تلك الأوساط نفسها هي التي ناهضت، على مرّ السّنين، النّظام التعسفي الذي كانت تعرفه الحماية، وطالبت بإحلال إدارة مدنية محلّ الإدارة العسكرية؟ إنّنا نعرّف أنّ ليوطي قد رفض الرّدّ بالإيجاب على طلب عصبة حقوق الانسان السّاعي لأنّ يُعلّق في المؤسسات العمومية، والبلديات، والمدارس، إعلان حقوق الانسان (113). «لقد اعتبر الحاكيم الفارسي للمغرب الميثاق الكبير للبورجوازية الفرنسية تحريماً وخطيراً»، هكذا علّق الشّيعي نكيان — إي — كوك. وبينما كان الرجل الذي سيُعرف

شينا، ولم يلاحظ شينا، ولم يحضر شينا» 10 غشت 1925. «لا ينبغي أن نساهمه طويلاً في استراحة رصاماً حيداً». ليوتي بلو، 14 غشت 1925.

110 انظر لولر، 31 غشت و 3 شتنر 1925، ليروليل، 21 يوليوز 1925، لوراديكال، 24 يوليوز 1925، لوم لير، 28 يوليوز 1925. على عكس ليوطي الذي لم تنتقد فقط سياسته بل شخصه أيضاً ويعتبر من الراديكاليين إلى الشيوعيين، لم يصدر مصدر تعيين بيتان أي تعليق شخصي انتقادي أوط.

111 أنظر في هذا الموضوع المناحلة المتنازلة ل د. ريفي في ندوة عبد الكريم : القيادة الفرنسية وردود فعلها تجاه الحركة الريفية، 1924 — 1926، مشار إليه سابقاً، ص 101 — 136. قد أُنْذِي بيتان رأيه بالمارات التالية حول مخطط العمل المقرر من طرف ليوطي، الذي أحره في 18 غشت من طرف وزير الحربية «لقد اعتبرت الدّخام المروص في هذه الوثيقة غير كاف. فهو لم يتقصد، بالفعل، سوى أهداف سياسية أساساً، ولم يشكل، في أيّ حاسب، تهديداً مباشراً لقرّة عبد الكريم، كما أنه سمح قبل الأوان بالألّل في إنهاء عمل بدا لي أنه يتطلب مفاوضات مغايرة في الحرم والتكلفة والوقت» AN، مجموعة مانلوي، 313 AP 205 (رسالة 20 أكتوبر 1925، إلى رئيس المجلس، وزير الحرس).

112 عضو اليسار الراديكالي، ومشارك بصفته وزيرا للعدل في حكومة مانلوي.

113 يرى ليوطي بأن هذا الطلب ليس مطابقاً لنظام الحماية، لأنّ ماديّ إعلان الحقوق للانسان، 1924، ص 139، وص ص 510 — 511.

باسم هوشي مينه يعطى للإعلان محتوى كَوْنياً ويدعو المغاربة للكفاح من أجل استرداد حقوقهم (114)، لم يَحُلْ مَوْقِفُ العُصْبَةِ من الالتباس. هكذا كان الكفاح الذي تخوضه لصالح «الحرية الجمهورية» يستهدف عملياً الحصول على حقوق سياسية لصالح فَرَنْسِيَّيِ الحماية وَحَدَّهَم (115). وقد طالبَ فدرالية المغرب مرة أخرى، في مؤتمرها لعام 1925 تمثيلهم غَيْرَ الانتخاب العام في مختلف مجالس الحماية (116). وكان هذا المَطْلَبُ يَنْخَرِطُ في جَوْ هِيْمَنْتْ عليه منذ نهاية الحرب العالمية الأولى رغبة الحماية في إزاحة العوائق التي يضعها ليوطي أمام تطوُّرها (117). ولم تكن غرف الفلاحة (118)، أو نواب الجزائر (119)، وحدهم الذين كانوا يطالبون بسياسة تعمير زراعي فرنسي، بل لقد رأينا اشتراكاً مثل كاريث — بوفي كان مناصراً لهذا المطلب، لا سيما وأنه بدا له متعارضاً مع استثمار الشركات الرأسمالية الكبرى الذي كانت تشجعه الإقامة (120)، كما أن ليبراليين مثل مكسيم دو روكمور (121) ودوني (122) كانوا يشاطران وجهة النَّظَر هذه.

- 114 مراسلة دولية، 17 أكتوبر 1924.
- 115 في 1922، صاح كيريو في المؤتمر الفدرالي للدار البيضاء: «أيها الفرنسيون، إنكم تمنتون في فرنسا بكل حقوقكم السياسية. وعندما جتمع إلى هنا (فقدتموها كلها) (...) هاك، كنتم مواطنين، وما أنتم رعايا...» الدفاتر، 1924، ص 231. عن المطالب المضبوطة للمصوبين المغاربة، أنظر متعنيات الفدرالية، نفسه، ص 484، مقال ماريوس موفي عن العدل في المستعمرات، الذي يثير فيه بالخصوص معارضة ليوطي لاحتجاج ممثلين فرنسيين في اللجان البلدية وفي غرفة استشارة، نفسه، ص 563 — 570، والقرارات المتبناة في هذا الاتجاه من طرف المؤتمر الفدرالي لـ 1924، نفسه، 1925، ص 5.
- 116 بعد أن عرض دوبيوتي، بعد بضعة أشهر لاحقا، أمام اللجنة المركزية، مطالب الفروع المغربية للعصبة، كان فيليسيان شالاي وحده الذي اندهش لكون الأمر لا يتعلق بمشاركة الأهالي في الأجهزة التي كان يطالب بإنشائها. نفسه، ص 590 — 591.
- 117 نعرف عدا ليوطي للاستعمار الزراعي الصغير: «لأنه يثير التردد في أن نرى بوضوح أن المغرب ليس ولن يكون أبدا مستعمرة للتعمير الزراعي الصغير» كتب المقيم العام إلى وزير الشؤون الخارجية، وأضاف بأن المعارضة لديهم «وسواس مما حدث في الجزائر في بداية احتلالنا، أي تجريد الأهالي من أراضيهم» رسالة رقم 66 في 14 يناير 1921 (أرشفيات شخصية).
- 118 انظر لوماروكان، 5 شتنبر 1923، لابرير ماروكان، 6 شتنبر 1923.
- 119 «ليس ثمة معمرين في المغرب؛ إنه واقع أكيد في أنه لا يريد أحد، في هذه الأرض الشاسعة»، صاح أبو، نائب قسطنطينة، أمام المجلس، لافريك فوالسيوز، أبريل 1923، ص 201، أنظر أيضا نفسه، يونيو 1923، ص 295 — 296 (روكس فريسينغ).
- 120 لوكري ماروكان، 28 شتنبر 1924. لقد أعيد نشر المقال من طرف لوماليني (10 أكتوبر 1924) التي انبرت بهذه القضية، ودون أن «تمحي» معارضة المقيم للتواجد الكبير للمعمرين الجدد.
- 121 لانيرون ماروكا، 14 مارس و 25 أبريل 1926.
- 122 مشار إليه سابقا، ص 35.

لقد قوت الترددات التي أبداهها المقيم العام في قتال عبد الكريم من عداء أولئك الذين يعتبرون أن تثبيت حقوق المستعمرات الفرنسية لا ينفصل عن تنحية الزعيم الريفي. وكان أغلبية عصبويي الحماية يشاطرون طريقة النظر هذه. هكذا كتب رئيسهم، دو بييتي، وهو من أعيان الرباط، الى اللجنة المركزية بأن القيادة الفرنسية عاجزة على مُجابهة انتفاضة القبائل؛ وطلب «بأن تكون للجنرال نولان سلطات واسعة جداً.. والشرط الأساسي للتفوق هو أن يكون نولان سيد الوضع بإطلاق، أي فوق المارشال ليوطي» (123). بعد أيام من ذلك، شكر فرع الدار البيضاء «الحكومة على تفهمها لخطورة قضية الريف وتعيينها لبيتان ونولان. وطلب إرسال لجنة تحقيق في الأخطاء والأغلاط المرتكبة» (124). إن أولئك الذين شددوا، على غرار كاريت — بوي أو دوني، على ضرورة تنفيذ سياسة تقدم اقتصادي واجتماعي لصالح الجماهير المغربية، مع تطوير الحماية في نفس الوقت، أخذوا ليوطي على كونه لم يعرف إبرام تسوية سليمة مع عبد الكريم. وفي فرنسا، كان الاشتراكيون والراديكاليون على الخصوص متأثرين بإجماع الانتقادات ضد المقيم العام. فهو تنقصه الصفات الضرورية إما لقتال الريفيين، حسب البعض، أو لاقامة السلم معهم، حسب البعض الآخر. لكنه لم يعرف، أكثر من هذا، — والآراء لم تعد مختلفة هنا — اجتذاب «المُعمرين التشيطون» وتسهيل التوسع الفرنسي في المغرب، (125). ولا ينفصل التجاح «الديمقراطي» الذي مثله ذهابه عن اندفاع الاستعمار وتقوية امتيازاته التي ستأكد مع تحليفه (126). ولن تمر هذه الوضعية دون أن تؤثر في موقف قطاع عريض من اليسار تجاه المغرب، إذ سيقوي توسيع الحضور الفرنسي في الحماية تياراً استعمارياً لدى عدد من المناضلين ويقودهم الى اتخاذ موقف أكثر عداء إزاء المطالب الوطني.



لَقَطْع دَابِر الانتفاضة الريفية، بدأ التنسيق العسكري الوثيق بين فرنسا وإسبانيا لا مندوحة عنه. بالنسبة لحكومة بانلوفي، يُعتبر الأمر بديهيًا. إذ سرعان ما سلم بحجج القواد

- 123 دفاير حقوق الانسان، 1925، ص 363 — 367.
 124 اجتماع 26 يوليوز 1925، نفسه، ص 525.
 125 فحسب صحيفة الـ س. ج. ت، فإن بيا ذهاب ليوطي «استغل نازيح حقيقي من طرف الأغلبية العظمى للمعمرين المجددين للمغرب، وخاصة من بين أولئك الذين لا يصنعون في فئة المستفيدين الكبار» لويول، 30 شتنبر 1925.
 126 إن الاستعمار «الرسمي» سيتسارع : فتوزيع الأراضي من طرف مصالح الحماية لـ 24000 هكتارا في المتوسط بين 1926 و 1930 مقابل 15000 بين 1918 و 1925. وعدد الضيعات الفرنسية «الرسمية» التي تم إنشاؤها على هذا

العسكريين (127). ويَعَث مَأْلَفِي لِيَحْضُرُ لِنُتْسِ مَفَاوِضَ عَامَةِ مَعَ دِيَوَانِ مَدْرِيد. ويدل اختيار هذا المفاوض، المُشْتَعِ عَلَيْهِ فِي الْيَمِين، عَلَى الْاِحْتِيَاظَاتِ الَّتِي عَزَمَ كُلٌّ مِنْ بَانْلُوْفِي وَبِرْيَانِ عَلَى اتِّخَاذِهَا. فَامَامَ الْبَرْلَمَانِ، لَا يُمْكِنُهُمَا الْكَشْفُ عَنْ نَوَايَاهُمَا فِي التَّوَصُّلِ إِلَى اتِّفَاقٍ عَسْكَرِيٍّ مَعَ حُكُومَةِ بَرِغُو دِي رِيغِيَا، دُونَ الْمَجَازِفَةِ بِإِزْعَاجٍ خَطِيرٍ يُقْسِمُ مِنَ الْكَارْتِيلِ لَا يُقَدَّرُ إِطْلَاقًا النِّزَاعَاتِ الْفَاشِيَّةَ لِلْهَيْأَةِ الْحَاكِمَةِ فِي اسْبَانِيَا. لِذَلِكَ فَضَّلَا الْإِلْحَاحَ عَلَى الْمَوْضُوعَيْنِ الْآخَرَيْنِ لِلْحَوَارِ الدَّائِرِ: رَدُّ عَهْرِبِ الْأَسْلِحَةِ إِلَى الْمَغْرِبِ (128). وَضَعُ «نِظَامِ نِهَائِي وَقَارٍ مَعَ الرِّيفِيِّينَ»، مُهَيِّئًا لِلْبَحْثِ عَنْ سِلْمٍ فَعْلِيٍّ (129). وَفِي الْوَقْعِ، كَانَ التَّحْضِيرُ لِعَمَلٍ مُنَسَّقٍ عَسْكَرِيٍّ بَيْنَ الْقُوَّاتِ الْفَرَنْسِيَّةِ وَالْإِسْبَانِيَّةِ ضَيْدَ عَبْدِ الْكَرِيمِ سِرًّا شَائِعًا (130). فَقَدْ كَانَ الرَّادِيكَالِيُونَ يَتَمَتَّنُونَهُ (131)، وَعِنْدَمَا تَمَّ التَّوْقِيعُ عَلَى الْاِتِّفَاقَاتِ الْأُولَى (132) وَحْدَهُمُ الْاِشْتِرَاكِيُونَ اِحْتِجُّوا عَلَى الْخِيَاْفَةِ (133). لَقَدْ وَضَحَ لِلْعِيَانِ، مِنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتُ فَصَاعِدًا، أَنَّ حُكُومَةَ بَانْلُوْفِي — بَرِيَانِ لَنْ تَدَّخِرَ أَيْةَ اِمْكَانِيَّةٍ لِانْجَازِ الْحَرْبِ بِجَمْعِهَا لِكُلِّ الْوَسَائِلِ الْمُتَوَفَّرَةِ. هَلْ مَعْنَى هَذَا. أَنَّ الْحُكُومَةَ الْمَدْعُومَةَ مِنْ طَرَفِ الرَّادِيكَالِيَيْنِ وَالْجُمْهُورِيِّينَ — الْاِشْتِرَاكِيِّينَ، لَمْ تَعُدْ مِنْذُ صَيْفِ 1925 تَتَبَيَّنُ السَّلْمَ إِلَّا كَخِتَامٍ لِانْتِصَارِ الْأَسْلِحَةِ؟ بِالنِّسْبَةِ لِلشُّيُوعِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا يُطَالِبُونَ بِوَقْفِ الْعَمَلِيَّاتِ الْحُرْبِيَّةِ وَانْسِحَابِ الْقُوَّاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ، وَبِالنِّسْبَةِ لِلْاِشْتِرَاكِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَمَتَّنُونَ لَوْ يَمُ الشُّرُوعَ فِي مَحَادَثَاتٍ مَعَ عَبْدِ الْكَرِيمِ، يَنْبَغِي لِلْسَّلْمِ أَنْ يَكُونَ فِي أَعْقَابِ تَفَاوُضٍ لَا يَجِبُ تَأْجِيلُهُ.

النحو، والتي كانت 690 في 1925 (أي 86 في السنة تحت ولاية ليوطي) انتقلت إلى 1522 في 1930 (أي 166 في السنة بعد ذلك). عوازة ذلك، تطور الاستعمار الخاص بمبحث سيحصى في المجموع في نهاية 1929، 3178 مشروعا استعلايا أوروبا (مقابل 1794 في 1925).

- 127 SHA VM RIF 17 (ملكرة 11 يونيو 1925 لرئيس المجلس، وزير الحرية).
- 128 مناقشات المجلس، 28 مايو، الجريدة الرسمية، ص 2494.
- 129 نفسه، 29 مايو، الجريدة الرسمية، ص 2517 (بريان).
- 130 انظر لافريك الفراسيز، يونيو 1925، ص 313، يوليو 1925، ص 348.
- 131 انظر لوراديكال، 4 — 5 يوليو و10 شت 1925؛ ليوليفيل، 16 يوليو و25 غشت 1925؛ لوم لير، 27 يوليو 1925.
- 132 لقد تم التوقيع على اتفاق مسبق في 4 يونيو 1925. وأعطته ثلاثة اتفاقات في 8، و11 و25 يوليو 1925 حددت مبادئ تعاون عسكري بين البلدين، ثم تم التوقيع على اتفاق حديد في 6 فبراير 1926 نص بتفصيل على العمليات المستقة بين القوات الأسبانية والفرنسية. SHA VM RIF 18.
- 133 لقد نشرت ليويليو مقروا يتبن منه أن «الحزب الاشتراكي آسف (...) لظهور عخطط تعاون عسكري مع اسبانيا، أمام الرأي العام في الوقت الراهن قبل أن تعرف حتى اقتراحات الصلح، وخلافا للالتزامات التي أخذها الحكومة على عاتقها أمام البرلمان...»، 31 غشت 1925. أما احتجاج روفوديل فكان أكثر ليونة: «فقط لأن شروط الصلح لا تنشر، في نظري، مما يكفي من السرعة، أفضيا أن تعاون عسكري كامل عندما، إجمالا، لا يكن يتعلق الأمر بهذا الشكل أمام البرلمان» مجلس النواب، لجنة المالية، 21 أكتوبر 1925.

اليَسَار والسُّلَم

مبدأ التفاوض مع عبد الكريم

عندما بدأت مناقشات البرلمان حول المغرب، في أواخر مايو 1925، لم تكن وزارة بانلوفي موجودة سوى ببضعة أسابيع. وكان غير وارد بالنسبة لبانلوفي التفاوض مع عبد الكريم الذي كان يعتبره، كما رأينا، مُتَمَرِّدًا يُشكِّلُ مشروعه تهديداً للحضور الفرنسي في إفريقيا الشمالية. في هذا الاتجاه، كان مُتَّفِقاً مع بين البرلمان، ومجموعات الوسط واليسار المعتدل. لقد كان هؤلاء وأولئك متأثرين بضغوط الفريق الاستعماري الذي كان المُعْتَبَران عنه في المجلس وقتذاك هما ليون باريتي (134)، وروكس — فرايسينغ (135). وعُيِّنَ كيومون، رئيس الوفد البرلاني الذي بُعث إلى المغرب، من جهته، عن التَّحفظات التي يمكن أن يعثها لدى أصدقائه الراديكاليين فتح مُفاوضات مع عبد الكريم، وهو ما عبر عنه بقوله: «نعم، نتفاوض، ولكن بعد أن نكون قد قمنا بما ينبغي القيام به، يتَمَلَّ ليس من اختصاصنا نحن البرلانيين، أن نُحَدِّدَ لائقته ولا مداه لأننا لا نعرف الصعوبات التقنية التي يُخْضِعُ لها» (136). إن الحكومة لا تنوي، الادلاء بتصريحات فظة النوايا من شأنها أن تعجل بتفكك الكارتيل، الذي بدأه قَبْلاً مشاريعها المالية. ومن جهة أخرى، عليها التأكيد من الإرادة السياسية للحكومة الاسبانية في الصمود للدفاعة الريفية، وأن تُدْخِلَ في حسابها التعاون الممكن إقامته بين باريس ومدريد والتمن الذي يمكن للهيئة الحاكمة أن تؤدِّيه للحصول عليه. من وجهة النظر هذه، لا تُنفصل التَّصَرُّحات الحكومية، وكذا التَّصَرُّحات المنسوبة إلى عبد الكريم، عن اللعبة المزدوجة الدبلوماسية والعسكرية، التي تُلْمَتُ في المغرب.

في فترة أولى، كان يتم تقديم الحججة السياسية — القانونية لتتحية إمكانية مفاوضات مع عبد الكريم، ولأن هذا الأخير لا يمتلك صفة مُحَارِبٍ، فهو أيضاً لا يمكنه ادعاء التفاوض. ولا يمكن لفرنسا من جهة أخرى أن تتصرَّف بمفردها، فمصالحها مُتَكَافِلةٌ مَعَ المصالح الاسبانية. إن على باريس ومدريد أن تتفاهما، خاصة حول الحدود بين مُنْطَقَتَي الحماية، قبل أن توضحا

134 كعصو بارر في اليسار الديمقراطي، ورئيس «للمجموعة البرلانية للمغرب»، يرى ليون باريتي أن التفاوض مع عبد الكريم سيكون مظهر ضعف يؤدي إلى تعمير الفاتل الوالقة من فرنسا عن هذه الأخيرة وتقوية الزعيم الريفي انظر مناقشات المجلس، 28 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2474 — 2479.

135 كاتب لوهرا، وعضو في اليسار الراديكالي، لارنق روكس — فرايسينغ الصالح إلا عقب استسلام عبد الكريم : على الزعيم الريفي أن يطلب الأمان وتصنع لشروط الحكومة الفرنسية. نفسه، 9 يوليو 1925، الجريدة الرسمية، ص 3301 — 3302.

136 نفسه، الجريدة الرسمية، ص 3305.

شروط سيلم في الريف. لكن ديوان بانلوفي كان لا يزال حريصاً على مراعاة اليسار الاشتراكي الذي كانت أصواته ضرورية للتنصيب. من هنا مجهودات بريان لكي يُقَسَّر في المجلس بأفه من الممكن إجراء محادثات مع عبد الكريم دون فتح مفاوضات معه (117). ومع ذلك كان من الواضح بأن الحكومة لا تنوي الذهاب بعيداً في هذا الطريق.

ستعمل مسألة نشر شروط السلم وتصريحات عبد الكريم، خلال الصيف، على إحياء النقاش. لقد وَضَّح بانلوفي بأن الحكومة مُستَعِدَّة لأن تخبر القبائل الريفية بالخطوط العريضة لنوايا فرنسا، حتى قبل أن تكون اتفاقات مُلَبَّد قد ضُبِطَتْ. لكن إرسال شروط السلم مباشرة إلى عبد الكريم أمر غير وارد. فهذا الأخير سيصرفها، دون أن يكون أي مُسْتَقْبَل — «من شأنه أن يبدو كطلب للسلم» — قد تم القيام به إزاءه (138). لقد حصل رئيس البرلمان قبل بضعة أيام من ذلك، في لجنة الشؤون الخارجية، على انضمام رونوديل إلى نُهْجِه (139)، وهذا ما لم يمنع هذا الأخير، أن يطلب في جلسة عمومية، «تقديم» هذه الشروط إلى الزعيم الريمي (140). وستتخذ الأجهزة القيادية للحزب الاشتراكي موقفاً أكثر وضوحاً: فهي لا تفصل نشر شروط السلم عن تبليغها إلى عبد الكريم. هكذا كان فهم ممثلي التنظيمات الاشتراكية الفرنسية والاسبانية والانجليزية المجتمعة بباريس في 08 يوليوز (141)، والمؤتمر الوطني الاستثنائي لأيام 15 — 18 غشت (142)، ومؤتمر الأمانة الثانية، الذي انعقد بعد بضعة أيام من ذلك في مرسيليا (143). ومن جهتهم، ثابر الشيوعيون، الذين كانوا يطالبون بسلم فوري، على إظهار أن عبد الكريم مستعد كل الاستعداد لذلك. ودعوا الحكومة إلى تشكيل لجنة تضم خصوصاً ممثلي المركزين النقابيين، س.ج.ت، و س.ج.ت. الوحدوية وتنظيمات الفلاحين، وذلك استعداداً للمفاوضات (144). لقد أعطت لومانيتي صكاً واسعاً لتصريحات «رئيس جمهورية

137 انظر نفسه، 29 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2517.

138 نفسه، 9 يوليوز 1925، الجريدة الرسمية، ص 3313.

139 مجلس النواب، لجنة الشؤون الخارجية، 17 يونيو 1925.

140 «لسم من أولئك الذين يعترضون أن على عبد الكريم أن يأتي إلينا نالحل في عنقه ؟ كلا، ستحدث مستفاد»

مناقشات المجلس، 23 يونيو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2779.

141 انظر لوييلير، فاتح غشت 1925.

142 طبقاً للمقرر الذي تم تبنيه في 28 يوليوز، فإن المؤتمر «أسف: لكن الحكومة الفرنسية تراجعت عن النشر الفوري لشروط السلم المقررة مع الحكومة الاسبانية؛ لكونها لم تر ضرورة أن تبلغ مباشرة أو رسمياً شروطها للسلم إلى عبد الكريم، مقدمة هذا الزعيم الريمي تعلات لكي لا يعطى جوابه عن الاقتراحات مقدمة على هذا النحو» نفسه، 31 غشت 1925.

143 تستعيد المذكرة التي تبنتها الأمانة الثالثة بالضبط نص مقرر 28 يوليوز السابق. نفسه.

144 جدول أعمال مقترح على المجلس، باسم الحزب الشيوعي، من طرف كاشان، مناقشات المجلس، 29 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2513.

الرّيف: «فأعادت تُنشر المقابلات الصحفية التي تخصّ بها الصحفيين الأجانب (145)، وعُرِفت بـ «شروطه للسّلم» المُبلّغة عبْر وَسْطَاء (146)؛ ونُشرت، أخيراً، الرّسالة التي وَجَّهها للبلّان الفرنسي (147). لكن لم تكن الجريدة الشيوعية وحدها التي أرادت تعريف الرّأي العام بنوايا عبد الكريم. فقد نشرت جريدة الكوتيديان، المُستتبّهة قليلاً وأُوليا بالتعاطف مع القضية الريفية، في 23 يوليو وثيقة مُعْتَوَنة بـ «خطاطة شروط السّلم الموضوعية من طرف عبد الكريم»، التي وَصَّحت في اليوم التّالي بأنّها بُلِّغَتْ بها من طرف ضباط بريطانيين. وفي الواقع، تعلق الأمر بالقبطان كوردن كانينغ، مُنْشَط الرّيف كوميتي الذي لم يتوقّف عن إثارة الضّجيج حوله. لقد كان لهذا التّشّرع، في جريدة تنتمي دائماً للأغلبية الحكومية، وَقَع القنبلة. لا سيما وأن كاتب افتتاحيتها، ب. برتراند، ألحّ على أن هذه الوثيقة تشكل أساساً لنقاش مقبول (148). فثارت ثائرة اليمين، وتصاعد الاحتجاج من الجرائد الرّاديكالية: فالأُسْلُوب المُستعمل يُشكّل «نوعاً من التّحدّي للقاعدة الطّبيعية للمحادثات الدبلوماسية» (149).

ومن جهتها، رفضت الحكومة، التي أُلْهِتْ ضبط شروط السّلم مع الحكومة الأسبانية، نُشْر هذه الشّروط، رغم الاتّحاح الشّدِيد للحزب الاشتراكي وعصبة حقوق الإنسان (150). لقد اكتفت بالإنّذار بأنّ المندوبين الفرنسيين والأسبان ينتظرون في مليلية وطنجة مجيء مبعوثي عبد الكريم لمعرفتها (151). وأكدت مذكّرات شبه رسمية أن هذا الأخير يرفض الشّروع في مفاوضات إن لم يتمّ الاعتراف، مسبقاً، باستقلال الرّيف (152). وفي 20 غشت، بُلِّغَ تيّاً مفاده أن الحكومة، بعد أن اعتبرت أنّ مندوبيها صَبَرُوا ما فيه الكفاية، أُمِرَتْ هُوَلاً بالعودة إلى وظائفهم المعتادة. لقد علقت لافريك فرانسيز قاتلة بأن عبد الكريم قد تَهَرَّب من «نداء صريح ومباشر (...) ووحدها القوة يمكنها من الآن فصاعداً حلّ المُشْكِل الرّيفي» (153).

- 145 لوماني، 23 يونيو (استجواب عبد الكريم لي شيكاغو تريبون)، نفسه، 25 يونيو (بخصوص الاستجواب «المزعوم» لعبد الكريم لي بولولو ديغاليا، نفسه، 28 يوليو 1925).
- 146 نفسه، 28 يوليو («للمرة الثانية، يعلن عبد الكريم أنه مستعد للسّلم»)، نفسه، 31 يوليو («للمرة الثالثة، عبد الكريم يقترح السّلم»)، نفسه، 23 شتبر 1925 («للمرة الثالثة (كلّ) ما هو اقتراح للسّلم باسم الشعب الريفي»)، نفسه، 21 غشت 1925.
- 147 نفسه، 24 يوليو 1925.
- 148 لوراديكال، 15 — 26 يوليو 1925، انظر أيضاً لوفر، 24 يوليو، ولويل، 25 يوليو 1925.
- 149 انظر رسالة 17 يوليو 1925 الموجهة من طرف مكتب العصبة إلى رئيس المجلة، دُفّتر حقوق الإنسان، 25 يوليو 1925، ص 354. في 11 غشت، كرر مكتب العصبة طلبه. نفسه، 25 غشت 1925، ص 381.
- 150 لافريك فرانسيز، غشت 1925، ص 405 وما يليها.
- 151 نفسه، شتبر 1925، ص 456 — 457.
- 152 نفسه. لقد كان ليون غاربييل، المراقب المدني في تاوريرت، بمنطقة وجدة، «الوسيط شبه الرّسمي» المعين من طرف الحكومة الفرنسية، بحكم معرفته الجيدة بالبلاد الريفية وحكم الاتّصالات التي تُمكن من إقامتها مع الأركان العامة لعبد

وكانت وجهة النظر هذه متبادلة بشكل واسع في الأوساط الراديكالية : «إن التفاوض مع عبد الكريم خطأ. (...) فلم يكن ممكناً قطع دابر عبد القادر إلا بأسره» (154). «لا ينبغي أن تُشجع النذل (...) ولا يكفي صده (عبد الكريم) داخل حدوده. فهو لن يفهم أريحيتنا. (...) ينبغي زط كل حيوان مُزعج» (155).

يلزم انتظار 3 أكتوبر لكي يُعلن بانلوفي أخيراً في خطابه بنيم عن شروط السلم المُقرّرة من طرف الحكومتين الفرنسية والاسبانية، ويؤكد على أنها «رُفضت» من طرف عبد الكريم (156). وفي 21 أكتوبر كرر توضيحاته أمام لجنة المالية، لكن الاشتراكيين ظلوا مُرتابين. لقد «تأسف» رونوديل، الذي شدّد موقفه، لأنه شاع من قبل ب «أنها ستُنقل إلى علم عبد الكريم بطريقة لا تُدع أي مجال للشك» (157). ثم اقترح، مع فانسون أوربول، بأن تُرسل إلى عصبة الأمم، حتى يقوم هذا الجهاز بتبليغها إلى عبد الكريم «في حالة ما إذا امتنعت الحكومة الفرنسية عن تبليغها إليه بنفسها» (158). وبالرغم من أنه لمَح إلى أن الموقف الاشتراكي حول اعتادات الحرب سيتوقف على الأجوبة المُعطاة لهذه الأسئلة، فإن الزعيم الاشتراكي اصطدم بتصميم بانلوفي. لقد اكتفى بالرد بأنه مُعاد لفكرة توجيه «دعوة جديدة لاحتلال السلم» لعبد الكريم، لأن ذلك سيدّ إليه «كلّ اعتباره»، مادام أن الزعيم اليريفي لم يُعد سوى «رجل في حالة فرار». أمّا عرض الأمر على عصبة الأمم، فلا يرى أن ذلك ممكن،

الكريم ومع الزعيم اليريفي نفسه تحت مراقبة ليوطي. وبعد ثمانية وعشرين سنة على الأحداث، أكد عابريلي أن التوجيهات الحكومية «لم تد (له) متوفرة على أي أمل في النجاح»، ليس فقط بسبب تصميم عبد الكريم على الحصول على الاعتراف الكامل بدولته، ولكن سبب تدخل اسبانيا. «كان ذلك معناه فقدان كل أمل في الوصول إلى تسوية خاصة مع الريف، مثلما كان يملوئ الأمل» ل. عابريلي، عبد الكريم وأحداث الريف، الدار البيضاء، ص 132.

- لوراديكال، 17 غشت 1925. 154
للمه، 22 — 23 غشت 1925. انظر أيضا ليولوفيل، 23 غشت 1925 ولوم لير، 4 شتنبر 1925. 155
يوحد الجزء المتعلق بالمغرب من خطاب ليم، خاصة في لافريك فرنسيس، أكتوبر 1925، ص 529 — 530 ولي 156
دفاير حقوق الانسان، 5 أكتوبر 1925، ص 469 — 471.
لقد ردد هذه الصلوة مرتين في سياق تدخله. مجلس النواب، لجنة المالية، 21 أكتوبر 1925. 157
نفسه. يعتر اللجوء إلى عصبة الأمم لتسهيل حل سلمي يراعي مصالح الأطراف المتنازعة في حرب الريف فكرة «اشتراكية» حصراً. لقد تم تقديمها بالخصوص من طرف مؤتمر 28 يوليوز ومؤتمر الأمية الثانية لغشت 1925. إن الشيوعيين الذين كانوا يرون في المؤسسة الدولية قبل كل شيء أداة في خدمة الديمقراطية («جمعية الأمم الكبيرة لسحق الصغرى») آخذوا مع ذلك، بصوت دويرو، الاشتراكيين على عدم لجوئهم إليها في نزاع الريف. انظر مناقشات المجلس، 27 مايو 1925، الجمهورية الجمهورية، ص 2461. بعد ثلاثة أشهر من ذلك، أعلن نائب سان — دوني أمام اللجنة المركزية : «ماذا فعل الاشتراكيون خلال كل مناورات السلم هذه ؟ لقد قالوا : «ينبغي وضع (كلما) الريف تحت مراقبة عصبة الأمم (.)». وهذا اقتراح ليس له سوى هدف واحد، ألا وهو تقوية الديمقراطية الفرنسية، والجمهورية والاسبانية» أرشيفات معهد موريس طوير، سلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 18 مغشت 1925.

واعتبر أن «ذلك سيخلق سابقة خطيرة جدا» (159). كان المؤتمر الرّاديكالي الاشتراكي قد اختتم أشغاله قبل ذلك بثلاثة أيام، وتغيّر إجماع المُشارِكين، الذي أفسدته المشاريع المالية لكايو، إلى تأييد السياسة المغربية لبانلوفي، الذي دُعِيَ إلى حَفَل الاحتتام، مع التذكير بضرورة «وقف القتال في المغرب بلّمسرع ما يمكن» (160). لقد كانوا يعلمون، منذ 6 أكتوبر، بأنّ وحيّداً منهم، هو ستيك، سيخلف ليوطي.

لقد دافعت حكومة جديدة، في نهاية السنة، عن هذه السياسة المغربية أمام البرلمان، لكن مع بقاء نفس الأشخاص في مراكز القيادة : فقد احتفظ بريان، الذي صار رئيساً لمجلس الحكومة، بالشؤون الخارجية، وظل بانلوفي في الحرية. لقد كانا يعلمان بأنّ أصدقائهما الرّاديكاليين بدأوا يقلقون تهديد العمليات — فأمام العسكريين، لا يعود ستيك سيّد اللعبة — وللعيب المالي الذي تستتبعه (161). لذلك سعيا إلى طمأنة البرلمان. إنّ الوُضْع تحسّن بشكل واضح : هكذا يتحدث بانلوفي عن «حماس» القبائل التي تنصّت إلى فرنسا (162)، ويؤكد بريان بأنّ الخسائر في الرّجال، «قد تقلّصت»، منذ شهر على الخصوص، «إلى الحد الأدنى». فلم تعد هناك معارك» (163). وبناءً عليه، يعتبر أنّ مسألة التّفاوض ينبغي أن تُستأنف على أسس جديدة : «لسنا مُزْعَمين، قبل كل شيء، على اعتبار أنّ عبد الكريم هو بالضرورة من ينبغي التّفاوض معه. هل هو مُؤَقَّل حالياً من طرف جميع القبائل؟» (164). غير أنّ كاشي ورونوديل لا يفهمان المسألة على هذا النحو. «أنتم في حَرْب مع عبد الكريم، وعليه، ينبغي أن تتفاوضوا معه إذا كنتم تريدون إخلال السّلم». وقد طلبّا أن يستقبل الوزير كانيغ حايمل عروض السّلم. إلّا أنّ بريان رَفَضَ هذه الامكانية وتَحَمَّ قائلًا : ستتفاوض مع الرّيفيين، مع جبالة. وإذا انتخبوا عبد الكريم كممثل فلن يسعنا سوى القبول» (165). فصنّف أغلب الرّاديكاليين (166). لكن عصبية حقوق الانسان استأنفت التّقاش. لقد أيد كل من سكرتيرها

159 مجلس النواب، لجنة المالية، 21 أكتوبر 1925.

160 AN F7 13191 (المؤتمر الثاني والعشرون للحزب الراديكالي — الاشتراكي، نيس، 15 — 18 أكتوبر 1925).

161 متحدثاً باسم الحزب الراديكالي، صرح مالفلي، الذي هو أيضاً رئيس لجنة المالية : «لقد ألقينا في المغرب أكثر من مليار في تسعة أشهر، ولنا في المغرب أكثر من مائة ألف رجل، حوالي أربعين جبالاً، وأركان عامة عديدة. ولدينا فيه عتاد حربي مهم كان علينا أن نأخذه من الاحتياطات الموجودة في فرنسا (...) إن هذه، على أية حال، نفقات مفرطة بعض الشيء في الوضعية المالية التي نوجد فيها» مناقشات المجلس، 30 دجنبر 1925، المجلدة الرسمية، ص 4858.

162 نفسه، ص 4859.

163 نفسه، ص ص 4843 — 4855.

164 نفسه، 4855 (رونوديل).

165 نفسه، 4868.

166 انظر لوفر، 23 دجنبر 1925 ولوراديكال، 2 — 3 يناير 1926.

العام، كيزنو، وبوكلي، رفض الحكومة استقبال كوردين كاتينغ. بينما عارض فكتور باش، مدعوماً باعتدال من طرف إميل كان، وجهة نظرهما (167). وقد تم الاتفاق على عبارات رسالة مُوجَّهة لرئيس البرلمان تأسف للأقوال التي تفوه بها كل من بانلوفي والرئيس أمام المجلس، ونقرأ فيها: «إنَّ ما يقلقنا أكثر هو أن نسمع وزير الحرية يضيف خلال نفس هذه الجلسة، شرطين جديدين لشروط السِّلْم المُقرَّرة في يوليو: عدم التفاوض سوى مع رجال يهودون حقاً السِّلْم ومؤهلين للحصول عليه. وأن نسمعكم أنتم، سيدي الرئيس، تصرِّحون بأنَّ الحكومة لم تعد تعترف لعبد الكريم بصيغة التفاوض حول السِّلْم، لأنه لم يعد زعيم حرب، وأنَّه لَقَدْ عاصمته، ولأننا نَقْدُمنا. فأقول من هذا القبيل تسمح بالتفكير في أنَّ شروط يوليو التي عُرِضَتْ على عبد الكريم حينما كان مُتتصراً لم تعد صالحة له، في رأيكم، منذ صار مُتَهزماً» (168). ولم يكتف كيزنو نفسه، في لوكوتيديان، بملاحظة أنَّ الحكومة غيرت موقفها. بل استشعر بأنَّ ما هو واردٌ ليس مجرد تغيير مُخاطب، بل مبدأ التفاوض الحقيقي نفسه لتفاوض حقيقي (169).

استقلال، استقلال ذاتي أم خضوع الزيف ؟

صوت مجلس النواب في 23 يونيو 1925، بأربعمئة وأربعة وتسعين صوتاً ضدَّ واحد وثلاثين (الأصوات الشيوعية وصوتان اشتراكيان) وحوالي أربعين امتناعاً راديكالياً — اشتراكياً واشتراكياً، على جُلُولِ الأَعْمَالِ المُقَدَّم من طرف الأغلبية. لقد سجَّل هذا الأخير تصميم الحكومة على «الدَّفْع بالمفاوضات مع إسبانيا نحو حُلِّ يلام بين احترام المعاهدات الدولية والتطوُّر الحرَّ للسكان الريفيين ويؤمنُ أيضاً جوارهم السلمي مع المنطقة الفرنسية (للحماية)» (170). لا ينبغي لهذه الأغلبية السَّاحقة أن تُزهِمنا. فقد تمَّ النَصُّ المُعْتَمَد والتَّقاش الذي تلاه عن نوع من الالتباس. وتبعاً للالاحاح على احترام المعاهدات الدولية أو على التطوُّر الحرَّ للسكان الريفيين، كان يتمُّ التَّأرجح بين سياستين. لقد كانت الأولى تستهدف الحصول على

167 جلسة اللجنة المركزية للمصبة في 4 يناير 1926، برئاسة فكتور باش، دفاثر حقوق الإنسان، 10 فبراير 1926، ص 60 — 61.

168 نفسه، 25 يناير 1926، ص 41.

169 «الارحة كانت الحكومة تريد أن تتفاوض مع عبد الكريم. واليوم لم تعد تريد ذلك» لوكوتيديان، 20 يناير 1926. أنظر أيضاً نفسه، 30 يناير 1926.

170 مناقشات المجلس، 23 يونيو 1925، المجلدة الرسمية، ص 2781.

خضوع القبائل المتمردة للسلطات وللحكومتين الفرنسية والإسبانية، في إطار المنطقتين المكلفتين بإدارتهما. أما الثانية فتستتبع ألا تحول المهمة التي تتحملها فرنسا — واستطراداً إسبانيا — طبقاً لمعاهدة الحماية، دون منح الريفيين نظاماً خاصاً يؤمن لهم نوعاً من الاستقلال (171). وفي كلتا الحالتين، كان الأمر يتعلق بالريف، وبالريف وحده؛ إذ أن الحلول المُرْتَقبة لا تعوق الحفاظ على الحضور الفرنسي في المغرب.

لقد زوبعت الأطروحة الشيوعية هذا العرض. فقد طالب الحزب الشيوعي، دون ريب، باستقلال الريف، ولكنه عندما ربط السلم بالجلاء العسكري عن المغرب طرح مشكل شرعية الاحتلال الاستعماري. يمكننا أن نميز في محاجته ثلاثة مستويات للتحليل. أولاً هناك المعارك ضد الريفيين: ينبغي وضع حد لها بالاعتراف باستقلالهم، أي برفض «تسليم الريف» لإسبانيا وللسلطان. وفي مقام ثانٍ، وضعت مسؤوليات النزاع في الاعتبار لتلافي تكرره وتسجيل مقاومة المغاربة للاحتلال الفرنسي: فالسلم الحقيقي، والتهاني، مُرتبط بالجلاء العسكري عن المغرب، أي في الواقع مغادرة الحماية. يعتبر هذا الحل، الذي تفرضه، في نظر الشيوعيين، الأحداث، مطابقاً في الأخير لموقف الأمم المتحدة الثالثة لصالح تحرر الشعوب المستعمرة، ولكن تعميمه لا يمكن أن يُرتقب، كما ذكر دوريو، إلا بعد وصول الشيوعيين إلى الحكم، أي بعد ثورة البروليتاريا. فأطروحة الجلاء هي التي كانت في قلب المحاجة الشيوعية؛ وقد سمح التباسها الرئيسي، المقصود من طرف الحزب، بالربط بين موقف براغماتي وسلموي — أي شيء يمكن أن يكون طبيعياً أكثر من المطالبة بانسحاب القوات في وجهة النظر هذه ؟ — وموقف مذهبي وثوري يستهدف استقلال جميع المستعمرات. ويفصح الحيز المخصص للاستشهاديات من جوريس في عروض الحزب الشيوعي عن هذا الالتباس (172). لقد تم الاستناد إلى جوريس، لأن الشيوعيين ظلوا متأثرين بمكانته لدى الجماهير، ولأنه بدا لهم أن من الانصاف، رغم تحفظات المتمسكين بالمذهب، وسنم مكان الخطيب الكبير في التقليد الفرنسي المعادي للاستعمار. ولكن أيضاً، ولكن أساساً، لأن الحزب الشيوعي يتذكرو بموقف جوريس إبان غزو المغرب، وبوضعه لأطروحة الجلاء تحت رعايته، استهدف إرباك الاشتراكيين. غير أن هؤلاء احتجوا: لقد ميز جوريس بين الغزو الذي رفضه دائماً والأمر

171 يوضح كاشان: «على الحكومة أن تحمل لنا هذا المساء التأكيد بأن هناك استعداد للاعتراف باستقلال الريف (مقاطعات في الوسط) أو أن الكلمات لم يعد لها معنى» لنفسه.

172 تعتبر الاستنادات إلى جوريس في المجلس تقليدية — أنظر مناقشات، 28 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2496 (ميژود)، 29 مايو، الجريدة الرسمية، ص 2513 (كاشان) —، وفي الاجتماعات العمومية أو في مقالات صحافة الحرب. وعامة ذكرى مرته، ولم يتردد كاشان في أن يكتب: «إن حملته ضد المغرب، كانت سبب قتل»، لوماني، 2 عشت 1925.

الواقع الاستعماري الذي سَلَّم به وبدا له أنه يتضمن منافع لا يُستهان بها لصالح السكان المُستَظَرِّ عليهم. إلا أنَّهم، بدافع السَّجال الذي جَرَّفَهُمْ، ودون ريب أيضاً، بدافع الرغبة بالنسبة للبعض منهم، في تبيير تطوُّرهم الخاص، مَحَوَّ كِفَاحَ الزَّعيم الاشتراكي، الطويل، لصالح استقلال ووحدة المغرب (173). وأكَّدوا بأنَّ الجلاء الذي يقترحه الشيوعيون «يعني مغادرة وربما قتل الأهالي المُجمَّعين تحت حمايتنا والمُعمرين المُجتَدين من طرفنا إلى هذه المستعمرة» (بلوم) (174).

لا يمكن ارتقاب السَلْم، بالنسبة للاشتراكيين، إلا شريطة تقديم اقتراحات مقبولة لعبد الكريم (175). لقد وَصَفَ رونوديل الريفيين كـ «أناس من عَيْنة خاصة، لهم طبعهم الخاص، وهمُ خاص باستقلالهم» (176)؛ وطلب من الحكومة أن تُؤمِّن لزعيمهم «الاستقلال السياسي الذي هو في حاجة إليه» (177). وتحدَّث لوكوتيديان في نفس الاتجاه (178). أمَّا الراديكاليون فمُنقسمون : لقد كان أغليبيتهم، كما رأينا، أكثر انشغالاً بتقوية وسائل الحرب منهم بحث شروط السَلْم. مع ذلك قَبِلَ البُغْضُ في بداية صيف 1925 بإمكانية

173 هكذا استفاد رونوديل وكوسير — موريل من تعلق جويريس بميثاق الجزيرة الخضراء والمعاهدات الدولية لتيير احترام معاهدة الحماية. نفسه، 29 مايو 1925، المجلد 2516، ص 2518. وحسباً استشهاد طومسون بخطاب لجويريس لصالح التوصل السلمي (نفسه، 30 دجنبر 1925، المجلد 4859، ص 4853 — 4853) لم يأخذ أي نائب اشتراكي الكلمة لكي يذكّر بأن الأمر يتعلق بـ 1903 ولكي يحجج على هذا الاستعمال التصليفي لأقوال نائب طلن من طرف أحد زعماء الفريق الاستعماري. في المقابل، أكد طوميل مع ذلك بأنه «يمكن أن يكشف في خطب جويريس حول المسألة المغربية للمدّ الأساسي لسياسة استعمارية اشتراكية هي بالأول سلبية» ليهيل، 24 يونيو 1925.

174 مناقشات المجلس، 9 يوليو 1925، المجلد 3315، ص 3315. إن إميل خان صريح : فالجلاء «من شأنه أن يعطي إشارة الانطلاق للنهب، والاختصاص والقتل. ليس فقط في المغرب، بل في مجموع شمال إفريقيا» 25 يونيو 1925، ص 291 — 299. أما كورنو فكتب من جانبه : «قتل الأوربيين، محبة، نهب، مارك قاتلة للاخوة بين القتلى، نزاعات التفرد بين الدول المتنافسة، هذا ما ستكون عليه العواقب الحتمية للشعار الشيوعي إذا ما تم اتباعه» لوكوتيديان 25 عشت 1925. بيتا عشي فكتور باش، بلهجة أكثر رزانة، من ألا يكون التدخل عن المستعمرات «لغايدة الأهالي، ولكن لغايدة الأمم الأوربية، التي ربما لن ترقى أساليبها الاستعمارية إلى مستوى أساليبنا». لويوليل، 7 يوليو 1925. ينبغي أن نلاحظ أن حملة «القتل» تم حذفها أيضاً في المقرر الذي صوت عليه المؤتمر الاشتراكي الذي «عين أنه ضد الجلاء عن المغرب الذي سيخلق تعقيدات دولية أكثر خطراً من الوضع الراهن» ليهيل، 31 عشت 1925.

175 «ينبغي أن تعرفوا ليس فقط ما يمكنكم منحه لعبد الكريم، بل ينبغي أن تنشغلوا أيضاً بما يمكن أن يقبله» (رونوديل)، مناقشات المجلس، 23 يونيو 1925، المجلد 2779، ص 2779.

176 نفسه.

177 نفسه، 27 مايو 1925، المجلد 2450، ص 2450.

178 30 يونيو 1925.

استقلال الزيف (179). بينا ذكرت عصبة حقوق الانسان بأنها أختبرت رئيس البرلمان، في دجنبر 1924، بأنه «كان ممكناً وسيكون مستحسنًا الاعتراف بسلطة عبد الكريم، في إطار الامبراطورية الشريفة» (180). لكن الخلافات لم تتأخر في الظهور داخل لجنته المركزية. فلم يرتأ كل من بوكلي وماريوس موتي المعادين بشدة لعبد الكريم، تقديم أي تنازل للزعيم الزيفي، وعلى عكس فيليسيان شالاي، عبّرا عن ثقتهما في الحكومة لايجاد تسوية سلمية (181). ومن جهته، أثير فكتور باش أن من بين المبادئ الأساسية للعصبة يوجد حق الشعوب في تقرير مصيرها : «إذا كنا اليوم قد غيرنا رأينا، ينبغي أن نقولها» (182). أما الفروع المغربية التي تم استفسارها، فبدت هي أيضا منقسمة حول سبل السلم (183)، لكن رئيس الفدرالية استبعد إمكانية زيف مستقبل يكون من شأنه «إقامة بؤرة بالغة الخطورة بالنسبة للحضارة في إفريقيا الشمالية»، واعتبر ألا مخرج للنزاع سوى ب «استسلام عبد الكريم، إما بغصن الزيتون أو بالسلح» (184). ومع ذلك، أكدت الحكومة الفرنسية، بلسان بريان، أنها لا ترى ضراً في وجود «زيف حر بين أيدي الزيفيين» (185). وقد تساءل أمام لجنة الشؤون الخارجية عن الطابع «المستقل قليلاً» الذي سيكون هذه المنطقة، وكذا عن الدور والصفة اللذين سيخولان لعبد الكريم (186). أما بانلوفي فكان بعد ذلك بأيام أقل وضوحاً أمام المجلس، لكن بلم انتزع من كلام رئيس الحكومة أن «أساس السلم المعروض من طرف فرنسا سيكون الاستقلال الفعلي السياسي والاقتصادي معاً للزيف وللقبائل المجتمعة حول عبد الكريم» (187). إلا أن بانلوفي امتنع عن تأكيد أو نفي تأويل الزعيم الاشتراكي. ولكن في 15 غشت، ذكرت لوكوتيديان

- 179 انظر لوراديكال، 7 و 10 يوليوز 1925.
- 180 محضر اجتماع اللجنة المركزية لـ 25 مايو 1925. دفاتر حقوق الانسان، 25 يونيو 1925، ص 307 — 308.
- 181 نفسه، 25 غشت 1925، ص 375 — 376 (محضر اجتماع اللجنة المركزية لـ 6 يوليوز 1925).
- 182 نفسه
- 183 منذ دحبر 1924، صرح فرع طنجة : «إن الزيف، ككلد مستقل، لا ينبغي أن يتم عزوه بالسلح؛ ينبغي أن ينظم بالزيف الحر لسكانه». وفي 8 شتنبر 1925، محيا على استفتاء العصبة، طلب بأن تحرم معاومات الصلح «على أساس الاعتراف بالاستقلال الاداري والاقتصادي والسياسي وبوكل أمر مراقبة تلك المفاوضات الى دولة عظمى تمويش من حماية الأمم» أما فرع تانويرت، فكان مع صلح مشرف «حتى وإن كان لأرضي شوفيتين في فرنسا الذين سيصبحون مرة أخرى بالخيانة» (يوليوز) في المقابل، أعلن فرعا وحدة ومشرف بلقاصمي بأنها مع مواصلة العمليات العسكرية (15 و 21 يوليوز) نفسه، 25 شتنبر 1925، ص 438 — 441
- 184 نفسه، 25 غشت 1925، ص 363 — 367 («في المغرب» نعلم أ. دوبيتي، رئيس الفدرالية المغربية : مقتطعات من رسالته الى اللجنة المركزية بتاريخ 19 يوليوز 1925).
- 185 مناقشات المجلس، 29 مايو 1925، المجلد الرسمية، ص 2517.
- 186 لجنة الشؤون الخارجية، فاتح يوليوز 1925.
- 187 مناقشات المجلس، 9 يوليوز 1925، المجلد الرسمية، ص 3315.

بلاغاً شئبة رَسْمِيَّ ينص على أنه «سيفتح الاعتراف باستقلال الرِّيف من جديد المسألة المغربية برمتها» (188). فعاد الاشتراكيون للأمر، وطالب مؤتمر الأُمِّية الثانية، المنعقد في مرسيليا، بأن «تكون المفاوضات مع عبد الكريم مرتكزة على استقلال الرِّيف، وأن يكون هذا الأخير مرفوقاً بتصحيح للحدود يسمح للريفيين بتنظيم اقتصادهم، والتجّون بشكل طبيعي» (189).

خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة، دَارَ بخلد الطبقة السياسية أن أفكار الحكومة لم تُقرَّر بوضوح حول النظام الذي كان ممكناً تخصيصه للرِّيف. لقد رفض الاشتراكيون أن يَرَوْا بأن بريان وبانلوفي منشغلان، قبل كل شيء، بتطوُّر المعارك وبمقدرة الأسبان على مساعدة المجهود العسكري الفرنسي. ومع ذلك، أمكنهم الاعتقاد بأنه إذا لم يتعلق الأمر باستقلال حقيقي، فإن باريس ومديريه مُستَعِدَّتان للاعتراف للقبائل الريفية باستقلال ذاتي واسع تحت سلطة عبد الكريم. لقد أظهر خطاب نيم الحُدُود التي تَوَتَّحت الحكومتان الفرنسية والإسبانية تعيينها لهذا الاستقلال الذاتي. ففي مقام أول، من غير الوارد أن يتمكَّن الرِّيفيون من الاعتراض على الاتفاقات الدَّولية المتعلقة بالحرية التجارية وعلى «المواد الجمركية»، وهذا يعني منعهم من التدخل لتقنين إنتاج السلع ودخولها وروجها داخل ترابهم. وفي مقام ثاني، يمنع عليهم استيراد الأسلحة والذخيرة، إذ أن فرنسا وإسبانيا هما اللتان تحصَّتا نفسيهما بمراقبة تنظيم الشرطة والأمن. وأخيراً، ينبغي لهم أن يقبلوا باحتلال الأسبان لقطاع من السَّاحل بمجرد توقف القتال. وعليه، فإن عبارة استقلال ذاتي لا تنطبق سوى على إدارة القبائل بمعناها الضيق، وبالإضافة إلى هذا ينبغي تسجيل غياب أية إشارة إلى عبد الكريم. فقد رفض هذا الأخير، حسب بانلوفي، هذه الاقتراحات (190)، التي أضاف رئيس المجلس بالتشديد على أنها مطابقة لـ «المعاهدات الدَّولية». لقد نَسِيَ بأن يَدَّكِّرَ، علَّقَ الاشتراكي المعتدل روجي سالونكرو، بأن تلك الاقتراحات كانت ستضع الرِّيفيين في وضعية تبعية أكبر من الاستقلال الذاتي الواقعي الذي أفلحوا في استرداده ثم في الحفاظ عليه، سواء تجاه إسبانيا أو تجاه السُّلطان (191). ولم

188 في 9 شتنبر أظهر هيبو أمام المجلس العام للرون أن استقلال الرِّيف مناف لميثاق الجزيرة الخضراء. عرض المناقشات، ص 830 — 831.

189 لوبيز، فاتح غشت 1925.

190 مجلس النواب، لجنة المالية، 21 أكتوبر 1925 (تصريح بانلوفي).

191 لوبيز، 24 أكتوبر 1925 في AN F7 13177 (الشمال). ينبغي تسجيل أنه في نفس العدد من دُفاتر حقوق الإنسان الذي نشر قسماً من خطاب نيم المعلق بالمغرب، شهر هنري مي، العضو الشرقي للجنة المركزية للمصبة، بـ «الاحتلالات الديبلوماسية» و«رجال المهنة» الذين يمتنعون الحكومة من أن نجد حلاً سلمياً. ينبغي، خم قالاً، «الاعتراف للريفين باستقلال حقيقي هو الذي يتمسكون به لاسيما وأنه لم يسبق لهم أن خضعوا لأحد». الدُفاتر، 5 أكتوبر 1925، ص 468 — 469.

يمنع هذا بالنظر من أن يؤكد داخل لجنة برلمانية بأن فرنسا «ضربت للعالم مثالا في الجلم الكبير، وأبدت إنسانية وأريحية لا مثيل لهما» (192). لكن رونوديل لم يكن مقتنعا بذلك. فقد انتقد الشروط المتعلقة بممارسة الشرطة داخل الريف واحتلال جزء من الساحل من طرف إسبانيا، ذلك الاحتلال الذي اعتبره غير ممكن القبول (193). وفي المقابل، احتفى الراديكاليون بالبرالية التي تطبع في رأيهم الاقتراحات الفرنسية — الإسبانية (194) واكتفوا بطلبهم بأن تُبعت من جديد الى عبد الكريم (195)

لقد شجعت الانتصارات التي أحرزت عليها القوات الفرنسية في بداية الشتاء أنصار حرب الإبادة. فقلقت عصبة حقوق الانسان. لقد اعتبر أن شروط السلم التي ذكر بها بالنظر في يوم تشكّل أساساً لتفاوض مقبول، لا سيما وأن عبد الكريم، حسب بعض المعلومات (196)، لن يعتبر أبداً الاعتراف باستقلال الريف شرطاً لازماً للمحادثات وأنه سيكتفي بالوعيد باستقلال إداري. كما لفتت انتباه رئيس الحكومة الى هذا القرض للزعيم اليفي، والتعزيز الطوّف لكي تؤكد بأن العصبة «لن توافق على إلحاق، مهما كان عن طيب خاطر» (197). لقد كتبت رسالة جديدة لكي تفصح عن تأثرها لما علمت بأن «الوضعية الجديدة للانتصار التي توجد فيها الحكومتان الفرنسية والإسبانية تدفعهما الى فرض شروط جديدة على القبائل الريفية وجبالية، وأنهما لن توافقا على السلم هذه المرة إلا مقابل الاستسلام» (198). لقد كانت مخوفات العصبة مبررة. فبالنسبة للحكومة الفرنسية، كانت ساعة المفاوضات قد ولت. لقد أخذ التعاون الفرنسي — الإسباني يتقوى، وتطبيقاً للاتفاقات، ضُبط بيتان في مدريد خطوط هجوم ربيع 1926، الذي يستهدف، باختراقه مرتفع بني وريغل، تدمير قواعد عبد الكريم وإرغام الزعيم اليفي على طلب الأمان. وكان على بريان وبانلوفي أن يجابها في المجلس معارضة تشدد أكثر فأكثر تجاه الحرب. لقد صرح كاشان في 30 دجنبر بأن هذه الأخيرة «قد سببت قبل الآن خسائر قاسية لبلادنا، خسائر لا

192 لجنة المالية، 21 أكتوبر 1925.

193 نفسه.

194 انظر لوفر، 4 أكتوبر 1925.

195 لقد صوت مؤثر الحزب، المتحد بنيس، بالاجماع على مذكرة مقدمة من طرف مالفي تدعو «الحكومة الى أن تجدد، بنية إنسانية لن يتكرر أحد لطاعهما (...)» بأنها مستعدة دائماً لأن تصمن للسكان اليفيين وحباله أوسع استقلال ذاتي سياسي وإداري وتجاري، في إطار الموائيق الدولية»، AN F7 13191.

196 نشرت من طرف لومغان لـ 14 نونبر 1925.

197 رسالة 25 نونبر 1925. دلائل حقوق الانسان، 5 دجنبر 1925، ص 595.

198 رسالة 11 يناير 1926. نفسه، 25 يناير 1926، ص 41 إن الأهمية التي علقها مكتب العصبة على هاتين المراسلتين (التي ستظللان دون جواب) تؤكداهما السرعة، غير المعتادة، في نشرهما.

تُعَوِّض، بدون الحديث عن العار الذي تثيره والمتمثل في كونها تريد فرض قانونها على بلد لا يريد ويقاتل من أجل استقلاله! «وها أن الحكومة الأسبانية تريد «مواصلة الحرب إلى غاية قرار نهائي بالسلاح» (199). لقد عبّر رونوديل عن نفس التخوفات: «أودُّ كثيراً لو أنكم لا تقاتلون من أجل إسبانيا» (200). كلاهما ألحّا على الاحتفاظ بشروط السلم. وفي 26 فبراير، تحلّط حوالي عشرين راديكالياً وراديكالياً اشتراكياً بتصويتهم بتصويت الاشتراكيين لتأييد التعديل الشيوعي الرامي إلى تخفيض الاعتمادات العسكرية للمغرب. لقد ظهر في تصويت جديد بعد ذلك بوقت قصير، انقلاباً للأغلبية: فقد اتجه مائتان وأربعة وستون صوتاً — بينما لم يكن الشيوعيون والاشتراكيون يشكلون سوى مائة وأربعة وعشرين — ضيداً مائتين وستة وأربعين، وأربعة وثلاثين امتناعاً، إلى تعديل اشتراكي استهدف، من خلال تخفيض رمزي للاعتمادات الموجهة لعمليات المغرب وسوريا، إظهار «الرغبة في إنهاء هاتين الحملتين» (201).

خلال النصف الأول من مارس، طرحت الحكومتان الفرنسية والإسبانية، كونهما لاتنويان مبدئياً وفي كلّ حالٍ من الأحوال التفاوض إن لم تُقبل الشروط التالية من طرف الريفيين: أولاً: الخضوع للسلطان؛ ثانياً: إبعاد عبد الكريم؛ ثالثاً: تبادل الأسرى؛ رابعاً: تجريد القبائل من السلاح مقابل ضمانات ستحدّد. لقد تمّ إبلاغ هذه الشروط لعبد الكريم من طرف كاترييلي، وفي 21 أبريل افتتح مؤتمر وجدة أشغاله (202). لقد رأى الشيوعيون بأن هذه الشروط غير مقبولة وأنها تمثّل «قناعاً لمواصلة الحرب» (203). أما جريدة لوم ليبر، «القليلة التعاطف مع الريفيين، فلاحظت بأنها «لا يمكن أن تقبل إلا من طرف مهزوم»، وتساءلت: «هل يُعتبر عبد الكريم مهزوماً؟ هذا هو السؤال» (204). لقد عازمت كل من باريس ومدريد، في حالة الرفض، على شن عملية عسكرية «نهائية»، لكن سيكون من

199 مناقشات المجلس، 30 دحر 1925، الجريدة الرسمية، ص 4842.

200 نفسه، ص 4856.

201 تفسير تصويت ميترال، صاحب التعديل، نفسه، 26 فبراير 1926، الجريدة الرسمية، ص 1003. إن علدا من التصحيحات في التصويتات أتت لتغير نتيجة هذا الاقتراع (رقم 491). في الأخير، لم يعد ثمة سوى مائتين وستة وخمسون صوتاً للمصادقة على التعديل مقابل مائتين وستة وستين صوته وثمانية عشر امتناعاً.

202 عن المتطلبات الفرنسية — الإنسانية والدور الذي لعه غابرييل في هذه المعارضة المسقة. انظر: المقدم لور، عمل مشار إليه، ول. غابرييل، عمل مشار إليه.

203 لومانيتي، 15 أبريل 1926 (دوريو)

L'homme libre *

204 لوم ليبر، 13 أبريل 1926

الأفضل كثيراً، علّقت جريدة أوجين لاثيني (205)، أن يُفضي المؤتمر الى نتيجة، بحيث يتم تلافي «إراقة جديدة للدماء» (206). لقد اعتبر ليونفيل أن فرنسا، بعكس إسبانيا، «ليس لها ما تريحه» من مواصلة القتال، وأكدت بأن عبد الكريم «سيتلقى تمويضاً» نظير إبعاده (207). أما لوكويديان، التي عبّرت عن اقتناعها بأن الشروط الفرنسية — الإسبانية لا يمكن أن تُعتبر نهائية، فنشرت البلاغ الذي سلّمه الوفد الرّيفي للصحافة في وجدة والذي وضّح التعديلات التي يرجو إدخالها على الطلبات التي وُجّهت إليه (208). ولكن ها أن الأنباء تقول بأنه ليس فحسب ثم الاحتفاظ بهذه الشروط، بل إن الوفد الفرنسي الإسباني طالب، منذ افتتاح المؤتمر، بإرجاع فوري للأسرى دون تبادل، كما قرّض شرطاً تمهيدياً آخر للتفاوض: تقدّم القوة الإسبانية بستّ كيلو مترات. «إجمالاً، علّق جون بيو في لوفر، قبل التصدي لمناقشة الاتفاق، كان يمكن أن يُطلب من الرّيفيين أن يُقيدوا أيديهم بأنفسهم ويضعوا أنفسهم في وضّح لا يعود في مقدورهم معه أي نقاش. بحيث يمكنهم الاعتقاد بأن هدّفتنا الحقيقي إنما كان الاستيلاء، بالحيلة وبلا مقاومة، على نقاط هامة وبعدها لن تأبّه كثيراً للتّيجة الحسنة أو السيئة أمام إنذار نهائي سابق» (209). أما كيزنو فانفجر قائلاً: «هل السّلم مع الرّيفيين مرغوب فيه؟» وهل سيتم الكفّ عن هذه «الاثارات لمواصلة الحرب» (210)؟. لم تكن هناك فقط أسباب تتعلق بالسياسة الدّاخلية هي التي تُفسّر هذا السّخط الذي أبداه جزء من اليسار الرّاديكالي (211)، بل الإحساس بأنه تُخديع من طرف الحكومة، والعمّ لملاحظة أن متطلبات «الشّرف» (ج. بيو) و«الحق» (كيزنو) لا تتلاءم جيداً مع واقعية العسكريين. لقد نظّمت عصبة حقوق الإنسان تجمعاً عمومياً كبيراً للاحتجاج. وعبر الخطباء عن تأثرهم أمام الشروط المفروضة على الرّيفيين. وصرح جان لونكي بأن مطالبتهم بأن يتركوا للاستبان المواقع التي لم يعرف هؤلاء غزوها، «معناه الرغبة في أن يُهَيّئ الرّيفيون بأنفسهم الحبل الذي سيخنقهم» (212). أما إميل كان فالّح على نظام الاستقلال الدّاني

- 205 غادر لوتون، التي كان أحد كتاب أخبارها الرّيسون قبل حرب 1914، لكي يأخذ، في 1919، إدارة لوم لير، الصحيفة القديمة الكليمانسو.
- 206 مقال مشار إليه.
- 207 ليونفيل، 10 و 14 أبريل 1926
- 208 لوكويديان، 21 أبريل 1926
- 209 لوفر، 20 أبريل 1926
- 210 لوكويديان، 27 أبريل 1926.
- 211 تماماً مثل لوكويديان، تدو لوفر معادية لقطعة بهائية للرّاديكاليين مع الانتراكين.
- 212 عرض الاحتجاج العمومي المنعقد في 20 أبريل 1926 سايس، دفاير حقوق الانسان، 30 مايو 1926، ص ص 248 — 249.

الواسع جداً الذي ينبغي منحه لهم؛ بينما أكد العقيد ميطلو بأن «السُّلْمَ لن يكون ممكناً إلا يوم نضمن للقبائل استقلالها ونخلص البربر من واجب الاعتراف بسلطة السلطان» (213). لكن بوكلي على الخصوص، بوكلي المعتدل جداً والذي عاد من المغرب مُعْجِباً بالعمل الفرنسي، صرَّح بدوره بأن «المطالبة بإبعاد عبد الكريم جنون أعمى أو حساب وقبح» (214). وبعد أن رفض الوفد الرِّيفي الانذار النهائي توقفت المفاوضات. واستأنفت العمليات العسكرية، وفي 27 مايو سُلِّمَ عبد الكريم نفسه للقيادة الفرنسية.

أثار استسلام عبد الكريم لدى الراديكاليين، ردود فعل مختلفة. فقد عبر غابرييل كوديري عن ارتياحه دون تحفظ وقتاً بآنلوفي الذي «يقهره عبد الكريم سمح لبلادنا بأن ترفع رأسها عالياً عاملاً بهذا على إعادة هذه الثقة التي سترد أكثر من كل الاعتمادات الذهب، الفرنك إلى قيمته وأعدائه إلى صوابهم» (215). وامتدح السناتور شومي ستيك مُخجداً قن المغرب (216). أما لوفر فقد اختارت بقلم كوستاف تيري، الاحتفاء بريان، «الرجل السعيد: إنه يُفلح دائماً وفي كل شيء، حسب أن يريده». فعشية الدخول البرلاني، ارتفع الفرنك من جديد، واستسلم عبد الكريم: «لقد سُوِّي الأمر، مثل انقلاب مفاجيء» (217). غير أنها ظلت تخشى أن يَدْفَع «عقاب شديد» لعبد الكريم العصاة إلى مواصلة مقاومتهم (218). لقد اعتبر كيرنو أن روح الاعتدال تُغْلِبَتْ وأُغْزِبَ عن اقتناعه بأن السُّلْمَ انتصر لأن عبد الكريم فهم بأن الحكومة الفرنسية لا تروم إلا إلحاقاً ثواباً ولا انتقاماً وأن القبائل الريفية ستحتفظ بحرياتها (219). وفي الواقع، لم يعد الأمر يتعلق بنظام للاستقلال الذاتي للريف. فقد كانت الوعود التي قدَّمها بريان مُرتبطة بوضع عسكري ملتبس واستهدفت إلزام الأغلبية البرلمانية الحياد. لكن لا الحكومة الفرنسية، ولا الحكومة الأسبانية كان بإمكانهما احتمال وجود ريف مُوَحَّد تعتبرانه تهديداً كامناً لأقامتهما في إفريقيا الشمالية. فَرَّقَ تسد: لقد كان «تفكيك الكتلة الريفية» هو الهدف الذي تقصده العسكريون كما «السياسيون» المتجمعون حول ستيك (220). وطبعاً، لقد احتسرت القادة الفرنسيون من الكشف عن نواياهم إلى حين

213 نفسه

214 نفسه.

215 ليرنوليل، 25 مايو 1926.

216 لوراديكال، 8 يونيو 1926.

217 لوفر، 28 مايو 1926.

218 نفسه، 30 مايو 1926.

219 لوكويدبان، 28 مايو 1926.

220 انظر الاتفاق الفرنسي — الأساني لـ 6 فبراير 1926 ورسالة 4 مارس 1926 لستيك. SHA VM RIF 14.

انعقاد مؤتمر وجدة. فقد أكد بانلوفي وقتذاك أمام المجلس، بأن جُرحه على استقلال القبائل الزيفية بالغ الشدة. إلا أن هذه الأخيرة خاضعة «لهيمنة معينة (...) لمؤسسة نظام عسكري بالغ القسوة» ينبغي مساعدتها على التحرر منه. فباسم حرية القبائل واستقلالها الذاتي، صرح بانلوفي بأنه يحارب وَخْدَة الزيف ورغبته في الانعتاق من الهيمنة الاستعمارية التي يمثلها عبد الكريم (221). لقد كان النقاش نموذجيا. ماهي الحالة الأكثر تخلفاً للمغرب ؟ «إنها طبعا الحياة المستقلة للقبائل، أجاب دوريو، فتوحيد القبائل تحت حُكم قوي، تعتبرونه مُفْرِط القوة في رأيكم، هو على أية حالة تُقدّم مُحقّق في التنظيم المستقل للمغرب وللزيف. وعندما تستهدفون تدمير هذا التوحيد، فإنكم تتبعون سياسة رجعية وليس سياسية تُقدّم» (222).



لقد وصلت الحكومة الفرنسية إذن إلى أهدافها. فقد قادت الحرب ضدّ الزيفيين بمشقة كبيرة وأرغمت زعيمهم على الاستسلام. إنها ربحت السّلم، ولتفهم من هذا أنّها، رغم التزاماتها، أخضعت القبائل المتمردة لسلطة القوى الحامية ومَحَتْ كل فكرة لنظام استقلال ذاتي للزيف. ومع ذلك كان انتصارها العسكري والدبلوماسي مُهْذَدا ليس فحسب بمقاومة الزيفيين وقُدرة عبد الكريم على حمايتهم، ولكن أيضا بالحملة التي طوّرها حيثيذ، الياسار المتطرف الشيوعي، وبمستوى أقل، بعض الأوساط الاشتراكية والتحررية داخل البلاد.

221 مناقشات المجلس، 23 أبريل 1926، الجريدة الرسمية، ص 1963.

222 نفسه الجريدة الرسمية، ص 1965. انظر أيضا نفسه، 11 يونيو 1926، الجريدة الرسمية، ص 2500.

الفصل السادس

اليسار الفرنسي وحرب الرّيف (تابع) الحمّلات ضدّ الحرب

لم يكن الشيوعيون وحدهم الذين احتجّوا في البلاد ضدّ حرب الرّيف. فلا يمكن إغفال المعارضة التي لقيتها سياسة الحكومة في قلب تنظيمات اليسار الأخرى، وسنّفحصها بتفصيل. لكن لم يكن لها لا الاتّساع ولا الطّابع المُنظّم اللذان كانا للحملة التي طوّرتها تنظيمات الحرب الشيوعي الفرنسي. فقد اعتزم هذا الأخير، بالفعل، عدم إغفال أي شيء للتعريف بسياسته المغربية وخلق حركة رأي تؤثر على السلطات العمومية. كما أنّه رأى في هذه الحملة الوسيلة الممتازة لتنفيذ تكتيكه لجهة وحيدة وتقوية تنظيمه ونفوذه.



الحملة الشيوعية

لقد بدأ التحريض الشيوعي ضدّ حرب الرّيف منذ النصف الثاني من سنة 1924، وتعمّم وأخذ بسرعة كثافة كبيرة انطلاقاً من مايو 1925، وتُخفّ بعد إضراب 12 أكتوبر، ثم استأنف في بداية 1926 وامتدّ حتّى استسلام عبد الكريم. وسنّفحص تباعاً توجيهات هذه الحملة وتنظيمها، وكيفيات التحريض المُطوّر في كل أنحاء البلاد ومحاولات تحقيق جبهة موحدة ضد الحرب.

**سؤال أولي : هل بادرة الحملة الشيوعية متوجبة
على الحزب الشيوعي الفرنسي أم على الأهمية الثالثة ؟**

لِنَقُلْ فوراً بأنه من المُستحيل الاجابة بصراحة على هذا السؤال في الوضع الراهن للتوثيق، ومع ذلك فإن بعض الملاحظات يمكن أن تنير الموضوع. أولاً، لم تناقش الأهمية الشيوعية حرب الرّيف، لا في مؤتمرها الخامس سنة 1924، ولا في جلسات اللجنة التنفيذية من 1923 الى 1926. وَلَمْ يَجِدْ تَدخُلُ المندوب الاسباني أباريسير، في يونيو 1923، حَوْلُ المنافسة الفرنسية — الانجليزية ضرورة القيام بحملةٍ للتخلي عن المغرب، أيّ صدىٍ وقتذاك (1). ولم تستند المناقشات المستفيضة للمؤتمر الخامس حول المسألة الاستعمارية أبداً الى الرّيف أو الى المغرب بصفة عامة. وفي يونيو 1925، كلّفت اللجنة التنفيذية مكتبها الشرقي بإطلاق نداء «ضدّ حرب الرّيف» لصالح «تأخي الجنود الفرنسيين والرّيفيين من أجل سلّم عاجل» و«الاستقلال الكامل للشعوب المُستعمَرة» (2)؛ وقد كان سيمار أحد المُوقّعين على هذا النداء الذي صدر بعد تسعة أشهرٍ على البرقية التي وجهها لعبد الكريم، وفي لحظةٍ كانت فيها حملة الحزب الشيوعي الفرنسي قد بوشيرت. فضلاً عن ذلك، هُنا زينوفيف، رئيس الأهمية الشيوعية، في خطاب ألقاه في 11 يونيو بموسكو، الحزب الفرنسي على موقفه تجاه حرب الرّيف (3).

يكشف فحص صحافة الأهمية بدوره غياب الاهتمام بحرب الرّيف. فقد ألحّ مقال روزي عن «المغامرة الاسبانية في المغرب»، المنشور في المراسلة الدولية ٥ لـ 19 نونبر 1921، بصفة خاصة على تنافس الامبرياليتين الفرنسية والاسبانية وأغفل عبد الكريم (4). واستند مقال فايان — كوتوزيه عن «إفريقيا الشمالية والشيوعية» لـ 26 أبريل 1922، إلى الجزائر وتونس (5). بينما يعتبر مقال 17 أكتوبر 1924 لِنُكبان — إي — كوك، هجوماً عنيفاً على سياسة ليوطي، وليس له علاقة بالرّيف (6). أما المقالان اللاحقان، وهما مقال كيتيلورودسكي في 20 مايو، ومقال علي كمال فولادي في 13 يونيو 1925، اللذان علّقا على العمليات العسكرية

1. كولوتي بيشيل و روبيرتازي، مشار اليه، ص 107

2. مراسلة دولية، 13 يونيو 1925، ص ص 503 — 504.

3. نفسه، 24 يونيو 1925، ص ص 527 — 528.

* La correspondance internationale

4. نفسه، 19 نونبر 1921، ص ص 95 — 96.

5. نفسه، 26 أبريل 1922، ص 243.

6. انظر أعلاه.

رسمية: ضيّد الرّيفيين، فقاما بتحليل أعمق من التحليل الذي خصصته الجريدة الشيوعية رسمية قبل سنّة من ذلك للوضع في الرّيف ولدور عبد الكريم (7).

ثانياً، لا تسمح أرشيفات الحزب الشيوعي الفرنسي بمعرفة المزيد. كما أننا لا تتوفر على ضرر السكرتارية وليس أكيداً أنّها سُجّلت. ولا تستند تقارير المكتب السياسي، وخاصة رير اللجنة المركزية، المتميزة بالغرارة حول حملة الحزب ضيّد حرب الرّيف، إلى الأهمية (8)، ولا هُزّ فيها أنه كان لمدوني الأهمية الشيوعية دور قيادي، اللهمّ رُبعاً، كما سنرى عندما تعلق بر بعلاقات الحزب الشيوعي بالاشتراكيين.

ثالثاً، يبقى أن مبادرات الحزب الفرنسي كانت منسجمة مع الخط العام للأهمية الّثة. فقد ركّزت هذه الأخيرة في المؤتمر الخامس على الدّعم الذي يتعيّن على السّنطّمات شيوعية أن تقدمه لمكافحة الامنيالية والحركات تحرر الشعوب المُستعمرة. ويبدو جميع شيوعيين من قيادة الحزب الى مناضلي القاعدة بتنظيمهم لحملة ضيّد حَرْب الرّيف، مُقتنعين محل طبقاً لتوصيات الأهمية (9).

رابعاً، لنختم بملاحظة أخيرة. إن المأخذ الذي سيُسجّل على الشيوعيين بكونهم كانوا حرب الرّيف بالضبط مُنفذين لموسكو، لم يكن له من معنى وقتذاك لدى الغالبية العظمى مناضلين. لقد كان شعور التضامن الثوري والدّولي عالياً جداً، في تلك الفترة التي لم تكن عكرتها تحليلات الاستبداد الستاليني، بحيث أنه عندما كانت تنشأ اعتراضات داخل رب ضيّد توجّه وطُرق الحملة ضد الحرب — وليس ضيّد مبدئها — فإن هؤلاء المُعارضين نوا يمتدحون إلى الأهمية الشيوعية، جاعلين من هذه الأخيرة قاضياً في الأخطاء والقرارات نكبة في نظرهم من طرف قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي.

رّجيات والتنظيم

شعارات والتكتيك

تهم توجيهات الحزب الشيوعي من أجل الحملة ضيّد حَرْب الرّيف بثّ شعارات زب وتكتيك الجبهة الموحدة مع الاشتراكيين وال س.ج.ت (10).

لفس، 20 مايو 1925، ص 430 و 13 يونيو 1925، ص 504.

ما عدا، كما سنرى لاحقاً، بمناسبة التحريض بين النساء.

لقد توصل كرماديسل الى نفس الاستنتاجات مشار اليه، الجزء الأول، ص 71 — 72.

إن تقسماً كبيراً من معالمتنا يستند الى محاضر اجتماعات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي. لتوضيح بشأن هذا الموضوع أن اللجنة المركزية كانت تجمع كثيراً في 1925. هكذا، كانت مسألة المغرب إما قد أثيرت، وإما نوقشت باستفاضة

لقد كانت شعارات الحزب أربعة : أولاً : السُّلم الفوري مع الرِّيف، ثانياً : الجلاء عن المغرب، ثالثاً : استقلال الرِّيف، رابعاً : التآخي. لكنها لم تُقدَّم فوراً بهذا الشكل. لقد بدأ الحزب الشيوعي بتميز وُقِفَ النزاع والسُّلم في الرِّيف، الذي غالباً ما ارتبط بالمطالبة باستقلاله. إن اختيار عبارة «السُّلم الفوري» وقع انتقاده من طرف ثران «لأن بإمكانه أن يَسْتَجِرَّ في ترويج وَهْمٍ خطير بين الجماهير التي يمكن أن تُتَقَدِّدَ بأنَّ في استطاعة الامبريالية إقامة السُّلم بين يومٍ وآخر» (11). لكن دوريو سيُفسَّرُ لاحقاً بأنَّ «السُّلم الفوري» يُعارض «السُّلم السريع» المرفوع من طرف كتلة اليسارات : «الهدم السريع معناه إبادة الريفيين، أي إرسال خمسمائة ألف جندي لسحق الريفيين» (12). والجلاء، هل هو الكلي أم الجلاء العسكري عن المغرب ؟ إننا نجد التعبيرين معاً في أدبيات دعاية الحزب. ويوضح دوريو أيضاً بأن تعبير «الجلاء العسكري» كان «فَتْحاً» للاشتراكيين الذين صاغوا هذا الشعار قبل حرب 1914. لكن من الواضح أنَّ «الجلاء العسكري والجلاء العام مُرادفان بشكل مطلق، على الأقل فيما يخص المغرب» (13). وتتمثل هذه الشعارات الثلاثة الأولى أهدافاً؛ أما الرابع، وهو شعار التآخي، فيُقدَّمُ كوسيلة للعمل من أجل السُّلم. وسيكون كما سنرى، مثار انتقاد خاص. يُنسَجَلُ، الآن، بأنَّ اعتماده كان مناسبة لنقاش حول الانهزامية، التي يشكِّلُ التآخي دعائمها الأساسية. لقد كان ثران ودوريو مُتَّفِقَيْنِ على ضرورة مُعارضة الدَّعاية للحرب بتحريض لصالح «الهزيمة العسكرية الامبريالية» في المغرب : «لا ينبغي ربط مآل الجنود الفرنسيين ومآل القيادة العليا للجيش الفرنسي» (14). وبما أنَّه من مصلحة البروليتاريا أن تهزم الامبريالية، فإن على الدَّعاية لتآخي الجنود أن تُساوِّقها دعاية تدعو الجماهير العمَّالية إلى مُقاطعة صُنْعِ الذَّخيرة ونقلها، وإلى مُنْعِ الجنود من الذهاب (15). ويتعلق الأمر هنا، كما يوضح س. طويريز بشعارات مشتقة إن جازا القول من شعار التآخي ولا ينبغي أن يكون فيها أي

في الاحتجاجات التالية : 3 فبراير، 19 مايو، 2، 16 و 26 يونيو، 13، 28 و 29 يوليو، 18 غشت (صباحاً ومساءً)، مانت، 10، 22 و 29 شتنبر، 7 أكتوبر، لقد كانت هذه الاحتجاجات تضم حوالي ثلاثين مشاركاً لم يكن معظمهم أعضاءً منتسبين في اللجنة المركزية

- 1 أرشيفات معهد موريس طويريز، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 18 غشت 1925.
- 12 نفسه، السلسلة 142، محضر اللجنة المركزية الموسعة لـ 8 أبريل 1926.
- 13 لقد بدا موموسو متحفظاً : «إن الجلاء من غير قيد أو شرط، المطروح كشعار أمام الجماهير، يمكن أن يستغل كجلاء لجميع المعمرين وجميع العمال» بينما «لا يحمل الجلاء العسكري أي الناس» نفسه، محضر اللجنة المركزية لـ 18 غشت 1925. لقد كان طوماس (انظر نفسه) قد صرح في 28 يوليو أمام اللجنة المركزية، بأنه «ينبغي أن تتخل عن شعار الجلاء العسكري عن المغرب الذي يسبب الانقسام»، نفسه.
- 14 نفسه.
- 15 المؤقر الثالث لـ م. ج. ت. الوحديوة، باريس، 26 - 31 غشت 1925، عرض المناقشات، ص 73.

لبس؛ فهي تُعبّر عن تضامن الشّغاليين مع الجنود ومع الرّيفيين وعن رغبتهم في أن تنتهي الحرب؛ لكن ضرورة العمل لا تعني أن الثّورة قد بدأت (16).

في اجتماع المكتب السياسي يوم 19 مايو 1925، لاحظ قادة الحزب الشيوعي أن هناك تيارا يتكون داخل كتلة اليسارات ضد الحرب. وتبعاً لذلك، توجب تقديم اقتراحات للكفاح المشترك للاشتراكيين من كل المستويات. وقد وضع طوماس، أحد مندوبي الأهمية لدى الحزب الفرنسي (17)، قائلاً: «إن اقتراحاتنا ستقابل دائماً بالرفض من طرف الاشتراكيين، لكنها ستسمح لنا بالتشهير بالقادة» (18). وقد استأنف دوريو قائلاً بضرورة اعتناء تكتيك من مرحلتين: أولاً، التنصيص على العمال الاشتراكيين الذين يختارون شعاراتنا. وبعد ذلك إظهارهم على أنهم مناهضون لرؤسائهم. ويضيف: «هكذا سنتلافى الخطر الذي يحدنا منه مونوسو، والمائل في دفع يسار الحزب الاشتراكي نحو اليمين، هذا اليسار الذي يكره التورط مع الشيوعيين. إن علينا، من جهة أخرى، أن ننقل من تكتيك لآخر بسرعة تقل أو تزداد، حسب الأوضاع المحلية» (19). وفي 5 يونيو، دعت لجنة المركزية السكرتيري المناطق إلى توجيه نداء خاصة للمنظمات النقابية الكونفدرالية والفدراليات والفروع الاشتراكية لتشكيل لجان للعمل ضد حرب المغرب. وقد وضحت مع ذلك بأن الهدف هو خلق «حركة وحدة عمالية واسعة ضد الاتحاد المقدس للبورجوازية الرأسمالية والزعماء الاشتراكيين الديمقراطيين الذين يخونون الطبقة العاملة» (20). ولم يتم تحديد الموقف الذي ينبغي مراعاته تجاه العناصر الاشتراكية بوضوح. هذا ما اشتكى منه مندوب الأهمية: «ليس لدينا تكتيك واحد، بل عشرة تكتيكات» (21)، وقد انتقد على الخصوص الموقف المبالغ في التفهم الذي أبداه بعض القادة تجاه عناصر من يسار الحزب الاشتراكي. هكذا استحسن كاشان، في إحدى افتتاحيات لومانيتي، توجيهات الشرارة «وهي صحيفة أقلية اليسار الاشتراكي، التي «تبذل جهداً لا تتزعج الاشتراكية من نفوذ زعماء اليمين» بل لقد مضى إلى حد إبداء اقتناعه بأن

16 أرشيفات معهد موريس طوريو، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 20 يوليو 1925.

17 حسب أندري فوا الذي سأناه في هذا الموضوع، فإن طوماس قد يكون هو الاسم المستعار لغورالسكي، مبعوث الأهمية الشيوعية، المقدر كثيراً من طرف زينوفيف. لقد كان بألمانيا في 1923 حيث كان معروفاً باسم كلارين؛ قبل أن يقدم إلى فرنسا. وقد كتب بعض المقالات في لومانيتي بتوقيع لويولي.

18 أرشيفات معهد موريس طوريو، السلسلة 95، محضر المكتب السياسي لـ 19 مايو 1925.

19 نفس، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 2 يونيو 1925.

20 AN F7 13092 (ملف عام رقم 103 في 5 يونيو 1925).

21 أرشيفات معهد موريس طوريو، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 28 يوليو 1925.

«قسما مهما» من مناضلي، القاعدة مستعدون لمقاومة «حزب رونوديل، ليس من أجل الهجيء إلى الشيوعية (هذا غير وارد) ولكن ليقفوا ضد سياسة التعاون التي ينفجها الكارتيل» (22)، إنه لم يفهم شيئا في رأي مندوب الأمية الذي رأى بأنه «عندما يصير مناضلو الحزب الاشتراكي، الذين يظلون دور معارضة البورجوازية، حمرا من الغضب، ينبغي ضربهم بقوة أكبر» (23). أما سيمار فقد حرص على فصل الزعماء الاشتراكيين عن مناضلي وعمال القاعدة : «ينبغي أن نتبع تجاه الحزب الاشتراكي، ثلاثة تكتيكات مختلفة وذلك تبعا تعاملنا مع الزعماء، مثل بلوم وشركائه، الذين يتعين علينا مهاجمتهم بقوة لاسيما وأنهم يتصنعون الجنوح أكثر إلى اليسار؛ ومع المناضلين الذين تبنا وجهة نظرنا والذين يخدمون تحريضنا، أو مع عمال القاعدة» (24). لقد اقترحت الجبهة الموحدة من طرف الحزب الشيوعي على أساس شعارات الحزب، ومن ضمنها شعار التأخي. وقط في مؤتمر فاتح دجنبر اعتبرت القيادة أن فرض هذا الشرط كان خطأ تكتيكيا وقررت بأن القبول به لم يعد يشكل منذ ذلك الوقت فصاعدا شرطا للجبهة.

لجنة العمل ضد حرب المغرب

لقد ذكر دوريو أمام اللجنة المركزية بأن الأمية اعتبرت التوفر على سياسة جيدة لا يكفي، لأنه إذا لم يكن لديكم تنظيم جيد لن تتمكنوا من تنفيذ الشعارات السياسية. وفي سنة 1925 تلك، التي بدأت بـ «مؤتمر البلشفة»، أخذت مسألة التنظيم أهمية كبيرة داخل الحزب الشيوعي. لقد أثبت باستمرار لتفسير ضعف الأعمال التي قامت بها الحركة الشيوعية. إن البنيات التنظيمية التي تم وضعها بمناسبة الكفاح ضد حرب الريف لم تنجز دون عناء ولا دون احتدام نقاشات حادة بين قادة الحزب. لقد كان تجمع لونا بارك ضد حرب المغرب الذي تم في 16 مايو تحت رعاية لجنة عمل ضمت الحزب الشيوعي، و س.ج.ت. لوحدة والجمعية الجمهورية لقدماء المحاربين، التابعة للحزب، والشبيبات الشيوعية (25). وهذه الصيغة ليست جديدة، فقد سبق أن طبقت على الخصوص أثناء الحملة التي نظمها الحزب الشيوعي ضد احتلال الزور، وعندما طلبت اللجنة المركزية تطبيقها على الصعيد المحلي، بدا من المحتمل أن تكون بعض المناطق قد سبقت إلى ذلك. لكنها لم تكن مع ذلك

22 لوماني، 26 يوليوز 1925.

23 حضر اللجنة المركزية لـ 28 يوليوز 1925، المشار إليه سابقا.

24 لنفسه، حضر اللجنة المركزية لـ 29 يوليوز 1925.

25 انظر لوماني، 14 مايو بالنسبة للإعلان عن اللقاء و 17 مايو بالنسبة للعرض. إن عبارة لجنة العمل ضد حرب المغرب لن تستعمل من طرف اليومية الشيوعية إلا ابتداء من 6 يونيو 1925.

خالية من المشاكل : سواء فيما يخص المشاركين في لجان العمل هذه، أو الدور الذي كان على هذا التنظيم أن يلعبه بالنسبة إلى الحزب، أو الوسائل التي ينبغي منحها له، إلى درجة أن التجريبية تغلبت في البداية، وقد حولت سلطة تقديرية واسعة بما فيه الكفاية لتنظيمات الحزب الجهوية والمحلية لأنشائها. لقد دعى سكرتيرو مناطق الحزب إلى عدم الاكتفاء بإنشاء لجان المقاطعات، بل عليهم أن يتدخلوا على مستوى القاعدة «مبهرنين على روح المبادرة»، وأن يجعلوا جمعيات المعامل تصوت على جداول الأعمال، وأن ينظموا لجان وحدة بروليتارية ويشاروا على الخصوص على إنشاء لجان عمل مع «الزعماء والمناضلين المحليين الاصلاحيين» (26).

لم يتوجّه الحزب نحو إرساء تنظيم حقيقي للجان العمل إلا تدريجياً. في الأسابيع الأولى للحملة، لم يتضمن إنشاء لجنة عمل على الصعيد الوطني إخضاع اللجان الجهوية والمحلية لهذه الأخيرة، (27) لقد أدى إلى تشكيل لجنة عمل مركزية، وذلك في أعقاب مؤتمر عمّال المنطقة الباريسية ليومي 4 و 5 يوليو، وهو من أول التظاهرات الجماهيرية التي نظمها الحزب ضدّ حرب الرّيف. لقد ضمت هذه اللجنة المركزية للعمل، مبدئياً، مائة وخمسة وعشرين عضواً مُنتخباً، أي مائة مُمثل للمعامل الأكثر أهمية مُنتمين إلى مختلف التنظيمات المُتمثلة في هذا المؤتمر، وخمسة وعشرين مندوباً للجان الجهوية للأقليم (28). لكن تم التسليم في الواقع بأن يكون الحزب الشيوعي، والشبيبات الشيوعية، و س.ج.ت. والحدوية وقدماء المحاربين، هي العناصر المكونة للجنة المركزية واللجان الجهوية والمحلية. وكانت تتوفر على هياكل تنفيذية من تسعة وعشرين عضواً تم اختيارهم على الخصوص من بين ممثلي التنظيمات الأربعة. لقد كان المُشكيل، بالنسبة للحزب الشيوعي هو أن يجد لها مُنشطاً، لأنه حتى ذلك الوقت، كان يؤمنون هو العنصر الوحيد المُداوم في سكرتارية لجنة العمل، ومهما تكن مزاياه فإنه لم يعد

26 AN F7 13092، مذكرة عامة رقم 104 في 11 يونيو 1925 إلى سكرتيري المناطق.

27 إن الحزب الشيوعي، وليست لجنة العمل، هو الذي لعب وقّده دور المشط والمنسق هذا، كما تشهد بذلك المذكرات التالية :

(1) نشر مذكرة 29 مايو 1925 للمنطقة الباريسية للحزب الشيوعي، سكرتيري المنطقة بقرار اللجنة المركزية للحزب أن تشكل باتفاق مع ال س.ج.ت. والحدوية والشبيبات الشيوعية «لجنة عمل للتضال ضد حرب المغرب»، وتعرض برامج الاحتياجات المحددة قصد التحضير لمؤتمر عمالي يوضع تحت رعاية اللجنة الجهوية للعمل. أرشيفات معهد موريس طوريو، السلسلة 119.

(2) لقد شرحت مذكرة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي لـ 5 يونيو، لسكرتيري المناطق ضرورة إنشاء لجان عمل في كل مكان. أما مذكرة 11 يونيو فمادت إلى المسألة موضحة شروط تحقيق الحبة الموحدة. AN F7 13092 (المذكرتان رقم 103 و 104).

(3) دعت مذكرة جيدة للجنة المركزية بـ 24 يونيو المناطق إلى الإجابة عن استفتاء جد محدد حول تكوين لجان العمل، والاحراءات المتخذة قصد تحقيق حبة موحدة واللقاءات المنظمة. AN F7 13175 (مذكرة رقم 105).

28 لومالييه، 7 يوليو 1925.

كافيا لهذه المهمة (29). وسيقع الاختيار على طوريز، وستفسر سوزان جيرو دوافع هذا الاختيار في اللجنة المركزية المُنْتَجِعة يوم 13 يوليوز: «يلزم على رأس لجنة العمل رفيق يكون عليه أن يُشَبِّعَ فيها توجيهات الحزب، ولكن دون أن يكون معروفاً كشيوحي مشهور، وأن يكون لديه جسّ سياسي، وألا يدع العناصر المُتَعاطِفة تتجاوزوه، وألا تُصَرِّقَهُ عن هذه السُّمِيَّة الأساسية أية مهمة أخرى. إن المكتب السياسي يقترح عليكم طوريز، رغم الصعوبة التي سنجدوها في تعويضه في منطقة الشمال» (30). لقد كان طوريز، حتى ذلك الوقت، مُحْتَكِراً فعلا من طرف منطقة الشمال. ولم يتدخل تقريباً في اللجنة المركزية حول مسألة المغرب الى غاية ذلك الثالث عشر من يوليوز حيث قدّم تقريراً عن المؤتمر العُمالي المنعقد ليّليل والذي تحصّنه بكل عنايته. وتكشف تقارير اللجنة المركزية وقتذاك عن مناضل جَدِّي ومُتَوَاضِع، ومُعَادٍ للتقاشات السياسية التي يعتبرها غالباً تجريدية حرصاً منه على الفعالية، ومنشغِل قبل كل شيء بمسائل التنظيم. وستكون مُهمَّته هي دَفْعُ الحملة ضِدَّ حَرْبِ المغرب وتنسيقها. لقد اعتزم القيام بذلك على نُحْوٍ يرتبط بشكل وثيق مع مُقَرَّرَات الحزب. لكن كان يلزمه لذلك أن تكون لديه الوسائل التي تُمكنُهُ من فَرْضِ احترام تلك المُقَرَّرَات، ودورِهِ هو الذي تكفل بإظهار الصَّعُوبات التي يصطدم بها المسؤول الجديد للجنة العمل.

بعد شهر من تعيين طوريز، قدّم نائب سان — دوني ه — أمام اللجنة المركزية تقريراً حول دور الحزب في لجنة العمل. وقد بدأ بالتشكي بأن تعليمات المركز لا تُطَبَّق في الخلفاء، ثم تابع قائلاً: «نفس الشيء في لجنة العمل. فطوريز وبونفون وكارالب (31) هم الَّذِينَ يقومون بكل شيء. إن الشَّعارات لا تُرَدُّد من طرف تنظيمات القاعدة التي يبدو أنها تستخف حقاً بها. ولجنة العمل التي ليس في وَسْعِها تطبيق الشَّعارات هي لجنة استعراض لا يمكنها قيادة العمل ضِدَّ حرب المغرب وسَمَلَةِ الوحدة ذات الأهمية البالغة بالنسبة للحزب و س.ج.ت. الودوية». لقد أخذ المكتب السياسي على كونه «آلة لاطلاق الشَّعارات» وكونه لم يسهر على

29 يبدو أن بونفون إطار نقابي؛ إنه عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي.
30 لم يفسح تصريح سوزان جيرو المجال لأي تعليق. لقد أعقبه «قرار» اللجنة المركزية بالترخيص لطوريز بأن «يقبل تكليفه سكرتيراً للجنة المركزية للعمل»، أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 13 يوليوز 1925. إنه ليس صحيحاً أن يكتب، بأن لجنة العمل كان يقودها طوريز منذ شهر أبريل 1925. كما فعل ذلك كل من ن. لوكينيك وج. كريغاديلس (مقال وكتاب مشار إليها). ينبغي أن نسجل، من جهة أخرى، أنه بمقتضى قرار لم نعرف على أصله، عين طوريز رئيساً للجنة العمل، بينما احتفظ بونفون بصفة السكرتير (انظر رسالة اللجنة المركزية للعمل إلى الحزب الاشتراكي وإلى ال. س.ج.ت، المنشورة من طرف لوماني، 23 يوليوز 1925).

بتعلق الأمر بدريو.
31 لقد كان كارالب أيضاً إطاراً نقابياً موضوعاً رهن إشارة لجنة العمل.

رُبط العمل التنظيمي بالعمل السياسي. واعتبر، على الخصوص، أن إنشاء الأجنحة النقابية (32) غير كافٍ جداً. أما بالنسبة لـ «هشاشات» لجنة العمل، فإنه ينبغي تصحيحها بإعطاء اللجنة الوسائل الضرورية «إذا أردنا لها ألا تنتهي إلى الافلاس». وألح أيضاً على ضرورة التحرك أكثر في اتجاه المعامل ولجان الوحدة البروليتارية التي ينبغي لتشكيلها أن يتسع أكثر في البلاد (33). وقد وُضِّحَ طويريز بدوره مصاعبه. فبدأ بالتشكيك من لومانيي التي لا تمنح لحملة لجنة العمل حيزاً كافياً (34). أما بالنسبة للتظاهرات الرئيسية للجنة، تلك التي ينبغي أن تُنمَّ في الأوساط العمالية، فإن الحياة التنفيذية للجنة العمل هي التي تتحمل مسؤوليتها؛ غير أنه لا أعضاء الحزب الشيوعي ولا أعضاء س.ج.ت. الوحدة الذين يشكلون جزءاً منها يحضرون الاجتماعات؛ فهذه الأخيرة تنعقد فقط مع «بعض مندوبي المعامل». لقد حاول كثيراً، رفقة كارالب، تنظيم تجمعات في المعامل، لكن هنا أيضاً «تخلَّى عنا كل من الحزب الشيوعي و س.ج.ت. الوحدة فيما يتعلق بالخطباء والمُعدَّات والأموال» (35). لكن مونغسو ردَّ بأنه إذا كان مناضلو س.ج.ت. الوحدة لا يحضرون فلأن ذلك ليس بإمكانهم مادامت هناك مهام أخرى تمنعهم من ذلك؛ فغياهم مشفوع إذن بـ «التنظيم السيء» (36). لقد بدا واضحاً بأن السكرتير العام لـ س.ج.ت. الوحدة. لم يكن مُقْتَنِعاً بإعطاء لجنة العمل دَوْرَ مُنْشِطَةٍ الكفاح ضدَّ حَرْبِ الريف. وسيعود إلى هذا بُعد بضعة أسابيع من ذلك، خاصة عندما سيتعلَّق الأمر بتحديد المسؤوليات الخاصة لهؤلاء وأولئك في التحضير للاضراب العام لـ 12 أكتوبر. لكن طويريز الذي كان يستفيد من الدعم الكامل للقيادة السياسية — خاصة دعم سيمار وسوزان جيرو — سيكون قد تمكَّن، خلال ذلك، من إعطاء فعالية أكبر للجنة العمل، وذلك بتكثيف دعايتها وجمعها، لعدِّد من العمَّال غير المنظمين حَوْلَ المناضلين الشيوعيين والنقابيين رغم ما في ذلك من مصاعب.

تنظيم الدعاية

لقد تطورت الحملة الشيوعية بدعم من صحافة الحزب (37)، ج.ف.ي. باريس، أصدرت لومانيي، التي كانت تسحب في نهاية 1924، مائة وسبعين ألف نسخة (38)، ملصقات

- 32 أي الخلايا الشيوعية داخل تنظيمات نقابية.
- 33 أرشيفات معهد موريس طويريز، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 18 غشت 1925.
- 34 «عندما حاولنا إطلاق حملتنا في لومانيي بشرنا نقالات عن الشعارات وعن المقررات، قيل لنا بأن هذا كثير على لومانيي وبأنه ليس ثمة حيز. وانتقلت أوراقها إلى الصفحة الثانية ثم الثالثة، ثم إلى ركن شكل صغير» لنفسه.
- 35 نفسه.
- 36 نفسه.
- 37 انظر أدناه، الأشارات المتعلقة بصحافة الشبيبات الشيوعية.
- 38 من ماب المقابلة، ينبغي أن نلاحظ بأن سحب لوفر هو من نفس المستوى (170 000) وأن سحب لوكوتيديان بلغ .AN F7 12953. 280.000.

لتنمية بيعها بارتباط مع أحداث المغرب (39). وفي الأقليم، كانت الصحف التي يتوفر عليها الحزب الشيوعي الفرنسي تعيد نشر النداءات الموجهة من طرف التنظيمات المركزية. وكانت بعضها تنشر أخبارا محلية أو مقالات جديدة موجهة ضد حرب الريف (40). لقد كانت معدات الدعاية هامة : إذ كانت تتضمن كراسيات (41)، وملصقات ومناشير وإعلانات صغيرة (42) نشرت مبدئيا من طرف المركز (43)، ووجهت من قبله الى مختلف المناطق، ليس دون صعوبة أحيانا. وتميزت بعض الفدراليات بتأمينها، لاعادة طبع تلك المنشورات بوسائلها الخاصة (44) أو حتى بنشرها لنص جديد (45). هناك شكل آخر للدعاية : ترويج عرائض تطالب بالصلح القوي مع الريفيين (46). إلا أن التجمعات العمومية تظل هي الشكل المفضل للتحرير لدى الشيوعيين. لقد دعت قيادة الحزب، ثم قيادة اللجنة المركزية للعمل، لمسؤولين الجبهيين والمحليين الى المضاعفة منها. ووجهت إليهم «مخططات محاضرات». ولقد كانت لهذه الأخيرة استعمال مزدوج : من جهة يمكن أن تصلح مخططات للنقاش داخل

- 39 انظر AN F7 13174 (السب).
- 40 انظر لوماني دوميدي، 2 يونيو، 19، 20 و 21 يوليو 1925 — لوطالماير دوسوتر — أويست، 4 يوليو و 3 أكتوبر 1925، — لاديش دولوب، 11 يونيو 1925 (في AN F7 13173 و 013175 ولولشني دولور إي يا — دو — كالي، 6 و 13 يونيو، 12 و 26 شبر 1925.
- 41 لستشهد خاصة بـ ضد حرب المغرب، الذي يتضمن ثلاثة خطب لدوريو، ويوزون وكاشان أقيمت بالمجلس أيام 27 — 29 مايو 1925، — وكتب لوماني، أعاد نشر استعمار دوريو لـ 23 يونيو، مسبقا بنسخة من رسالة فانتان — بيريون وتوطلة ليران، — فلظن أنا لقاتل من أجل الوطن . نص من خمس صفحات، غير موقع، ومسبق بتوطلة لأندري ماري، ومؤرخ في 2 أبريل 1926 («لماذا يموت أبناء الشغالين في المغرب»...) وعن نجاحها، ينبغي تسجيل البرقية الموجهة من طرف شيوعيين من ليم الى الإدارة الرئيسية (والتي تم احتجازها) : «ابحثوا لورا كيبات ضد المغرب، كاشان — دوريو — ويوزون، على نحو مسجعيل، تراكتت علينا الطلبات». AN F7 13176 (كار).
- 42 نجد ملصقات عديدة، ومناشير وإعلانات صغيرة (وعالبا يسبح أصلية) في العديد من صاديق الأرشيفات الوطنية وفي بعض مجموعات الأرشيفات المقاطعية. وقد جمعت مجموعة منها في AN F7 13172.
- 43 حسب مذكرة لفرضية الشرطة، غير مؤرخة ولكن من المحتمل جدا أنها في 1925، كان عدد المطبعين بالمتعلقة البانيسية، الذين «اشتغلوا لحساب الشيوعيين» أحد عشر. APP BA 1676. وفي الواقع أتت أهم الملصقات والمناشير حسب علما من مطبعة دوعان. ولا تتوفر سوى على إشارات حزبية عن أعداد السحب المنحرة (انظر أدناه، أعداد سحب مطبوعات الشبيات الشيوعية).
- 44 هذه هي حالة المنطقة الأطلسية (انظر AN F7 13105)، لوار أنفيور، تقرير أدبي موجه للمؤتمر الجهوي لـ 1926) ومعلقة بورديو (انظر AN F7 13176 جيروند).
- 45 أعدا الاتحاد الاقليمي للثقافات الاتحادية للألب — مانيتم ومنطقة نيس للحزب الشيوعي وجمعية قدماء المحاربين أعد ونشرا في أواخر مايو 1925 ملصقا رائعا بالألوان يؤكد على أن حرب الريف تم «لغالبية نك باريس والساني — با والشركة المرسيية للقرص التي كان نائبها ماريي (للألب — مانيتم) حاكما» AN F7 13173 (ألب — مانيتم) — كما تم سحب مناشير في كل من مرسيليا والجزائر بمناسبة إرسال تعزيزات عسكرية. أرشيفات معهد موريس طوريو، السلسلة 117.
- 46 أنظر خاصة AN F7 13174 (الشمال و 13175 (باس — ألب)

خلايا الحزب، داخل الشبيبات والنقابات، ومن جهة أخرى يمكنها تسهيل التدخلات في التجمعات العمومية (47).

إننا لا نتوفر على عناصر تسمح لنا بتقييم كلفة هذه الحملة (48). لقد كان تمويلها يشغل، كما رأينا، بال مورييس طويريز (49). وعلى أية حال، كانت تنظيمات القاعدة مدعوة للحصول على أموال بواسطة بيع الكراسيات والشارات، ومن خلال جمع التبرعات التي كانت اللجنة المركزية للعمل تسمى للاستثمار بأكبر حصة من مداخيلها (50).

تحريض في جميع الاتجاهات

لقد تطورت الحملة الشيوعية على صعيدين : فمن جهة استهدفت تعبئة الخمسة وستين ألف منتمي للحزب (51)، وتغطية جزء كبير من البلاد خاصة بواسطة حملة من التجمعات العمومية. وقد توجهت لـ «شغالي المدن والحقو، شغالي فرنسا والمستعمرات»، لكن إذا كانت هذه العبارة قد استعملت غالبا — لأنه من الضروري التأكيد دائما على التضامن الذي يجمع كل الشغاليين — فإن تنفيذ الدعاية كان يتطلب، من جهة أخرى، بذل مجهودات خاصة باتجاه مختلف فئات السكان، فكان يتعدى الشغاليين اليدويين عند الاقتضاء. كانت الحملة التي قررها الحزب الشيوعي حملة في جميع الاتجاهات : وكان من شأن بنيتها، وتجلده في الأوساط النقابية وتنظيماته الجماهيرية أن تجعل منها حملة ممكنة.

- 47 هناك أشكال كثيرة منها. أنظر تلك التي في آندر — إي — لوار (AN F7 13173)، والشمال (AN F7 13174) والمنطقة اللوينة (AN F7 13177) والمنطقة البوردولية (AN F7 13090).
- 48 حسب اليومية الشيوعية. كانت نفقات ومداخيل اللجنة المركزية للعمل تقدر، في أواخر أكتوبر 1925، بـ 261 336 فرنكا، مع مراعاة مبلغ 77000 من استحقاق المطيعين، لومانيي، 10 نونبر 1925
- 49 هل ساهمت الأحمية الثالثة في هذا التمويل وبأية حصص ؟ لا يعرف شيئا عن هذا. لتذكر تصريح فلوريون بونط الذي يقول بأنه تلقى من الحزب الشيوعي الهولندي، من باب التضامن الشيوعي الدولي، «مبلغا هاما» لمساعدة اللجنة الجهوية للعمل للشمال حتى تقوم بدعايتها ضد حرب المغرب. AN F7 13177 (الشمال).
- 50 «إن الموارد المحتملة للجنة العمل الجهوية سيقدمها بـغ البطاقات (?) ووضع لوائح للاكتساب يتم التنازل لها عن قسط 25%» مذكورة اللجنة المركزية للعمل في 25 غشت 1925، AN F7 13092.
- 51 AN F7 13096 («وضعية الحزب الشيوعي عادة المؤتمر الوطني لكليشي»، مذكورة أعدها الأمن الوطني في أبريل 1925).

حملة التجمعات العمومية

لقد شكل تنظيم التجمعات العمومية في مجموع فرنسا التظاهرة الأكثر مشهدة في الحملة الشيوعية ضد حرب الريف. وقد طرح انتقاد التجمعات بعض المشاكل، سواء فيما يتعلق بالإعلان عنها عن طريق ملصقات، أو بحجز القاعات، أو بتوفير المركز لخطباء معروفين أو بالاحتياطات التي وجب اتخاذها بحكم المراقبة البوليسية. لنكتف الآن بأخذ نظرة عن مدى الجهود المبذولة من طرف الحزب الشيوعي ولجان العمل⁽⁵²⁾. فبالرغم من أن الأرشيفات لا تخلو من ثغرات حتمية، بدا لنا بأن المعلومات المستقاة تسمح بتقدير إيقاع هذه الحملة وكثافتها، وكذا مقدرتها التعبوية⁽⁵³⁾.

بعد انطلاق بطيء جدا للحملة في مايو 1925، نلاحظ نوعا من التفاوت بين الأقاليم، حيث كان برنامج التجمعات مكتظا على الخصوص في يونيو وبرنامج المنطقة الباريسية حيث توزعت تلك التجمعات بانتظام طيلة أشهر الصيف الثلاثة. لقد انخفض إيقاعها في شتبر واستأنف في بداية أكتوبر، عند اقتراب إضراب الأربعة والعشرين ساعة. هكذا أحصينا من 15 مايو إلى 15 أكتوبر مائة وخمسة تجمعات في المنطقة الباريسية وأربعمئة وثمانية وخمسين تجمعا في الأقاليم. وتعتبر هذه الأرقام دون الواقع بالتأكيد، إذ أن التجمعات لم تكن كلها موضوع تقارير من طرف مصالح الشرطة وسلطات المقاطعات⁽⁵⁴⁾. ومن جهة أخرى، تبدو المعلومات، في بعض المقاطعات منعدمة أو جد متقطعة بحيث لا يغدو في وسعنا إيرادها. لم تتوقف الحملة بعد شهر أكتوبر؛ لكنها عرفت نوعا من الهدوء حتى نهاية السنة. ثم استأنفت في يناير وامتدت حتى يونيو 1926. وبالرغم من أننا لا نتوفر على معلومات في منتهى الدقة عن هذه الفترة الأخيرة، فإنه من الواضح أن كثافة الحملة وقتذاك قد قلت⁽⁵⁵⁾ وأن عدد التجمعات المخصصة أساسا للمغرب قد تقلص.

- 52 لا تدخل في مجال بحثنا الاجتماعات التي انعقدت بالمادة الوحيدة للشبيبات والتي سيأتي الحديث عنها لاحقا.
- 53 يتكون مصدرنا من التقارير المرفوعة من طرف وزارة الداخلية حول «الدعاية الشيوعية ضد حملة المغرب» والتي هي مرتبة حسب المقاطعات: إنهما تشمل الفترة الممتدة من نهاية شهر مايو 1925 إلى شهر يونيو 1926. AN F7 13173 إلى 13178 (1925) و 13104 إلى 13105 (النصف الأول من سنة 1926). ولقد اقتننا عددا من التحريات في مجموعات الأرشيفات المقاطعية بأما لا تتوفر حول هذه المسألة الخاصة، ماعدا بعض الاستثناءات القليلة جدا، على معلومات مختلفة أوتكميلية. (أنظر في الخاتمة، مصادر — جيلوغرافيا).
- 54 بشكل خاص، الاجتماعات الكثيرة جدا، المرتجلة تقريبا، التي تمت في عرج المصانع. ترى هل لأنها احتسبت هذه الأخيرة بشكل واسع أكدت لندالية الحزب الشيوعي للمنطقة المتوسطة أنها سهرت على «أكثر من 400 اجتماع» ضد حرب الريف تقرير أدلي لسنة 1925، AN F7 13104 (بوش — دو — رين).
- 55 أقل مع ذلك كما كان يعتقد كل من نر لوكييك، مقال مشار إليه، وكريما ديلس كتاب مشار إليه، اللذين يريان بأن الحملة الشيوعية توقفت تقريبا في أكتوبر 1925

إنه لمقر القيام بتوزيع جغرافي لهذه التجمعات. لكن يثنيها عن ذلك نقص معلوماتنا، وأكثر من ذلك، تفاوت أهمية المستعمرين المجتمعين — الذين كان عددهم يتراوح بين عشرات الأشخاص والآلاف، وبخلاف ذلك، بدا لنا أن من شأن جدول للتجمعات التي ضمت على الأقل خمسمائة شخص حسب تقديرات الشرطة، أي عددا واقعا للمشاركين أكثر ارتفاعا على العموم، أن يسمح بتقدير الأثر الحاسم للحملة الشيوعية (56).

النقابات العمالية

لقد جاءت الحملة ضد حزب الريف بعد ثلاث سنوات من انفصام الوحدة النقابية. فإمام التوجه الأملاحي لـ س.ج.ت، أظهرت المركزية الجديدة، الـ س.ج.ت.ت.الوحدوية، التي كانت تضم حوالي خمسمائة ألف منضوي، ثورتها واعتزمت الربط الوثيق بين الكفاحات السياسية والكفاحات الاجتماعية. ولم يكن التضامن الذي أبدته تجاه الحزب الشيوعي، والذي كان يأخذ أحيانا شكل تبعية، خاليا من المصاعب لأن تركيبتها لم تكن أبدا منسجمة. لقد اختار الحزب الشيوعي بداية حملته ضد حزب المغرب لكي يعلن عن انضمام القادة الرئيسيين للكونفدرالية الاتحادية للحزب (57). وفي الواقع، لم يكن ينوي فقط أن يُلقي بكل ثقل نقابيه في المعركة ضد الحزب، لكنه كان ينوي أيضا الاستفادة من ذلك الظرف لكي يربط بشكل أوثق النقابات والحزب. لقد أوكل أمر ترويج شعارات الحزب إلى «الأجنحة الشيوعية» في مختلف النقابات، كما أوكل إليها أمر توطيد أولئك الذين استهوتهم الأفكار الشيوعية وإقناع «الكونفدراليين» والعناصر المعزولة (58). وعليه، فقد تطوع قادة الـ س.ج.ت.الوحدوية على نحو عميق إلى جانب الحزب الشيوعي الذي كانوا يُقرّون بإدارته. فحضروا للمؤتمرات العمالية التي كان عليها تلحيم وحدة البروليتاريا في الكفاح. وشاركوا بفعالية في حملة لجنة العمل كما أعلنوا تضامنتهم مع المناضلين ضحايا القمع. لقد كان في جدول أعمال مؤتمراتهم الوطني «الكفاح ضد الأمية والحرب» الذي كان موضوع تقرير لمؤتمسوس. وتبنى هذا المؤتمر قراراً يطالب بـ «الصلح مع الريفين على أساس الاستقلال

56 لم نشر إلا إلى الخطباء المعروفين من بين أولئك الذين ذكرتهم تقارير الشرطة. وس حجة أخرى، فإن «المؤتمرات العمالية والفلاحية» التي تشكل أهم التجمعات المنظمة من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي في ضلاله ضد الريف (أنظر أدناه) لا توجد في هذه اللائحة.

57 تم اتحاد قرار النشر من طرف اللجنة المركزية في 2 يونيو 1925 (أرشيفات معهد موريس طوريوز، السلسلة 93) وصار فعليا بعد شهر من ذلك، لومالهي، 5 يوليو 1925.

58 «لا يمكن أن نغفل النقابات تشتمل، شرح راكمون، سكرتير الـ س.ج.ت.الوحدوية، إلا تحريك الحلايا» أرشيفات معهد موريس طوريوز، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 16 يونيو 1925.

الكامل للريف»، وقرّر بأن يوصي بالتآخي، ومقاطعة صنع الأسلحة والذخيرة والنقل العسكري، وكذا بتنظيم إضراب إنداري طيلة أربع وعشرين ساعة.

لم تكن ال.س.ج.ت. الوحشية تنكر، بأنها تطوّر نفس الأطروحات التي يطورها الحزب الشيوعي الفرنسي. بالعكس، لقد كانت تعتبر أن هذا التطابق في النظر يقوّيها. لكنها كانت تُموّضع حملتها في إطار كفاحها لصالح التوحيد النقابي. وكان هذا الأخير يمرّ، في رأي الاتحاديين، عبر التشهير بقيادة ال.س.ج.ت.؛ مُدعّمي حكومات الكارتيل، وعبر تبني برنامج مُعادٍ للامبريالية. وفي 23 مايو 1925، اقترحت اللجنة التنفيذية ل.س.ج.ت. الوحشية على ال.س.ج.ت. تنظيم جولة مشتركة واسعة للدعاية في مجموع فرنسا بهدف الاحتجاج ضدّ حرب الريف التي تشكّل «مسّاً بحق الشعوب في تقرير مصيرها، وهو حقّ مُسلّم به من طرف الحكومة ومُدافع عنه من طرف مُنظمتنا» ودعّت «الكونفدراليين» الى تبني شعارتي «الصلح الفوري» و«الجلاء العسكري عن المغرب»، مُدكّرة بأن هذا الأخير كان مُطالباً به من قِبَل من طرف ال.س.ج.ت. (60). وفي نفس اليوم، شهّر ليون جوهو بـ «الترعة الأُممية المزعومة لقادة الأُممية الثالثة (التي) ليست، في الحقيقة، سوى دعوة للترعة الوطنية الأكثر ضيقاً. إنّ الشُعاليين، أضاف، لا يقبلونها مثلما لا يتوون اللحاق بدسائس أولئك الذين يريدون تشجيع المُقاومة ويحلمون بغزوات جديدة» (61). لقد رُدّ مُؤتمسو باتهام سكرتير ال.س.ج.ت. بـ «تأييد الطابع الألحائي للحرب المغربية وبتقويته، وذلك على حساب الجمهورية الريفية وفائدة بعض ملاكي الأبنك، ولو كان ذلك بهلاك ملايين الأشخاص على جانيّ خطّ النار» (62). إننا نلمس اللهجة. لكن كان هناك خلف المواجهة العادية بين المركزيين النقيبين، تعارض صريح حول المعنى نفسه للنزاع المغربي، كشفت عنه حملة المُنظمتين. فبينما كانت جريدة «الكونفدراليين» تُقدّم عبد الكريم كـ «زعيم عصايب» فصلّه «بخصام» عن الاسبان (63)، كان «الاتحاديون» يلحّون على الطابع الوطني والشعبي لقتال الريفيين وبضاعفون ضغطهم: «إن المبدأ الأكثر بساطة لحق الشعوب في تقرير مصيرها يُلزم القادة الكونفدراليين بكل تصميم بالانضمام الى صفّنا للمطالبة بالصلح الفوري مع الريفين،

59 المؤرر الثالث ل.س.ج.ت. الوحشية، باريس 26 - 31 غشت 1925، عرض المناقشات، ص 67 -

68

60 لوماني، 23 مايو 1925

الكاتب العام ل.س.ج.ت. (الرفقة من الحرب الاشتراكي)

61 لوبيل، 23 مايو 1925

62 لوماني، 25 مايو 1925

63 لوبيل، 29 مايو، 3 و 18 يونيو 1925.

وبعد ذلك بالجلء العسكري عن المغرب، وهي الضمانة الأساسية للمستعمرين ولحياة الجنود الذين يسقطون كُلّ يوم من أجل قضية ليست قضيتهم» (64). يستتبع الصلح حسب ال.س.ج.ت حلاً يُحفظ في نفس الوقت الحُرّيات الرّيفية والحضور الفرنسي في المغرب؛ وبالتالي ينبغي الشّروع في تثبيت حدود المغرب الفرنسي (65). المغرب الفرنسي ؟ «أين يوجد هذا الاقليم المجهول ؟» تساءلت جريدة الحياة العمالية «ساخرة» (66). وبما أن صحيفة لويوبل اتهمت الشيوعيين بكونهم «أعداء السّلم»، لأنهم كانوا يتمنّون «انهزام القوات الفرنسية في المغرب» (67)، فقد رد موموسو بأن «انهزام الشّعب الرّيفي سيعني الثّقوية المؤقتة للحكم البورجوازي على حساب البروليتاريا الفرنسية» (68)؛ فالاصلاحيون هم الذين «يقبلون بمواصلة الذّبح في ظلّ الصّيغ المتناهية الدّهاء للصلح الوفيّ المفروض على عبد الكريم» (69). إن ما أثار سُخط قادة ال.س.ج.ت؛ ليس فقط الدّعم الذي يُقدّمه الحزب الشيوعي وال.س.ج.ت.الوحدوية للرّيفيين، بل كونه ينفّذ داخل استراتيجية مُرتّبة من طرف موسكو. وفي مؤتمرهم الوطني، شرّح مليون، مُعزّزاً قوله بسبّيل من الاستشهادات، بأن الشيوعيين يُشجّعون تطوّر كل العوامل الوطنية في العالم من أجل تثبيت أفضل لكتاتوريّتهم «بأدىء الأمر في روسيا، ورّبعاً بعد ذلك في العالم» (70).

إلى أيّ حدّ أمكّن لهذه الحجج أن تؤثر في مناضلي القاعدة ؟ سنرى لاحقاً أن كلّ التقاين الكونفدراليين لم يكونوا ليشاطروا وجهات نظر قيادتهم حول المُشكّل المغربي. إن المعلومات تنقصنا حول المواقف المُتبناة من طرف مختلف الفدراليات الاتحادية. لقد كانت في المجموع تُمثّل جبهةً مُوحّدة (71). وقد تمّت المُصادقة على تقرير موموسو بإجماع المؤتمّر، ما عدا امتناع واحد هو امتناع مندوب نقابة سيككي (شالون — سور — مارن — الذي أبدى تحفظاته حول مدى ملائمة شعار التّآخي للطرف الراهن (72). ولكن ستظهر

64 لالي أوفريير، 26 يونيو 1925

65 لويوبل، 10 يونيو 1925

66 لالي أوفريير، 12 يونيو 1925

* La Vie ouvrière

67 لويوبل، 23 يوليو 1925

68 لالي أوفريير، 14 عشت 1925

69 نفسه، 7 غشت

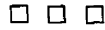
70 المؤتمّر الكونفدرالي الثامن عشر ل.س.ج.ت. 26 — 29 عشت 1925، باريس، عرض المناقشات، ص 163.

71 لقد نشرت لالي أوفريير بالخصوص الشعارات ضد الحرب الصادرة عن الاتحادات الاقليمية : «الحلما الشيوعية»، أنظر

19، 26 يونيو و 3 يوليو 1925.

72 عرض، مشار إليه

تاعدات الرأي داخل الـ س.ج.ت. الوحدوية، كما سنرى، بمناشئة إضراب الأربع وعشرين ساعة، إلى حد أن بعض المناضلين سيقطعون علاقاتهم مع الحزب الشيوعي ويتعدون عن قيادة المركبة التقايبية.



هناك فئة خاصة من العمال سعى الشيوعيون إلى تعبئتهم ضد حُرْب المغرب. إنهم العمال الأجانب أو الذين ينتمون إلى المستعمرات. فهؤلاء الذين كانوا مُستَغَلِّين بشكل مزدوج بصفتهم عمالاً وبصفتهم مُستَعْمَرِينَ، كانوا قابلين للتأثر على الخصوص بندايات الحزب الشيوعي الفرنسي لتحرير شعوب ما وراء البحار. في هذا الوسط، كان التحريض لصالح عبد الكريم مُركِّزاً على المَلَمَح الوطني لكفاج يُقَدِّم على أنه نموذجي. لقد رَدَدَت لوباريا، «منبر المبروليتاريا المُستَعْمَرَة»، بأكبر صَدَى المَعارك التي يخوضها المغاربة وامتدحت «جمهورية الريف» (76). ولم ينتظر اتحاد التضامن مع المستعمرات (74)، هجوم الزعيم الريمي على القوات الفرنسية لكي يُعبّر له عن تعاطفه الشديد. وفي 30 شتنبر 1924، وجّه الحاج علي، في أعقاب اجتماع بباريس ضمّ أربعمئة شخص، تحية الجمع إلى عبد الكريم «الذي يكافح، كما فعل عبد القادر سابقاً، من أجل استقلال بلاده» (75). لقد انعقدت تجمعات جديدة في 3، ثم في 17 أكتوبر؛ فحياً بيطون خلالها «البطل عبد الكريم الذي سيكون انتصاره دليل تحرير الأشخاص المُلوَّنين» (76). أمّا مؤتمر العمال الأفارقة الشماليين للمنطقة الباريسية، المنعقد في 7 دجنبر، فختم أشغاله بإرسال برقية مُوجَّهَةٌ «إلى المغاربة وإلى زعيمهم عبد الكريم» مؤكدة لهم تضامن العمال معهم «في عملهم من أجل تحرير أرضهم» (77). وفي 26 مايو 1925، انعقد بمرسيليا المؤتمر الأول للعمال الأفارقة الشماليين لـ البوش — دي — رون، الذي انتهى بصيحات «عاش السُّلْم الفوري في الريف: عاش استقلال الشعب المغربي. عاش الحزب الشيوعي!» (78). لقد كان الحزب الشيوعي الفرنسي يوزّع منشائر باللغة العربية بين الشُّعَالِيين المغاربة. وقد استرعى واحد من هذه المنشائر، وهو طويل للغاية، انتباهنا.

73 لوباريا، فبراير 1924 («عاش المغرب الحر»)، يوليوز — يوليوز 1925 («عاشت جمهورية الريف»).

74 عن الاتحاد إلى إستيماري، أنظر أعلاه، الفصل الرابع.
AN 80M، شؤون سياسة 2415، ملكرات حول الدعاية الثورية...، 30 شتنبر 1924.

القمه، 31 أكتوبر 1924.

القمه، 31 دجنبر 1924

AN F7 1317 (بوش — دي — رون)

فبعد أن أثار بتعابير مثالية الوضعية في المغرب قبل الاستعمار وشدد على أطماع الرأسمالية الدولية، أكد تضامن الشعب الفرنسي مع الشعب المغربي : «لا يرغب أغلبية العمال، والفلاحين والجنود الفرنسيين سوى في استقلال الكمال، ولا يعترفون بحق رأسماليهم في الهيمنة عليك ولا في استعبادك. وهم أنفسهم يسعون الى التحرر من استعباد رأسماليهم؛ ويسعون الى محاربتهم، وكذا محاربة حكومتهم التي أهانتك، لأن الظلم يبين في فرنسا أكثر منه في المغرب العربي. فما يرغب فيه عمال وفلاحون فرنسيون لأنفسهم، يرغبون فيه لك أيضاً. ومُتّحدين معك، سيهتفون عالياً من أعماق القلب : عاش استقلال المغرب العربي» (79). هل قررت سلطات الحماية في أكتوبر منع خروج الشغاليين المغاربة المتوجهين الى فرنسا بسبب الخشية من انكاسات هذه الدعاية أم لأسباب محلية ؟ انعقد، بعد استسلام عبد الكريم، تجمع ضمّ الشغاليين الأفارقة الشماليين بباريس، فألقى كوست، السكرتير العام للمنطقة الباريسية للحزب الشيوعي، كلمة موجزة، ثم أخذ إسعاد الكلمة باللهجة القبايلية وبن لكحال ومناضل تونسي باللغة العربية. وقد صرحوا بأنه «أخذ كان عبد الكريم قد استسلم فإن المقاومة ليست أقل مما كانت ضدّ الاحتلال الفرنسي...» (80)

لقد كان الشغاليون المهاجرون الآخرون يتلقون دعاية لا يبدو أنه كان لها نفس الطابع التنظيمي. وتسمح معلوماتنا، وهي جد ناقصة، بافتراض أن هذه الدعاية كانت تركز أساساً على الـ س.ج.ت. الوحدوية، التي كانت تمنح بعض التسهيلات لختلف المجموعات الوطنية، في الحدود الضيقة المفروضة من طرف القمع البوليسي. هكذا كان العمال البولونيون يُصدرون صحيفة تدعى الاتحاد البولوني ثمّ منعتها بقرار وزاري في 4 يونيو 1925 (81). وبعد ثلاثة أسابيع من ذلك، عُرضت بصحيفة جديدة هي الحركة الثقافية تضمّن عددها الأول مقالاً متعلّقاً بحرب الزيف وبالتّحضير للمؤتمرين العماليين والفلاحيين لباريس وليل. وفي التصف الثاني من غشت، قام طوماس أولزانسكي، وهو بولوني مُجنّس بالجنسية الفرنسية، ومندوب دائم لـ س.ج.ت. الوحدوية، بإلقاء سلسلة من المحاضرات على مواطنيه السابقين، في ليل، وبلان - ميسرون، وفيلك أونينغ وفيكواني وأنزان، حيث تخصّص حيناً كبيراً للأسئلة المطروحة من طرف الكفاح ضدّ حرب المغرب (82). أمّا العمال الإيطاليون فكانوا يشاركون بكثرة في

79 إن ترجمة هذا المنشور، التي قامت بها دون ريب مصالغ مفوضية الشرطة، تحمل تاريخ 16 أبريل 1925 AN F7 13171.

80 AN F7 13103.

81 احتيالا بسبب المقالات المتعلقة بأحداث المغرب، APP BA 1676.

82 AN F7 13177 (الشمال).

التجمعات العمومية المنتظمة من طرف لجان العمل المحلية، وليس فقط في الميدي الفرنسي في الشرق أيضاً⁽⁸³⁾. لقد ضاعفت لوماني، عشية الاضراب الانذاري لـ 12 أكتوبر، نداء باللغات الأجنبية : الأرمنية، الإيطالية، التشيكية، الإسبانية وحتى بالعربية⁽⁸⁴⁾. كما كاد المناشير الموزعة من طرف الـ س.ج.ت.ت الوحيدة تتضمن ترجمة إيطالية وترجمة إسبانية (وذلك لدعوة المناضلين الى تكثيف حملتهم، من 20 نونبر الى 20 دجنبر، ضد غلاء المعيشة وضد الحرب الامبريالية معا.

الفلاحون

غالبا ما كان الحزب الشيوعي يربط في نداءاته للتظاهر ضد حرب الريف، الفلاحين والعمال⁽⁸⁶⁾. لقد كانت الطبقة الفلاحية الفرنسية، التي ابتليت كثيرا بحرب 1914، مجالا قابلا للتأثر على نحو خاص. ثرى هل قام الشيوعيون، لهذا السبب، بأعمال خاصة اتجاهها؟ إن توثيقنا ناقص في هذا الأمر. ولا يسمح لنا سوى إشارات جزئية جدا. يبدو أن المؤتمرات الثمالية والفلاحية الجهوية، التي سنعقد إليها لاحقا، لم تجمع سوى عدد قليل الفلاحين، ولم يتدخل منهم في المنصة سوى ثلاثة حسب تقارير لوماني⁽⁸⁷⁾. ويعكس ذلك، يبدو أن الدعاية الشيوعية ضد حرب المغرب غالبا ما همت مستمعين تتكون أغليبيتهم من الشغالات الزراعيين وصغار الفلاحين. ويمتحننا وجود مجلس فلاحى فرنسي، وهو تنظيم جماهيري للحزب⁽⁸⁸⁾، سبيلا للبحث لم يكن في مقدورنا ارتياده. فباسمه تدخلت منشط على الصعيد الوطني وهو رونو جان، من منصة مؤتمر المنطقة الباريسية⁽⁸⁹⁾. ويبدو لنا بأن هذا الجهاز قد طوّر

83 أنظر 13173 و 13174 AN F7

84 لوماني، 8 و 10 أكتوبر 1925

85 13104 AN F7 (ناس - آلب)

86 لنورد إعلانيين صغيرين تعريفين : «لقد قاتل العمال والفلاحون طوال خمسة أعوام من أجل الصاعين وأرباب الأرباك يعودوا يريدون الطاعة. لتسقط حرب المغرب» «من يموت؟ أبناء العمال والفلاحين. من يؤدي الثمن؟ العمال والفلاحون» AN F7 131 72

87 ليونس رويحي في مؤتمر باريس، لوماني، 6 يوليو 1925 — وناش في مؤتمر بريي، نفسه، 18 عشت 1925 وميو في مؤتمر مرسيليا، نفسه، 24 عشت 1925.

88 قدمت السلطات بشكل غير دقيق المجلس الفلاحى الفرنسي على أنه ينتمي الى الـ س.ج.ت.ت الوحيدة الزراعية، تعلق الأمر بالنسبة لهذه المنظمة تجمع صغار الملاكين والضال ضد التنظيمات الزراعية القائمة والمحدودة «نحت تأ الاكليروس وكبار الملاكين» (قروانايان، 28 نونبر 1925) عمارة ذلك تنور الـ س.ج.ت.ت الوحيدة على قدرالية للزرا تدأ على جمع الأجراء الزراعيين.

89 يعتبر رويو — جان، نائب ليو — إي — غارون، دون رب أحد أقوى شخصيات الحزب الشيوعي الفرنسي. لقد كاد من طرف الحزب بمثابة المشاكل الفلاحية، وأشأ ضد 1922 أسوعية، لالوا باييزان، وهي الصحبة الزراعية للحر

على الصعيد المحلي، أغملاً مطلبية توعية كانت مناسبة لاثارة مسألة الرّيف. هكذا كانت المشاكل المتعلقة بزراعة الكروم موضوع حملة في الاجتماعات في لبييرني أوريانطال، في ذروة الكفاح ضدّ الحَرْب : في 26 يوليو 1925 بـ سان لوران دو لا سالانك (ثلاثمائة شخص)، وفي 28 بـ إيسيرا دو لاكلي (مائة)، وفي 29 بـ إيلن (ثمانون)، وفي 30 بـ بيزيا دو لا ريفير (سبعون)، وفي فاتح غشت بـ ريفيرالت (خمسمائة) وفي 2 بـ بار دو مالو (ستون)، وفي 3 بـ بيكساس (مائة) (90). وأخيراً، نعلم بأنّه بين نهاية 1925 وبداية 1926، عقد المجلس الفلاحي حوالي إثني عشر مؤتمراً جهوياً سبقتها تجمعات عمومية وزعت خلالها لافوا بيزان «، الحريدة الأسبوعية للحركة، بالمتجان على آلاف الفلاحين؛ لكننا نجهل الحيز المُخصّص في هذه التظاهرات لحرب الرّيف (91).

وحسب وسائل الدعاية الموضوعية تحت تصرّف المناضلين، يبدو أنّه تمّ تطوير حجتين رئيسيتين في الحملات : حجة التزعة السلمية — «أيها الفلاح الشاب كفى من الدماء» — وحجة التّمييز المالي : «إن كتلة اليسارات لا تجد المال للزراعة. لكنها تجده لشرب الحرب في المغرب» (92)؛ ويمكن ربط كليهما باتهام الرأسمالية (93). ولم يكن الوعي بحق الرّيفيين في الاستقلال غائباً في المناقشات. لنسجّل بأن أحد المزارعين، وعمره ستة وأربعون عاماً، وضّح في لأكوكي، وهو موضع صغير من البييفور، عندما استدعي الى اجتماع من طرف الشبيبة الشيوعية، بأن السمعة الفرنسية لا يمكن أن تُمس إلا إذا تمّ انتهاك حدود فرنسا نفسها لأن «العرب لم يُهجروا نحو مرسيليا. والمغرب لا يعود لنا. بل يعود للعرب طبقاً لحق الشعوب في تقرير مصيرها» (94).

الشيوعي التي صارت في 1925 «لسان حال المجلس الفلاحي الفرنسي». للأسف، لا تتوفر الحزنة الوطنية، فيما يخص فترة حرب الرّيف، سوى على خمسة أعداد من هذه الحريدة

- 90 إن الاشارات حول عدد المشاركين من مصدر بوليس AN F7 131 77 (بيوني — أوريونطال).
- 91 La Voix paysanne * ضعيف دون رب اعتباراً لكون هذه المؤتمرات تمت في فترة انخفضت فيها كثافة النضال ضد الحرب وتخصص حمز مؤتم كوسن، وهو الوحيد الذي توفّرنا عليه 3 أسطر للمغرب من 120 سطراً. لافوا بيزان، 28 نونبر 1925.
- 92 AN F7 131 72.
- 93 «سينو اللاس، سينو التفلية، سينو العلاج، بدون أناء من عائلاتهم، هذا هو الوضع الذي فرض على جنودنا في المغرب. وهذا فقط لأن حصة من أرباب الأبنك وقع اختيارهم على ثروات الأرض واطن الأرض المغربية» لافوا بيزان، 5 دجبر 1925، أنظر أيضا 26 دجنر 1925.
- 94 الأرشيفات المقاطعية للدرودوي، 193 M 4 (عرض اجتماع 7 يوليو 1925).

الشبان

إن الشبان هم الذين يتم استدعاؤهم لمُحاربة الرِّيفيين؛ فالشبان العُمال، والشبان الفلاحون، والشبان الجنود هم الذين يشكّلون، من الجانب الفرنسي، أول ضحايا هذه الحرب. وعليه، كان ينبغي تطوير تحريض خاص في اتجاههم. ولم تكن هناك أية صعوبات في هذا الأمر، لأنّ التنظيم الشيوعي كان يتوفر لهذا الغرض على أداة ممتازة، هي الفدرالية للشباب، ديناميكية، إلى درجة أنّ مشاركتها في الكفاح ضدّ حرب الريف هي ربما الملمح المعروف أكثر، من هذه الحملة. فبحرصها على أن تؤكد ذاتها بالمقارنة مع جيل لم يعرف كيف يمنع الحرب العالمية، دفعها حساسيتها تجاه التزعة الأومية إلى أن تُتبعَ بهمة تعليمات الأومية. لقد كانت فعاليتها — التي تمّ التّروّع إلى الاعتراض بها على ترّدات أو «عجز» الحزب، المحترق بتيارات متناقضة — مُتجسّدة في أحد القادة، وهو جاك دوريو، الذي كانت له قبل ذلك حياة زعيم — وكانت قد عثرت على مخرّج في الكفاحات المُعادية للزرعة العسكرية: وقد أعقبت الحملة ضد حرب الريف الحملة ضدّ احتلال الرور.

لقد دعا المؤتمر الوطني للشبيبات الشيوعية، المنعقد في أواخر 1924، إلى تأخي الجيود الفرنسيين والشعب المغربي، وطالب بالجلء الفوري عن المغرب (95). ولم تكن تلك هي انطلاقة حملة الشبيبات الشيوعية. ففي نهاية الصيف، حيث تفرّقات عبد الكريم (96)، وفي 30 شتنبر، أصدرت مع الشبيبات الشيوعية الأسبانية بياناً يمتدح الكفاح من أجل استقلال الشعب المغربي (97). وفي مُستَقَلّ 1925، كان عدد المنضمين تحتها يقارب اثني عشر ألفاً، إلا أن هذا العدد لا يمكن من تصور الحملة التي قادتها. في وسعنا مقارنة المجهودات التي قامت بها في تلك السنة إذا أحصينا عدد النسخ من الجرائد التي كانت تصدر تحت رعايتها. لقد كانت لافان كارد، وهي لسان حال الشبيبات الشيوعية، تُسحب 8.000 نسخة في 1925؛ وستتحوّل من نصف شهرية إلى أسبوعية ابتداء من شتنبر، دون أن تتغيّر من سحّها الذي سيرتفع، بمناسبة فاتح مايو 1926 إلى 17000 (98). لكن العدد الخاص لأواخر مايو 1925 الذي تضمّن النداء إلى التأخي مع الرِّيفيين سُحب في 50.000 نسخة (99). أما الصحافة

95 أنظر لافان — كارد، 15 — 31 يناير 1925.

96 نفسه، 15 — 30 شتنبر 1924.

97 نفسه، ماث — 15 أكتوبر 1924.

* L'Avant-Garde

98 حسب التقرير الأدبي المقدم إلى المؤتمر الوطني الخامس للشبيبات الشيوعية (سان — دوي، 11 — 14 يوليو

1926)، وهو متضمن في كتيب مطبوع في 32 صفحة يتضمن أيضاً مشاريع القوانين ومشاريع الأطروحة المقدمة من

طرف الفدرالية AN F7 1318

AN F7 131 7 (السين)

المعادية للزّعة العسكرية، فكانت تتوّفر، من جهة على جريدة نصف شهرية هي لأكازيرن¹⁰⁰، التي كانت تُسحبُ 10.000 نسخة وملحقاً شهرياً، ولإلهاج دوجون لوكان¹⁰¹ التي سُحبَ من عددها لـ 5 يونيو الذي دعا الجنود والبّحارة إلى «التأخّي مع المغاربة والصّينيين» 5.500 نسخة¹⁰². ومن جهة أخرى، كانت هناك نُشرتان تُصدّران مرّتين في السّنة، في فترة محالس المُراجعة العسكرية وهما لوكونسكري التي سَحَبَتْ 30 000 نسخة في مايو وفي نونبر 1925 و 40.000 في أبريل 1926، ولوليبيري، التي صدرت لأوّل مرّة في مايو 1925 ب 20.000 نسخة، و 25.000 نسخة في نونبر 1925 وفي مايو 1926¹⁰³. لقد نشرت فدرالية الشّبيبات الشيوعية وسائل دعاية مُعادية للزّعة العسكرية تضمّنَتْ في الفترة المُمتدّة من تاريخ يناير 1925 إلى 5 مايو 1926، 22.000 مُلصّقاً و 1.108.000 منشوراً و 1 520 000 إعلاناً صفها. لقد تُمّ انتكاس معظم هذه الوسائل بارتباط مع الحملة ضدّ حرب المغرب¹⁰⁴.

لقد شاركت الشّبيبات الشيوعية في مختلف لجان العمل وفي التجمّعات العمومية المُنظّمة من طرف هذه الأخيرة. وبشكل مُؤازر، هيأت عدداً من اللقاءات بوسائلها الخاصّة. ومن الصّعب القيام بإحصاء لعدد الاجتماعات التي عقّدها على هذا النّحو ضدّ حرب الرّيف؛ بيد أننا نتوفّر، بخلاف ذلك، على مُخطّط هيأته الفدرالية بمناسبة «الأسبوع الدّولي للشباب» من 30 غشت إلى 5 شتنبر 1925 وعلى الحصىلة التقديمية لهذه الاجتماعات¹⁰⁵. لقد شاعت صُدفةُ التوقيت أن يحلّ هذا الأسبوع تقريباً في ذروة الكفاح ضدّ حرب المغرب : فكانت هذه الأخيرة تحتلّ الصّدارة في المُظاهرات المُرتقبة. هكذا يكون في مُكثّبتنا تكوين فكرة عن المحمودات الخاصّة المبلولة من طرف الشّبيبات الشيوعية لتنظيم حملة التّحريض هذه، والمصاعب التي واجهتها في مستوى التّنفيذ. لقد تمّ الاعلان عن ثلاث

La Caserne *
La Page de Jean Gouin *

- 100 نفسه، حسب مذكّرة للجنة المركزية، فإن سحب كازيرن كان، في 1926، بين 12500 و 14000 نسخة وإلهاج دوجون لوكان 4000 بحكم «ضعف» التنظيم الشيوعي، بالنسبة لهذه الأخيرة، في تولوز وبريست وأرضيات معهد موريس طرويز، السلسلة 177.
- 101 تقرير الأدبي، مشار إليه سابقاً.
- 102 نفسه
- 103 مذكّرة موجهة من طرف الفدرالية الوطنية للشّبيبات الشيوعية بمناسبة الأسبوع الدّولي للشباب (30 غشت — 5 شتنبر 1925) AN F7 130 92. إن الحصىلة التقديمية توجد في التقرير الأدبي المُقدم إلى المؤتمر الوطني الخامس للشّبيبات الشيوعية، المشار إليه آنفاً.

سلاسل للقاءات : 1) إثننا عشر لقاء دوليا، بمشاركة مناضلين ألمان، وبلجيكيين، وإيطاليين، وإسبانيين وروس. لكن لم يحضر أحد من هؤلاء الخطباء. فتَمَتَّت تسعة لقاءات مُنِيَتْ ثلاثة منها بالاحفاق (104). وكان أحسن الاجتماعات في الشمال، بـ هيلم — ليبل، وخاصة بـ إينان — ليطار (أربعمئة مشارك)، وفي الميدي، بـ آلي حيث أعقب اللقاء مظاهرة لبضعة آلاف من الأشخاص (105). 2) إثنان وتسعون لقاء مُنظَّمًا من طرف المركز، أي ستون في المنطقة الباريسية وإثنان وثلاثون في الأقليم، بِحُطْبَاء قَدَّمَتهم قيادة الحزب الشيوعي وقيادة الشبيبات الشيوعية. وفي الواقع، لقد تمَّ إنجاز حوالي ستين من تلك اللقاءات، بحضور أربعمئة شخص في المتوسط. لقد علقت الفدرالية قائلة بـ «أن أغلب الرفاق الذين وضعهم الحزب تحت تصرّفنا تمَّت استعادتهم من طرفه بعد ذلك، أو أخلوا بالتزاماتهم»، وهذا ما يُفسِّر «التراجع القليل لبعض الاجتماعات» (106). 3) لقاءات مُنظَّمَت بمبادرة من الوفقات. إثننا لا تتوفّر على مُعطيات مُرقّمة؛ غير أن الفدرالية تعتبر أنّها كانت عديدة : «إنها لم تضمّ، في المجموع، جمهوراً غفيراً، لكنها جلبت في كل الحالات تقريباً، انخراطات وصحت لنا على الخصوص بأن تُجَدِّد الاتصال في القاعدة المحلية مع كثير من المنخرطين الذين كانوا قد غادرونا» (107). وقد وضّحت الفدرالية بأنّه، على عكس ما حدث مع القيادة المركزية، كانت «مساعدة الحزب للقاعدة أفضل، وأكثر فعالية» (108).

إن الشبيبات الشيوعية لم تُقَصِّر نشاطها على ترويج وسائل الدعاية وعلى تنظيم تجمّعات عمومية (109). لقد كانت أكثر هِمّة في نقل التناقض إلى التجمعات المُنظَّمة من طرف الحزب الاشتراكي والـ س.ج.ت، كما كانت تعرف أيضاً تنشيط سهرات فنية تُفسِّح مكاناً للخطاب السياسي. مجوار الأغاني والعروض المسرحية. ولم يكن اختيار المتن محايداً. هكذا، بمناسبة افتتاح المدرسة الثانية للشبيبات الشيوعية، كان مُلصَق المسرح البلدي لسان — دوني يحمل كعنون في 16 شتنبر 1925: الريف «مسرحية من الأحداث الراهنة في لوحتين»، ألفها كرايجوان ومثلتها على الخصوص بَدَام لارا، وهي مشتركة في الكوميدي فرانسيز. لقد سبقَت العَرَض كلمتان موجزان ألقاهما كلٌّ من مارسيل كاشان وفرانسو

104 «لأقاعة في مرسيليا، وجمهور قليل في تولوز، و300 شخصاً تقريباً في ليز»، التقرير الأدبي، مشار إليه.

105 نفسه

106 نفسه

107 لقد نر هذا الجانب أكثر، وصحت الفدرالية، في المنطقة الباريسية، نفسه.

108 نفسه

109 بالنسبة للدعاية في الأوساط العسكرية، أطر أدناه، الفصل السابع.

شاسيني، سكرتير الشّبيبات الشيوعية (110)، وحتى الأغنية صارت وسيلة للتعبير السياسي. فاستعاد مونتيس أغنية «إلى ضحايا المغرب» وهو مونولوج سيلمي كان قد ألّفه قبل 1914 (111). وكانت ذات استلهام مُجاور لهذا المونولوج تلك الأغنية التي كتَبها جول هوير وشارليس، وهما كاتبَا كلمات معروفة، وفق لحن دولوروسا.

إنهم يمضون هناك،

تحت الشمس المغربية

ماذا نرى سيكون غدهم.

ففي قلبنا،

ثمّة ألم كبير

لرؤية هؤلاء البؤساء يرحلون

هُم الذين يمضون هناك. (112).

كانت «تحت الشمس المغربية» أغنية ناجحة؛ فهي تذكر جنين الجندي الفرنسي الذي يفكر أمام الرّيفيين في حبيبته التي بقيت في الوطن. لقد كان اللحن في منتهى الشعبية بحيث أن الشيوعيين الشّبان سطوا عليه وجعلوه، في خدمة معركتهم بكلمات جديدة. وكان عنوان أغنيتهم «المغرب للمغاربة»؛ وهذه لازمتها :

تحت الشمس المغربية،

نهلك جوعاً وعطشاً وبؤساً

لماذا المضي عند الرّيفيين

الذين هم في وطنهم ولماذا شن الحرب ؟

كفى من الكيفاحات اللائحة

فليس للبروليتاريين هناك ما يفعلون

وبالتّأخي سيتكون أخيراً

المغرب للمغاربة (113).

110 لوماني، 15 شبر 1925. لسجل هذا الصدد أن الفدرالية الشيوعية للسبب تتوفر على فرقة مسرحية امتدصتها خارج باريس هكلا قدمت، في نهاية شهر مايو 1925 بلون، عرسون ل لار، وهي دراما من عشر لوحات، حسب باريس، أمام محسماتة إلى سناء متفرح، وقتل رفع الستار قدم القيم على المسرح عرسا حول حرب المغرب AN F7 131 74 (الرون).

111 انظر أعلام، الفصل الثاني

112 لاقت الأهمية بعض النجاح، مادما نعرف أن لها طبعين APP BA 1676.

113 إن الأهمية، الموقعة ح. لودولفك من الفرع الرابع عشر والوقاق الرابع، مكونة من ثلاثة مقاطع إن نصها موحدة في لوكونسكري لأكتوبر 1925 ومارس 1926

قليلة هي الأمثلة التي لدينا عن مظاهرات الشارع. فتلك التي وقعت في سان — دوني لاحتتام الأسبوع الدولي للشباب جمعاً، حسب مفوضية الشرطة، ألفي شخص. لقد كانت هناك لافتات رفعت أمام البلدية مثل «المغرب للمغاربة»، «الصلح الفوري مع الزيف» وجاورت شعارات معادية للنزعة العسكرية وسلمية أو معادية للسياسة الاقتصادية والاجتماعية للحكومة. وعندما مرَّ الموكب أمام الكاتدرائية، انضافت إشارة معادية للاكليروس : لقد أخذ المتظاهرون يُنشدون الأيمية ويصيحون بهتافات : «لتسقط الحرب»، «البورجوازيون في المغرب»، «هو هو رجال الدين»، «الاكليروس في المغرب». عند انتهاء المظاهرة، تمَّ عرض خمسة شبان إيطاليين للاعتقال بسبب مشاركتهم فيها؛ ومنذ اليوم التالي نصَّ قرارٌ وزاري على طردهم (114).

لقد كان للدعاية ضيقٌ حرب المغرب لدى الشيوعيين الشباب محتوى يتميز أساساً بمعاداة النزعة العسكرية. فحزب المغرب معناها «صَلْب» الجنود، والجموع غير الكافي، والتلج والعصق (115)، وهي أيضاً المسالك الوعرة، و«الْوَحْل» الذي يلتصق بالفخزين والكيفين، و«الأمراض، والجراح والموت» (116). ولم تكن الاشارات الى الزيفيين غائبة. كانت فقط أقلَّ عددًا أو بدقة أكثر أقلَّ صخبًا. لقد ارتضى التحريض المعادي للنزعة العسكرية شعارات بسيطة، مُفجَّمة، وليست بحاجة لأية برهنة حتى تفهم. أمَّا الكفاح ضيق الامبريالية فكان يمكنه عند الاقتضاء أن يفسح المجال لبعض الشعارات، لكن كانت هذه الأخيرة تظلُّ شكلية، مجردة، وغريبة عن وعي المناضلين الشباب، إن لم تُرفَّق بتفسير. لقد كان هذا الأخير يعم على مستويين : فالأول يستعيد مُحاجة الحزب الشيوعي حول عملاء الحرب، الرأسماليين الذين يستغلُّون الشغاليين ويسعون للاستحواذ على ثروات الزيف. أما الثاني، وهو الأكثر جدَّة، فيشدُّد على الضحايا. «إن المتمرد أخوك، والامبريالية عدوك»، هذا هو عنوان مقال نُشرته لاكازين (117). لكن منشوراً لفدرالية الشبيبات الشيوعية تمكَّن، رغم تعذرات التعبير، من العثور على لهجة أكثر مباشرة؛ لقد تمخَّل حواراً بين شائين تلقى أحدهما ورقة الذهاب الى المغرب : «نصيحة : اعتبر العرب بمثابة إخوة لك وضحايا نفس المُستغلِّين مثلك. فإذا

114 APP. Prov. 238 (عرض مظاهرة الشبيات الشدية سان — دوني في 6 شتير 1925) أنظر أيضا ج — ب — دوني، سان — دوني، المدينة الحمراء، 1890 — 1939، باريس، 1980، ص ص 269 — 270.

115 حلانا لمؤلفي أعية تحت الشمس المغربية، يعرف الحيد أن الزيف سلسلة من الحبال يكسوها الثلج في فترة من السنة.

116 أنظر لاكازين، فاتح أكتوبر 1924، 20 أبريل، 20 مايو، 5 يونيو، 5 يوليو، 20 غشت، 20 أكتوبر 1925، 20 مارس 1926

117 لنفسه، 20 يناير 1926 (ص 2).

كافحون للتحرّر من المبتزّين الفرنسيين مصاصي الدماء، مُدّ لهم يدين أُنحويّتين، سم ولا تُنسَ أبداً أن تحت بزلتك يستقر وجه المُضطهد. أصْلَحَ هذا بمساعدة الشعوب جهداً على التحرّر» (118). كما استعملت صيغة الحوار، التي عبّرت عن هذه الرغبة في وفي تفسير اقتراحات سياسية بعبارة بسيطة، ميسورة للجميع، مِن طَرَف الطّبعة لـ لافانكاراد التي وَضَعَتْ في المشهد امرأة وجندياً. لقد كان هذا الأخير يتحدث من أجل الوطن فأحابت المرأة بأنها لا تفهم : كيف يمكن لفرنسي أن يموت من لونه في المغرب ؟ يمكن القبول على الأكثر بأن يموت مغربيّ هناك من أجل وطنه مُدافعاً سه ضيّد الفرنسيين. لكن ماذا يعني الوطن إذن (119) ؟

سء

في مايو 1925، أُخْبِرَتْ مارغريت فوسكاف، المسؤولة عن السكرتارية التسوية بفرع باللجنة المركزية، سكرتيري المناطق الشيوعية بقرار اللجنة المركزية بـ «القيام بعمل لتعبئة النساء ضيّد حَرْب المغرب». ولذلك، فهم مدعوون لأن يُخصّصوا لهن حيزاً في جرائدهم وملصقاتهم ولقاءاتهم ولأن يُنظّموا تجمعات في المعامل من أجل «استنفار ت ضيّد الحَرْب» (120). لقد شجعت ديامبكية نغض المناضلات على انعقاد ت نسوية أساساً : فحسب لومانيتي احتجاج : خمسة آلاف «شقاله» بباريس، سوزان حبرون في 27 ماي (122). كما أن النداء إلى الأمهات، الذي كان تقليدياً قبل احتفظ بقوّته (121). لقد استُقبل وفد من العاملات والشغالات، بقيادة كارشيري، ف رئاسة الحكومة. وكان ذلك لتسليم عريضة احتجاج ضيّد حَرْب الرّيف : «لقد وَلَدْنِ في الحرب (حرب 1914)، قالت في نهاية المقابلة إحدى المُشاركات. وعلى ، أن يذهب في نونر القادم. أُقسِمُ بآلِكم لن تأخذوه مِنّي من أجل حربكم في

مشور معول بـ : الحروب الاستعمارية، وروع حاصة ساءت، في يناير 1926، AN F7 131 82
لافاان — كارد، الطمة الأراسية (باللغة الأناطية)، عدد 9، يوليو 1925 في AN F7 131 77 (الألراس).
مذكرة عامة رقم 102، في 22 مايو 1925، مدقة عن فر - التطه من طرف ر دالي، وعن السكرتارية التسوية من طرف مارغريت فوسكاف، AN F7 130 92
لومانيتي، 27 و 29 مايو 1925
نفسه، 30 يوليو 1925.
«... أجبنا الأمهات، أجبنا النساء، أولاً يعتبر دم أسائكم كما أنتم بكثير من ملايين أرباب الأساك نفسه 27 مايو 1925 (ميشيل مازي). «أجبنا الأمهات» إلى أسائكم فقلنا «اقرأ في الملصقات المعلقة بكأن من طرف الشيبات الشيوعية AN F7 131 73 (آلب — مابيتن)

فَرَى هل عزم الحزب على تصفة النساء كأمهات أم كزَوَّجات ؟ لقد كانت توجد قبل ذلك، بالفعل، لجنة للأمهات والأرامل ستجهّد لتجميع كل القوى التسوية ضدّ حُزْب المغرب (129). لكن كثيرون من المناضلات اللاتي اعتقدن بأن هذا الشكل للتدخل بات غير كاف وينبع من تصور للمرأة هزيل حدا وقليل المطابقة، في كل الأحوال، للدور الذي تلعبه في المجتمع (130). لقد كانت خطاطة المحاضرة حول «النساء والمسألة المغربية» المُحرَّرة من طرف اللجنة التسوية لفرالية الشّمال خالية من كل لبس : «لا يتعلق الأمر بالدفاع عن أمّ أو عن إبْن، إن المسألة أعلّى من هذا. فسواء كان لي ابنٌ أم لا، أو أنّي ذهبت للقتال في المغرب أو مُحتَمَل ذهابه، فإن واجبي كروليتارية هو أن أنتفض ضدّ المشروع المغربي» (130).

- | | |
|---|-----|
| لومانييتي. 7 يسمو 1925 | 124 |
| لفسه. 6 يلمو 1925، إن ألفورسين جبرار تكلمت في مؤتمر إيل ناسه الساء الشيوعيات للشمال. لفسه، 13 | 125 |
| نله. 1925 | |
| ان ماث سكه مبدعة لقادات التعلو، وأليس ريسى، لعاملات المصابع، وماعريعت موسكاف للمستخدمين. | 126 |
| المؤقر الثالث للس ح.ج.ت الوحده. نارس 26 — 31 غشت 1925، عرسى المناقشات، ص ص 60 — 61 | 127 |
| وحد. بالخصوص، «نداء حارا» إلى مؤتمر الساء الاشتراكيات للألمية الثانية المنعقد عرسيل لومانييتي، 25 غشت 1925 | 128 |
| ان المسألة تتحار. بحالها كثيرا، رحو فقط أن نطهر بأنها طرحت بحاسة التهرطض ضد حروب العرب. وقد اعتممت الفرصة احدى المناصلات، وهى مستخدمة فى السلك الحديديية لأفريقيو. وقدحت فى معنة المؤتمر العمالي لمرسيليا، الكى تطالب د «حور المعة التى سترني، تدوبها، أعناها بطريقة ثورية» لفسه. | 129 |
| 4 N 7 131 74 | 130 |

الحزب، وليس فقط أولئك اللواتي «يَصْنَعْنَ القذائف»، ولكن كلّ الشّغالات، خصوصاً شغالات النسيج والملابس الجاهزة (131). هل يمكننا الاستنتاج من هذا أن التحريض التّسوي يتطلب تنظيمًا خاصًا داخل الحزب نفسه وداخل لجنة العمل ؟ لقد أُوِّلَتْ ماري ديوي، مندوبة الأمية (132)، في هذا المنحى التعليمات التي تلقّتها. فقد رَجَعَتْ «إلى تطبيق الثورة الرّوسية برمتها»، واقترحت على اللجنة المركزية تنظيم ندوة لعاملات المنطقة الباريسية. وسيكون على هذه الأخيرة أن تعين لجنة للعاملات، مرتبطة بلجنة العمل، وستعمل معها «لاجتذاب حوالي خمس عشرة مناضلة من الجماهير حتى تكون هناك ارتباطات مباشرة مع عاملات أهمّ المعامل» (133). لقد انفجرت الاحتجاجات. فأبدي طويريز اعتراضه على تشكيل لجنة جديدة بجانب لجنة العمل (134)، ورغم الدّعم الذي لقيته لدى دوريو، سحبت ماري ديوي هذا الاقتراح الأخير. ولم يحتفظ إلا بمبدأ تنظيم ندوة لعاملات المنطقة الباريسية. وفي الواقع، عندما ستعقد هذه الندوة في 27 شتنبر، بمبادرة من اللجنة المركزية للعمل، سيكون لها طابع آخر. ستحوّل إلى «ندوة نسوية للمنطقة الباريسية»، لقد تمّ افتتاحها من طرف بونفون، بينما أعطى تقرير لومانيتي لتدخلات المناضلين (135)، أهمية أكبر من تلك التي خوطها لتدخلات المناضلات. وقد دعت لوستيان ماران، التي شدّدت على أهميّة «الشغالات» إلى جوار «العاملات» و«غير المُتَحَرِّبات» بالمقارنة مع «المُنْتَظَمات» (136)، إلى الكفاح في إطار التّنظيمات الموجودة : لجان العمل ولجان الوُحدة البروليتارية (137).

- 131 المؤتمر الثالث إل س. ج. ت. الوحدوية، مشار إليه سابقاً، ص 60 — 61.
- 132 إن ماري دورا، هي من حسية ألمانية، حسب أندري فيزا. ولأجل أن تقارير الشرطة التي وصفها كامرأة شابة بين خمسة وعشرين وثلاثي سنة، قد اشعبت في أصلها الأجنبي، مما يسمح على الأقلّ بافتراض أنها كانت تتقن الفرنسية كثيراً. لقد باصلت بنشاط داخل إل س. ج. ت. الوحدوية ومثلت الصّناع الحلاقين للسّين في المؤتمر الوطني.
- 133 أرشيفات معهد موريس طويريز، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 18 عشت 1925.
- 134 إنه يتكر بوجود لجنة الأمهات والأزامل التي تشتغل، على حد قولها، بطريقة مرضية نفسها.
- 135 كايار عن الشبيبات الشيوعية، دوكار ماسم حمية قدماء المحاربين، أعيرى عن الاتحاد الأحمر، ومرة أخرى كان أحد الماصلين وهو دوسوسلا — الذي اعترض في اللجنة المركزية على اقتراح ماري ديوي — الذي خيم الاحتجاج. لومانيتي، 28 شتنبر 1925.
- 136 تعطي لوسيان ماران أرقاماً حول التّخيل النسوي : 555 مندوبة (ينبغي أن نقرأ دون ريب 556) أي 211 شغالة و345 عاملة؛ ومن هذا المجموع 301 لاهزب لمن و255 منظمات. وكشفت أيضاً عن أن هناك في هذا المجموع 68 عضبة للحزب الكبري.
- 137 نفسه. سينشر الحزب الشيوعي في فبراير 1926، تماسة «الأوسع الدولي للمرأة»، ملصقا زلما بثلاثة ألوان ينادي النّساء إلى النضال «ضدّ العلاء والفرائب، ضدّ حربى المغرب وسوريا، ضدّ الفاشية ومن أجل حماية الأمومة والطفولة والحصول على الحقوق السياسية للمرأة» AN F7 13105 (لوار — آفهيول).

قدمات المحاربين

كان الحزب الشيوعي الفرنسي يودُّ أن تُطوَّر الدَّعاية التي كان يقوم بها ضدَّ حُرْب المغرب، بشكل واسع إزاء قدمات المحاربين. لقد استعملت الجمعية لقدمات المحاربين، لهذا الغرض، الزَّاوية التي كانت تمنحها لها لومانيتي بانتظام. كما أنها اشتركت، في كل المواضيع التي توجد بها، في تشكيل لجان العمل (138). هكذا شاركت في حملة التجمعات العمومية، وبادرت أحيانا إلى عقد بعض اللقاءات. لقد كانت قيادتها الوطنية تبث مندوبين إلى الأقاليم. فكانت تدخلاتهم موسومة في الغالب بروح معادية للثَّغرة العسكرية وبنزعة سلَمية ذات شَكل تقليدي. هكذا شَرَح لانكران، بتولوز، أَمَامَ حضور من أربعمئة وخمسين شَخصاً، بأنَّه شَاهَد في مرسيليا إبحار الجنود الشَّبان نحو المغرب وأنَّه لاحظ بأنَّ هؤلاء الشَّبان كانوا سيكون، ليقينهم بأنَّ أغلبيهم لن يروا عائلاتهم مرة أخرى (139)، وفي بيرجيراك، كان جَلْبِير، وهو مَبْتور السَّاق، أكثر عدوانية. فقد تحدث عن «الجنود المرتدين للملابس الرِّثة العزيرة على السيد بانلوفي. والذَّاهبين لِحَمَل الحَضَارَةِ إلى أولئك المغاربة المُتَوَحِّشين الذين بدفاعهم عن بلدهم لا يفعلون سوى أنَّهم يُكرِّرون سلوكنا لـ 1914»؛ وتحتَّم قوله بالتَّداء إلى التَّأخِّي كما حصل على التَّصويت على جدول أعمال يطالب «باحترام الاستقلال المغربي» (140).

لكن الجمعية الجمهورية لقدمات المحاربين لم تكن الجمعية الوحيدة لقدمات المحاربين التي كان يمكن للحزب الشيوعي أن يسند إليها حملة عند الاقتضاء. فعلى الصعيد المحلي، كانت جمعيات المعطوبين والمُسرحين، وجمعيات الأُرمِل وأيتام الحرب تُنَشِّط في بعض المَرَات من طرف مناضلين شيوعيين. إن واجدا منهم، يُدَّعى باشيودي، ومهنته جَزَّار هو الذي كان سكرتيراً عاماً لجمعية المعطوبين، والمُسرحين ومتقاعد الحرب بمقاطعة كان. ومنذ 24 مايو 1925، استدعى جَمْعاً عاماً قَرَّر القيام فيه بدعاية فعَّالة ضدَّ حرب الرِّيف. لقد نُشِر الجَمْع مُلصَقاً يَطوِّر فيه موضوعين : موضوع رعب الحرب وموضوع المُستَفيدين؛ لكنه لم يَخْلُصَ لا إلى التَّأخِّي، ولا إلى الجَلَامِ عن المغرب، وهو ما يسمح بقياس حُدُودِ عَمَلِ المناضلين داخل بعض التَّنظيمات الجماهيرية (141). لقد كانت هذه الجمعية مرتبطة، دون ريب،

138 تدو تعدادات جمعية قدمات المحاربين، حسب أ. بروس، «صحة التقدير» وهو يورد ثلاثة تقديرات بالنسبة لسنة

1926، أي 10000، و23000 و25000، تدو لنا ضعيفة جداً. قدمات المحاربين والجمع الفرنسي، 1914 -

1939، ثلاثة أجزاء، باريس، 1977، الجزء الثاني، ص 27.

139 احتاج 3 أكتوبر 1925، A.D، هوط — غارون، M 1136.

140 احتاج 18 يوليوز 1925، A.D، دوردوني، 1 M 76.

141 AN F7 13173 (آلب — ماينيم).

بالفدرالية العمالية والفلاحية للمعطلين، التي كان مقرها المركزي ببوردو (142). وعلى نحوٍ مُوازٍ لهذا التنظيم الأخير، كانت توجد بد رئيس جمعية للمسترحين وضحايا الحرب ستندج في يناير 1926 مع الفدرالية العمالية والفلاحية وتنتج منذ ذلك الوقت بأن لها قرابة مائة ألف منضو (143). لقد كانت لديها جريدة نصف شهرية وهي لوليبيري «»، كانت تهاجم ليوطي (144)، وفي أوائل يونيو 1925، أصدرت مُلصقاً ذا استلهم سلمي: «ينبغي مدّ اليد للريفيين» (145)، وفي غشت، جرّت هذه الجمعية جمعيات أخرى — الأرامل وأيتام الحرب، معطوي ومُسرحي الألب البحري، معطوي ومُسرحي الجبهة — للتوقيع بمؤازرها على ملصق آخر «من أجل السلم ضدّ كل الحروب» (146). وفي دجنبر، طالبت بالتصويت على قانون «يرتخص بالبحث عن أئمة الحرب الكبرى ومعاقبتهم وكذا التحري عن المسؤولين عن الحرب في المغرب وعن الحرب في سوريا ومعاقبتهم» (147). كما احتجّت، في بداية 1926، على استئناف العمليات في الرّيف (148) وأخذت الحكومة على وظيفتها لشرط إبعاد عبد الكريم من بين شروط السلم (149). ومن جهة أخرى، وُزعت منشور عديدة صادرة عن بحارة وجنود البحر الأسود، وعن الجنود الحمر (150) أو عن متمردى طريق دي دام (151). لقد دُعوا

- 142 تعتبر الجمعية العمالية للمعطلين، المؤسسة في 1916 تحت رعاية الـ س. ح. ت. هي أصل الفدرالية العمالية والفلاحية للمعطلين، التي أنشأت في 1919. وهي لامتياز كثيراً عن جمعية قدماء المحاربين في بداياتها، وقد حدث أن كان للتظيم نفس المسؤولين على الصمد المحلي، ومع ذلك فهي متمدة كثيراً عن الحرب الشيوعي. أنظر أ. روست مشار إليه، الجزء الأول، ص. 70.
- 143 لوليبيري، 15 فبراير 1926 في AN F7 13141. إن أ. روست، الذي لا يذكر لا هذه الجمعية، ولا حريدها، يسب إلى الفدرالية العمالية والفلاحية 80.000 عضو في فترة 1932 — 1935، مشار إليه، الجزء الثاني، ص. 54.
- * Le libéré *
- 144 لوليبيري، 31 مايو 1925، في AN F7 13173 (ألب — ماريتم).
- 145 AN F7 13173 (ألب — ماريتم). لا بد أن لهذه الجمعية جهاز التقاط في إيبر، لأننا نجد هذا الملصق مرة أخرى معلقا في فوران، A.D. إيبر، 1 76 M (23 يونيو 1925).
- 146 AN F7 13175 (ألب — ماريتم).
- 147 لوليبيري، 31 دجنبر 1925، في AN F7 13141.
- 148 نفسه، 15 فبراير 1926.
- 149 نفسه، 15 مايو 1926.
- 150 منشور مورع بهتت في يونيو 1925 «خفية» حسب تقرير المفوض الممتاز. AN F7 13173 (لبستور). وإذا كان منشور قدماء ملاحي وحنود البحر الأسود صادرا بشكل ملحوظ عن عناصر شيوعية، فإن المنشور الذي وقعه الحنود الحمر يبدو لنا، رغم النداء إلى التأخي، صادرا عن عناصر حرة للحز. انظر أيضا المقال الطويل حول التأخي المرسل من طرف جماعة قدماء الملاحين أعضاء الحرب الشيوعي، 13 فبراير 1926 (ص 4).
- 151 تم توزيع لداء قدماء متمردى طريق دي دام (1918) إلى الذين يذهبون إلى المغرب في نهاية شهر يونيو 1925 بالكتبات في فالونسيان، AN F7 13174 (الشمال) وفي إيوج. A.D. هوط — فين 184 M 1.

مُجَنَّدِي الوحدات العسكرية، المُخْتَمَل إرسالهم إلى المغرب، إلى استلهم نموذج الّذين أكبر منهم وإلى القّاضي مع الريفين.

نرى هل سمحت الحملة ضدّ حزب الرّيف للحزب الشيوعي الفرنسي بمُسْتَمْعِه من قدماء المُحاربين (152)، ٩ إتنا لا تتوفّر على إحصائيات تسمح بالإجابة عن السّؤال. فالأرقام التي لدينا، والتي هي الأكثر قُرْباً من هذه الفترة، تُهمّ أعضاء الّعمال والفلاحية في 1928. وعليه، يبدو أن المُقاطعات الّتي قدّمت لهذا التّنظيم الأعداد من المنضمين هي، بالترتيب، لأدوردوني، لاسين، لولو، لوفينستر، لاجيرون شارونط أنغويور (153). وباستثناء مقاطعة لولو، التي ليست لدينا عنها سوى معلومات فإن الأمر يتعلّق جيداً بمقاطعات كان الحزب الشيوعي قد قام فيها سنة 1925 بحملة بما فيه الكفاية. ومع ذلك، سيكون من التّهور استنتاج وجود علاقة سببية بين الظّاهرتي سيما وأن العلاقات بين الحزب الشيوعي والفدرالية العمّالية الفلاحية، بدت، في 1926، بأنّها موسومة بالفتور (154).

المثقفون

كان المثقفون آخر هدف لحملة الحزب الشيوعي الفرنسي ضدّ حزب الرّيف. 1925، تحمّد الحماس الذي أثّرتّه الثورة البلشفية في الأساطير الأدبية والفنية لليسار صار -أناطول فرانس، الذي كان قد مات منذ سنة، رغماً عن لومانيي، مُعْتَرِضاً علن طرف الجيل الجديد. وابتعد رومان رولان عن الحركة الشيوعية. لقد أقلقت الصعوبات و التي عرفتّها روسيا السوفياتية وعواقبها على الحزب الشيوعي الفرنسي، كثيرين من بين الذين أعلنوا غداة مؤتمّر تور عن انضمامهم أو تعاطفهم مع الحزب الشيوعي الفرنسي ذلك، هناك قاسم مُشْتَرَك جَمَعَ أولئك الذين يكافحون داخل الحزب وأولئك الذين عنه : إنه الرّعب من الشوفينية والحرب. لقد صرّحوا، تحت حكومات الكتلة اليمعاداتهم لمعاهدة فرساي واحتلال الرّور. وكانت حرب الرّيف مناسبة للحزب الشيوعي

152 تم إظهار العلاقة بين هذه الحملة ومجهود التطبيع من خلال النص التالي الموجود في إعلانات صغيرة : «أيها القديم، إن الألام التي تحملتها طوال خمس سنوات يتحملها حالياً حدود تضاء في حبة الريف. لكي نحميهم، أد الحزب الشيوعي» الأرشيفات المقاتية للمورث — إي — موزيل، 1 M 641 (تقرير 3 مارس 1926).

153 أ. بروست. مشار إليه، الجزء الثاني (لائحة التعدادات المقاتية لجمعيات المحاربين في 1928).

154 نفسه، الجزء «الجزء»، ص 102

يقيس مدى الاهتمام بأطروحاته داخل هذا الوسط، (155). ويعود الفضل في القيام بهذا التحري لـ «كلازطي»، وهي نشرة أسسها باربوس قبل أن يبتعد عنها منذ 1923 (156). نشرت هذه المجلة منذ عددها ليونيو، «رسالة مفتوحة للمثقفين المسلمين، وقدماء المحاربين، والثائرين» لكي تطلب منهم بأن يفكروا في حرب المغرب، وإعده بأن تنشر الأجوبة كاملة ودون تعليق. لكنها، دون أن تنتظر، وضحت: «بالتسبة لهذه الحرب الجديدة، أبرم الساسة والمثقفون مرة أخرى الوحدة المقدسة والمُشينة لـ 1914، ممتدحين حملة الريف وحق فرنسا في التدخل طبقاً للمعاهدات الدولية التي لا ينقصها سوى رضى الشعب المغربي نفسه» (157). وقد أعقبت «الرسالة المفتوحة» افتتاحية طويلة لمارسيل فوريي بعنوان «رأينا في الأمر» استعادت الأطروحات التي كان يطورها الحزب الشيوعي الفرنسي، حول استغلال الأهالي وإخماد الفتن «بطلقات الرشاشات وقنابل الطائرات»، ومرامي الامبريالية حول ثروات الريف. وبعد أن امتدحت قتال عبد الكريم، ألكزث أن يكون عملها يرمي الى «تشجيع الجامعة الاسلامية» و«دعم الزعماء الأهالي، المضطهدين هم بأنفسهم»: «فحركة التحرر الوطني تدعو بدءاً وطبعاً الى اتحاد كل القوى الوطنية ضد المضطهدين»، وستختفي «الانحيازات الوطنية» عندما ستتغير الحياة الاقتصادية للبلاد، بقدر ما تسمح وضعية الريف ونوايا قادته بالتفكير في ذلك (158). لقد بعث كلازطي رسالتها داخل مظهر مضمون الى أكثر من مائتي مثقف فرنسي. وتم نشر الأجوبة (159) في 15 يوليو؛ فكانت تتراوح بين بضعة أسطر وقرابة عديدة، وهي تسمح بتمييز ردود فعل مختلفة.

لقد صرحت بعض الشخصيات التي تم استفسارها، مثل الأستاذين رشي، ورويسن، ومدير توفيل ليتيرير، موريس مارتان كار، دون تحفظ، باتفاقهم مع السياسة الحكومية... بينما عبر عدد من الكتاب والصحفيين عن احتجاجهم على عمليات الريف لأسباب إنسانية وسلمية أساساً. هذا هو شأن شيوعيين سابقين مثل جورج بيوش الذي احتج على تقتيل

155 طلب فابيان — كوتوريي أن يتم القيام بعمل بواسطة باربوس قصد إثارة احتجاج المثقفين السلميين، رومان رولان بيوش، إلخ، ضد الحرب. أرشيفات معهد موريس طورلوز، محضر اللجنة المركزية لـ 2 يونيو 1925.

* Clarté

156 لقد كانت حياة تحرير كلازطي بعيدة عن الانسجام، وكانت تضم وقفاك الى جانب يريي، مارسيل فوريي، ولطيان — كوتوريي، ورجالا مثل ج.ر. بولش أو إ. بيوت اللذين كانا أكثر مقاومة لإرشادات الحزب الشيوعي.

157 كلازطي، يونيو 1925.

158 نفسه.

159 من بين الذين لم يحموا، الكاتب رولان دورجوليس والأساتذة لانعام، هادامار، آندلير، حيز، بوكلي، هالك وسلمويود أنال لوسيان لوفوايي، مارك سانتي وكوتورو.

«جنود فرنسيين أبرياء» و«جنود ريفيين أبرياء» (١٦٥)، وسيفرين الذي اقتصر إجابته على ست كلمات : «ضد كل الحروب دون أي استثناء» (١٦١)، وفرانز جوردان : «أمقت الحرب، أمقت القتل، أمقت العنف» (١٦٢)، ولوسيان ديكايف، وجورج دوهاميل وأنطونان آرطو، أو الفوضوي الكطلاني هان راينر. أما روجي مارتان دي كار، فرأى بأن هذه الحرب «مقينة» لكنه عبر عن «اضطراب»ه، لأنه يرى أن إدانة كل مشروع استعماري تعني «إقامة دعوى على التاريخ العالمي وعلى كل ما اصطلاح تسميته حضارة» (١٦٦)، كما أن البعض عدلوا من عدائهم للحرب بتحفيزات كبيرة على عبد الكريم بحيث تساعل بيارهامب «هل تعتقدون بأنه يمكن أن تكون هناك جمهورية ريفية يكون رئيسها عبد الكريم ؟» «عندما سينتهي القائد الشديدي البأس من استعمال البربر كجنود، فإنه سيستعملهم كمنجمين، وإنه لما يخشى منه أن يشبه القانون الاجتماعي لرئيس الجمهورية هذا، كثيرا، قواعد شرطة رومانوف» (١٦٤). وبالنسبة لجوزيف حوليتون، فإن عبد الكريم «يتبع عن قرب خط رئيس العصاة القادر على أن يصبح سيدا فيوداليا، مستغلا للمناجم، صانعا للنقود، ومُعَرِّمًا للقبائل» (١٦٦). لكن أليس حريا بـ «مغامري البلشفية ذوي النزعة العسكرية» أن يدانوا في نفس الوقت مثل «وطنجي فرنسا»^{١٦٥}، سأل بول روبوكس (١٦٥). لقد كان مورياك أكثر صراحة : «إن عبد الكريم لم ينهض ولم يستمر إلا بفضل الأمل الكبير الذي أعطيتموه إياه. وتقدم حرب المغرب هذه، على نحو رائع مقاصد موسكو (...) هذا هو ما يثير سخطي؛ هذا السخط، هذه الحساسية البورجوازية التي تتأثر للدم المراق، التي تلمس الحق، وتحب السلم لدى أناس تكمن قوتهم الحقيقية، فيما يبدو لي، في صدق شامل، في غضب لا يابيه لأي شيء...» (١٦٧).

إن بعض الأجوبة فقط هي التي ركزت على حق الشعوب في تقرير مصيرها. لقد كتب شارك فيلدراك (١٦٨)، بأنه «في المغرب، يعتبر المغاربة في وطنهم». أما الشاعر جورج

160 نفسه

161 نفسه.

162 نفسه.

163 نفسه.

١٦٤ الإشارة هنا إلى قيصر روسيا ما قبل ثورة 1917.

164 نفسه.

165 نفسه.

طنجي (patriotard) ذو الوطنية الصاحبة (م).

166 نفسه.

167 نفسه. (مشدد عليه في النص)

168 نفسه.

شنفير فوضع رأيه باستفاضة قائلا «... إن المسألة لا تكمن في معرفة ما إذا كنا نمثل الحضارة في المغرب، بل إذا كنا هناك، في وطننا أم لا. هل ثمة رجل صادق وعادل بمقدوره الزعم بأن لنا في المغرب حقوقا أكثر من حقوق المغاربة أنفسهم؟» (169). وكتب لويس كيطان «بالنسبة لنا، يعتبر وجود جمهورية الريف في مثل قداسة وجود اسبانيا أو فرنسا»، وعليه، فقد طلب من الجنود أن يتأخروا مع الريفيين (170). بينما ذكر بيار باراف بأن احترام حق السكان في تقرير مصيرهم لا يقبل أية تقييدات «من الصين إلى أيرلندا، من الهند إلى مصر، ومن جورجيا إلى المغرب» (171)، فيما رجا فكتور مارغريت أن تتم المواءمة بين هذا المبدأ والحفاظ على الاستعمار الفرنسي. أما بالنسبة للسورياليين، فإن النداء إلى المبادئ الكبرى، ومقرنتي الحق والحضارة، مرذولة على السواء. لقد كان أرغون صريحا: «... بما إنه باسم فرنسا يمكن إرسال الناس للموت، فلتندثر هذه الفكرة مثل جميع الأفكار الوطنية من على الأرض (...) لكن اسمحو لي، أيها السادة، لهذا السبب نفسه، بأن أواخذكم لكونكم استعملتم تعابير مختلفة تنبع من الكلام الوطني وذلك قصد تعنت الجميع لهدف سياسي دون ريب: استقلال، سيادة وطنية، حق الشعوب غير القابل للتقادم في تقرير مصيرها. ليس ثمة شعوب بالنسبة إلي، وقد اقترب إلى فهم هذه الكلمة — أي كلمة شعب — عندما تكون مفردة. وأخيرا، فأنا لأقبل بكونكم تتوجهون بالحديث إلى أولئك الذين يعتبرون أنفسهم، مهما تكن جدارتهم، قدماء محاربين: إنني اعتبر كل شخص يتباهى بهذا اللقب مغفلا أو نصابا. أنا بجانبيكم، أيها السادة، ضد الوطن (172). أما روني كروفيل وإيلوار فقد تحاملا، بعنف شديد، على «الحضارة» الفرنسية، بينما ذكر رومان رولان، بغرابة، بأنه «تنبا» به «اجتياح أجناس اسيا وافريقيا» هذا الاجتياح الذي لن يميز بين «الامبريالية وشيوعية أوروبا» (173).

لم ترض أغلب هذه الأجوبة هنري باربوس. فقد أقرطت في تأملات توشك على صرّف العقول عما ينبغي أن يكون هو الأساسي: التشهير بالحرب. لذلك أعاد مؤلف (التار) الكرة. فأطلق في أعقاب الأجوبة التي أتينا على فحصها «نداء» جديدا «للتحالفين المثقفين»: «هل تدينون الحرب أم لا؟». لكن مادام الأمر قد تعلّق هذه المرة بجمع أكبر

169 نفسه. (مشدد عليه في النص)

170 نفسه.

171 نفسه.

172 نفسه. (مشدد عليه في النص).

173 نفسه.

عدد من المثقفين حول قضية الريف، فإنه محال تهجمات العنيفة ضد الاستعمار والاشارة الى الاسلام أو حتى الى شخص عبد الكريم. ولم يبق سوى الكفاح ضد الحرب وتأكيد حق الشعوب في تقرير مصيرها (174). ويسمح هذا النص الجديد بقياس المسافة التي أخذها باربوس من شعارات الحزب الشيوعي: فلم يعد التآخي مع الريفيين واردا، ولا الجلاء عن المغرب. لقد توجه النداء لصالح السلم — «فوق الخلافات البازيسية للأحزاب السياسية» (ليس ثمة كلمة تميز الحزب الشيوعي) — ليس فحسب الى الرأي العام والحكومة ولكن الى عصبة الأمم، مُنصفاً بذلك الى اقتراح ثم التعبير عنه مراراً من طرف الاشتراكيين والشيعة بشدة من قبل الشيوعيين. ومنذ ذلك الوقت، قبل قسماً كبير من بين أولئك الذين كانوا قد أبدوا تحفظات أن يصدقوا على توقيع هذا النداء (175)، الى جوار مجموعة تحرير كلاً (176)، والمجموعة السريالية (177)، ومجموعة «فلسفات» (178). كما انضم إليهم صحفيون مثل هنري جونسون، وأستاذ مثل كازاميان، وممثل مثل مدام لارا. هكذا كانوا حوالي المائة أولئك الذين عارضوا المثقفين المُقدمة لاحتهم من قبل ليكلير «والفيغارو هؤلاء الذين حرصوا على دعم الحكومة وتأييد القتال الذي تخوضه القوات الفرنسية» «من أجل الحق، والحضارة والسلم» (179).

سيكون أمد هذا الانعطاف التكتيكي قصيراً. فابتداءً من 15 أكتوبر استعاد مارسيل فورني المواضيع المعتادة للحزب الشيوعي وردت على الاعتراض الذي يرى بأن الجلاء عن المغرب سيكون مؤشراً لتقتيل البيض إذ قال «لقد وردت حجة الدم هذه في كتابات كل سيلمسي العالم؛ لقد صُلحَتْ كقناع خداع للحياة الاشتراكية لـ 1914 (...) وفي الواقع، إذا حدث يوماً تقتيل للبيض في إفريقيا الشمالية، والهند، والصين أو في جهة أخرى، فالقطة غلطة البيض. ولأننا وضعنا أنفسنا في مجال الأخلاق وحده، الذي هو ربما المجال الأخير حيث لايزال بمقدورنا أحياناً أن نقرب من السلميين البورجوازيين الشرقياء، نجرؤ على الزعم

174 نفسه.

175 ب. هامب، ح. جوليد، ف. مارغريت، ر. رول.

176 22 موقعا.

177 19 موقعا.

178 4 موقعين: د. كيرمان، ه. لوهير، ب. موراخ، وح. بولتير

L'elain *

le Figaro *

179 لقد أعاد كلاً بشر النداء الذي ظهر في هذه الجرائد — وبشرت تكديبا للبول غارك يمتح فيه على استعمال اسمه من طرف لوفيفارو، 15 أكتوبر 1925.

بأنّ ظلّم الغزوات والاحتلالات الاستعمارية والأحلافيتها يُبرّران أسوأ أشكال العنف من جانب الشعوب المُضطهدة. إننا لانطلب من السّلميين أن يصيروا ثوريين؛ وإنّما نطلب منهم أن يظلّوا شرفاء، الى جانب كونهم سِلميين؛ وألا يظهروا بالتالي بخصوص المغرب، والجزائر، ومصر، والهند والصين، مشاعر مبتذلة تليق بتجار للعبيد» (180). لقد شهّرت المجلة، التي واصلت فضلاً عن ذلك استقصاءها، بـ «الجُبن الجماعي تقريباً للمُتقنين السّلميين» (181). وغداة استسلام عبد الكريم، ركّزت إحدى الافتتاحيات لـ «انصار الجبهة الرّيفية (...)» وهي هزيمة كبيرة للبروليتاريا (الفرنسية) «وأكدت على أنّه إذا كانت «الايديولوجيا الامبريالية قد تغلّغت في الطبقة العاملة» فذلك بفضل «الانتهازيين أشباه المُتقنين البروليتاريين الذين هم في الواقع مثقفون بورجوازيون مُستترّون براءة». ومع ذلك، استخلصت كلاطي، بأنّه «لم يتجلب حس استقلال الشعوب المستعمرة أبداً بمثل هذه الحدة. كم من الزمن سيطّل بمقدور الدول الرأسمالية لأوروبا أن تحتفظ بقوة السلاح، وبامبراطورياتها المتعطّرة؟» (182).

في المجموع، كانت حصيلة التحريض الذي نظمته كلاطي ضدّ حُرْب الرّيف إيجابية بالقدر الذي شجعت به المجلة عدداً من المُتقنين على التعبير عن تيارٍ معاد للحرب وللسياسة المغربية للحكومة. وبخلاف ذلك، سمّح الاستقصاء بقياس المسافة التي كانت تفصل غالبيتهم عن الأطروحات المُدافَع عنها من قِبَل الحزب الشيوعي. إلّا أن التاريخ يُسجّل، مع ذلك، بأن تمرّد عبد الكريم كان مناسبة تقارب بين مُعاوَنِي كلاطي ومجموعة السرياليين. ويمكننا أن نتساءل عمّا إذا لم يكن الطابع العاصفي للعلاقات التي ستكون هؤلاء مع الحزب الشيوعي قد تَمَثَّل مُسبقاً وبشكل واسع في بعض ردود فعلهم أمام أحداث المغرب.

تطبيق خطة الجبهة الموحدة وإخفاؤها

تطبيقاً لتعليمات اللّجنة المركزيّة، دُعِيَ سكرتيرو مناطق الحزب الشيوعي الى اقتراح حملة اتحادية على التّنظيمات الاشتراكية وعلى نقابات الس.ج.ت. ضدّ حُرْب الرّيف (183). لقد كان على هذا الاقتراح أن يُوحَّه الى جميع المستويات، بدءاً من الرّعاء الى المناضلين

180 كلاطي، 15 أكتوبر 1925 (مشدد عليه في النص).

181 نفسه.

182 نفسه، 15 يونيو 1926.

183 مذكرتان للجنة المركزيّة رقم 103 و 104 ليوبي 5 و 11 يونيو 1925، المشار اليهما سابقاً

العاديين. لكن لم يكن لدى قيادة الحزب الشيوعي أي وهم : فقد كان رفض الزعماء في حكم الأمر المقرر بالتسبة إليها : «إننا نكرر على أسماعكم اقتراحنا للجهة موحدة، صاح دوريو في المجلس، باتجاه الاشتراكيين. ونحن نعرف بأنكم سترفضونه» (184). كيف كان يمكن للأمر أن يكون غير ذلك. بالنظر إلى الطريقة التي كان يُعامل بها قادة الحزب الاشتراكي في الصحافة الشيوعية (185) ؟ لقد كانت الاقتراحات الأولى التي وجهت إليهم عدوانية حتى في شكلها نفسه. لتأخذ المثال من منطقة الشمال. فقد استُهلّت الرسالة التي وُجّهت لـ «المواطن سالونفرو» سكرتير فدرالية الحزب الاشتراكي، من طرف سكرتارية المنطقة الشيوعية، بمقاضاة الأندوكسية الاشتراكية — «بجلاًفاً لميثاق حزبكم، صوت النواب الاشتراكيين على الميزانية (لحرب المغرب)...» — كما أكّدت على مسؤولية الحزب الاشتراكي في تحويل المغرب إلى «رُكام جُثث» و«أبنائنا (و) إخواننا إلى قاتلين أو إلى جثث». ولمُحِث إلى أن الممارسة السياسية للاشتراكيين متناقضة مع الالتزامات التي تعهدوا بها أمام الناضحين (186). ولا يتعلق الأمر هنا بإبداء تقدير لقيمة هذه الحجج؛ إذ يمكن اعتبارها مع ذلك شرعية بين «جزئين شقيقتين» لا تحفل أساليهما السجالية بالفروق الدقيقة. لكن تلك الحجج كانت تستجّل في سياق خاص : سياق عرض كفاح مُشتقّ ضدّ حزب الريف. وفي الواقع، كان رفض القادة الاشتراكيين أو الكونفدراليين للاقتراحات الشيوعية — أو في الغالب غياب إجاباتهم عليها — يشكل عُصراً لا يمكن فصله عن تكتيك الجهة الموحدة. لقد كان الأمر يتعلق بـ «البرهنة للجماهير العمالية على خيانة زعمائها وبـ «دعوتها لأن تُنجز معنا العمل الضروري، رغم هذه الخيانة» (187). وقد قام الحزب الشيوعي إذن بدعاية نشيطة على مستوى القاعدة لصالح عمل اتحادي، وسيستعمل لهذه الغاية وسيلتين اثنتين، تقنيتين للتجميع، تقنية المؤتمرات العمالية وتقنية لجان العمل. وقد تم التخطيط لكلتاهما لتكونا متكاملتين، لكنّ شروط تنفيذهما سمحت باكتشاف مصاعب جمة تعكس، في النهاية، تصورات متعارضة للجهة الموحدة.

184 مناقشات المجلس، 27 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2462.

185 «شهوراً رؤسائكم وعادروهم. تمالياً إليها لجاناه الامباليين حبة وحيدة قوية () (هم) لم يتحرأوا على التصويت ضد اعتمادات حزب المغرب، لقد استمعوا نحن»، لومالي، 14 مايو 1925 في 31 مايو، أعلنت اليومية الشيوعية عن فتح «مسر للمحتجين»، أي في المقام الأول، «للعامل الاشتراكيين الذين يريدون الاحتجاج على موقف نواب حزبهم» «أيها العمال الاشتراكيين، لاتنصحبوا مع رؤسائكم الاصلاحيين» نفسه، 5 يونيو يسي مواصلة العمل لاحتداد «جميع البروليتاريين الشفاء الذين يداوم الاشتراكيون على شدهم الى غربة الامبالية». نفسه، 25 يونيو 1925. AN F7 13174 (الشمال).

186 187 مذكرة اللجنة المركزية رقم 104 في 11 يونيو 1925، المشار إليها سابقاً.

المؤتمرات العمالية والفلاحية

لقد تمّ تنظيم سبعة مؤتمرات عمالية وفلاحية من طرف الحزب الشيوعي و س.ج.ت. الوحيدة، خلال صيف 1925 للاحتجاج ضدّ حُرْب المغرب. وكان على الحزب الشيوعي ليس فحسب أن يجتذب جماهير عريضة من الشغاليين، بفضل عمل النقابات الاتحادية، بل أيضاً أن يدفع أكبر عدد ممكن من المناضلين الاشتراكيين والتقاييين المستقلين والكونفدراليين الى المشاركة في هذه التجمّعات. ويمكن تلخيص الحصيلة، كما استخلصت من التقارير المنشورة من طرف لومانيتي. لقد كانت المعطيات المُرقّمة التي جُمِعت هنا، كما سنرى، موضوع نزاعات حادّة. لقد أكّد هذا التقديم في نفس الوقت على الأهمية التي أعطاها الحزب الشيوعي لمُوازنة المناضلين غير الشيوعيين وعلى حُدُود مجهوده. وتظهر بداية هذه الحُدُود أكثر عند قراءة تقارير اليومية الشيوعية. فخلافاً لما كان يمكن توقّعه، لم يتم تعويض الضعف النسبي لتمثيل الاشتراكيين والتقاييين المُستقلين والكونفدراليين بالأهمية التي أُعطيت لتدخلاتهم في الطيّز: فاثنا عشر منهم تقريباً، فقط، هم الذين أخذوا الكلمة في المؤتمرات الخمسة التي تم سرد نقاشاتها (188)، وكان الحيز الذي خصص لهم في تقارير لومانيتي هامشياً (189). إننا نجد من بينهم اشتراكيين بارزين على الخصوص وهما ديشامب وليبوت. كما ديشامب مناضلاً معروفاً من فدرالية الشمال. وكصحفي، كان يساهم في كل من ليتانسيل ولافاك أوفرير. كما كان ينشد مجموعة من اليسار المتطرف (190)، ويؤخذ قيادة الحزب الاشتراكي بقوة على رفضها لوحدة العمل مع الشيوعيين من أجل الكفاح ضد حرب المغرب (191). لقد ساهم نشاط في مؤتمر ليل (192)، وسيقبل، عقب ذلك، بأن يكون شريكاً في أغلب

188 اشتراكيان مارس (دولمار، الذي يتكلم باسم عمال المؤسسات العسكرية، وساضل آخر لم يتم توصيحه اسمهم) إثنان ليل (ديشامب وأوبوست)، واحد لليون (ليوط)، إثنان سربي (دولمار ومدوب فرع فوط)، إثنان غرسيليا (فاسينو، مسؤول الشبيات الاشتراكية لليون ومدوب فلاحني للناس - ألب)، غابيان كونفدراليان مارس، واحد لليون، واحد غرسيليا حيث تدخل أيضاً مدوب المقالة المستقلة لأرباني.

189 كمثل على ذلك، يتخصص عرض المؤتمر العمالي لمارس فقط بعض الأسطر المتعلقة بتدخلات الاشتراكيين ونقابي ال س.ج.ت، فيما تم إبراز تدخلات الممثلين اللحيكيين الاصلاحيين الثلاثة بشكل مطول. أما فيما يتعلق بتدخلات الحطباء الشيوعيين، فليكن، حسب الأهمية موموسو (164 سطر)، سوزان حورو (162)، دوزيو (131)، باروس (118)، كاشان (110)، روتو حان (188)، تراز (75)، ماياك - كوتوري (61)، طوريوز (43). لومانيتي، ل 5

6 يوليو 1925
La vague ouvrière *

190 الذي يضم 110 عضواً حسب والي الشمال. رسالة الى وزير الداخلية في 8 يوليو 1925. AN F7 13177 (الشمال)

191 رسالة 7 يوليو، مشار إليها من طرف ف. بوط في لومانيتي ل 10 يوليو 1925

192 AN F7 13117 (الشمال).

مبادرات اللجنة المركزية للعمل. وقد طرد من الحزب الاشتراكي، مثلما سيكون هذا هو مآل ليبوط، مناضل فرع ايفري (193). فقد صار هذا الأخير، منذ مؤتمر باريس، سكرتيرا للجنة المركزية للعمل، وبهذه الصفة شارك في مؤتمر ليون. لقد أبدى ديشامب، وليبوط، تقريرا كل المندوبين الاشتراكيين والنقائين الكونفدراليين الذين تم إيراد تدخلاتهم، معارضتهم لموقف قادتهم. وأعلنوا جميعا اتفاقهم مع الأطروحات التي يدافع عنها الحزب الشيوعي حول حرب الريف وأيدوا الشعارات التي أطلقها الحزب.

لقد أوصى مندوب الأهمية الثالثة بـ «السهر على الحفاظ على قيادة المؤتمرات العمالية بين أيدينا» (194). لقد تجاوزت النتيجة التوقعات : فقد حالت المراقبة التي قام بها الحزب دون وقوع أي نشاز. إذ لم يعبر أي مشارك، حسب الجريدة الشيوعية. لكن هل كان المنظمون وحدهم موضوع الخلاف ؟ لقد كانت الحاجة الى الوحدة محسوسا بها بقوة بحيث إن المناخ لم يكن يسمح أبدا بنقاش حقيقي حول مضمونها وأبعادها. ففرحة اللقاء جنبا الى جنب، والشعور بأنه يمكن التأثير على الأحداث بشكل جماعي هما اللذان يفسران، أبعد من إرادة الأجهزة، كون التحليل الملموس للاقتراحات الشيوعية، لسبل ووسائل معارضة حرب الريف، وللصعوبات المعترضة من أجل تعبئة شغالي المدن والحقول، قد ظل في المرتبة الثانية. لقد سجلت المؤتمرات العمالية، حسب مونوسو، نجاحا للجبهة الموحدة (195). شريطة التوضيح بأن الجبهة الموحدة بدت، من خلال هذه التظاهرات، كإندماج لأمشروط لغير الشيوعيين إلى اقتراحات الحزب الشيوعي، لدرجة أن انخراط بعضهم في الحزب يمكن أن يظهر كتמידد فوري لهذا الموقف (196).

المبادرات المحلية وردود فعل الأركان العامة

بموازاة مع التحضير للمؤتمرات العمالية والفلاحية الأولى، كَوَّنَ سكرتير المناطق الشيوعيون لجان عمل ضيقَ حَرْبِ الرِّيف. لقد أمرتهم قيادة الحزب بالآلا يكتفوا بإنشاء لجان

193 لوماني، 3 شتنر 1925. انظر في لالالك أولفير إي بايرران (11 أكتوبر 1925) احتجاج السيد ديشامب ضد هذا الطرب. لقد تصامم فينيرزون، المستشار البلدي الاشتراكي لدرافيل مع ليوط وانحرف في اللحة المحلية للعمل، لوماني، 9 شتنر 1925.

194 أرشيفات معهد مويرس طويريز، محصر اللحة المركزية لـ 2 يونيو 1925.

195 انظر لافي أولفير، 10 يوليو 1925.

196 إنها حالة لوسيان فاسيو، قائد الشبيبات الاشتراكية لليون، الذي غادر تنظيمه ليحرف في المغرب الشيوعي، بعد بضعة أيام على مؤتمر مرسيليا (انظر رسالته المقترحة الى أعضاء الحزب الاشتراكي والشبيبات الاشتراكية المسهورة من طرف لوماني في 8 شتنر 1925).

مقاطعية. فكان عليهم أن يتدخلوا في القاعدة «مبهرين على أكبر قدر من المبادرة» (197). وقد تمّ لفّ انتباههم دون ريب إلى ضرورة عدم القيام بتنازلات حول شعارات الحزب الشيوعي. لكنهم مُلزمين، بأن يأخذوا بعين الاعتبار في ممارستهم اليومية العوارض المحلية التي تُدجّل نوعاً من المرونة في علاقتهم مع العناصر الاشتراكية والكنفدرالية. فكان يمكن اجتذاب هؤلاء إلى المشاركة في لجان العمل انطلاقاً من الهمّ الأساسي لمعارضة حرب الزيف، وتطوير تحريض يُرغم الحكومة على تعديل سياستها والتوجّه نحو السلم، دون أن يُقبلوا، لأجل هذا التحليل النتائج الشيوعية، بشكل كلي. ومن جهة أخرى، رافق التكوين التدريجي للجنة المركزية للعمل ليوثة كبيرة في علاقتها بالتنظيمات الاصلاحية. هكذا استعادت الرسالة التي بَعثت بها في 4 غشت للحزب الاشتراكي اقتراحات وحلّة العمل على أساس الشعارات المُتبناة من طرف مؤتمر باريس وليل، دون الإشارة إلى شعار التآخي. لكنها، لم تتضمن بصفة خاصة أقل انتقاد للمواقف المتبناة من قبل الحزب الاشتراكي. أو لم يكتب كاشان، قبل ذلك بأيام، في لومانيي بأن «المؤتمر الاشتراكي القادم لـ 15 غشت سيتوجّه نحو تحقيق جهة وحيدة عمالية واسعة أكثر فأكثر» (199). إلا أنّ صلابة الأجهزة لن تسمح بالتقدّم جدّياً في هذا الاتجاه. إذ سيتغلب الحذر والأحكام المُسبقّة الاشتراكية من جهة، والطائفية الشيوعية من جهة أخرى، مانعة تطوّر عمل اتحادي حقاً.

لقد تميّز المؤتمر الاشتراكي لَعُشت 1925 بتصلّب واضح للحزب تجاه السياسة المغربية للحكومة. فلم يعد الحزب الاشتراكي راغباً في أن يمنح أصواته لعمليات الحرب. لكنه اعترى أيضاً إدانة «كُل إثارة ديماغوجية من شأنها أن تقود جنوداً منعزلين إمّا إلى التآخي مع الزيفيين أو إلى الفرار، فتجعل منهم ضحايا، في نفس الوقت، للترعة العسكرية الفرنسية وللسياسة الخارجية للبشافية» (200). وإذ قد تم استهداف التحريض الشيوعي عبر التآخي والاشارة إلى البشافية، وكذا عبر معارضة شعار الجلاء عن المغرب، لكن ليس أكيداً أن الصياغة استُتبعَتْ، بالنسبة لجميع المناضلين، إدانة جذرية لكل سعي لعمل اتحادي. لقد أعادت ليتانسيل نشر رسالة لأحدهم يُدعى فالونتان كولونيل من فرع لاموط سان مارتان ليفير توضح بأنه ينبغي رفض «الجلاء الفوري» عن المغرب والتآخي، ولكن في المقابل، ليس ثمة سبب يمنع من الانضمام إلى لجان العمل : فـ «أين إذن يكمن العصيان في ضمّ

197 ملكرة رقم 104 في 11 يونيو 1925، المشار إليها سابقاً.

198 هذه الرسالة ستكون موضوع أحد المناشير، أطر AN F7 13105 (لوار — آفيريور).

199 26 يوليو 1925.

200 لوبيلير، 31 غشت 1925.

المجهودات الخاصة الى مجهودات خُزء من البروليتاريا، ضدَّ حَرْب الرِّيف» (101)، ؟ إته لم يكن وحده في هذا الرأْي. إلَّا أنَّ قيادة الحزب رأت أنَّ من الضروري، في كل الأحوال، أن تضع التَّقَط على الحروف. فبتوقيع بول فور، أصدرت باسم اللجنة الادارية للحزب «تحذير المُنضمِّين للحزب من المناورات الشيوعية واقتراحات ما يُسمَّى بلحان العمل، حيثُ تبدو الطريقة المُعتادة لِعَمَلَاء موسكو» وبعد أن أكَّدت بأنَّ عمل الاشتراكيين ضدَّ حَرْب المغرب ليس له أيَّ قاسم مُشترك مع الحملة التي أوحى بها البلشفيون، ختمت بالتذكير بأنَّه «في كل البُلدان التي تُعَمَّت فيها محاولة جبهة وحيدة مع الشيوعيين، سعي هؤلاء دوماً الى الاستفادة منها، طبقاً لتكتيك مُعلن بوقاحة، لمحاولة الحُط من المتهورين الذين يُنقادون لمقاصدهم الماكرة وإضعافهم» (202). لقد غذت علاقة موسكو — الحزب الشيوعي موضع التَّقَد الذي طَوَّره الاشتراكيون، لا سيما وأنهم سعوا، مستندين الى أحداث جورجيا، الى وَضْع الشيوعيين في تناقض بخصوص إرادتهم للعمل على تحرُّر الشعوب...

أثارت بعض المُبادرات التي أُتخذت من طرف الشيوعيين داخل البلاد لصالح جبهة موحدة، تحفظات كبيرة داخل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي. لقد طَلَب موموسو بأن يُجَنَّب الدَّخُول الى لحان العمل على الفوضويين (203)، بينما لاحظ سيمار، في أواسط الصَّيف، بأنَّ «هناك نزوعاً في بعض المناطق الى توسيع لجان العمل التي، إن لم نلزم الحذر بِحُكْم التكتيك الجديد المُتَّبِع من طرف قادة الحزب الاشتراكي، ستقلب قريباً ضِدَّنا» (204). إن الأمر يتعلَّق أيضاً بِمَنع السَّاسة المحليين من استعمال لجان العمل للتَّمويه على الجماهير العمَّالية واستعادة تأثيرهم. فلا يمكن، التخلي عن المواقف الأساسية المُحتدَّة من طرف الحزب الشيوعي، ولا التراجع عن إدانة الاشتراكية الديمقراطية بذريعة اتحاد واسع. فمُنذ مؤتمر الحزب الاشتراكي وهذا الأخير يسعى حسب دوريو «لأنَّ يجتذب داخله كل المُعارضَة التي ضدَّ حَرْب المغرب وتقوم بِتَحْييدها»، أي، في الواقع، «تقوم بِمَنع لجنة العمل (المركزية) من الانتصار». إنَّها «مناورة» تستهدف «السَّماح للبورجوازية الفرنسية بمواصلة الحَرْب دون أن يُورَّط ذلك العناصر الاشتراكية كثيراً» البرهان ؟ استمرار تهجِّمات الاشتراكيين ضدَّ الحزب الشيوعي ومُعارضتهم لشعار الجلاء عن المغرب (205). لقد رأت القيادة الشيوعية إذن أنَّ من

201 ليتانسيل، 17 أكتوبر 1925 (مشدد عليه من النص).

202 نفسه

203 أرضيفات معهد مويس طوريز، السلسلة 93، محم. اللحة المركزية لـ 2 يونيو 1925.

204 نفسه، محم. اللحة المركزية لـ 29 يوليو 1925.

205 نفسه، محم. اللحة المركزية لـ 18 عشت 1925.

الضروري أن تُعيد تأكيد تعلّقها بالبرنامج السياسي الذي صادقت عليه المؤتمرات العمالية. فلا يمكن أن تكون هناك جبهة موحدة أخرى غير تلك التي حُدِّثت تحت مراقبة الحزب. لقد أفصحت طليقة الانذار التي أرسلتها لومانيتي عن مدى قلق قادة الحزب وعن الحدود التي يتوون تعيينها للتجمعات التي تتم تحت رعاية لجان العمل : «حتى الآن، كانت لجان العمل مكان اجتماع مندوبي مختلف التنظيمات العمالية، الذين يأتون ليناقدوا لانهايا هذا التفصيل أو ذاك من تفاصيل الأّعمل (كذا) أو ليغالوا في التدقيق حول الاختلافات الأيديولوجية. حاليا، تعتبر اللجنة المركزية واللجان الجهوية للعمل، وهي أجهزة منتخبة من طرف الممثلين المباشرين للعمال والفلاحين على أساس برنامج دقيق ومحدد، مكلفة بتطوير تحريض عميق والقيام بعمل جدي يلزم التجمعات المشاركة» (206).

يلزم انتظار الندوة الوطنية لفاتح دجنبر 1925 لكي تنتقد قيادة الحزب الشيوعي الطابع المتصلب جدا لتكتيكها الأّتحادي. لم يتعلق الأمر بالتخلي عن الشعارات المتعلقة بحرب الرّيف، إذ يعبر شعارا التّأخي والجلاء عن المغرب عن موقفين مطابقيين للأطروحات الشيوعية حول المسألة الاستعمارية والكفاح ضد الامبريالية، لكن كان من الخطأ طرح قبولهما كشرط للمجبهة الموحدة (207). هكذا أقر الحزب الشيوعي بإمكانية تنظيم حركة اتحادية دون أن يطلب من المشاركين فيها انضماما لأمشروطا لأطروحاته. لكن يبدو أن وقت تشكيل جبهة وحيدة قوية ضد حرب المغرب كان قد فات. إذ لم يعد للعمليات العسكرية نفس الوقع في الرّأي العمومي. وأخذت الانشغالات الاجتماعية والمالية تطفئ على المخاوف التي كانت تثيرها أبناء الجبهة؛ لدرجة أن لجان العمل، عند توسيعها لنداءاتها، لم تعد تضع في مقدمة اقتراحاتها «السلم الفوري في المغرب»؛ فمئذ ذلك الوقت، تم دمج هذا الشعار ضمن مطالب أخرى.



لقد كان إخفاق الجبهة الموحدة بشكل عام من صنع الأركان العامة السياسية. ولا ينبغي لهذا الإخفاق أن يخفي بأن بعض مسؤولي النقابات والأحزاب قد حاولوا، على الصعيد المحلي، وألحوا أحيانا، في تجميع قوى اليسار ضد حرب الرّيف.

206 لومانيتي، 17 شتنر 1925 (ص 5 - «دور الحزب في اللّحة المركزية للعمل»، مقال غير موقع).
207 «لقد اقترفا هذا الخطأ العادح، صرح طورير، بطرحنا قول شعار التّأخي» كشرط للمجبهة الموحدة واستعملت سورال خيرو بدورها عبارات مطابقة تقريبا. في المقابل، أكد طورير بشكل عرّب «لا ينبغي أن تتحلّى عن شعار الجلاء، في حين أن الجماهير تطلّهُ، والاشتراكيين والورجوازية نصحها يتكلمون عنه» أضيفات معهد موريس طورير،

في الشمال، وبالرغم من العلاقات المتوترة التي كانت بين الاشتراكيين والشيوعيين، تمت مظاهرة اتحادية كبيرة بدانكيرك في 15 غشت 1925، بمبادرة من النقابات. لقد أخذ كل من الشيوعي فلوريون بونط، مسؤول فدرالية الحزب وهوك، سكرتير الاتحاد المقاطعتي ل. س. ج. ت، الكلمة أمام حضور قدر من طرف الوالي بألف وثمانمائة شخص. وطالب الملتحق الذي تم التصفيق عليه في نهاية اللقاء، على الخصوص، بالوقف الفوري للقتال مع المغرب وسوريا وإعلان استقلال الريف. ثم نظم المتظاهرون استعراضا كبيرا كان على رأسه، بالإضافة إلى الخطيبين المذكورين، مسؤولوا النقابات الكونفدرالية والاتحادية الجهوية، وبارا، وهو نائب شيوعي، وخمسة مستشارين بلدين اشتراكيين من (دانكيرك) (208). لكن هذه المظاهرة ستظل دون أية لواحق في المقاطعة. وفي بداية 1926، نظمت لجنة العمل لدائرة فولونسيان، اجتماعا كبيرا بملعب الخيل. وقد دعمه كل من السكرتير السابق، وأمين الصندوق للفرع الاشتراكي، المطرودين من طرف الفدرالية. لقد ثابرا، رفقة روث وديشامب، من أجل اجتذاب رفاقهم القدامى من الحزب الاشتراكي لكن دوائر الحزب ردت بسرعة. ففي آخر لحظة، امتنع موريس موران، مدير ليتانسيل، الذي كان مقررا كخطيب، عن المشاركة، عقب رسالة من القيادة المحلية الجديدة للحزب الاشتراكي. كما أن حظهما كان سيئا : فهذا هو كونستانت هوبري، هو مناضل معروف من الحزب الاشتراكي الذي قبل المشاركة في اللقاء، يموت صبيحة المظاهرة بالذات. وستوضع هذه الأحياء تحت رئاسته الشرفية، بينما قبل أدولف هينفار، المستشار البلدي للحزب الاشتراكي نيابة الرئاسة. لكن واحدا من زمليه الاشتراكيين، الموجودين في المكتب، غادر الاحتجاج، لاختلافه دون ريب مع ما ورد من أقوال ديشامب، الذي كان يمتدح التأخي. ومع ذلك فقد تم ذلك الاحتجاج أمام ألفين وثلاثمائة شخص (209). أما في لاسوم، فلم تجد نداءات لجنة العمل صدى ايجابيا سوى لدى فوضوي المقاطعة، المجتذبين من طرف باستيان، رئيس تحرير جيرومينال، جريدة آميان الفوضوية (210).

في الشرق، وفي بداية صيف 1925 لَحِقَتْ مجموعة وفاقٍ اشتراكية من بوزانسون، رفقا مينجوز، بالشيوعيين داخل لجنة عمل. وقد نشروا مع ال. س. ج. ت الوحدةية مُلصَقاً

السلسلة 91، المؤتمر الوطني لفاتح دحبر 1925. بلره انتظار مؤتمر يونيو 1926 لكي يضع سيمار في نفس المستوى التأخي والجلال العسكري عن المغرب، لكن أظهرت الرسالة المعترضة إلى المناضلين (انظر نفسه) والممارسة اليومية بأنه لم يعد واردا بعد مؤتمر فاتح دحبر، تقديم هذين الشعارين كشط للجهة الوحيدة.

208 AN F7 13177 (الشمال)

209 AN 13105 (الشمال)

210 AN F7 13178 (سوم).

ومنشوراً يطالبان بـ «الوقف الفوري للقتال، والجلء عن وَرْعَةِ الْمُحْتَلِّ من طرف قواتنا، في انتظار الجلء الكامل عن المغرب كما عن كل المستعمرات المفتصة من سُكَّانِهَا بِالرَّغْمِ من حَقِّ الشعوب في تقرير مصيرها؛ وكذا الشروع في المُفَاوِضَات مع عبد الكريم» (211). كما تَطَلَّموا اجتماعات، لكن دون أن يتوصلوا، فيما يبدو، إلى جَمْعٍ عَدِيدٍ مُهِمٍّ من الحُضُور (212). بخلاف ذلك، رفض أعضاء الحزب الاشتراكي بـ رِيس المشاركة في المظاهرات المُنظَّمة من طرف الحزب الشيوعي، والاتحاد الاشتراكي — الشيوعي والاتحاد القُوضوي (213). وفي منطقة الرُّون — ألب، تُسَجَّل غياب جواب الاشتراكيين والتقاييين الكونفدراليين على الدَّعوات التي وجهها إليهم شيوعيو إيزير أو رفضهم لها (214). في حين نجد أن قيادة الفدرالية الاشتراكية لـ سافوا، التي شاركت في التظاهرات الأولى للجنة العمل بـ شامبيري، عَدَلَتْ فيما يبدو بِسُرْعَةٍ عن هذا الموقف (215). أما بـ ليون، فكان الوَضْعُ أكثر انسجاماً. فقد ضُمَّت اللجنة الجهوية، بالإضافة إلى الحزب الشيوعي، والشبيبات الشيوعية، وال س.ج.ت، التقاية المستقلة للبنائين. وقد تَطَلَّمت، في 2 غشت، مُظَاهَرَةٌ جمعت ألفاً ومائتين من الأشخاص وتلقَّت بهذه المناسبة عَوْن نقابة التبغ الـ س.ج.ت وبعد تدخلات مختلفة، من ضمنها تدخل ليبوط، وضَّح نائب اشتراكي بأنه ينبغي تجاوز تعليمات الزُّعماء (216). في المغرب، مكن التحريضُ النشط ضِدَّ حَزْبِ الرِّيف الذي لُوْحِظَ في الأوساط التقاية لـ بريست من تنظيم لقاء اتِّحادي كبير في 25 يونيو 1925، لكن لا أحد من المُشاركين أشار إلى التَّأخِّي أو إلى الجلء عن المغرب (217). لقد كانت مُشاركة العناصر الاشتراكية أو التقاية الكونفدرالية، إلى جانب الشيوعيين، ضئيلة في باقي المنطقة. تُسَجَّل مع ذلك بأن الفرع الاشتراكي لـ تريكيي بـ لي كوط دي نور، طلب في نهاية 1925 «بأن تُدرَس المُشاركة في الجبهة الموحدة المُقترحة من طرف الحزب الشيوعي بصدق، وذلك من أجل أهداف مُتَّفَق عليها»، ومن ضمنها العمل ضِدَّ الحروب الاستعمارية (218).

- 211 أرشيفات معهد موريس طوريغز، السلسلة 117
212 AN F7 13175 (دوب)
213 تم تجميع في فاتح غشت 1925 أمام 600 شخص وبعد الشيوعيين، احتج على موقف قيادة الحزب الاشتراكي كل من لوريال من الاتحاد القوضوي وبواسيري من الاتحاد الاشتراكي — الشيوعي. AN F7 13177 (مارك).
214 AN F7 13173 (إيزير). نفس الموقف في لالوار، AN F7 13174 (لوار).
215 AN F7 13178 (صاوا).
216 AN F7 13177 (رود).
217 تم تنظيم اللقاء من طرف الشبيبات التقاية، وبورصة الشغل المستقلة، وبورصة الشغل الاتحادية ونقابة الـ س.ج.ت للصناعة AN F7 13176 (مستير)
218 ليتانسيل، 26 دحس 1925.

في الليموزان، رَفَضَ الاشتراكيون ونقايبو الس.ج.ت، في البدء، الرُّدَّ على دعوة الحزب الشيوعي و س.ج.ت.ت.الوحدوية لتشكيل لجنة عَمَلٍ. ولأنهم كانوا أقوياء بدعْمِ النقابيين المُستقلين للأحذية وصناعة الخشب، كَرَّرَ الشيوعيون اقتراحهم. فردَّ الكونفدراليون بالموافقة شريطة أن تتكون اللجنة حصيصاً من ممثلي التنظيمات النقابية. وانضمَّ إلى هذه الفكرة المستقلون والمجموعة التحررية. أمَّا س.ج.ت.الوحدوية فطلبت مهلة للتفكير، ثم رَفَضَتْ : بحيث لَنْ تُضَمَّ لجنة العمل لمنطقة الليموزان في الأخير سوى عناصر شيوعية (219). وفي الشَّيْر، كان لابد من انتظار الأيام الأولى من 1926، لكي تتمكن لجنة العمل من أن تُلْحَقَ بها عناصر غير شيوعية، وتتمثل في أعضاء المجموعة الاشتراكية — الشيوعية، والاتحاد الفوضوي، وعصبة حقوق الإنسان، والفكر الحر، والمحافل الماسونية، لكن لا الاشتراكيون ولا الكونفدراليون كانوا مِنَ الْمُتَضَمِّين (220).

وفي الجنوب الغربي، كان إخفاق وَحْدَةِ الْعَمَلِ مع الاشتراكيين والنقابيين الكونفدراليين والمستقلين، جَلِيًّا في بوردو، رغم مجهودات فدرالية الكتاب (221)، نفس الشيء في الدوردوني (222)، وفي تولوز، حيث نسجل، مع ذلك، في بداية 1926، تحسُّناً في العلاقات بين الشيوعيين والاشتراكيين (223). أمَّا في طارن، فقد نُحِمَ وَضِعَ خاص في أواخر شهر مايو 1925، بسبب القرار الذي اتَّخَذَتْهُ أغلبية القيادة الاشتراكية ضد الرأْيِ القطعي للسكرتير الفدرالي، بالقيام بعمل مُشْتَرَكٍ مع الحزب الشيوعي ضدَّ حَرْبِ المغرب، فَصَدَّ فرض «السَّلمِ الفوري واللامشروط مع الرِّيف، والاعتراف بالرِّيف، والجلاء العسكري عن المغرب». بعد بضعة أيامٍ مِنْ ذَلِكَ، تَمَّ تَنْظِيمُ لِقَاءٍ فِي أَلْيِي، حيث تَدَخَّلَ إلى جوار الاشتراكيين والشيوعيين مُمَثِّلُ النِّقَابَاتِ الاتِّحَادِيَةِ وسكرتير الاتحاد الاقليمي لـ س.ج.ت. لكن لا يبدو، مع ذلك، أنَّ وَحْدَةَ الْعَمَلِ هذه قد امتدَّتْ أَبْعَدَ مِنَ الصَّيْفِ (224).

في الميدي المتوسطي، كانت الأعمال الاتِّحَادِيَةُ قليلة أيضاً ومَحْصُورَةٌ في بَعْضِ الأماكِن. ففي لوكار، ظَلَّتِ النداءات التي وُجِّهَتْ إلى الاشتراكيين وإلى الكونفدراليين من طرف الفرع الشيوعي لـ رِيْمٍ مِنْ أَجْلِ إِعْدَادِ حَمَلَةٍ ضِدَّ حَرْبِ الرِّيف، دون طائل. وفي المقابل، شارك متممون للشَّيْبَاتِ الاشتراكية والنقابيات المستقلة بـ أَلْيِي، وهي منطقة نفوذ

219 الأرشيفات المقاطعية للهوط — فيس 184 M 1

220 AN F7 13104 (شبر)

221 الأرشيفات المقاطعية للاخووند، 2-363 M 1 (تقرير 4 أكتوبر 1925)

222 الأرشيفات المقاطعية للدوردوني، 193 M 4

223 الأرشيفات المقاطعية للهوط — غارود، 968 M

224 الحظ AN F7 13174 (طارن)

شيوعي، في الاجتماعات التي تُظَمِّنها لجنة العمل المحلية (225). أما د. بيبيان، فوحده عُصْو من الاتحاد الفوضوي تُدخِل بَعْدَ الخطباء الشيوعيين في لقاء فاتح يوليوز (226). بينما رأينا في الفار، أخيراً، كيف تم طرد رعيم للشبيبات الاشتراكية من طرف فدراليته بسبب انضمامه الى المادرات الشيوعية (227).

إضراب 12 أكتوبر 1925

نعبر على أول إشارة لإضراب احتجاجي ضِدَّ حُزْبِ المغرب في تَدخُّل لطوماس، مندوب الأهمية لدى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي. لقد قال بأنه ينبغي «توسيع لجنة عملنا والتحضير لمؤتمر العمال (...) وتوجيه نداءات للنساء ونداءات للشغَّالين. إن إضراباً احتجاجياً يمكن أن يصير على هذا النحو ممكناً». لكنَّهُ وَضَحَ بَأَن «هذا الاقتراح للإضراب ينبغي أن يَصُدَّرَ عن الجماهير، عن النساء وعن العمال، ولكن ليس عن الحزب الشيوعي» (228). أما ماري دوهوا، التي تدخَّلت مباشرة بَعْدَهُ، فقد طالبت بأن يُحضَّرَ المؤتمر العمالي للمنطقة الباريسية، الذي سينعقد بَعْدَ شَهْرٍ، «للإضراب السياسي» (229). بينما ذَكَرَ دوريو في تلخيصه للترتيبات المُقرَّرة من طرف اللجنة المركزية: أَن من بينها «إضراب احتجاجي سيسبقه مؤتمر عمالي هام» (230). وفي 5 يوليوز 1925، صَبَدَ فور — براك، مندوب ستروين في مؤتمر العمال والمُسْتَحْدَمِينَ والفلاحين للمنطقة الباريسية، الى المنصة ليقتراح إضراباً عاماً لأربع وعشرين ساعة «تكون نتيجته إيقاف الطبقة العمالية في مجموع البلاد» (231). وقد تَمَّ الأخذُ بالفكرة في قرارٍ صوت عليه الجمعية كما أن المؤتمرات التي انعقدت بالأقليم بين يوليوز وشتنبر، ومؤتمر الـ س.ج.ت. الوحشية (أوآخر غشت)، انضمت إلى هذا الاقتراح.

225 في 30 مايو، 2 و 12 غشت، 25 شتنبر و 12 أكتوبر 1925. AN F7 13179 و 13176 (كار).

226 AN F7 177 (سيري — أوربونطال).

227 انظر أعلاه و AN F7 13178 (فار).

228 أرشيفات معهد موريس — طوير، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 2 يونيو 1925.

229 نفسه.

230 نفسه.

231 لومالتي، 6 يوليوز 1925.

الدلالة

قبل أن نتساءل عن تنظيم هذا الاضراب، ينبغي توضيح دلالة. إن هذه الأخيرة لم تكن في الأصل مرتبطة أساساً بقوة بحرب المغرب. فبالنسبة لطوماس، يُعتبر الاحتجاج ضدّ العمليات العسكرية مناسبة لبشّن حملة ضدّ المشاريع المالية للحكومة ولصالح مطالب الشّتّالين. فقط بعد انعقاد مؤتمر العمّال بليب، أخذ الاضراب، قبل كل شيء، معنى احتجاج البروليتاريا الفرنسية ضدّ حرب الرّيف، لكنّ التحضير له أظهر حينئذ استحالة قصّر التّظاهرة العمّالية على هذا الهدف.

إنّ ثمة التباساً ينبغي رفعه : لم يكن واردا في ذهن القادة الشيوعيين، أنّ بمقدور الاضراب إيقاف الحرب (232). لقد قال طوريز هذا مراراً وبكل وضوح (233). وها أن مدّكرة من اللّجنة المركزيّة لِلْعَمَلِ تُوضّحه بقوة : «يجب علينا مكافحة الوهم الذي يرى بأن الاضراب وحده، يمكنه أن يجعل الحرب تضع أوزارها. إن إضراب الأربع وعشرين ساعة ليس سوى أحد الأسلحة التي ستمكننا من توجيه الضربة الأولى. (هو) ليس سوى بداية الكفاح الفعلي للبروليتاريا الميتروبوليتانية ضدّ حرب الرّيف» (234). لقد تحيل ميشيل ماريّ الحوار التالي في إحدى الحانات : «أعتقد بأنّ بقاءنا مكتوفي الأيدي سيوقف دويّ المدفع ؟ سأل أحد العمّال. كلّاً، أيّها الرفيق، لا أعتقد ذلك، لكنّ هذا سيجعل الحكومة تفكر كثيراً» (235). بطريقة أوضّح، بدا الاضراب في نهاية الصيف بمثابة ردّ عمليّ على شنّ الهجوم الفرنسي على المغرب. لقد اقتنع الشيوعيون بأنّ القوتين المشتركين، الفرنسية والاسبانية، ستسحقان الرّيفيين سريعاً. وعلى الاضراب أن يعبر عن تضامن البروليتاريا الفرنسية مع الشّعب الرّيفي الذي

232 «إن الاضراب العام، كما تصوره الشيوعيون، كان (.) من نوع الوهم . فقد اعتقد الحزب الشيوعي الفرنسي أن بإمكانه إيقاف آلة الحرب بواسطة إضراب العمال الفرنسيين وحده»، ن لوكيبل، مقال مشار إليه، ص 47.

233 أمام المؤتمر الوطني لـ س.ج.ت. الوحدوية : «لا وهم هالك ! وقل كل شيء ليس الوهم الكبير بأن الاضراب قادر، وحده، في الوقت الراهن، على منع الحرب في المغرب، إن ما نطلبه من الرفاق، إن ما نريده دين عيو، وما أشارت اليه المؤتمرات العمالية، هو مطاهرة، هو احتجاج، هذا كل ما هالك»، المؤتمر الثالث لـ س.ج.ت. الوحدوية، 26 - 31 غشت 1925، عرض المناقشات، ص 74 وأمام اللجنة المركزيّة للحزب : «لن يوقف الاضراب حرب المغرب»، أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 94، (مصدر استنء 10 شتبر 1925).

234 مذكرة غير مؤرخة، بعنوان «الاضراب المقبل لـ 24 ساعة»، AN F7 13092. نخذ طعما في الخطاب والكتابات العديدة حول الاضراب أقوالا تؤكد مما يلو وجود هذا الوهم لدى بعض الماصلين. هكذا كتبت أليس بريسي : «أيتها النساء، لوقف الحازر الاستعمارية، حضرن لاضراب الـ 24 ساعة» لومالتي، 12 شتبر 1925. لكن ينبغي، دون ريب، أن تأخذ بعين الاعتبار قوة الشعار وحمية الخطاب.

235 لومالتي، 30 شتبر 1925

قَرَرَتْ حكومةً بابلوفي «تَحْنَقُهُ» (236). لكن ها أن دوريو يورد من الجزائر، حيث كان، بأن الهجوم الذي شُنَّ بيتان كان «إفلاساً ذريعاً»: وأن الحرب ستتواصل طوال الشتاء. وإذْن، كان على العَمَال أن يُظهِرُوا مُعَارَضَتَهُمْ بواسطة الاضراب ضد هذه الحملة وضد تمديد العمليات (237).

مع ذلك، ووعيا منه بالاعتراضات التي كان التّخضير للاضراب يلقاها داخل الـ س.ج.ت. الوحدوية، تساءل مونموسو في فاتح شتنبر «عَمَّا إذا لم يكن مُمكنًا إضافة بعض الشّعارات المطلوبة لِإِثْرَابِ إضراب الأربع وعشرين ساعة» (238). وقد عاد الى هذا الأمر بإسهاب في 10 من نفس الشّهر: «من الأكيد أنه إذا أردنا نحْزُزُ المعركة على أساس الشّعار الخاصّ «ضِدَّ حَرْبِ المغرب» فإن 75% لن يَتَّبِعُونَا. يلزمنا رُتْطُهُ بالوضعية الاقتصادية للعَمَال. فينبغي أن تَرى إذا كان ممكناً أن نُلصَقَ شعار الكفاح ضد الضرائب الجديدة، ومن أجل الزيادة العامّة في الأجور بشعار الكفاح ضد الحرب...» (239). لقد كانت هذه الانشغالات مُشْتَرَكَةً بين عددٍ كبير من أعضاء اللّجنة المركزيّة للحزب. وتشهد نداءات اللّجنة المركزيّة للعَمَل (240)، والمُذَكِّرات التي وَجَّهَهَا الحزب الشيوعي الفرنسي في النّصف الثاني من شتنبر بتوسيع الشّعارات (241). وسيعمل قادة التّقابات الاتحادية على تأويل هذه التعليمات تبعاً لانشغالاتهم الذاتيّة وحساسيتهم الخاصّة. فالمنشور الذي أَصْدَرَهُ شَعَالُو التّغديين والدّاعِي إلى الاضراب، لم يتضمن سوى خمسة أسطرٍ حول حرب المغرب، لكن الإشارة الى الهجوم الامبريالي ضِدَّ الشّعب الرّيفي كانت خاليةً من أيّ لُبْسٍ إذ «أن أبناء الشّعَالين يسقطون من أجل قضية ليست قضيتهم (...) يقولون بأنهم يحملون الحضارة لشعوب لَيْسَ لديها ما تصنعه بهذه الحضارة، ولا تطلب سوى أن تعيش بسلام (...) إن ما يرومون، هو الاستحواذ على ثروات الرّيف» (242). على عكس ذلك، دَعَت نقابة التّجارين، السّلميّة النّزعة، المُنضمِّين إليها إلى إضرابٍ احتجاجي ضِدَّ الحَرْب، دون أن يرد ذكر

- 236 انظر لومانيي، 22 شتنبر 1925 (فاشار) ولاي أولفويير، 14 عشت 1925 (موموسو).
237 أرشيفات معهد مويرس طويريز، السلسلة 94، (محضر اللّحة المركزيّة لـ 29 شتنبر 1925).
238 نفسه، (محضر اللّحة المركزيّة لفاتح شتنبر 1925).
239 نفسه، (محضر اللّحة المركزيّة لـ 10 شتنبر 1925).
240 انظر حاصة لومانيي لـ 12 و 19 شتنبر 1925.
241 إن المذكرة العامة رقم 120 (غير مرقمة)، تاريخ 21 شتنبر 1925، توضح، في موضوع تنظيم الاضراب: «يلزم الاتحاد بشكل خاص على الشعارات التالية: «الزيادة العامة في الأجور، الصلح الفوري مع الرّيف وسوريا ضد صائد كايوكس؛ إطلاق سراح المساحين المدنيين والعسكريين، إعادة إدماج جميع المطرودين؛ من الأناك، والنقل الحفزي والسكك، الخ.» A1 F7 13092.
242 AN F7 12919 (منشور تم توزيعه في 10 أكتوبر 1925).

للمغرب أو الريف في ندائها ذاك (243). لقد بدا بعض قادة نقابات السكّكين ومستخدمي الثقل للمنطقة الباريسية، حريصين على إظهار تضامن الشغّالين ثُحاه الجنود الذين يسقطون كُلّ يوم في المغرب (244). لكن الوضع الداخلي لهذه النقابات لم يسمح لها بأن تُرجع صدى هذا الانشغال. فالمرجع المغربي لا يكاد يستجيب لمشاكلها لدرجة أن سكرتير نقابة شركة النقل (245)، تمكّن من جعل خمسة آلاف شخص يهتفون في الاضراب بعد أن أعطى لهذا الأخير اتجاهًا جريئًا بمصر المعنى (246). ومع ذلك، ظل الاحتجاج ضدّ حرب المغرب في مقدمة النداءات إلى الاضراب التي أطلقتها كل من لومانيتي ولافي أوفيرير. كما أنّه كان حاضرا في المصفاات والمناسبات التي أصدرتها، اللّجنة المركزية للعمل بهذه المناسبة (247).

التنظيم

يطرح التحضير للاضراب ثلاثة أسئلة متشابهة على نحو وثيق سنعمل، على التمييز بينها لأغراض التحليل : من كان مسؤولاً عن تنظيمه ؟ كيف كان ردّ فعل النقابات وبشكل عام القطاعات المهنية الرئيسية في الأسابيع التي سبقت المظاهرة ؟ وأخيرا، كيف تمّ تحديد تاريخ الاضراب ؟

اختيار المسؤولين

لقد كلّف قرار من المؤتمر العمّالي للمنطقة الباريسية لجنة العمل بالسهر على التحضير للاضراب وتحديد تاريخ باتفاق مع التنظيمات النقابية. غير أن المناقشات التي جرت داخل الحزب الشيوعي تُظهر بأن تطبيق تلك الترتيبات لم يتم دون مصاعب. ففي 18 غشت 1925، لاخطبت اللّجنة المركزية للحزب الشيوعي بأن التحضير للاضراب لم يتقدّم إلّا قليلا : «إننا، نحن لجنة العمل، صرّح طوريز، ليست لدينا الوسائل لإطلاق الشّعار، طالما أنّنا لم نجتمع العمّال في لجان وُحدة بروليتارية» (248). لقد اعتبر كل من سوفاج وراباخي أن

243 نفسه، (ملصق تم تعليقه في 9 أكتوبر 1925).

244 انظر لومانيتي، 24 شتنبر 1925 (مقال س. سيلبي، سكرتير مكلف بالدعاية في نقابة الفنادق و 27 شتنبر 1925 (مقال لوبورسي، سكرتير نقابة S.T.C.R.P.)

245 شركة النقل العمومي للمنطقة الباريسية (الميترو والحافلة).

246 شملت المطالب التي تقدم بها دوهو، السكرتير العام لقناة النقل الحصري : مساواة المستخدمين في النقل بالمستخدمين اللّذين، يحمل الشارة النقابية، والاعتراف من طرف قيادة لجان الخازن والمعامل، وإعادة إدماج الأحرار المطرودين منذ بداية السنة. AN F7 12919 (اجتماع شومون - نالز في 6 أكتوبر 1925)

247 انظر AN F7 12919

248 أرييفات معهد موريس طوريز، السلسلة 93، عصر اللحمة المركزية ل 18 غشت 1925.

الاضراب من اختصاص المكس السياسي للحزب وكذا الهيئة التنفيذية للجنة العمل. أما موموسو فكان صريحاً: «إلني مُعْتَرِضٌ كُلُّ الاعتراض على الاضراب المُنْتَظَم من طَرَف لجنة العمل وخُدها، لكنني مع الاضراب العام المُنْتَظَم بِكُلِّ المُساهِمات» (249). في 10 شتنبر استأنف النقاش. إن تحفظات بعض النقابيين حول إعطاء لجنة العمل دَوْرَ منظمة الاضراب لم تُنْمَج. فلجنة العمل هي التي كان عليها أن تُعْطِيَ التوجيه وتُكَلِّفَ بالمُهْيمَة؛ لكنها لم تقم بأيّ عمل ملموس، صرّح بذلك رشيطة، سكرتير الفدرالية الاتحادية للنسيج (250). لكن موموسو كان أشدَّ فظاًظة: «إن لجنة العمل عاجزة سياسياً على تحديد حركة إضراب» (251). لقد أقرّ طويريز بأن لجنة العمل، في صيغتها الأكثر بساطة، ليست في مستوى تحمل المسؤولية التي عُهدَ بها لـ «أئتنا عاجزون عن قول ما إذا كان في مُكْتِنِنا عَمَلٌ شَيْءٌ ما. وإذا استمررنا، فإنه الافلاس التام. لقد أسستنا لجنة عمل تكتفي بعقد مؤتمرات عمالية وإرسال مقالات الى لومانييتي. إنها لَسُخْرِيَّةٌ. وإنه إفلاس للحركة!» (252). ولم يكن تحامله خداعاً، ولا كانت لهجته مرافعة، لكنها تقريباً لهجة اتهام. لم يكن وارداً التشكيك في صيغة لجنة العمل، ولكن في مقدرة المُشاركين، ومقدرة الحزب والنقابات على استعمالها. استطرد شاسيني «إن طويريز على حق. ماذا تريدون من رفاق لجنة العمل أن يفعلوا هم الذين ليسوا سوى اثنين أو ثلاثة (...) إن أولى المَهَام للتحضير للاضراب، هي إعطاء جهاز لَلْجِنَة العمل» (253). لقد اعتبر موموسو من جهة أن تنظيم الاضراب مَفْرُوضٌ على الحزب الشيوعي الفرنسي والد س.ج.ت الوجودية. إلا أن قيادة الحزب لاتشاطر هذا الرأي. لقد قال تران بأن «لدينا لجنة إضراب مُشْكَلَة على نَحْوِ مُسَبِّق، إنها لَجِنَة العمل». ووضح سيمار بالتأكيد على أن دور الحزب والنقابات يعتبر أساسياً، وأقر، في مُعْرض حديثه، بأنه «كان هناك ضعف داخل حزب بالنسبة لكل المُتَنَاضِلين و(أنه) لم يُؤَخِّذ التحضير للاضراب العام لأربع وعشرين ساعة مأخذ الجد» — لكنّ الفكرة التي لِيُعْضِيهِمْ عن لجنة العمل فكرة مغلوطه: «لقد نُحِيلُ لكثير من الشغاليين بأن لجنة العمل مُنْظَمة فوق الحزب وفوق ال س.ج.ت الوجودية أي مُنْظَمة جَبْهِيَّة وحيدة، بينما هي اندماج الحزب الشيوعي والنقابة» (254). لقد أدلّت سوزان جيرون بتصويب: نعم، كانت لجنة العمل مُكوَّنة سابقاً من الحزب

249 نفسه.

250 نفسه، السلسلة 94 (معرض اللوحة المركبة لـ 10 شتنبر 1925)

251 نفسه

252 نفسه

253 نفسه

254 نفسه

255 نفسه

الشيوعي، والشبيبات الشيوعية، والد س.ج.ت.ت.الوحدة، والجمعية الجمهورية لقداماء المحاربين... لكن بعد مؤتمر المنطقة الباريسية، صارت «شيئاً أوسع». فقد ألحقت بها عمالاً غير منظمين. سيكون إذن إطلاق شعار الاضراب من طرف التنظيمات التقليدية رجوعاً الى الوراء وذهاباً بعكس الهدف المنشود (256). وقد اقترح مازان، الذي كان في الرئاسة، بأن يُعتمد بتنظيم الاضراب الى «هيئة صغيرة» مُشكلة داخل الهيئة التنفيذية للجنة العمل ومكونة من ثلاثة مسؤولين يمثلون الحزب الشيوعي، والد س.ج.ت.ت.الوحدة ولجنة العمل. هكذا تم تعيين تران، وموموسو وطوريز. لقد وضع سيمار بأن هذا لا يمنع الحزب والد س.ج.ت.ت.الوحدة، بأن يعملوا الى جانبهم. إلا أن موموسو لم يقتنع كثيراً فيما يبدو. لذلك عاد يُكرّر: «هل تعتبر أن على لجنة العمل أن تُعطي شعار الاضراب العام للجماهير؟». فاجاب سيمار «أعتقد، أن من المستحيل أن يتكفل تنظيم آخر بإطلاق هذا الشعار. إن لجنة العمل، المُمثلة المباشرة للمؤتمرات العمالية، هي التي يتعين عليها إطلاقه. أقول نأه في لحظة الانطلاق، لا ينبغي الاكتفاء بتقديم لجنة العمل ببساطة بل لجنة العمل باعتبارها تضم الحزب الشيوعي والد س.ج.ت.ت.الوحدة، الشبيبات الشيوعية، الخ» (257).

موقف النقابات

يشهد قرار توسيع دلالة إضراب الأربع وعشرين ساعة بالمقاومات التي لقيتها الشعارات الأولية للجنة العمل المركزية داخل الطبقة العاملة. لقد لاحظ موموسو في 18 غشت 1925 أمام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بـ «أن الجماهير لا تزال مُقاومة لفكرة الاضراب العام» (258). وكان المؤتمر الوطني لـ س.ج.ت.ت.الوحدة، الذي انعقد بعد بضعة أيام من ذلك، مناسبة لتوضيح بغض هذه المقاومات. لقد قبل المشاركون بالاجماع قراراً مطولاً «حول الكفاح ضد الامبريالية والحرب»، انتهى بدعوة الى الدفاع لدى كل التنظيمات النقابية على مبدأ إضراب من أربع وعشرين وساعة، «مُرتبط بشكل جماعي بمحمة التحريض ضد حرب المغرب، وبشعار التآخي ومقاطعة صناعات الأسلحة والدخيرة والتقل الحربي» (259). ولم يتصدى لهذا الاجماع، إلا ثلاثة امتناعات، لكن الممتنعين كانوا يمثلون

256 نفسه.

257 نفسه.

258 نفسه، السلسلة 93 (مجلس اللجنة المركزية لـ 18 غشت 1925).

259 المؤتمر الثالث لـ س.ج.ت.ت.الوحدة، باريس، 26 - 31 غشت 1925، عرض المناقشات، ص 67 -

فدراليات هامة : فدراليات السككين، والتدريس، والمصالح العمومية، وقد رفض كل واحد منهم، بطريقة، توريث موكليه. وأكد رولو، على الخصوص للمؤتمر تضامن المدرسين أعضاء النقابة مع المجهودات المبذولة من طرف ال.س.ج.ت.ت.الوحدوية في حملتها ضد حزب المغرب، لكن نظراً «لعقلية أغلب موظفي التعليم» فقد اعتبر أن من المستحيل أن يُؤيد رأيه «حتى حول مبدأ إضراب الأربع وعشرين ساعة» (260). هناك ما هو أدهى من هذا. فباستثناء مومغوسو، لم يأخذ أي زعيم نقابي الكلمة لكي يعلق إيجابياً على شعار الإضراب العام. لقد لاحظ السكرتير العام ل.س.ج.ت.ت.الوحدوية هذا الأمر في فاتح شتنبر أمام الحزب : «سياسياً، يُعتبر إضراب الأربع وعشرين ساعة فاشيلاً. لقد كان يمكن أن يُستقبل بالهتاف. إلا أنه استقبل بطريقة بادرة، إنه لفشل» (261). وفي 10 من نفس الشهر، عاد للالحاح : «يمكننا أن نقول بأن ثمة مقاومة في مجموع البلاد. وإذا كانت هناك مقاومة من الأوساط الثقافية، فالن الجماهير لا تستجيب لندائنا». لقد ربط مومغوسو هذه المقاومة بالتراجع الذي طبع، في نظره، النشاط الثقافي منذ بداية السنة، فقد «تُرجمت الخيبة التي أثارها عدم تحقيق الوحدة بنوع من الفشور في بعض فئات نقاباتنا الاتحادية». وأضاف بأنه ينبغي أن تؤخذ المشاكل النوعية لكل جبهة بعين الاعتبار. فمن الصعب تصور إضراب لدى السككين والبريديين، بحكم التأثير الذي تمارسه، ال.س.ج.ت.ت.الوحدوية؛ في حين أن تأثير هذه الأخيرة على المنجمين قليل. كما أن الشروط التي تُؤمن الوزارة ضمنها وصايتها على الصناعات الحربية لا تسمح لعمالها بالإضراب. على عكس ذلك، تبدو تعبئة العمال، في كل من قطاعي التعدين والنسيج، أمراً ميسوراً (262).

لقد كان أعضاء الحزب، الذين لم يكونوا يمارسون مسؤوليات نقابية، يبدون أكثر تفاؤلاً. لقد ألح طويريز على «الخطأ» الذي يرتكبه كثير من الشيوعيين بخصوص ال.س.ج.ت.ت.الوحدوية أنها تجتذب مدرسين وموظفين «مخصوصاً في أوساط اليمين» يتم

260 نفسه، ص 69 — 80. لقد وضع مومغوسو بأنه غير وارد «توريث الطبقة العمالية في عمل يبدو صعب الإنجاز»، لكن الأمر يتعلق بـ «الثقة في التنظيمات المركزية» لكي يحدد، «بعد احتلاق السيكولوجيا الإضرابية»، الشروط التي «سيتم ضمنها تحديد كميات الإضراب العام». وبعد أن اطمأن كل من رولو، وبيزو، والمتحدث من طرف شعالي المصالح العمومية، انضموا إلى هذا المقرر أما يربلو، ممثل السككين، فناقش بالخصوص شعار التآخي واحتفظ بامتناعه. نفسه، ص 70 — 75.

261 أرشيفات معهد مويرس — طويريز، السلسلة 94، (محضر اللجنة المركزية لفاتح شتنبر 1925).

262 نفسه، محضر اللجنة المركزية لـ 10 شتنبر 1925.

الادعاء، خطأ، بأنه ليس لديها قاعدة بروليتارية جدية (263). لقد أكد أنه «ليس العمال هم الذين يرفضون الكفاح ضد الحرب»، بل «نحس نعمل على مناضلين لا يريدون دفع (هم) إلى إضراب من أربع وعشرين ساعة، ولو كان محدوداً». ولم يكن وارداً، دون ريب، تعبئة جميع العمال، «ولكن لابد من حشد كبير حتى يمكن القول بأنه كانت هناك مظاهرة». ولأجل هذا، لا يتعلق الأمر بفحص إمكانيات كل جبهة بل «ينبغي أن نقول لأنفسنا : ما هي المراكز الكبرى التي بإمكاننا أن نجلها ؟ ماهي المراكز الصناعية المهمة التي بإمكاننا أن نعمل فيها (...) عندما سنقوم بهذا، سنرى أين وصلنا في حين أننا الآن لا نعرف أي شيء. نحن عاجزون عن قول ما إذا كان في مكنيتنا فعل شيء ما.» (264). وقد تدشّل سيمار في نفس المنحى قائلاً «علينا أن نشن إضراب الأربع وعشرين ساعة رفقة القوى الثقافية التي ستكون إلى جانبنا، وألا نزعّم بأننا سنجلب الجماهير العمالية والفلاحية العريضة حول مسألة مثل مسألة حزب المغرب. إنه أمر في متبى الصعوبة. فمن البديهي أن البروليتاريين مجتهدون أكثر إلى حركة إضراب حول المطالب الفورية مما لو كانت حول حرب المغرب.» والأساسي هو عدم تبديد القوى، هو الاهتمام بالمراكز الأكثر مؤانسة، وإعفال المواضع الثانوية. لقد اعتبر سوزان جيرو، هي الأخرى، بأن مؤتموسو يقلل من إمكانيات التجاح، وطالبت بأن تُضاعف الاجتماعات في التقابلات والدوائر الشيوعية وأن يتم القيام بمحملة بين الجماهير غير المنتظمة بالمعامل (265).

بعد أن قرّر الحزب إرسال مندوبين إلى الأقاليم للتحضير للإضراب وتنظيمه، اجتمعت لجنة مركزية موسّعة في 7 أكتوبر للاستماع إلى تقاريرهم. جميعهم ألحوا على الطابع المتأخّر لتدخلاتهم وعلى المصاعب التي لاقوها. في منطقة الشمال، يعتقد راباطي في نتائج حسنة لدى العاملين في قطاع التعدين، رغم قرار بعض أرباب العمل القاضي بالتراجع عن التخفيضات الأخيرة للأجور (266). وفي المناجم استغل الاضلاحيون هذا القرار ضدّ

263 لا يصطدم أبداً مباشرة بموموسو، لكن كان تحليله على طري يقص من تحليل السكرتير العام لـ س. ح. ت. الوحدوية : «إني مستعير في الاعتقاد بأن تركيبة مؤتمر الـ س. ح. ت. (كان قد انعقد قبل ذلك بضعة أيام، من 26 إلى 29 عشت)، ما عدا بعض القنات، كانت بروليتارية حقة لأريد أن أتوسع، لكنني أسوق مثالاً محتملياً ما — دو — كالي الذين كانوا 30 000 إسم ليسوا أشخاصاً فقيداً كل وعي طبقى» نفسه، (محضر اللجنة المركزية لعاشر شتير 1925).

264 نفسه، (محضر اللجنة المركزية لـ 10 شتير 1925)

265 «إنيكم مهيؤنا لثلاثة أشهر من العمل لـ» صاح موموسو. نفسه.

266 مع ح بأنه لدى وصوله «كان عند الرفاق الماضلين وبشكل خاص القنات تشاؤم كبير» نفسه، (محضر اللجنة المركزية لـ 7 أكتوبر 1925. إن المعلومات التي تنصّبها هذه الفقرة مستقاة من هذه الوثيقة)

الاضراب؛ ومن جهة أخرى، لاحظ كيرش بأنّ الدّعاية لم تشمل العمّال البولونيين (267)؛ ومع ذلك ظلّ مُتفائلاً. أمّا في النسيج فقد اصطدم المناضلون على العكس بمصاعِبَ جُمّة. في وقت بدا الوضع سيّما في الشرق. ففي الأناضول، وُضِعَ شارل، عمل القرار الذي اتخذته الـ س.ج.ت. الوحيدة بإضافة المَطْلَب الاستقلالي الى شعارات الاضراب، على التقليل من الامكانيات: «إنّه يُقدَّر بأن الحركة لن تُشَمَل سوى ثلاثة أو أربعة آلاف عامل، وثلاثة أو أربعة آلاف منجمي. وفي اللورين، حسب ستينجير، لا ينبغي الاعتماد سوى على 10% من المضربين بين التسعين ألف عامل. وفي منطقة ديجون، يبدو الوضع رديماً: فإذا كان المنجمون مع الاضراب، فإن عمّال المصانع همّ بالأخرى ضيقه. وفي ليون، علّق هيركلي بدوره، «لسنا بعدُ مُستعدين لارتقَاب حركة جيّدة»: فلا يمكن الاعتماد سوى على 25% من عمّال المعادن؛ وفيما يتعلق بالنقل المحلي (الحافلات والترامواي)، ليس هناك من أمل سوى في إضراب نصف ساعة على الأكثر؛ أما النسيج فلن يتحرّك؛ وفي روان، لن تتوقف المصانع طويلاً، وفي ساوون إبي لوار، لا يمكن وُضْع الثقة سوى في منجمي مونسول — مين. وفاسار يعتمد على 70% من منجمي (لوا) وعلى 30 إلى 40% من عمّال قطاع التعدين؛ وهو يعتقد أيضاً بأنّ صنّاع الأسلحة بسان — إيتيان سيُضربون. لقد وُضِعَ مونوسو بأنّ الوضعية في الوسط تبدو جيّدة، سواء في بروج (باستثناء دار الصناعة) أو في المواضع القريبة من ألي، خاصة تلك التي توجد بها مناجم. أمّا فاي وكريمي فقد اقتسما المنطقة المتوسطة. لقد لاقيا هناك مقاومات كبيرة. ومع ذلك، يعتقد كريمي في إضراب الترامواي بمرسيليا وكذا إضراب عمّال الغاز. وفي الـ فوكلوز، يتوقّع أن تكون الحركة عامّة في أربعة أو خمسة تكتلات. ويقول فاي بأن نصف عمال التعدين بلوكار سينضمون للحركة. وفي سبت، يأمل في تعطّل ثلاثة آلاف من عمّال أحواض السفن. لقد بدا من المؤكّد أن الحركة ستكون مُهمّة في المراكز المنجمية كما أنّ البلديات الرّاعية لـ (بيوني — أوربانطال) بدت له مُهيّأة. وفي الأكسين، يعتقد بوفيل بأن الاضراب سيكون عامّاً بالـ بوكو، في حين أنه لن يشمل أكثر من أربعة آلاف عامل في بوردو. أما ثرويار، العائد من منطقة باس — سين، فقد شهّد، على العكس، تَقَلُّباً لصّالِح الاضراب؛ إنه يُعلِن بأن حركة المرور في ميناء روين ستتوقّف عَقِبَ تعطّل عمّال أحواض السفن، وأنّ الاتحاديين والكونفدراليين، في إيلبوف، مُتفقون على التوقّف عن العمل في معامل النسيج، وأن سبعمائة سكيكي، في سوطفيل، أقرّوا الاضراب. يبقى الهافر Le Havre، حيث لم يُنصَح الوُضْع بعد. وأخيراً، فإن رايثو يوكّد بأن «عمل تخضير المنطقة

الباريسية مُكْتَبَلٌ». ويُقَدَّر أن من الممكن الاعتماد على 50% من المُضْرِبِينَ في قِطَاعِ التُّعْدِينَ. بيد أن التحرك سيكون صَعْباً لَدَى الشَّعَالِينَ الْبَلَدِيِّينَ الَّذِينَ اسْتَفَادُوا مُؤْتَحَرّاً مِنْ زِهَادَةٍ فِي الْأَجُورِ، وَسيكون مَحْدُوداً جَدّاً لَدَى الْمُسْتَعْدِمِينَ (مِنْ 10 إِلَى 15%). لكن الاحتمالات إيجابية في قِطَاعِ الْبِنَاءِ، وَقَدْ ذَكَرَ رَابِنُو بأنَّ مُسْتَعْدِمِي الثَّقَلِ الْعُمُومِيِّ مُسْتَعْدُونَ لِشَنْ إضرابٍ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ سيكون «ناجحاً كُلَّ النَّجَاحِ».

اختصار القاريخ

هناك ثلاثة اعتبارات بدت حاسمةً للشيوعيين لتحديد تاريخ إضراب الأربع وعشرين ساعة هي المستوى الذي يَلْقَاهُ تعبئة الجماهير العمالية، والشروط التي كانت تَحْمِيْ ضِمْنَهَا العمليات العسكرية، وأخيراً ضرورة ربط الحركة بقرار الإضراب الذي اتخذته الثقل العمومي للمنطقة الباريسية.

لقد صاح مونغوسو أمام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المجتمعمة في 18 غشت أن: «عَلَيْنَا أَنْ نتوصَّلَ إِلَى تحقيق الإضراب العام في فاتح أكتوبر أو في تاريخ قريب منه وإلا سنصير مثييين للسخرية أمام الجماهير» (268). لكننا رأينا كيف أنه كان يُعْتَبَرُ بأنَّ الْعُمَالِ لم ينضجوا بَعْدَ لِتَحْرُكٍ كهذا (269)، وفي 10 شتنبر صرَّحَ بأنه من الْمُتَعَدَّرِ تحديده تاريخ ما (270). لقد آزره سيمار، بينما أكد راكمون، مُتَذَرِّعاً بِالْعَمَلِ الذي يتطلبه «تَهِضُّبُ الْأَطْر» صرح «لن نكون على أهبة إلا في شهر دجنبر على الأقل» (271). عندئذ انفجر طويريز قائلاً: «لم أعد أفهم شيئاً. (...) هل ينبغي للعمل الاعدادي أن يستمر ثلاثة أشهر؟» (272). لكن للعمليات العسكرية مُفْتَضِيَاتُهَا. لذا قَدَّرَ شاسيني أن أَفْضَلَ تاريخ هو 20 شتنبر، اليوم العاشر للهجوم. ففي تلك اللحظة تكون التبعات الدامية للمعارك قد ظَهَرَتْ لِلرَّأْيِ بِوضُوحٍ أَكْبَرَ. و أضاف قائلاً إننا إذا تأخرنا، سنجاوُفُ بأن نجد أنفسنا أمام انتصار قَرْنَسِيٍّ يَلْبِلُ الرَّأْيَ العام ويقلبه ضِدَّنَا. إنه إذن مع التاريخ الأقرب ما أمكن. أما تران فقد أظهر، مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، بأنه بسبب موسم الأمطار، فإن العمليات العسكرية قد تتوقف بَعْدَ 15 أكتوبر. لقد ألحت سوزان جيرو بأن يتم تحديد تاريخ أقصى لشَنْ الإضراب، فانضمَّ سيمار لهذا الاقتراح، وصوتت اللجنة المركزية المجتمعمة في 10 شتنبر بالاجماع على 15 أكتوبر كتاريخ أقصى (273).

268 أضيفات معهد موريس طويريز، السلسلة 93، (معرض اجتماع اللجنة المركزية لـ 18 غشت 1925).

269 لقد شكك كادو من جهته في إمكانية شَنْ إضراب في 20 شتنبر أو حتى في فاتح أكتوبر. نفسه.

270 نفسه، السلسلة 94، (معرض اجتماع اللجنة المركزية لـ 10 شتنبر 1925).

271 نفسه.

272 نفسه.

273 نفسه.

في الأسابيع التي تلت، لم تُخبر الدّعاية للاضراب بأيّ تاريخ، بل اكتفت بتديد أن هذا الأخير سيم تحدّده «في أمّ قريّب» (274) من طرف اللّجنة المركزيّة للعمَل والتنظيّمات النقابية (275). وحسب عِلْمِنَا، لم يعد النقاش إلى هذه المسألة، لاداخل الأجهزة القياديّة للحزب، ولا داخل أجهزة الـ س.ج.ت. الوحديّة، إلى غاية اجتماع لجنة مركزيّة موسّعة للحزب الشيوعي في 7 أكتوبر. لم يكن حماس موموسو في هذا اليوم، كبيراً جدّاً، كما رأينا، لكن، وضع قائلاً، «سيظلّ المشكل هو نفسه خلال ثمانية أو خمسة عشر يوماً أو حتى خلال شهر، ولن يتغيّر الوضع». ومع ذلك رَفَضَ تعيين تاريخ محدد (276). عندئذٍ تدخّل تران : «لكي لا يمتدّ النقاش كثيراً، ألقى للمناقشات بفكرة إضراب عام ليوم الاثنين 12 أكتوبر». فاعترض راكامون بأنّه من الصعب الاتّصال بالعمال في يوم أحد، وأنّه يرجو أن يُشنّ الإضراب غداً يوم عمَل. أمّا كالفيّ فرأى بأنّه من الأفضل في (الباس — سين) ومخصوصاً في (الهافر) اختيار الأربعاء 14، لكن طويرز أظهر، ومن بعده كيرش، بأنّه بالنسبة للمنجمين ينبغي قطعاً اختيار الاثنين. لقد تلاشت تحفظات القادة النقابيين، موموسو، راكامون، وراينو، عندما أكّد طويرز بأنّ الملتصقات ستكون جاهزة في الوقت المناسب. ثمّ، بالأخصّ، لم يُعدّ مُمكنًا إرجاء التحرك أكثر، لأنّ نقابة النقل الحضري (مترو) قررت أن تُضرب ولم يعد في مُمكنَتِنَا إفساك مُناضلي النقابة أكثر من أسبوع (كان يوم أربعاء) : «وإلّا، قال طويرز، لن نُحصل لا على إضراب الأربع وعشرين ساعة، ولا على إضراب نقابة النقل الحضري (مترو)» (277). لأنّه من الواضح جدّاً أن إضراب النقل يشكل عُصراً هامّاً في نجاح التحرك في المنطقة الباريسية. وبعد تدخلاتٍ مختلفة، أعلنت اللّجنة المركزيّة الموسّعة شنّ الإضراب الانذاري لأربع وعشرين ساعة يوم 12 أكتوبر. لقد اتّخذ هذا القرار بالاجماع، ما عدا امتناع واحد، هو امتناع بوفيل (278).

- 274 إنها العبارة المستعملة في مذكرة للجنة المركزيّة للعمل، غير مؤرّقة، لكن من المحتمل جدّاً أن تكون قد كتبت في أواخر شتّى أو الأيام الأولى لأكتوبر AN F7 13092.
- 275 مع ذلك نسجل، حسب تقرير للشرطة، أن موموسو قد يكون وضع أمام المؤرّر الين فدرالي لـ س.ج.ت. الوحديّة، المجتمع في 17 شتّى أن الإضراب سيُشنّ في الأسبوع الأوّل لأكتوبر. نفسه، F7 12919، كما أن برنيز سكرتير لجنة العمل للمنطقة البوينة قد يكون صرح في 16 شتّى، حسب ويلي الرّون، بأنّه كان ينبغي التفكير في أن يتمّ الإضراب في النصف الثاني من أكتوبر. نفسه، F7 13177 (الرّون). بيّنّا قد يكون شاسيني، مسؤول الشبكات الشيوعية، أكّد من جانبه، بمناسبة اجتماع النقّاد ساريس، باليليلوار، في 30 شتّى، أنّه بالرغم من أن التاريخ لم يحدد بعد، ينبغي الاستعداد لـ 15 أكتوبر. نفسه، F7 12919.
- 276 أرسيفات معهد موريس — طويرز السلسلة 94، (محضر جلسة اللّجنة المركزيّة الموسّعة لـ 7 أكتوبر 1925).
- 277 نفسه.
- 278 إن هري بوفيل سكرتير لفدرالية شماليّ التّغديّة، وعضو هيئة تحرير لافي أولفهار. لقد سبق أن احتدب من طرف الحزب لتنظيم الإضراب في المنطقة البوردولية والتّحضير له وهو أحد الموقعين على رسالة الـ 250 إلى الأُمّية انظر أدناه

عشية الاضراب، بدأ الشيوعيون ومناضلو الـ س.ج.ت.ت.ال وحدوية منعزلين. فلا الحزب الاشتراكي، ولا الـ س.ج.ت.ت.أجابا على اقتراحات لجنة العمل. أمّا لوپوبل، لسان حال النقابات الكونفدرالية، فقد لزمّت الصمت تقريباً حول التحريض لصالح الاضراب (279). وحدهم الفوضويون قرروا، منذ وقتٍ طويل، الانضمام اليه، مُظهريين وجهة نظرهم الخاصة التي لم تخل من سخرية: «عجباً، عجباً! فكرة الاضراب العام هذه، المُشْتَع عليها كثيراً، المُهانة كثيراً!» (280). ويوم الأحد 11 أكتوبر، أصْدَرَتْ لوليتير عِدْداً خاصاً، يدعو بعنوان كبير إلى الاضراب العام ويوضح شعاراته الخاصة: «ضِدَّ كتلة اليسارات، ضِدَّ عبد الكريم، ضِدَّ كُلِّ المُغامرين، ولكن من أجل الحُرّية للجميع، من أجل اعتناق الشغالين»، تعالوا لتهتفوا: «كفى من المجازر، كفى من الدّم، لتَسْقُطِ الحُرْبُ!».

الحصيلة

عنونت لومانيتي في 13 أكتوبر 1925، على سبعة أعمدة بما يلي: «كارتيل اليسارات يتقل المُمّال». لقد تميز يوم 12 بالفعل بأحداث خطيرة: ففي سورين قُتِلَ عامل شيوعي يدعى أندري ساباتي؛ وفي سان - دوني، أطلقت الشرطة التّار على المتظاهرين؛ كما أن جاك دوريو اعتُقل على إثر صدام مُتَهماً بضرب رجال الأمن وحُيِسَ في سجن لاسانتي. هذه الأحداث هي التي أحدثت ضَجَّةً في الجريدة الشيوعية. أما عن حجم الاضراب، فقد أيدت الصحيفة ارتياحاً في متبى الاعتدال. ولم تعط لا في ذلك اليوم، ولا في الأيام التي أعقبته، التقدير الاجمالي لعدد المُضْربين. لقد أكَدَّت بأن التعمُّل عن العمل في باريس وضواحيها كان أكثر من فاتح مايو السابق، وهذه إشارة بالغة الضَّلالة. أما الصَّحيفة التَّاطقة بلسان الـ س.ج.ت.ال وحدوية، وهي الحياة العمالية التي ظَهَرَ عِدْدها بعد ثلاثة أيام على الاضراب، فقد كانت هي الأخرى أكثر تحفظاً. وفي 14 أكتوبر نُشِرَ بَلَاغان. الأول صَدَرَ عن المنطقة

279 في 11 أكتوبر، نشرت لوپوبل مقالا عن «الاضراب الشيوعي» لكن الأمر تعلق فقط بالعمل الذي قام به المستخدمون الاتحاديون لنقابة النقل الحضري، وفي 12 أكتوبر اكتفى لسان حال الـ س.ج.ت.ت.ح.ت.ح.س.ب. : «سيحاول الشيوعيون هذا الصباح شن إضراب «عام» لأربع وعشرين ساعة. إن فشل التحرك في نقابة النقل الحضري يسمح بالشك في نجاح هذه المظاهرة».

280 لوليتير، 2 أكتوبر 1925. يبدو صاحب المقال قلقاً لكون الاضراب المحصر في بعض المهن. وفي 9 أكتوبر، عند عرضها لاحتجاج بطمته لجنة العمل في آمبال، أكدت لوليتير بأن كاشان وإ. حورو تعرضا فيه لسخط الجمهور الحاضر وأن شاروف، الذي حالفهما، واجه الفوضويين الذين سيغضبون مماضي النقابات الاتحادية للسكك الحديدية والبلد والميترو الذين سيعملون.

الباريسية للحزب الشيوعي؛ وقد امتدح 'الاضراب' (281). أما الثاني، وهو من اللجنة المركزية للعمل، فقد توجه «إلى جميع الشغّالين»، وشجب القمع الذي طُبِعَ يوم 12، لكنه ظلّ مُتَكَنِّمًا حول حجم الاضراب (282).

هل يتوجب إذن تصديق صحافة اليمين والصحافة الحكومية اللتين اعتبرتا بأن «الاضراب الشيوعي» قد مني بالاحفاق؟ لقد كتب محرر افتتاحيات جريدة لوفر بأنه «إذا كان هناك شيء في هذه القضية يُشترَف سياسة الكارتيل، فليس كون حكومة بانلوفي قد أوقفت الحركة الكبرى المُعلن عنها، بل كون الحركة الكبرى المُعلن عنها لم تحصل» (283). أما صحيفة لوجورنال، فقد نشرت تصريحاً أدلى به، وزير الداخلية شراميك ليلة 12: «إن انطباعي عن الاضراب هو أنه شكّل فشلاً ذريعاً». غير أن أرشيفات الداخلية تكذب بشكل واسع تصريح الوزير. فبالرغم من أن المعلومات المستقاة من ساحة بوفو صبيحة وفي بداية منتصف نهار 12 غير دقيقة ولا مكتملة، إلا أنها بعيدة فعلاً عن الاستهانة بعدد المضربين.

في السّين، يمكن تلخيص تقديرات إدارة الشرطة في اللائحة التالية (284):

القطاعات	عدد المضربين	عدد العاملين
1) المصالح العمومية وذات الصبغة العمومية		
□ نقابة النقل الحضري	1961	16 254
□ الطاكسيات	4483	8 004
□ الشغّالون البلديون	100	9 000
□ ليس ثمة مضربون بين السكّكين واليهوديين ومصالح الماء والغاز والكهرباء.		

281 «استحدثهم يوم الاثنين لنداء لحثكم للعمل بحركة إضراب رالعة سيصل صداها حتى حمال وسواحل الريف لكي يمتد الحبور والملاحين الفرنسيين على إنهاء الحرب بتأجيلهم مع الريفيين»، لومانتي، 14 أكتوبر 1925.

282 نفسه

283 13 أكتوبر 1925 (حال يو)

284 AN F7 12919

2) الصناعات المختلفة :

		البناء <input type="checkbox"/>
	1 000	التعدين <input type="checkbox"/>
		. رونو
28 750	2425	سيترولين
16 000	2400	سالمسون
1918	900	هيسبانو — سوزا
2000	730	دولاج
2400	123	آخرون
8565	601	<input type="checkbox"/> مصافي البترول
4000	1000	

القطاعات عدد المضربين عدد العاملين

فيما يتعلق بالأقليم، يمكن جمع المعلومات المُرسلة من طرف الولاية كالتالي (285) :

- ☐ كان العمل طبيعياً في ثلاث وثلاثين مقاطعة (286)؛
- ☐ كان عدد المضربين دون الخمسمائة في اثنتي عشرة مقاطعة (287)؛
- ☐ كان بين الخمسمائة وثلاثة آلاف في إحدى عشرة مقاطعة (288)؛
- ☐ فاق ثلاثة آلاف في ثلاث مقاطعات (289)؛
- ☐ وأخيراً فإن الاشارات المُرسلة من أربع وعشرين مقاطعة كانت ذات طابع كيفي أو أعطيت بالنسبة المئوية من تعداد الشغالين. وفي مقاطعتين فقط وهما لوكار والرون كان التعطل مُهماً نسبياً.

- 285 لم يتم إبلاغ أي خبر يتعلق بمقاطعات هوط — مارن، أورن — هوط — بيهني ودو — سيفر . نفسه.
- 286 من بينها لحد الآب — ماريتيم — انزاديين، دون، أندري، لامور، مورتيان، هو — راين، غار ولفينا.
- 287 من بينها آفنيون، كانطال، هوط — عارون، سين — إي — مارن وفركلور .
- 288 أرناس — بو — دو — رود، كالفادو، جيروند، إيزير، لوار — أنجيور، مين — إي — لوار، مورث — إي — موزيل، ناس — بيهني، سين — إي — وار وسوم.
- 289 إيسن (3200)، الشمال (8.500)، لوار (28 000).

تستدعي هذه التقديرات بعض التعليقات :

في السنين، من المضبوط أن أغلبية المصالح العمومية الكبرى لم تُضرب (290). لكن يبدو لنا أن عدد المضربين في التقل العمومي كان أهم بكثير. ففي التقابة الاتحادية للنقل الحضري حدها نجد إثني عشر ألفاً وستائة عَوْناً. وقد كانوا، كما أكدنا على ذلك، مُحَفِّزِينَ حدا للاضراب. لذا من الصعب الاعتقاد بأن 15% من بينهم فقط هم الذين اتبعوا تعليمات قادتهم (291). وفي الصناعة الخاصة، يعتبر قطاعا التعدين والبناء أهم قطاعين مُسًا أكثر بالاضراب : فاعتقالات المضربين التي تَمَّتْ خلال ذلك اليوم تُؤكِّد هذا (292). لكنهما لم يكونا، مع مصافي البترول، الفروع المهنية الوحيدة التي همَّها الأثر. لنسجّل، قطاع الكتاب، وقطاع الأثاث والجلد في ضاحية سان — أنطوان، وقطاع التغذية في الذائرة التاسعة عشرة، وذلك لكي لا نشير سوى الى قطاعات كان التحريض فيها محسوسا على الخصوص (293). ينبغي أيضا أن نُذخِّل في الاعتبار كَوْن المعلومات المُقدَّمة مِنْ طرف مَقْوضِيَةِ الشَّرْطَةِ لا تعني سوى «المؤسسات الأكثر أهمية». ويبدو لنا في الأخير أنه من غير الممكن ألا يَكُونُ الاضراب الذي مَسَّ التَّغْلُ العمومي قد أثر على تعدادات العمال والمُسْتَحْدِمِينَ العاملين في قطاعات أخرى.

إن أهمية حركة الاضراب في الاقليم أكثر صعوبة في التقدير. فإذا لم نأخذ بعين الاعتبار سوى الاشارات المُعطاة من طرف سلطات المقاطعات، وقبلنا أرقامها حرفياً، وحاولنا تحديد كمية المعلومات المُقدَّمة بالنسبة المائوية أو بالترتيب الكيفي، فصل الى تقدير من مائة ألف مُضْرِب في خمسين مقاطعة. لكن ينبغي أن نُسجِّل بأنه باستثناء (اللواز) التي يعطى الوالي بصددتها تقديراً إجمالياً من ثمانية وعشرين ألف مُضْرِب، فإن كل الاشارات الأخرى جزئية. هكذا لا يهمُ الثمانية آلاف ومخمسائة مُضْرِب الذين تم إحصاؤهم من طرف والي الشمال سوى حَوْض أنيش المنجمي بمفرده (تسعة آلاف عامل !). بينما لم يُحصي والي

290 كما يعرفون، في كل الأحوال، بأنه يستوحون الطرد الفوري. انظر تصريح شراميك الى جورنال، 13 أكتوبر 1925.

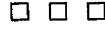
291 لقد ادعت لومانجي أن 12000 عرباً قد أصبحوا. هذا الرقم مبالغ فيه وقد كذبه الى حد كبير الداء الى «عبر المصدر» (أول إصدار نقابة النقل الحضري استمر ما بعد 12 أكتوبر) الذي نشرته اليومية الشيوعية بعد بضعة أيام من ذلك (15 أكتوبر 1925) من جهة أخرى، وحسب الإدارة، فإن عدد السيارات التي كانت متحركة في 12 أكتوبر هو 2015 مقاربا خدمة طبيعة لـ 2761. لكن لا ينبغي أن نسحر الى هذا الرقم نظراً لتدخل العسكريين والمستخدمين الخارجين على المؤسسة.

292 انظر أدناه

293 في 11 أكتوبر، عشية الاضراب، توقعت مذكرة لموصية الشرطة 2500 مصرباً فقط في قطاعي الكتاب والتعدين، 9000 في الخلد والعراء و5000 في الأثاث AN F7 12919.

(المحوط — كارون) سوى تسعة مضرّين في تولوز، ولزم الصمت عن باقي المقاطعة. يمكننا مُضَاعَفَةُ الأُمثلة التي تُشهِدُ بتناثر المعلومات المُرسلة (294). فإذا قَارَنَّا المسألة من خلال الفروع المهنية، نجد أن إضراب البناء غير وارد سوى في مقاطعتين اثنتين، الزون 60% من العاملين وليس 10%، أما في المناجم، فباستثناء مركز أنيش، المُشار إليه آنفاً، يكون الإضراب قد مَسَّ حَسَبَ السُّلطات، «غالبية العَمال» في لوكار وفي اللوار، وأعداداً قليلة في باقي المقاطعات (295). بينما لا تتوفر، بخصوص النسيج، سوى على إشارتين مُقدّمتين من طرف والي لارييج الذي سجّل ستائة مضرّب في لافلاي، والي السين أنفيير الذي قدّرهم بـ 11% من تعدادات المُستخدّمين في إيلبوف.

يقودنا تقدير العدد الاجمالي للمضرّين، بالتالي، الى تصحيح المُعطيات المستقاة من طرف وزارة الداخلية وتكميلها (296). ويبدو لنا أنه، لكي نأخذ بعين الاعتبار البُحسّ الحاصل في التقدير البديهي لبعض احصاءات القطاعات المهنية المنسية، وكذا الاجحاف الذي مس في الاقليم إحصاء مناطق كاملة مصنّعة بشكل قوي، ينبغي أن نضرب على الأقل في اثنين وعلى الأكثر في أربعة التقديرات التي أتينا على ذكرها في السين وفي المقاطعات. هكذا نتوصّل الى وضع عدّد المضرّين في السين بين خمسين ألف كعدّد أذن ومائة ألف عامل كعدّد أقصى. وفي الاقليم نصيّل الى تقدير مُتضمّن بين مائتي ألف وأربعمائة ألف مضرّب. وبالتالي، فإن عدّد المضرّين يكون مُتضمناً في المجموع بين مائتين وخمسين ألف وخمسمائة ألف.



هذه الأرقام بعيدة جدّاً عن رقم تسعمائة ألف مضرّب الذي كان يَظْهَرُ، بشكل شعائري، وخاصة منذ نهاية الحرب، في كتابات القادة الشيوعيين، عند إثارتهم لعمل الحزب

294 في سين — إي — كارون، أحصى الوالي 120 مصدراً عمّالاً، 60 عمّالاً و 27 هروفان. في فوكار، 150 مأنيني، 200 بوليس. وفي إبير، «حوالي ألف من المضرّين من قِراءة 100 000 عامل» في مين — إي — لوار، 800 مصدراً، ولكن في مؤسسة واحدة لألتيمير، في جيريود، 1100 مضرّباً في الأوراش البحرية من 1700 عامل، «من جهة أخرى حوالي 3%» في مورث — إي — موريل، «667 مضرّب من 30000 عامل مسجّمين وتعدديني».

295 400 في أفيريون، 444 في شامبانياك، في كانطال، محمان في بيبسي — أوريونطال، لكن لا تم الإشارة إلى أي مضرّب من بيبسي محمي يا — دو — كالي وساوون — إي — لوار

296 ينبغي أيضاً أن نضع في أذهاننا بالتقديرات التي قدمها في 7 أكتوبر مسؤولو الحزب الشيوعي حول درجة التحضير للاضراب.

الشيوعي الفرنسي ضدّ حَرْب الرّيف (297). ينبغي أن تتوقّف لحظة أمام هذا الاختلاف. وبالفعل، يعزو العديد من المؤرخين، ومن بينهم كثيرون لا يخفون موقفهم التقديري إزاء الحركة الشيوعية، تقدير التسعمائة ألف مُضْرَب هذا للحزب الشيوعي الفرنسي نفسه، غداة 12 أكتوبر 1925. بل إنَّ بَعْضَهُمْ مُقْتَنِعُونَ بأنهم قرأوه في لومانيي (298). لكن ينبغي أن نكرر بأن اليومية الشيوعية لم تعلن لا في 13 أكتوبر، ولا في الأيام التالية، رُغمًا كهذا، سواء في عناوينها، أو في تعليقاتها. لقد تميّزت لهجة لسان حال الحزب الشيوعي، بعكس ذلك، بالغياب الكلي للترّعة الانتصارية. وَخَدَهُمَا، ألبير ثران، في 15 أكتوبر، وموريس طويريز، في مقال بالمراسلة الدولية، في 28 أكتوبر، تحدّثا عن «مئات الآلاف من الشُّرَّيين» (299). حقًا، لقد اتَّهَمَ المائتان وخمسون مُعارضاً داخل الحزب، في رسالتهم المفتوحة للأمية (300)، المكتب السياسي بـ «الترويج في كل مكان بأن أكثر من مليون عامل اتَّبَعُوا في 12 أكتوبر شعار لجنة العمل»، في حين كان الاضطراب في رأيهم، «فَشَلًا مُخَوِّنًا». ومع ذلك، لم يَقم أيّ بلاغ للحزب أو للجنة المركزية للعمل، كما رأينا، بالإشارة إلى تفوّق مُثَالِّل. لقد انتهجت لجنة الحزب الشَّيْوِعي للمنطقة الباريسية، المجتمععة في 14 أكتوبر، للنتيجة (301)، لكن بعبارات كانت

- 297 «إن الاضطراب ضد حرب المغرب وسوريا، ضد صرايف كايوكس، من أجل الريادة العامة في الأحرار، تم في 12 أكتوبر 1925. وقد شارك فيه 900000 عاملاً إنه أول إضراب سياسي جماهيري ضد الحرب»، طويريز، ابن الشعب، الطبعة الثانية 1949، ص 53 — 54. «في 12 أكتوبر، أصرت 900000 شعاع وظاهروا»، تاريخ الحزب الشيوعي الفرنسي، المنشور تحت إشراف حاك دوكلو وفرانسوا بيوكس، 1964، ص 169. «إضراب عام تم في 12 أكتوبر بمشاركة حوالي 900000 شعاع» ح دوكلو، مذكرات، 1968، الجزء الأول، ص 241.
- 298 أ. عياش : «في 12 أكتوبر 1925، وبنداء من لجنة العمل، قام 900000 عامل فرنسي بإضراب سياسي جماهيري لأربع وعشرين ساعة لكي يطلوا وقف الحرب التي تنش على الشعب المغربي»، المغرب، 1956، ص 333. حاد بروها ومارك بولو : «في 1925، شاركت ال.م.ح.ت الوحيدة في اللجنة الوطنية للصلاد ضد حرب المغرب (كنا) التي دعت إلى الاضطراب العام وفي 12 أكتوبر، توقفت 900 000 عاملاً عن العمل»، مخطط لتاريخ ال.م.ح.ت، 1966، ص 106 — 107. ن. لوكيوك : «أصرت 900 000 عامل حسب لومانيي، بضعة آلاف حسب الصحافة الحكومية، في 12 أكتوبر» مقال مشار إليه، ص 52، ح. كيرباديس : «1 000 000 من العمال حسب الحزب توقفوا عن العمل» (أعطى الكاتب كيرجيج لومانيي لـ 13 أكتوبر 1925)، مشار إليه، الجزء الأول، ص 123. وفي ندوة عبد الكريم سنة 1973، أثار إثبات من المشاركين هذا الاضطراب : ر. شارفان : «توقفت 900 000 عامل عن العمل في مجموع فرباس، وبشكل خاص في بعض القطاعات . الحفوض المنحني للشمال، والساعة ور. كاليسو : «في 13 أكتوبر، أعلنت لومانيي عن مليون من المضربين» مشارع آفعا، ص 228 و246
- 299 لقد شهر تران بـ «المخطط البورجوازي» الذي يستهدف تقديم الاضراب العام كإحماق، لومانيي، 15 أكتوبر 1925 ومراسلة دولية، رقم 104، 28 أكتوبر 1925 (السيد طويريز : «المظاهرة البروليتارية لـ 12 أكتوبر»)
- 300 انظر أدناه.
- 301 أرشيفات معهد موريس — طويريز، السلسلة 119، (محضر لجنة الحزب الشيوعي للمنطقة الباريسية، 14 أكتوبر 1925).

من الاعتدال بحيث أن بيانها، المُخصَّص لأعضاء الحزب، لم يتحدث عنها حتى (302) وخلال التّدوة الوطنية لأيام 19 - 21 أكتوبر، لخصّ سيمار وجهة نظر الحزب الشيوعي الفرنسي: «إذا كان (الاضراب) لم يشمل الجماهير الواسعة، فقد حقق تحركاً قوياً ذا طابع سياسي واضح، بما أنه كان من أوّل الاضرابات الذي استنّهض العمال حول مسألة سياسية ودافع عن لومانيتي ضدّ الاتهام بكونها رفعت تقديرات عدد المضربين (303). أمّا في المؤتمّر الوطني لليل في يونيو 1926، وُخِده دوريو عاد إلى الاضراب: «لقد أردنا اجتذابكم إلى إضراب عام لأربع وعشرين ساعة. ليس من عادتي أن أكلّم بالكمّات. أعرف أن كثير منكم ممن يهتفون بشعارات الحزب لم يخرجوا (304). لقد أحسنوا صنّاعاً أو بالأحرى أساؤوه كان عليكم أن يخرجوا. لكن ليس هذا وقت مؤاخذات» (305). بينما استعاد سيمار بدوره، في كتاب حرب الريف، الصّادر في نفس السّنة، تعبير «مئات الآلاف» من المضربين (306) ولا بدّ من التأكيد على موقف لوماني في السنوات التي تلت. فنحن نعرف الأهمية التي يكتسبها الاحتفال بالأعياد السنوية على الصّعيد السياسي. لكن بعد حديث كاشان في 2 أكتوبر 1926 عن «الطبقة العاملة (التي استجابت) لشعار لجنة العمل بقوة كبيرة وبأس شديد»، أخذت اليومية الشيوعية تنزّغ إلى الألف تحفظ من هذا اليوم سوى بالموت التراجيدي لأندري سابائي (307).

من أين أتى، والحالة هذه رقم التسعمائة ألف وحتىّ المليون مُضرب ؟ إن افتراضنا هنا أنّ هذا التّقدير ظهر في أوساط الأهمية. ففي أواخر 1925، حاول أحد التقنيين هو ف بيلوك وهو مندوب الـ س.ج.ت الوحيدة لدى الأهمية النقابية الحمراء، بموسكو أن يقو بمحصلة ليوم 12 أكتوبر. فقُدّر بخمسمائة وستين ألفاً عدد الشّغّالين الذين أضربوا في القطاعات الأربعة التي مستّها الحركة بشكّل أساسي: المناجم 200.000، التّعديرات

- 302 انظر نشرة المطبعة البلطية، عدد 3 - أكتوبر - نونبر 1925، المعهد الفرنسي للتاريخ الاجتماعي (مجموعة ملحق صندوق 208). لسجل أيضاً بأن النشرة الإحصائية للحزب الشيوعي ذكرت طويلاً في عددها الثاني لـ 15 شتمبر 1925 بأهمية إضراب الـ 24 ساعة، لكنها لم تقل عنه شيئاً في عددها الثالث (15 أكتوبر 1925؛ أكان الوقت مبكراً جداً ؟) في عددها الرابع (5 دجنبر 1925؛ هل كان الوقت متأخراً جداً ؟) نفسه. (صندوق 218).
- 303 أضيفات معهد مورييس - طورييز، السلسلة 90، (تقرير سيمار عن الوضعية السياسية) ودلائل البلشفية، فاتح نونبر 1925، ص 2080 - 2082.
- 304 أي : ل. بعادروا أماكن عملهم للمشاركة في الاضراب.
- 305 المؤتمر الوطني الخامس للحزب الشيوعي الفرنسي، ليل، 20 - 26 يونيو 1926، عرض مختزل، ص 48.
- 306 مشار إليه آنفاً، ص 77 - 87.
- 307 بين 1926 و 1936، تم إحياء هذا العمل التذكاري أربع مرات : في 1927، في 1929، في 1930 وفي 1933.

150.000، صناعة النسيج 110.000، والبناء 100.000 (308). ودون أن يُقدّم أي تفسير، استطرّد فجأة: «يمكننا تقدير عدد المشاركين، في مجموع فرنسا، في إضراب الأربع وعشرين ساعة هذا بحوالي مليون من الشغّالين». هكذا استسلم لتقدير في متبى الجراءة، قائم على نشاطات مهنية غير تلك التي تدخل في القطاعات الأربعة المذكورة أعلاه، نشاطات قيّدها بالجملة، دون أن يفسّر ذلك، على أنّها عرّفت حوالي أربعمئة ألف مُضرب (309). وبعد بضعة أسابيع من ذلك، انتقل طويريز بدوره، أمام اللجنة التنفيذية للأمية من «بضغ معاتب من الآلاف»، إلى «حوالي مليون من المُضربين» (310). مع زينويفيف، تجاوزت المبالغة حدودها. ألا يرجع الحكمُ التالي إلى رئيس اللجنة التنفيذية للأمية، الذي يبدو أنّ غياب الواقعية طبع كثيراً من تدخلاته: «في الوضعية الرّاهنة لفرنسا، لا يمكن للحزب أن يكتفي في إضراب إنذاري بمليون مضرب، بينما عدد البروليتاريا الفرنسية عشرة ملايين من الشغّالين» (311). وفي 1931، أورد أندري فيرا في كتابه تاريخ الحزب الشيوعي الفرنسي — لأول مرة في مطبوع فرنسي — حصيلة مُرَقّمة للاضراب، الذي «شارك فيه قرابة تسعمئة ألف عامل في مجموع البلاد»، واستعاد بين قوسين التقديرات الجزئية لبيلوك 200.000 منجمي، و150.000 عامل في التعدين، و100.000 عامل في البناء، و110.000 في النسيج، مؤكداً على هذا النحو قرضيتنا (312). ومنذ ذلك الوقت، لم يبق أمام موريس طويريز، الذي صار سكرتيراً عاماً للحزب، سوى أن يُصادق نهائياً على هذا التقدير في سيرته الذاتية.

- 308 الأممية النقاوية الحمراء، دحمر 1925، ص 1043. يقدم ف. بيلوك عناصر قليلة لتدعيم تقديره مع ذلك، يجي تسحيل أنه يقدر بأن حوالي ثلثي المحميين أضربوا (40% في الشمال وبا — دو — كالي؛ 95% في كار، والمركز ولوار)، وهو تقدير يبدو لنا سالماً فيه.
- 309 إن الاشارات الوحيدة التي يقدمها هم النقل العمومي في باريس وفي الاقليم، وكنا نوقف عمل مينائي سيت وروين، «بضعة آلاف من عمال المتراحات الكيميائية» في ليون، «100% من المضربين في أوساط البراميليين لوردو»، و«بضعة عالية من المضربين» في دور صناعة طارب، بورج وروان. نفسه.
- 310 «النتائج، أيها الرفاق؟ قرابة مليون من المضربين. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن أهم الفدراليات، تلك التي كنا نمارس عليها تأثيراً كبيراً، مثل السككيين، واليهوديين، والموظفين لم تشارك في الحركة، يمكن أن نقول على الأقل بأن حركة الاضراب لم تكن إضعافاً» دفاثر المشففة، 15 أبريل 1926، ص 942 (دورة اللجنة التنفيذية الموسعة للأممية الشيوعية، جلسة 20 فبراير 1926). انظر أيضاً لوماليبي لـ 31 مارس 1926.
- 311 مراسلة دولية، عدد 64، 25 مايو 1926، ص 706 (دورة فبراير — مارس 1926 للجنة التنفيذية الموسعة، تقرير حول المسألة الفرنسية). إن كون الـ 250 قد حملوا، كما أشرنا إلى ذلك، المكتب السياسي مسؤولية رقم المليون من المضربين لا يبعد بالضرورة فرصتنا: فقد تروحه الـ 250 للأممية، وهي التي تروحو إضعافها بصواب موقفهم وتجنبها ضد التعليقات، التي أثارها الاضراب والتي اعتبروها معالية.
- 312 مشار إليه سابقاً، ص 148.

من غير المُجدي تماماً المغالاة في الأرقام لتقدير أهمية إضراب 12 أكتوبر 1925. فقد شكّل أوّل مظاهرة سياسية جماهيرية مُنظمة على الصعيد الوطني منذ نهاية الحرب. لقد أخذت الحركة على عاتقها، دون ريب مطالب اقتصادية واجتماعية عامة، وحتى فئوية، الى جانب الشعارات المتعلقة بحرب الريف، لكن لم يخطىء الأنصار ولا المعارضون حول مدلوله: لقد تمّ تنظيم الاضراب قبل كل شيء للردّ على أحداث المغرب. وكانت نية جميع المشاركين إظهار معارضتهم لحرب امبريالية، وبالنسبة لأغليبيتهم، إظهار تعاطفهم مع الشعب الريفي. لقد ظل كثير من مناضحي اليسار مُصدّومين بتكرّر عجز الحركة العمّالية عن منع حرب 14. وفي 1912، بعد أن نشبت الحرب في البلقان، تمكنت الس.ج.ت. من تنظيم إضراب إنذاري لوضع حدّ «لحماقات أوروبا العسكرية». وبعد عشرين شهراً من ذلك، انضمّ سكرتيرها العام، ليون جوهر، الى الاتحاد المُقدّس. لقد شكّلت حرب الريف أوّل مناسبة لتقدير ابتضالية العمّالية، ومقدّرة الجيل الجديد من التقاييين على اجتذاب رفاقهم للتوقف عن العمل والتزول الى الشارع للهِتاف بمعارضتهم للحرب. وعُتُصِرَ الجِدّة، بالنسبة للعالم العمّالي، هو أن هذا الاحتجاج، الذي طُلِبَ بذلك الشكّل لم يستهدف الحرب فحسب، بل استهدف لأوّل مرة في تاريخه حرباً استعمارية.

لا ينبغي أن ينسب عدّد المُضربين للتعديلات الاجمالية لـ C.G.T.U. فهذه التعديلات تصل الى خمسمائة ألف، في حين قررت فدراليات مهمة، مثل السككين، واليهودين، والتعليم العمومي، كما رأينا، ألا تتبع الحركة. أما في القطاعات الأربعة الأكثر أهمية التي مُسّنها الاضراب وهي المناجم والتعدين والنسيج والبناء، فلم يكن هناك حسب تقديرات الـ C.G.T.U. سوى مائة وخمسين الى مائة وخمسة وثمانية ألف عضو نقابي اتحادي (313). فإذا سلّمنا بأنهم قدّموا ثلاثة أرباع العمّال المُضربين، نستنتج بأنّ عدّد المُضربين، في هذه القطاعات وحدها، يساوي، على الأقل، عدد الأعضاء التقاييين الاتحاديين وعلى الأكثر الجماهير المُجتذبة الى الاضراب والتي تمثّل ضِعْفَيْن ونصف من التعديلات المُراقبة من طرف الـ C.G.T.U. وإعتباراً للمغالاة المُحتملة للتعديلات التقايبية التي كانت في أساس هذا الاحصاء، يبدو لنا أن من المعقول القبول بأنّه من بين كل اثنين من المُضربين مُنضويين في الـ C.G.T.U. هناك مُضرب غير اتحادي يمكن أن يكون إما مُنخرطاً في نقابة كونفدرالية أو مُستقلّة وإما غير نقابي.

313 إن رقم 150000 عضو نقابي أعطاه بلوك، في المقال المشار اليه سابقاً، دون أن يعطي تحليله، ووضح بلوك نفسه في مقال آخر بأن النقابات الاتحادية كانت تضم في فاتح يابر 1926 40 000 مصوباً في المصادن، 35 000 إلى 40000 في باطر الأرض، 35000 إلى 40 000 في النسيج و45000 في البناء. الأهمية التقايبية الحمراء، مايو 1926، ص ص 483 — 488. بالنسبة لموموسو، فإن النقابات الاتحادية كانت تضم 60 000 مصوباً في فبراير 1925 نفسه، أبريل 1925، ص ص 277 — 280.

مائتان وخمسون ألفاً إلى خمسمائة ألف مُضْرَب، ثُلُثُهم من خارج صفوف الـ C.G.T.U. : لم تكن هذه الحصيلة لتشكّل إخفاقاً بئناً، اعتباراً للظروف، ولن يكون لها ما يعادلها إلى غاية 1934. فقد جد القمع الذي سُنَّجِلِي لاحقاً ملاحمه المختلفة، من الترحيض لصالح الاضراب. وأبرز تهديد الطُرد المُلوَّح به تجاه الشغّالين الأجانب، وموقف الاشتراكيين وقادة النقابات الكونفدرالية عزلة مناضلي الحزب الشيوعي الفرنسي والـ C.G.T.U. يمكننا أيضاً أن نتساءل عما إذا لم تكن نضاليتهم قد قلّت بسبب تضاعف النزعات الاجتماعية التي تنتهي بفشل النقابات العمّالية. ومن جهة أخرى، حاول أرباب العمل تفكيك الحركة بقِيُولهم عشية 12 أكتوبر بتحقيق المطالب الجزئية (١١٤). كلّ هذه الأسباب حدّية وبحصص عميق يتجاوز حقل دراستنا. فهي تترك مشكلاً أساسياً بدون مقاربة : مشكل العلاقات بين الحزب الشيوعي والكونفدرالية العامّة الاتحادية للشغل C.G.T.U.

لم يكن إضراب 12 أكتوبر، بالفعل، سياسياً فحسب بحسب مَوْضوعه. لقد كان كذلك أيضاً بسبب شروط تحضيره. إننا لا نتوقّر على عناصير تسمح بتقدير التصيب الذي أخذته الأمية في هذه المبادرة. لكن لا يبدو لنا، مع ذلك، أن من الضروري تفسير هذه الحركة بتدخلها. ففي 1925، يبدو لنا بأن الاضراب قد نبع مثل باقي تظاهرات الحملة الشيوعية ضيّد حُرْب الريف. من المسؤولية المباشرة والقوية للحزب الشيوعي الفرنسي. إن المسألة الحقيقية هي مسألة العلاقات بين الحزب والنقابات. فداخل اللّجنة المركزية تأكدت الرّغبة في تنظيم هذا الاضراب. وقادة الحزب هم الذين أقنعوا تدريجياً مونموسو ورفاقه في C.G.T.U. ليس بضرورته — لأنهم كشيوعيين، كانوا مقتنعين بهذا سهولة — بل بإمكانية تنفيذه. لقد تحلّى الصّفط المُمارس على النقابيين، كما رأينا، في التحضير للاضراب، وفي تعيين مُنْشَطِيهِ، واختيار تاريخه. وقادت المُرْكُوزة المفرطة التي نجمت عن هذا إلى إغفال مُقاومات القاعدة العمّالية في الأقاليم على الخصوص. وبدأت أسبقية السّياسي لكثير من الماضيلين، بالرغم من موافقتهم عليها، قميئة باستتباع توضّحيات حسيمة على صعيد التنظيم النقابي (١١٤). بعد

314 في سان - حويان، بالليمور، مع أرباب صناعة القفايز في 10 أكتوبر 1925 بهادات في الأور من 10 إلى 20، A.D., 9، 184 M (رسالة إلى الرّاي تاريخ 13 أكتوبر 1925) ليكر بأد الشغّالين الملبدين في المنطقة النّاسية استعداداً في نهاية صيف 1925 من زيادة في الأور وفي الشمال ثم رد الأور التي كانت قد حُفِضت في قطاع التعدين إلى مستواها السابق في الأبله التي سفت الاضراب. خلاف ذلك، يبدو بأنّه لم يتم الرّواء في الماح، رد الأور إلى مستواها السابق في 20 شتير اطر أرشيفات مهيد موريس طوزيز، السلسلة 94، محضر اجتماعات اللّمة المركزيّة يومي 10 شتير و7 أكتوبر 1925.

315 في المؤرّر الوطني للحزب الشيوعي لغاتيب دحبر 1925، أحد يولير، من منطقة نوراميل، بعض الرّفاق من من ح.ت.الوحدوية عن «حتنهم»، إذ أهب أعليا عشية الاضراب : «يمكن أن يحدث أن تكسر تنظيماتنا، لكنا نسقم قليل من الدعاية لأخادعة وصل ماتكسر» نفسه، السلسلة 91، محضر المؤرّر.

ستين من ذلك، في مؤتمر C.G.T.U لـ 1927، أثار روسو، مندوب توركوان بمراة موقف أليس بريسي، وهي مندوبة كونفدرالية : «عندما أطلعناها على حصيلة ثلاثمائة منضو مفقود، قالت لنا : حتى لو أدى الأمر الى ضياعكم كلكم كان عليكم مع ذلك أن تقوموا بالاضراب العام» (316). سيمحي هذا الجانب من التاريخ العمالي، ويقدر ما ستيخذ الحزب الشيوعي موقفاً نقدياً من يوم 12 أكتوبر، سياسف لكونه (ذلك اليوم) لم يكن موضوع «تخصير قاعدي كاف»، وهو العيب الذي نسيب بكل مقارفة الى استمرار التقاليد الفوضوية — النقابية (317).

احتجاج اليسار غير الشيوعي

لا يعني فشل الجبهة الوحيدة أن اليسار غير الشيوعي، انضم كاملاً وبتصميم في حرب الريف الى أنصار السياسة الحكومية أو أنه تراجع عن المقدمة. فلم يكن الحزب الشيوعي هو مُحْتَكِرُ التحريض ضد العمليات العسكرية في المغرب. لقد كانت هناك احتجاجات سواء داخل الأوساط التحررية والفوضوية أو وسط الفدراليات الاشتراكية والنقابات الكونفدرالية. إنها لم تكن تكتسي نفس أهمية الاحتجاج الشيوعي؛ إذ غالباً ما ظلت من صُنْعِ أقليات؛ لكن سيكون إهمالها إنكاراً لأهمية التيار السلمي والقوة التي كانت لا تزال تحتفظ بها الايديولوجيا المعادية للاستعمار.

الفوضويون التحرريون والفوضويون

لقد ذكّرنا أعلاه باللهجة السلمية التي طبعت المقالات التي خصصتها لوليتير للمغرب. وقد قام الاتحاد الفوضوي، من جهته، بوضع وسائل للدعاية تحت تصرف مناضليه. فنشر مُلصَقاً كبيراً، كان عنوانه : لتسقط الحروب، ويُعد أن شهّر بالمرامي الامبريالية لفرنسا وإسبانيا في المغرب، حمل فيه على «الساسة» : على الاشتراكيين والراديكاليين والأحرار، الذين «يدعمون بتصويتهم وكلاميهم عملية اللصوضية هذه»؛ على الشيوعيين الذين «يشتهرون بصخب بهذه العملية، ولكنهم يبعثون ببرقيات التهاني للكتاتور المغربي عبد الكريم». إن الفوضويين ضد كل الحروب؛ ويطالبون للشعوب المُستَعْمَرة بحق تقرير مصيرها بنفسها، وهم «وحدهم، لهم الحق في أن يقولوا للفرنسيين، والاسبان والمغاربة : تمردوا ! ضَعُوا في كيس واحد كلا من باتلوفي وكايو وشراميك، الخ. دو نسيان بريان وبريمو

316 المؤتمر الرابع لـ س.ج.ت.الوحدوية، 19 — 24 شتبر 1927، عرض المناقشات، ص 66.
317 لومانجي، 25 دجنبر 1930 (ب. دازنار : المذهب والتاريخ، 1925، المغرب وسوريا؛ اليوم، المند الصينية).

دي ريفيرا وألفونسو وعبد الكريم وكل ابّطمحيي الدّكتاتورين» (318). لقد امتنع الاتحاد الفوضوي عن أيّ هجوم ضدّ الحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي، في منشوريّه المَعنويّين بـ «حزب المغرب إسْأَلت من جديد والقَتلة يستألفون، وأكّد بأنّه «ليس للبروليتاريا الفرنسية ماتصنع في المغرب»، كما أطلق شعار «لامع مع عبد الكريم، ولا ضدّ عبد الكريم» (319). أمّا الشّبيبة الفوضوية فقد نشرت، من جهتها، ملصقاً عنوانه، الفاشية تتجلّد في فرنسا، والدّم يُراقى في المغرب (320) وقررت القيام بسحب جديد لـ الاستسلام، كَتَبَ إيرست جيرو الشهير (321). كما أنّ المُصنّبة الدّولية للقائرين على كل حرب نشرت أيضاً ملصقاً للحرب في المغرب، بَعْدَ أن تُدَثّ فيه بالحماية، توجّهت لـ «عَمال وعاملات فرنسا»: «عليكم أن تنصحو أبناءكم بالأّ يريقوا دمهم من أجل هؤلاء اللصوص؛ فلا يمكنكم تشجيعهم على قتل إخوانهم في المغرب. وإذا أعطى لهم أمر إطلاق النار، فإنّ عليهم التفكير قبل أن يطهروا هذا الأمر» (322). لقد تمّ تشكيل لجنة عمل ثوري خلال شهر يونيو 1925، بمبادرة من الفوضويين والتّقابيين التحرّرين للبناء للمنطقة الباريسية، فيما يبدو، (323). وقد ضُمّت تنظيمات مختلفة (324) تنوي إظهار معارضتها لحزب المغرب خارج أيّ التزام مع التنظيمات ذات النزوع الشيوعي. وقد أصدرت هذه اللّجنة منشوراً عنوانه: «قلّوا أيّها المنيوّدون! يدعو «قدماء المجزرة الكبيّة» الى عدم نسيان عهودهم بالأّ يحملوا السّلاح «ضدّ المُستغلّين والمُضطهدين مثلكم» وعندما توجّه للنساء – «إنّ أزواجكنّ وأبناءكنّ، وإخوتكنّ هم الذين يسقطون في المغرب بالآلاف بأمر من الصّيارفة القَتلة» – طلب منهن الاقتداء بـ «مُشجّلات النار بالبترو» في الكومونة، ودعا الجنود الى رفض الدّهان أو «الاستسلام أمام إخوان (هم) في البؤس». وختم النص «لنرد بالاضراب العام الثوري على الحرب الرأسمالية» (325).

في المنطقة الباريسية، تُرجمت حملة التنظيمات التحرّرية باجتماعات ذات أهميّة متفاوتة، بقيت جميعها مجهولة لديّنا. وفي 20 مايو، جَمَعَ اللقاء الذي نُظّم بزنقة كرايخ أو بيل

- 318 نص منشور في لوليتير، 4 يوليو 1925. عبرا على نسخة أصليّة من هذا الملصق في الأرشيفات المقاطعية للهوط – غارون، M 1136.
- 319 AN F7 13174 (السين) «لامع مع عبد الكريم ولا ضد» هو عنوان منشور أصدره الاتحاد الفوضوي في 24000 نسخة (السحب الأوّل ؟) واستعيد نفسه على شكل ملصقات حدها معلقة في بيليل في 6 يونيو 1925. نفسه.
- 320 نفسه، 21 مايو 1925.
- 321 أنظر أعلاه، الفصل الثالث. لقد كان السحب الجديد هو 10000 نسخة؛ وقد بيع الكتيب بـ 15 سنتيما. AN 13174 (السين).
- 322 نفسه (ملصق علق ساييس في 23 مايو 1925).
- 323 نفسه. (ملصقة 26 يونيو 1925).
- 324 الاتحاد الفوضوي الفرنسي، الفدرالية المستقلة للنساء، القاعة الموحدة للنساء، النقابة المستقلة للحفاري، عصّة الهاريين من الجندية، مجموعة دور الشّ الفوضوية، الشّبيات الفوضوية، الجماعات الثورية الإيطالية والألمانية.
- 325 AN F7 13175 و 13177.

من طرف الاتحاد الفوضوي ثمانمائة شخصا (326). كما عرف الاجتماع الذي كان مُرتقبا في 27 يونيو من طرف لجنة العمل الثوري، رَغْم منع مفوضية الشرطة، نجاحاً كبيراً (327). وفي 10 غشت، تحدّث الفوضويون في الدائرة الثانية عشرة أمام أربعين مُستمعاً (328). بينما كان عدد المستمعين في 22 غشت ثلاثمائة، وقد أنصتوا تحت رعاية لجنة العمل الثوري، الى لايبور، ولوريال، وسباستيان فور؛ وقد حدّر هذا الأخير الحضور من «خدعة» بعض شعارات الحزب الشيوعي الفرنسي (329). في الضاحية، ثم تسجيل اجتماعات بـ بيزون في 13 يونيو (40 شخصا)، بـ سان - أوين في 11 يوليو (150 شخصا)، وفي 16 بـ لوفالوا (30)، وفي 18 بـ أوبرفلني (100)، وفي 24 بـ بولوني (50)، وفي 23 غشت بـ أرجونتي (300). وقد دعت لجنة العمل الثوري الباريسيين الى مظاهرة احتجاج ضيّد حَزْب الرِّيف أمام محطة سان - لازار، في 25 شتنبر على الساعة السادسة والنصف مساءً (331). وحسب مفوضية الشرطة، فإن حوالي مائة شخص فقط لبوا هذا التّداء، لكن هذا الرّقم يبدو لنا مُجافياً للواقع، إذا اعتبرنا أن أربعة وسبعين شخصاً قد اعتُقِلوا وتلك (332).

في الاقليم، يبدو بأن مجموعتي لوار وفيستير كانتا من أنشط المجموعات الفوضوية في الكفاح ضيّد حَزْب المغرب. ففي هاتين المقاطعتين، تطوّرت دعايتهما بالاعتماد خصوصاً على نقابيين شُبان في منتهى التصميم. لقد أظهرت جريدة هؤلاء، بسان إتيان، الشعب الرِّيفي «فخوراً باستقلاله»، مكافحاً «ضيّد الدّخيل، ضيّد الغازي»، وشهّرت بـ «الوطنيين المُعنيين»، و«الحكومات القاتلة» و«الجزائريين المُرضعين بالتجوم». كما طالبت بأن يتوقف «التّقنيل»، مُرجّعة هجرات كوستاف هيري في 1908 : «... ثرى هل سيفرض السّكّيون أخيراً ثَقْل رفاقهم (...) وهل ستعرف نساؤنا وأطفالنا باستقلالهم على قضبان السكّة الحديدية منهم من الذّهاب ؟ وهل سيؤمّن البحّارة دائماً العبور في الموانئ ؟». (333). لقد كانت دار صناعة بريست مُسرّحاً لِزّجاج ثَقُود بين المجموعات التحررية والمجموعات

326 الخطباء : لوريال، ناستيان، بولند، لرموان، جوهيل، AN F7 13174 (السين - إي) إن هذا التقدير لعدد الحضور، كما التقديرات اللاحقة، صادرة عن الشرطة.

327 حسب لوليروز، 4 يوليو 1925.

328 AN F7 13178 (السين).

329 نفسه.

330 AN F7 13174 (سين - إي - واز) و13178 (السين وسين - إي - واز).

331 لقد دعت طلبة حاسة لوليروز لمس اليوم بأحرف كبيرة الى هذه المظاهرة. بخلاف ذلك، حظرت اللجنة المركزية للعمل من مبادرة هذه «اللحة المزعومة للعمل الثوري» لومالتي، 25 شتنبر 1925.

332 APP Prov. 238. عن هذا القمع، انظر أدناه، الفصل السابع.

333 لوكري دي جون، الصحفية الشهيرة للشبيات النفاية باللغة الفرنسية، التي كانت هيئة تحريرها وإدارتها بسان إتيان، عدد 47، يونيو 1925، في AN F7 13174 (لوران).

الشيوعية؛ بينما أظهر التقاييون عن ميولات يسارية، ووزعوا عن طيب خاطر لابطاي ساندبكييت (314)، وعُلقوا مُلصقات فوضوية (33٩). وفي مرسيليا، وزعت إحدى المجموعات منشوراً (أصلياً ؟) — «ضد الحرب المغربية، ضد كل الحروب !» «... لأي سبب يمضي أبناءكم ؟ تكلموا أيتها الأمهات، أيتها الآباء، أيتها النساء، هل ودعوكم عند ذهابهم من أجل الموت في الأراضي المغربية ؟ هل ستخفون تخاذلاتكم من جديد خلف دموعكم !» (336). وفي تولوز اكتسب الاحتجاج الفوضوي شكلاً أكثر فعالية. لقد تجسّد في أحدهم يُدعى تريشو، عمره خمس وأربعون سنة، وهو خراط على المعادن ويبدو بأنه هو الذي كان في قلب التظاهرات التحررية (337). فقد تدخل في 6 يونيو 1925 في نهاية لقاء شيوعي لكي يوضح بأنه هو الآخر مع وحدة العمل ضدّ حرب المغرب، لكن بعكس شعارات الحزب الشيوعي، دعا الأمهات إلى «تمزيق قرار تعنة أبنائهن» (338). وأعاد الكرة في اليوم التالي، خلال اجتماع نُظمتُه إحدى الجمعيات التي كان يُنشطها، وهي «مجموعة الدراسات الاجتماعية»، كما تحدّى رجال الأمن الحاضرين في القاعة بأن يعتقلوه. لم يكن ذلك سوى تأجيل للأمر؛ ففي فاتح شتنبر، عند نهاية لقاء شيوعي آخر حيث كان يوزع منشور فوضوية — «الاستسلام ! لا تذهبوا !» — تمّ اعتقاله وحُكِمَ عليه بثمانية أشهر سجنًا (339). وفي الهافر، أظهر اجتماع نُظمه الاتحاد الفوضوي ضدّ حرب الزيف اختلافات الرأي التي تفصل التحرريين والشيوعيين (340). وفي كليرمون فيران، بدا شازوف في 29 مايو مندهشاً لكون الحزب الشيوعي يمنح دعمه لعبد الكريم الذي يعتبر «أكبر لئيم» على حدّ قوله. وبعد بضعة أسابيع من ذلك نادى في ليوج أمام مائتي شخص، إلى وحدة العمل، ودعا الطبقة العمالية إلى رفض المشاركة في صنع ونقل الذخيرة وعتاد الحرب (341). ثرى هل كانت تلك الكتابات التي رُوّيت حينئذٍ بأحرف بارزة حمراء فوق العديد من مآثر المدينة : «إنّ دمك يسيل في المغرب، أيها الشعب، تمزّد !» من فعل الفوضويين أم من فعل الشيوعيين (342).

- 334 لقد تلقى سكرتير النقابة المستقلة لصناعة الأسلحة في نهاية يوليو 100 نسخة من لابطاي ساندكالت
335 13 176 و AN F7 13173 (مستبر).
- 336 الأرشيفات المقاطعية للوش — دو — رون، M 6 10803
- 337 إنه منشط الجماعة الفوضوية التي تحمل اسم «حرية وسعادة» وقد كتب إلى لاديش التي وصفته برعب في الوقت الذي لا يتوفر فيه الموصيول على رعماء. الأرشيفات المقاطعية للهور — غارون، M 969
- 338 في الموضع نفسه، M 1136
- 339 لقد دامت عه الأستاذة بيوزان لعي من حياة محامي باريس، عصبة لجنة الدفاع الاجتماعي، نفسه
340 AN F7 13178 (سب — أمبيور).
- 341 الأرشيفات المقاطعية للهور — ليين، 4 M 316
- 342 AN F7 13178 (مذكورة 7 أكتوبر 1925) و A.D. هور — مبي 169 (مذكورة 19 شتر 1925) و IM 184.

الاشتراكيون والكونفدراليون

دعت الهيئة الادارية الدائمة، وهي جهاز قيادي للحزب الاشتراكي، في المَدَكَّة المتبَتَّة في مايو 1925، فدراليات المقاطعات الى أن تُنظَّم في مجموع البلاد مظاهرات ضدَّ حَرْب الرِّيف. لقد أعلنت تشيُّبها مبدأ حَقِّ الشعوب في تقرير مصيرها، لكنها رامت توجيه حَمَلَتِها خصوصا نحو وَقْفِ المعارك والمفاوضة مع عبد الكريم — ينبغي «العمل على وَقْفِ قريب لِرَافَةِ الدِّماء» —. لكن لا يبدو مع ذلك أن جهاز الحزب قد أَقَرَّ تدابير عملية لتسهيل دعاية مناضليه. فلم توضع زَهَنُ إشارتهم لا مناشير ولا ملصقات، كما أن تنظيم جولات الاجتماعات من طرف الرِّعماء الرئيسيين لم يَحْظَ بأي مجهود خاص. وفي الواقع، ثمَّ تَدَخَّلَ الحزب الاشتراكي على الصعيد المحلي من خلال لجان فرع الحزب، ولجان عصبة حقوق الانسان، والمجالس البلدية وجمعيات المقاطعات التي كان يتوفر فيها على تمثيل مُهمٍّ، كما كان يستفيد من قاعدة جماهيرية واسعة في النقابات الكونفدرالية. لقد كان يتوفر أيضا على عَدَدٍ من الجرائد الجهوية والمحلية. ويسمح لنا اللجوء الى الأرشيفات، التي تُشكِّلُ مَصْدَرَ معلوماتنا الرئيسي لتقدير حملة الشيوعيين وحملة الفوضويين، بتكوين فكرة، إن لم يكن عن التحريض الاشتراكي في مجموعه، فعلى الأقلَّ عن توجَّهاته الرئيسية والتوترات التي كَشَفَ عنها داخل الحزب الاشتراكي.

لقد بدأ عَدَدٌ من المناضلين أَقَلَّ اثْنَيْنِ أَقَلَّ بتحديد سياسة مغربية مِنْهُمْ بانتقاد المواقف الشيوعية. هذا هو شَتَّن أولئك الذين يُبعوا بكثافة كلاً من أدريان مازكي في بوردو (343)، وروجي سالونغرو ولوبا في ليل (344)، وفالير وبريسمان في ليوج (345). وسرعان ما كان يتم في هذه الأوساط قمع كل ذبذبة اعتراض على المواقف المتبَتَّة من طرف الأركان العامة السياسة أو النقابية أو من طرف المجموعة البرلمانية الاشتراكية، (346). لكن في بيلفور، نَمَّ تمنج

343 كانوا يشغلون لجنة بقطة من أجل سلم سريع في المغرب جمعت حول الحزب الاشتراكي ممثلين عن ال.س.ج.ت والاحدة المحلية لعصبة حقوق الانسان، لقد نددت هذه اللجنة، في ملصق على في أواخر عشت 1925، بالصيغ «الديماغوجية» و«الصلائح الخطيرة» الموجهة للحدود. وأدان بياناً تم التصويت عليه في نهاية لقاء وضع تحت رئاسة مازكي، وجمع حوالي ألف من الأشخاص، ر «المزايدة الكلامية» للحزب الشيوعي AN F7 13176 (حبروند).

344 انظر لورينجي دونور، 7 و 12 يوليوز 1925.

345 انظر عرض مداوات المجلس العام للهوط — فيين، 18، 19 و 20 مايو 1925. ص ص 179 — 205 — 227 — 228 — 274 — 276.

346 هكذا، بعد أن أدان جورج هامون، سكرتير الشبيبات الاشتراكية لـ نا — دو — كالي، في الأسبوعية الجهوية للحزب الاشتراكي «الموقف السلي» لحزبه أمام حزب الرِّيف، حَلَبَ لنفسه ردا مستاء من راؤول إيفرار، نائب با — دو — كالي و... مدير الجريدة السياسية الذي سيظهر، منذ ذلك الوقت، على عدم تكرار حادث مماثل. ليكليرور دو با — دو — كالي، أسبوعية الفدرالية لاشتراكية لنا — دو — كالي، 14 و 21 يونيو 1925.

المُعارضة المميّزة، التي أبدّوها الاشتراكيون إزاء الأطروحة الشيوعية، من أن يشهروا بالعمليات العسكرية الدائرة في المغرب وبـ «محاولة وضع اليد بفظاظة على بلد ليس ملكاً لفرنسا» (347). وفي نانسي (348) كما في بايون (349)، لم يصنح تعبّيرهم عن عدائهم للحرب أيّ تهجيم ضدّ الحزب الشيوعي. وفي البوش — دي — رون، أكّد الملتمس، المُعتمَد في 22 مايو من طرف المجلس العام باقتراح من المجموعة الاشتراكية، احترامه لـ «حق الشعوب في تقرير مصيرها، مهما يكون الجنس الذي تنتمي إليه» (350). هل ينبغي اتهام الأقلية الاشتراكية للمجلس البلدي لايكس — أون — بروفانس بالتّزوع إلى الثورة أم أن نعزو فقط إلى رعونة في التعبير تصرّيحها التالي القائل بأنه «ينبغي ترك المغرب للمغاربة، كما أننا نحن في وطننا» (351). وفي أواخر غشت، ذكّر ليون بلوم، في مرسيليا، بموقف الحزب الاشتراكي. فقد قدّم بطلب من عصبة حقوق الإنسان ليلقي محاضرة حول «الحرب في المغرب» وأمام سيّ إلى سيمعانة شخص، عبّر عن يقينه بأنه، مهما تكن الوجهة التي تنوي الحكومة اتّباعها، «ينبغي كثيراً تحقيق السّلم وترك الرّيف للرّيفيين». وقد امتنع عن مهاجمة الشيوعيين الذين حضرت مجموعة منهم للاستماع إليه (352).

قبل بضعة أيام من ذلك، كان قد انعقد المؤتمر الوطني للحزب الاشتراكي الذي أظهر، كما رأينا، تصلياً أكيداً تُجاه السياسة المغربية للحكومة. ويبدو لنا أن من المستحيل تفسير ذلك دون أن نُدخِل في اعتبارنا المُعارضة الصّريحة التي أبديتها بعض الفروع، بل فدراليات بأكملها، لحزب الرّيف، والضغط المُمارسة على قيادة الحزب لدفعها إلى قطع الصّلة بالحكومة. فمنذ أواخر شهر مايو، كانت فدرالية السّين هي المكان المُفضّل للاعتراض : لقد صرح بعض المناضلين بـ «أنّ سياسة الدّعم لم يُعد لها من مُوجب، وعلى حزبنا أن يعود لمكانه كحزب معارضة» (353). أمّا على الصعيد المحلي، فيمكن تفسير

- 347 AN F7 13173 (بيلفور، 26 يونيو 1925).
 348 AN F7 13177 (مورث — إي — موزيل، فاتح غشت 1925).
 349 AN F7 13174 (ناس — بوبي، 9 يوليو 1925).
 350 عرض مداولات المجلس العام للبوش — دو — رون، 1925، ص 528.
 351 مقتطف من سجلات مداولات المجلس البلدي لايكس — أون — بروفانس، جلسة 29 مايو 1925، في الأرشيفات المقاطعية للبوش — دو — رون، M 6 10803.
 352 AD بوش — دو — رون، M 6 10803 (رسالة المفوض المركزي إلى ويلي بوش — دو — رون في 23 غشت 1925).
 353 مقتطف من تقرير للشرطة في 26 مايو 1925. AN F7 13174 (السور). لقد تست العدالية الاشتراكية للسور بأغلبية كبيرة جدول أعمال زهروسكي «الأسف لكون الحرب لم يحدد سياسته الاستعمارية الخاصة»، لوكزيبديان، 2 يوليو 1925.

معارضة مناضلين عديدين من الحزب الاشتراكي للقيادة للحزب، دون ريب، بتأثير الدعاية الشيوعية والتنافس بين الجزئين. لكن سيكون من الخطأ في رأينا، أن نُحلل بمنهجية سلوك الاشتراكيين كرد فعل دفاعي بسيط تجاه الحزب الشيوعي (354). إن عددًا منهم يجدون في تريخهم أسباباً لمكافحة حرب المغرب وللامتناع عن اعتبار عبد الكريم بمثابة عدو. هذا ما عبرت عنه بقوة جريدة «البلد النورماندي» *. فقد هبت هذه الجريدة، التي كان مُنشطها ل. زوريتي، وهو أستاذ بكلية العلوم بكايين معروفاً بنزعة السلمية، هبّت منذ شهر يونيو ضد «انبعاث حزب الاتحاد المُقدّس»، وهذا ما جعلها تضاعف في نفس الرتبة كاشان ورونوديل. لقد تُحدّثت «عن الملتزمات التي تصلنا من الفروع ضد المشروع المجنون للمغرب وتصويت المجموعة البرلمانية». وأضافت «لقد تم التصويت على ملتزمات مماثلة، في مجموع البلاد. فرغبة الحزب الاشتراكي واضحة»، وميزت بين «أبصار الاشتراكية الحقة» و«أولئك الذين يخونون كل تقاليدنا» (355). لم يكن الأمر يتعلق بموقف أمّلتُه النزعة السلمية فحسب، كما تشهد بذلك خاتمة مقال آخر: «مهما يكن رأي السيدين هيريو وبانلوفي، فإن المغرب ليس هو فرنسا، ولو كان بايرون لا يزال على قيد الحياة، لنزعته نفسه دون ريب إلى كجدة الشعب المضطّهد الجديدة!» (356). في 12 يونيو، طالب الفرع الاشتراكي للهاافر بالوقوف الفوري للقتال والاعتراف بجمهورية الزيف (357). وفي 17، رأى فرع لاروشيل أن من الضروري التأكيد بأن «الحروب الاستعمارية بوجه عام وحرب المغرب على الخصوص مُثارة

354 لا يكثر طعماً رد الفعل الدفاعي هذا في بعض المقاطعات أو البلدان. وإذا كان لابد من تصديق المفروض الخاص، فستكون هذه هي حالة مرسيليا. ففي مجال تعليقه على إعلان لقاء بظمه الحزب الاشتراكي ضد حرب الريف، كتب يقول: «حتى الآن كان الشيوعيون منفردهم يقومون بالدعاية العمومية ضد حرب المغرب (...). فبدأ الاشتراكيون الموحدون لمرسيليا يقومون بها بدورهم إن هدفهم ربما هو تلافي ذهاب النجاح اليساري لحزبهم بسرعة إلى الشيوعية»، تقرير المفروض الخاص لمرسيليا في 28 شتنبر 1925. AD بوفيه - دو - رون، M 6 10803.

Le Pays normand &

355 بايي نورمان، 20 يونيو 1925

356 نفسه إن المقال من توقيع أ. باري (لايفي حلقه مع الماضى الشيوعي هري باري). لقد استمع هذا العدد من بايي نورمان وبالأخص مقال باري تقريراً موجهاً من طرف المفروض المركزي لكايين إلى قاضي الجمهورية. AN F7 13173، (كالفادو). ومن نجل ما آل إليه أمره. ينبغي أن نسلح بأن زوريتي اقترح، في المؤتمر الفدرالي لكالفادو، مذكرة تدب أيضاً السياسة المغربية للحكومة وموقف الحزب الشيوعي، لأن الخلاء عن المغرب الذي ينضج به هذا الأخير «لن يتبع عه سري وصح الرويلتيين المعاربة تحت اليد الأكثر شدة لكار القياذ دون تحريرهم» لبايي نورمان، 8 عشت 1925.

357 AN F7 13174 (سير - آتفيهور). تستشهد لومانيي من جهتها هذه المذكرة كما يتلك التي صدرت عن الفروع الاشتراكية ليل (دروم)، ليوار (أرديش) وللموط - سان - مارثا (ليرير) وهي تسير في نفس الاتجاه، 16 يونيو 1925.

من طرف المصالح الرأسمالية الدولية. إنه آسف لكون مؤقف حكومة بانلوفي بهذا الصدد مُماثلاً لموقف الحكومات البورجوازية التي سبقتها» (358). أما لوكري دو بوبل، وهي صحيفة اشتراكية بريس، كانت قد شهِرت بالمسؤوليات الفرنسية وبسياسة ليوطي — بانلوفي، فانشغلت بردود فعل العالم الاسلامي أمام وضعية الريفيين، المُزعَّمين «على كفاج يائس من أحل استقلالهم» (359). وفي غشت، قبل بضعة أيام من انعقاد المؤتمر الوطني، عُبِّرت فروع عديدة من الفوج عن اهتمامها بأن يتوقف كل دعم لبانلوفي وطالبت بِعَمَلٍ فعّال ضِدَّ الحرب (360).

كان جميع نقابسي الـ س.ج.ت. من جهةٍهم أبتعد ما يكونون عن مُشاركة المواقف المُعتدلة المتبنّاة من طرف قيادتهم. وهنا أيضاً لا ينبغي أن نُعرِّز حركات الاعتراض على حرب الريف التي تم تسجيلها في الأوساط الكونفدرالية الى مجرد ردّ فعل دفاعي ضِدَّ الـ س.ج.ت. الحدودية (361). ففي الـ (إزير)، استعاد الاتحاد الاقليمي منذ 26 مايو، صيغة ما قبل 1914 : «لا ملِّم ولا رجل للمغرب» (362). وفي ديكازفيل، أنهى سكرتير الاتحاد الاقليمي للبوِي — دو — دوم، الذي قدّم ليلقي عرضاً حول وضعية المنجمين، تدخله بإثارة المشكل المغربي : «مالذي يُؤاخذ الريفيون عليه ؟ كونهم يدافعون عن ممتلكاتهم ؟ ...» (363). أما الاتحاد الاقليمي للكرُون، فطالب بمفاوضة مباشرة مع عبد الكريم (364). في حين نشر الاتحاد المحلي بريس، في النصف الثاني من يونيو، ملصقا يشهر بـ «حزب النهب» ويطلب من الحكومة «السحب الفوري للجنود من الريف والاعتراف بمبدأ حق الشعوب في حكم نفسها بنفسها» (365). وعبر المُدرسون اللايكيون لِفَنسْتِر بدورهم عن تأييدهم لـ «الانسحاب

- 358 AN F7 13173 (شارونت — أنغييرون). قبل بضعة أيام، كان الفرع الروشولي لمعينة حقوق الانسان قد تبني جدول أعمال يمتنع بقوة ضد كل الحروب «وبشكل خاص تلك التي تشن في المغرب» ويطلب بـ «إجراء مفاوضات متتالية مع الخصم» نفسه.
- 359 لوي ديبل، 11 يوليوز 1925. لقد أعلن المؤتمر الفدرالي للفنستير أنه ضد التصويت على الاعترافات العسكرية للمغرب. نفسه، 15 غشت 1925.
- 360 خاصة تلك التي في سان — ديني، وتلك التي في ميوكور وإيلول — لو — غران، انظر لوطرافاير فوجيان، 15 غشت 1925، عدد مرسل من طرف والي فوزج الى وزير الداخلية، AN F7 13178.
- 361 بالنسبة لوالي الرون، فإن التبرير الملاحظ في أوساط الـ س.ج.ت. يبدو متصلاً على المحصور في «رغبة قادة التنظيمات العمالية الاصلاحية في الرد، بموقف أكثر نشاطاً، على اتهامات الاختتالية في المسألة المغربية الموجهة لهم من طرف الفدرالية الشيوعية للرون» AN F7 13177 (الرون — رسالة الى وزير الداخلية في 16 يوليوز 1925).
- 362 لاديش دولينواز، 26 مايو 1925، في AN F7 13173 (إزير).
- 363 الأرشيفات المقاطعية لأفيرون، 11 M 4.
- 364 لوباي نورمان، 20 يونيو 1925.
- 365 AN F7 13173 (منستير).

الفوري للقوات الفرنسية من الرّيف» (366). أما مدرسو الهوط — فين فلذكروا بأنه: «من غير المُحتمَل في جمهورية كجمهوريةنا، أن يقاد الشعب إلى حيث لا يريد قطعاً الذهاب إليه وأن يُرغم على تحمل ويلات الحرب من طرف قلة من الأشخاص يرومون أن يجعلوا الأُمَّة مُتَضَامِنَةً مَعَ طُغُوجِهِمْ أو مع مصالحهم» (367). بينما «الحج» قرار اعتيّد بدالكيرك في 17 يوليوز من طرف الثّقابات الكونفدرالية في أعقاب اجتماع ضيّد حُرِبَ المغرب «على الـ س.ج.ت أن تحتفظ بموقف يستجيب لمشاعر الجماهير العُمّالية. أي أن تُوصي بِشِدَّةٍ بكل حملات الاحتجاج الضرورية وأن تنظمها بنفسها عند الاقتضاء» (368).



تميز الدّخول بِحَدِيثين : الهجوم الفرنسي — الاسباني على الرّيفيين، الذي شُنَّ في بداية شتنبر، والتحرير الشّيعي لصالح إضراب الأربع وعشرين ساعة. لقد استتبع الحدث الأول تهجماً عنيفاً لِأَقْلِي الحزب الاشتراكي الملتفين حَوْلَ ليتانسيل : «مَنْ نراه يشلّ حركة الحزب ؟ (...) لم يعد هناك سوى بول بونكور وليون بلوم في الحزب اللذين يقولان ويكتبان، إن لم يكونا يعتقدان بأننا نخوض في الرّيف حَرْبَ دِفَاعٍ» (369). وفي الاقليم، بدا الاشتراكيون عُمُوماً مُتَزِينين كثيراً تجاه الاضراب الذي كان يُحَصِّرُ له الشيوعيون، لكن في الشّمال، حيث كانت دعاية الحزب الشّيعي نشيطة على الخصوص، سعى لوبا الى تفكيكها : «إننا، نحن الاشتراكيين، نقول للشّغالين : احتجّوا ضيّدَ الحرب، احتجّوا ضيّدَ كُلِّ الحُرُوب، اهتفوا عاليا برغبتكم في السّلم، لكن ليس ضروريا أن توقّفوا العَمَلَ لأربع وعشرين ساعة، أي أنكم ستخسرون أُجْرَةَ يَوْمٍ، إن هناك وسائل أخرى ونحن نطبقها كل يوم : الاجتماع، الجريدة، المدكرة، التظاهرات العمومية التي سننظمها قريباً» (370)، هذه هي الوسائل الحقّة التي تسمح للطبقة العاملة بالتّعريف برغبتها في السّلم» أما الوسائل المُستَغْمَلَة مِنْ طرف الشيوعيين «فهي وسائل حرب نشجبتها بكلّ ما أوتينا من قوّة» (371). أما في الهوط — فين فقد

366 AN F7 13176 (فستير).

367 لوبولير دوسولتر، 19 يوليوز 1925، في AN F7 13178 (هوط — فين).

368 AN F7 13177 (الشمال).

369 ليتانسيل، 4 شتنبر 1925.

370 نشدد عن قصد على هذه العارة الكاشفة عن نقصان الدعاية الاشتراكية ضد حرب الرّيف في الشمال إن لم نقل انعدامها.

371 عرض مداولات المجلس العام للشمال، جلسة 7 أكتوبر 1925، ص 425 — 426.

أخذت الأغلبية الاشتراكية للمجلس العام الحكومة على كونها لم تَضَعُ حدًّا للحزب وطلبت منها أن «تُرْسِلَ للرَّعْمَاءِ الرِّيفِيِّينَ (وليس إلى عبد الكريم) بالشروط القمينة بإقامة وفاق دائم خارج أي روج للغزو وأي مشروع للهيمنة» (372). لقد اهتمَّ الحزب الشيوعي بكونه يعتبر النزاعات الاستعمارية بمثابة اتساع لصراع الطبقات، في حين تظلَّ الحزبُ أياً كانت بالنسبة للاشتراكيين، «شيئاً فظيحاً». فغير وارد التَّصَحُّحُ بالتَّأخِّي أمام «مُتَّعَصِّبِينَ يقتلون ويشوهون بطريقة شنيعة الأُسرى الثَّعْسَاء الذين يقعون بين أيديهم» (373)، بخلاف ذلك، إذا كان راينو، نائب الفار، مُعَادِياً هو الآخر للتَّأخِّي وللجلاء عن المَغرب، فإنَّه يَؤكد «اتفاق (هـ) مع الحزب الشيوعي» لتحقيق السُّلم مع عبد الكريم والاعتراف بجمهورية الزيف (374). لقد ركزت البلدية الاشتراكية ليهست انتقاداتها على الحكومة والتعاون العسكري الذي أقامته مع الحكومة «اللاديمقراطية والدكتاتورية» ليهو ذي ريفيرا، وطلبت بأن «تُقدِّمَ مُنْذُ الآن اقتراحات سِلْمٍ مقبولة ومشرَّفة للزَّعيم الرِّيفِيِّ» (375). وَمَعَ تمديد العمليات العسكرية تضاعفت التصريحات التي كانت تروم تبرئة الحزب الاشتراكي، وتجرِمْ الرِّادِيكَالِيينَ (376)، وانتقاد شروط السُّلم المفروضة على عبد الكريم (377).

□ □ □

هل ينبغي أن ننسب لبعض العناصر الاشتراكية تَجْدُّدَ التحريض الذي لُوْحِظَ في بداية 1926 في بعض فروع عصبة حقوق الإنسان ضدَّ السِّياسة المغربية للحكومة ؟ ألا يُعزَى ذلك، بشكل أعم، إلى تقليد جمهوري باقٍ، خصوصاً في الأقليم، لا تتلاءم نزعتُه الليبرالية ونزعتُه السِّلْمِيَّةُ قطعاً مع التعرُّض للشِّبهات المُكَلِّمَةُ لِوَلَجِ السُّلْطَةِ وللبحث الدائم عن تحالفاتٍ جديدة للحفاظ عليها. لقد طالب عُصْبُوِيو ليون وشالون — سور — مارن

- 372 عرض مداوالات المجلس العام للهِوط — فين، جلسة 28 شتبر 1925، ص 256 — 258.
- 373 نفسه، جلسة فاتح أكتوبر 1925، ص 408 — 409.
- 374 اجتماع منظم من طرف الحزب الاشتراكي بكان في 17 أكتوبر 1925، AN F7 13175 (آلب — مانيتيم).
- 375 رجاء تته للبلدية ليهست في 22 شتبر 1925 وأرسل من طرف والي فستبر في 30 شتبر AN مجموعة بالهوي، 313.
- AP 186.
- 376 أنظر تدخلات لويز سومونو بالهون، في 16 يناير 1926 — ريشار نكاف، في 4 مارس — يوزي بول فور مسان — جان — دانييل، في 6 مارس — أنطونيل سرحواك، في 21 مارس. AN F7 13081.
- 377 انظر خاصة موقف اشتراكي الشمال (عرض مداوالات المجلس العام، 6 مايو 1926، ص 278 — 280) والهوط — فين (ملكرة 16 مايو 1926 في A.D. هوط — فين 167 M 1).

بِسَلْمٍ سَرِيعٍ وَذَكَرُوا بِوَعْدِ الاستقلال الدَّائِي الَّذِي أُعْطِيَ لِلرِّيفِيِّينَ (378). وعبروا في باريس، بالدائرة الثامنة عشرة، وفي شارونطون — سان — مويرس كما في أمبواز، عن تأسفهم الشديد لكون اقتراحات عبد الكريم للسَّلْمِ لم تُؤخَذَ بعين الاعتبار (379). وفي أفالون، ذهبوا إلى حَدِّ المُطالبة، في 20 أبريل أيضاً، باستقلال الرِّيف (380). وفي نيم أخيراً، أثار انقطاع مفاوضات وجدة تأثراً شديداً. لقد عَبَّرَ الفرع المحلي عن سُخطه بسبب شروط السَّلْمِ «المفروضة على الرِّيفيين» والتي «لا تساوي فقط استسلاماً لا مشروطاً في الواقع، ولم تتناقض فقط، في المبدأ، مع مبادئ حقوق الإنسان» بل «صيفتْ وثُمَّ التمسَتْ بها عَبْرَ انتهاكٍ فظيعٍ لِكُلِّ التزامات الحكومة الفرنسية وبالأخصَّ لبرنامج السَّلْمِ الذي تَمَّ عَرْضُهُ بِنَيْمٍ، في الحريف الماضي، مِنْ طرف الوزير بانلوفي. وقد شهِرَ عصبيو نيم في هذا الظرف بـ «الموقف الذليل للصَّحافة، حتى الدِّيمقراطية منها» ودعوا اللجنة المركزية «إلى عدم الاكتفاء من الآن فصاعداً بتحذيرات غير مُجدية» (381).

خاتمة

نزعة سلمية، معاداة للتزعة العسكرية أم تضامن مع الشعب الريفي؟

أية دلالة ينبغي منحها للتحريض الذي طَوَّرَ ضِدَّ حرب الرِّيف ؟ ماهي حوافز الحشود التي كانت تتجمع في اللقاءات وتُصَوِّتُ على بيانات مُستَنَكِرَة للسياسة الحكومية وشاغبة للعمليات العسكرية ؟ هل ينبغي ألا نرى فيها سوى احتجاج ضِدَّ الحرب، احتجاج لا يتضمن أي تضامن مع الشعب الريفي ؟ بالنسبة لأوساط اليسار غير الشيوعي، يبدو الجواب للوهلة الأولى سَهْلاً. فأولئك الذين ثاروا ضد الحرب، وهم اشتراكيون وتحرريون، مناضِلون في عُصبة حقوق الإنسان، أعطوا

378 دفاثر حقوق الإنسان، 10 فبراير 1926، ص 69 (اجتماع عمومي انعقد باليون في 30 دجنبر 1925) ونفسه، 25

فبراير 1926، ص 93 (قرار فرع شالون — سور — مارن تم تنبيه في 16 يناير 1926).

379 نفسه، 10 مارس 1926، ص 118؛ 10 أبريل 1926، ص 165؛ 30 أبريل 1926، ص 213.

380 نفسه، 30 أبريل، 213.

381 نفسه، 25 يونيو 1926، ص 305.

لتظاهراتهم مدلولاً سلبياً أساساً، مدّعوماً بالخطر، وبالنسبة للبعض بالنفور الذي كانوا يشعرون به تجاه العسكريين. لقد أظهر لنا تحليلنا، بالفعل، بأنّ مُشكّل شرعية عمّد عبد الكريم كان مطروحاً من طرف بعضهم، ليس فحسب بمناسبة انعقاد المؤتمرات أو اجتماعات الأجهزة القيادية، بل أيضاً على مستوى التّجمّعات المحلية، وفروع العصبة، والجمعيات البلدية. وفي حرائد الاقليم. لقد كان حق الشعوب في تقرير مصيرها مقولة لم يتمّ التّعنيم عليها تماماً من طرف التّقدّمات الأكيدة للفكرة الاستعمارية. لكن حتّى إذا كان فوضويو الهافر أو الليموزان، واشتراكيو الكالفادو أو الطارن، ونقاويو البوي — دو — دوم أو فينستير، قد اعترفوا للرّيفيين بحق الاستقلال، فإنّهم رفضوا أن يروا في عبد الكريم رمزا لارادتهم في الانعتاق.

من جانب الشّيعيين، يبدو الجواب أكثر تعقيداً. لقد تَحَقَّقنا مِنْ أَنَّ الحملة ضِدَّ الحرب كان لها بالنسبة لقيادة الحزب الشيوعي، محتوًى مُعادٍ للامبريالية، وأنها كانت تمنح حيزاً كبيراً لكفاح الرّيفيين، من أجل استقلالهم تحت حماية عبد الكريم. ولم يكن هذا التوجه مَوْضِع سؤال من طرف القاعدة، لكن تَمَّ تأويله تعالٍ للضرورات والانشغالات الخاصّة لكلّ فئة من المناضلين. فبالنسبة للشّيعيات الشيوعية، كان الكفاح ضِدَّ الحَرْب، قل كلّ شيء، مناسبة لتطوير تحريض عنيف معادٍ للنزعة العسكرية. وبالنسبة للنساء وقدماء المحاربين، كان الجانب السّلمي هو الذي يهيم ولا يَدْعُ سوى حيزٍ صغير للاعتبارات حول حق الرّيفيين في الاستقلال. أمّا بالنسبة لمناضلي الـ س.ج.ت. الوحدوية فكانت الحملة تدخل في إطار كفاحهم ضِدَّ السياسة الاقتصادية والاجتماعية للكارثيل. فقد كان يتمّ تقديم هذه الأخيرة على أنّها تُضَحِّي بمصالح العمال لصالح المجموعات المالية والصناعية. وقد جاءت عمليات الرّيف. المُطالاة بالرجال والمال، لتدلّ في نفس الوقت على هذه الأطروحة. لقد نبع تضامن البروليتاريا الفرنسية مع الرّيفيين في التحليل الأوّل من مصلحتهم المشتركة في وقْف الحَرْب، لأنّ هذه الأخيرة ليست قدراً. إنّها مقصودة من طرف الامبريالية التي تستغلّ الشّغاليين الفرنسيين وتُسعى لاختضاع الرّيفيين. فلدى الجميع إذن نفس العدو، لقد دَفَع تطوير هذه الفكرة بالبروليتاريين الى المُطالبة بالجلاء عن المغرب واستقلال الرّيف، لأنّ هذين معا هما شرطا سليم حقيقي، ولأنهما قمتان بتكريس هزيمة الامبريالية. وقد بدا تضامن البروليتاريا الفرنسية مع الرّيفيين وقتذاك ثمرة لتفكير سياسي، وتعميقاً للوعي الطبقي. فهذا تجاوزت ردود الفعل المستلهمة من طرف النزعة السلمية أو معاداة النزعة العسكرية دون أن تُناقضها وذلك بضمّها إليها. لكن لم يكن عليها التوقف عند ذلك؛ بل كان لا بُدّ من ترجمة القناعات الى أفعال : وذلك برفض الشغاليين المشاركة في صنّيع العتاد الحربي ونقله نحو المغرب، ورفض

الجنود قتال «إخوان» هم. لقد كان شعار التآخي نقطة انتهاء ذلك النداء إلى التضامن. وتطلّب تنفيذه نوعاً من الروح البطولية. فلم يتعلق الأمر بالتآخي، مع زارعي كروم غير مُسلّحين كما في 1907 أو كما في الرور مع ألمان سيلجين. فقد كانت الحرب دائرة بكل معنى الكلمة، وكان الجنود الشبان مدعويين للتآخي مع مقاتلين. من هنا الانتقادات العنيفة التي ظهرت في أوساط اليسار غير الشيوعي، ألا تُعتبر تلك الدعاية لا مسؤولة، و«إجرامية» حتى ؟ (382) لقد تآخى للقادة الشيوعيين بأن يُردوا بأن المُجرمين هم أولئك الذين يُجسّدون للقتل، وأن المُشكيل ليس في مبدأ التآخي، بل في طوقه. سنرى لاحقاً إن كان قد تمّ الانصات لهذا الشعار. ولنحاول في الوقت ذاته، فهم كيفية انعكاسه وتأويله من طرف المناضلين المكلفين بتفسيره للجماهير.

لنستمع إلى شيوعي شاب، وهو ميكانيكي سابقاً يفسر التآخي بأنه «ليس معناه الفرار للانتقال بالأسلحة والمتاع إلى جانب الرّيفيين. فهذا لن يعني شيئاً ولن يُجدي شيئاً (كذا). بالتآخي نعني، نحن الشيوعيين، بأن نيس لأحد من أبنائكم أو إخوتكم أو أقاربكم الذين يُرسّلون للقتال في المغرب عدو شخصي في صفوف أنصار عبد الكريم. وعليه، فلماذا محاربة هؤلاء، الذين لم يأتوا في حقنا بأي شيء. إننا لا نروم لهم شيئاً (كذا). إنهم أحرار ولهذا نمّد لهم أيدينا» (383). وإذا كان ذلك واضحاً جداً على مستوى التوايا، فإنه لم يكن جلياً تماماً على الصّعيد العملي، فهل تعلق الأمر بتوصية لرفض الطّاعة ؟ وضمّن أية ظروف بالضبط ؟ لقد قال شيوعي شاب آخر بأنه لا ينبغي انتظار لحظة القتال لرفض الطّاعة لـ «أن التآخي لا يعني الدّهاب للشّد على أيدي الرّيفيين» (384)، بل العكس، إنه منع الحرب من أن تستمر. وهذا الأمر مُوجّه خصوصاً للعمال لكي يمنعوا كلّ ترحيل للجنود والعتاد الخ، لكننا ننصح

- 382 نالسة للاشتراكي فالير، يعتبر التآخي مستحيلاً، في مواجعة «متعصبين يعدون الأسرى النصارى الذين يقعون في أيديهم ويشوهونهم بطريقة مخزية»، مناقشات المجلس العام للهوط - فيين، فاتح أكتوبر 1925، ص 408 أنظر أيضاً سيكست - كوراك في لافالك أوفير إي ياييزان، 29 عشت 1925، إ حاد في ليونفيل 18 يوليو 1925، لوليتور، 12 يونيو 1925. حتى السالك الاشتراكي لافار، رايو، الذي يصوت عالياً مع الشيوعيين، أكد بأن التآخي لا يمكن أن يقر أولئك الذين يمارسونه سوى إلى عمود الأعمدة، نيبا بنى الذين يصحون به مطمئن في سائرهم. AN F7 14175 (آلب - ماريتيم . اجتماع 17 أكتوبر 1925 نكال).
- 383 عاصرة ألقبت بأوريبا، في 13 أبريل 1926 في موضوع «لماذا تعادي الشيوعية الزعة العسكرية» AN F7 1341 (رسالة من وادي أرديش إلى وزير الداخلية في 16 أبريل 1926)
- 384 عبد دفاعه أمام محكمة حح بار - لو - دوك، في 19 أكتوبر 1925، عن شيوعيين متهمين بتحريض الجنود على العصيان، كان الأستاذ ساروت، معاون الأستاذ بيرون، قد صرح : «التآخي مع الرّيفيين معه، كما كان سابقا المحاربون بشدون، بين معركتين، على أيدي بعضهم بضد (...) إن هذا التآخي يعني : تعاهوا مع المحصور لوقف الحرب، ومن المحتمل أنه ستكون لنا، في مستقبل قريب، إمكانية وقف الحرب من طرف أولئك الذين يقومون بها»، AN F7 13177 (مور)

الجنود أيضاً، بالأّ يطيعوا رؤساءهم في بعض الظروف» (385). لقد حاول جنسيتي، وهو مسؤول شيوعي عن المنطقة التولوزية، توضيح هذه الظروف بقوله «أعني بالتّآخي، رفض إطلاق التّار، ورفض الرّحف، وفي البحر، رفض الذّهاب بتعطيل مُؤلّد البُحار. باختصار، كل فعل من شأنه المُساهمة في إيقاف الحرب» (386). وبمناسبة جولة للدّعاية في بروتاني، سعى مندوبٌ للقيادة الوطنية للشبيبات الشيوعية الى تبديد الطابع الدراماتيكي للوضع موضحاً «أن التّآخي لا يعني أنّه عندما يلتقي الجنود الفرنسيون والمغاربة ويأخذون في إطلاق التّار على بعضهم، يكون على البعض (كذا) أن يشرعوا في الرّقص وسط القتال». وصرّح البثال بفصيلة من مراقبي المناطيد مكّنها رفضها للطاعة من أن تظل محتجزة في بوردو، بعد أن تحشي الرّؤساء من أن يتكرّر هذا العنصران في المغرب، ثم تحتم: «لو أن كل الجنود كانوا فعلوا بِمثلها، لكانت حرب المغرب قد وَضَعَتْ أوزارها. أي جندي في المغرب مات لهذا السبب ؟» (387). وبالتّسبة لأنديري مارتي وشارل تيون وبصفة عامة بالتّسبة للجناح الشيوعي للبحارة والقُدّماء الذين حُكِمَ عليهم لتمرّدهم، ينبغي التّزام الواقعية: «عملياً، لا يمكن لسيرة أو فيلق أن يُؤاخي باللقاء السّلاح وفتح الأخطان لخصومه (...) فنحن الذين تمرسنا بتجربتنا، نرى أن هذا الفعل غير ممكن التحقيق، ما عدا في حالاتٍ خاصّة جدّاً». وأضافا: «التّآخي، معناه التمرد، أي الاعتقال الفوري والعزل عن الضباط وجواسيسهم. (...) والتّآخي ليس هو التخلي عن الأسلحة، بل الحفاظ عليها لاستعمالها من أجل حماية حقّ التّآخي، ورفض الطّاعة ورفض القتال» (388). هكذا أعطيا للتّآخي محتوى قريباً من ذلك الذي كان بعض فوضويي ما قبل الحرب الكبرى يُعطونه له. حتى قاموس تلك الفترة الذي استُعيِدَ من طرف خطيب من الـ س.ج.ت.الوحيوية C.G.T.U دعا الجنود الى «الاستسلام، وإذا أمروا بإطلاق التّار على الشّغالين الريفيين (أن) يدوروا على أعقابهم و(أن) يطلقوا النار على الذين أمروهم» (389). وفي الواقع يقود تحديد الشروط الملموسة للتّآخي مع الريفيين الى تحديد وضّح

385 خطاب التي من طرف الشاب دوكلير بـ ديهان، في 24 أبريل 1926، AN F7 13104 (كوط — دو — نور)

386 AN F7 13104 (هوط — غاروب: تقرير المفوض الخاص لتولوز أرسل من طرف وزير الداخلية الى وزير الحربية تحت رقم 3355، في 18 أبريل 1926).

387 AN F7 13182 (عرض الاحتجاجات التي قام بها جورج طوماس، مندوب الشبيبات الشيوعية لليس، بيون — لاني — كاسي، هيلكرا وديولزوني في أبريل 1926)

388 نص موقع من طرف كوسطاف شامال، عكوه عشر سنوات سحبا، ليون هوري، سبع سنوات، أنديري مارتي، عشرين سنة من الأشغال الشاقة، روجي رولال، عشر سنوات سحبا، شارل تيون، ثمان سنوات من الأشغال العمومية، ب. مورتوز، عشر سنوات سحبا، وولي، عشرين سنة. لومانيي، 13 فبراير 1926، (ص 4).

389 خطاب ألقى في اجتماع عمومي بتورنو، في 5 يونيو 1925، AN F7 13174 (ساوون — إي — لوار).

نوري، ويُذَفَعُ إلى تقدير علاقات القوّة داخل البلاد. لقد سمح الاضراب العام الذي قرره الحزب الشيوعي ضيقاً حُرِبَ الريف بقياس درجة نضالية الطبقة العمالية ومقدرتها على فهم متطلبات التّأخي (390).



في الأخير، لم تلتقط رغبة البروليتاريا الفرنسية في تأكيد تضامنها مع الريفين، إلّا من طرف أقلّيّة. ومن غير الممكن إغفال هذه الأخيرة. يبقى أن نتساءل عن التّبعات العملية لهذا التحريض : على العمليات العسكرية، وعلى المُناضِلين ضحايا القمع كما على التّقاش الدّائم داخل الحزب الشيوعي والمتعلق بسياسته المغربية.

الفصل السابع

اليسار الفرنسي وحرب الريف (تابع) تبعات الحملة الشيوعية

الأثر على العمليات العسكرية

استهدف التحريض الشيوعي بسعيه إلى خلق حركة تضامن لصالح عبد الكريم في أوساط الجماهير، التأثير على سياسة الحكومة، وفي التحليل الأخير، تعديل مجرى العمليات العسكرية لصالح الريفين. هل ظل تدخل الحزب الشيوعي الفرنسي محصوراً في إطار الدعاية ؟ هل امتد إلى تحريض أعاق لإرسال العتاد والوحدات العسكرية إلى المغرب ؟ وإلى أي حد يمكن الحديث عن مساعدة فعلية قَدَّمَهَا الشيوعيون لعبد الكريم ؟ تبدو الوقائع هيا مدتبطة بتاريخ الأسطوري بشكّل وثيق. وتفسر الصعوبة التي لاقها الطبقة السياسية حينئذ في الفصل بينهما، إلى حد ما، بردود فعلها تجاه عبد الكريم وبصفة عامة تجاه الحركات الوطنية لأفريقيا الشمالية. ولم ينج اليسار الفرنسي من هذا الاضطراب.



التحريض في الشكّات ولدى البحارة

لم تكن الدعاية الشيوعية في اتجاه الوحدات العسكرية مفاجئة للحكومة. ففي نهاية 1924، انشغل وزير الداخلية بالتكوير المحتمل لبعض الخلايا داخل الجيش والبحرية وذكرّ ولاية المقاطعات بأن عليهم، التنسيق مع السلطات العسكرية، وذلك للحفاظ على اليقظة القصوى تجاه التصرفات المعادية للنزعة العسكرية⁽¹⁾. وقد دأبت صحافة اليمين، على التشهير

ملكرة 11 دجنبر 1924 (غير مرقمة)، موقعة من طرف شوتول. لقد عثرا على نسخة منها في A.D. حيروند 1 M

دوريا بالتحريض الشيوعي في مختلف الوحدات الميتروبوليتانية، وكانت عمليات الرّيف مُناسِبةً لها لكي تُضاعف الاتهامات. وغالبا ما كانت هذه الأخيرة مبالغاً فيها، حسب التقارير الصّادرة عن الوّلاة (2)، وحتى المُختلّقة (3). لقد تَمَّت الإشارة، في الواقع، الى مجهود كبير للدّعاية في عدد من الحاميات الميتروبوليتانية (4). لكن لم تفض هذه الدّعاية فيما يبدو الى تحريض ذي بال مُوجّه أساساً ضدّ حرب المغرب. إننا نتوفر على قائمة كرونولوجية لـ «العقوبات المتخذة ضد العسكريين الذين استسلموا لأفعال إثارة تحث على العصيان أو على الدّعاية الشيوعية» بين يناير 1924 ومايو 1927 (5). وبشكل ملموس لم تتعد القرارات الصّادرة بين مايو 1925 ومايو 1926، وهي الفترة التي كانت فيها كثافة الحملة ضدّ حرب الرّيف في ذروتها لا في العدد ولا في الجسامّة، تلك التي اُتخذت قبل الهجوم أو بعد استسلام عبد الكريم. فقد كان التحريض الذي أثارته عمليات المغرب ينعرج في الواقع، في فترة واسعة من معاداة النزعة العسكرية، دُشنتها الحملة ضدّ احتلال الرّور واستمرت، بعد 1926، بالحملة ضدّ التدخل في الصّين وضدّ المُلّوان الذي كانت تُحضّر له الامبريالية، حسب الحزب الشيوعي الفرنسي، ضدّ الاتحاد السوفياتي. وتستند العقوبات المُتخذة من طرف السّلطات العسكرية على ثلاثة أنواع من الجنب حيازة أو توزيع منشور أو جرائد شيوعية وحضور اجتماع شيوعي ودّعاية معادية للنزعة العسكرية. وتتراوح العقوبات من خمسة عشر يوما الى شهرين سجنًا، بينما كان يُحكم على جنود جيش الرّاين، لنفس الأفعال، بِمُدّة تصل حتّى الى عشر سنوات سجنًا. إذ لم يكن للتحريض داخل الوحدات العاملة خارج الحُدود

- 2 انظر AN F7 13174 (موز — رسالة في 6 يونيو 1925). توضح مذكرة للجنة المركزية لشهر ماي 1926 «قواتنا داخل النكتات» بأن الحرب الشيوعي يعرف على 75 خلية و70 «ارتباطا» (شيوعي واحد) في الحاميات الميتروبوليتانية. أرشيفات معهد موريس — طوير — السلسلة 177.
- 3 A.D. للهوط — فيين، IM 169 (الحرب الشيوعي، 1924 — 1925).
- 4 لوحظ حضور الماشير والجرائد الشيوعية وكلتا الصّاق الاعلانات الصّغيرة سنة 1925.
 - من 16 مايو الى 15 يونيو : في 18 حامية، من بينها ثلاث مرات في حامية بوردوا
 - من 16 يونيو الى 15 يوليو : في 27 حامية، من بينها مرتين في ست حاميات (أراس — كالي، كليرمون، فيوان، مولهو، رين وسون).
 - من 16 يوليو الى 15 غشت : في 8 حاميات
 - من 16 غشت الى 15 شتنبر : في 12 حامية.
 - من 16 شتنبر الى 15 أكتوبر : في 8 حاميات.
- 5 حسب عروض الّلاء ومفوضي الشرطة AN F7 13173 الى 13178.

إن هذا الكشف، المردخ في 24 مايو 1927، ملحق برسالة لوزير الحربية الى وزير الداخلية، وهو لايهم القوات المحركة في شمال الهيفيا. AN F7 13099.

نفس الدلالة. إن الصحافة الشيوعية نفسها لا تُخطئ في الأمر. فنادرة هي الحوادث التي أشارت إليها وكانت ذات علاقة بحرب المغرب (6).

أما مقارنة «تمردات» بحارة الكورني والستراسبورغ والبروفانس، التي وقعت في الأيام الأولى من صيف 1925، فإنها تتطلب تبصراً ودقة كبيرين في التحليل. لقد كانت لهذه التمردات، قبل كل شيء، دلالة معادية للنزعة العسكرية الكلاسيكية، وقد عرّضتها لومانيتي بدقة: لقد كان الاحتجاج على التوعية الرديئة للطعام وموقف الضباط يفسّر سلوك البحارة (7). وتعتبر حالة الستراسبورغ خاصة: فبعد أن أُرست في مرسى طنجة تلقت الأمر بالتحرك للذهاب من أجل قصف المواقع الريفية في آجدير، فاعترض البحارة على ذلك (8). ولا يسمح غياب مصادر للخبر بتقييم كامل لهذه الوقائع التي صرح وزير البحرية بأنها «حالات معزولة»، و«مبالغ فيها بشكل إرادي» (9). وسوف تعطى دعاية الحزب الشيوعي حجماً مشوشاً. لكن كيف لم يسارع شيوعيون علموا بأن تمرد البوطمكين له أيضاً أصل غذائي، ويشعرون بتقارب كبير مع تأثير البحر الأسود، إلى تعظيم حركة البحارة؟ (10).

إرسال التعزيزات إلى المغرب

رغم شعار الحزب الشيوعي، المردد بشكل علني في مناسبات عدة، والمتعلق بضرورة مقاطعة صنع ونقل العتاد الحربي الموجه للمغرب (11)، لم يتم تسجيل من طرف السلطات

6 «في 21 مايو، ذهب 600 عنده من الفياق 31 و 41 من ثكنة روبي إلى المغرب. وقد عرف السفر بعض الحوادث. فعد كل توقف للقطار، كان المهندسون يشعرون الأهمية وعبد إقلاصه من حديد يصبحون: «لننسط حرب المغرب! عاش الريفيين!»، لومانيتي، 27 مايو 1925 (ص 02) إنه لذ دلالة كون تاريخ الحزب الشيوعي الفرنسي، المنشور من طرف الحزب في 1964 يستشهد من حديد هذا المثال الوحيد (ص 164). وفي مقال أندري فيرا «مرعنا البلشفية المعادية للروح العسكرية، القوة الوحيدة للسلام»، المنشور في المجلة الشهرية لاجوريس كومينست، عدد 1، يوليو 1927، في AN F7 13183 يؤكد هذا الأمر بأن فيال عديدة تظاهر تنب؛ لكما لم نمر على شيء في الأرشيفات المقاطنية للكار.

7 لومانيتي، 4 يوليو 1925 (د رونو)

8 نفسه، 10 يوليو 1925.

9 نفسه، 14 يوليو 1925.

10 إن كامي فيحي بالأخص هو الذي أعطى، في عروض لومانيتي التي حصصها لمحاكمة الملاحين، بعدا سياسيا للتمردات: انظر 24، 26 و 28 غشت، فاتح 3 و شتنر 1925. انظر أيضا مقالات لافان كارد المتميزة حريا عن

لومانيتي، 16 — 31 يوليو 1 و 15 شتنر 1925، ومقالات لاكازون، 20 يوليو و 5 شتنر 1925. إنه ليس الوحيد. فولوبوتير، دون أن تتلفظ بكلمة «تمرد» تعتبر المشاركة في صنع الأسلحة والدخول بمثابة «غدر». «الإنبي لأي عامل حدير هذا الاسم أن يتواطأ، يعمل يومي، في الجريمة المغربية»، 23 مايو 1925 (م ثورو).

المدينة أو العسكرية لأي عمل مقاطعة. لقد رجحت السلطة المركزية الولاية بأن يطلبوا شخصا من مديري جرائد مقاطعاتهم أن يعدلوا عن نشر البيانات المتعلقة بالوحدات والعتاد الموجه للمغرب «باسم المصلحة الوطنية» (12). كما دعي المفوضون الاستثنائيون لدى المراكز السككية الكبرى الى مراقبة العناصر المشبوهة، وخاصة السككيين الشيوعيين الذين يمكن أن يسعوا الى تأخير إرسال العتاد بجعله يأخذ وجهة أخرى (13). ومع ذلك، لم يسجل أي حادث.

لقد كان ترحيل الجنود باتجاه المغرب يشغل بال الحكومة. وقد أقرَّ حَقًّا مَضْنَج بعض مفوضي الشرطة. ها هو مُفَوَّض بوردو يبعث بتقرير هذيانى الى الأمن العام حول التكتيك الذي نسبته في ذلك الظرف للحزب الشيوعي. ويتضمن هذا التكتيك، كما أكد ذلك أربع مراحل : 1. عملية توزيع منشور واسعة؛ 2. ولأن الحزب الشيوعي يتوقع عرقلة قوى الأمن، سيأمر المناضلين الذين سيُعتقلون بأن يتفادوا دون مقاومة الى المركز؛ 3. حينئذ ستقع مظاهرة أمام المَقْصُوفِية، أو البلدية أو المحكمة، لكن ستكون مجرد مناورة للالهاء، 4. في نفس الوقت، سيهاجم مناضلون آخرون مركز الشرطة حيث سيُحْتَجَزُ المناضلون المعتقلون ! (14). وفي الواقع، باستثناء حالتين قام خلالهما بعض البحارة القدماء بتوبيخ العسكريين داعمين إياهم الى عصيان ضَبَّاطِهم (15)، فإنَّ الترحيلات العديدة التي تَمَّتْ من بوردو لم يمتقها أي حادث (16). وقد أقرَّ بهذا المُفَوَّض الاستثنائي والوالي (17). وبالرغم من أن

- 12 مذكره الأمن العام في 13 مايو 1925. AN F7 13413.
- 13 لقد ذكرت إدارة الأمن العام الأساليب الممكنة استعمالها. تغيير الكتابات، تعديل الياقات، ربط العزمات بقطارات أخرى تسير في خطوط مغايرة. نفسه، (مذكره 18 يوليوز 1925).
- 14 AN F7 13176 (حبرود، تقرير، المفوض المركزي لبوردو عن التكتيك المقرر من طرف الحزب الشيوعي في حالة ذهاب الجنود، 2 يوليوز 1925).
- 15 في إحدى الحالتين، طلب الملاح المحبوس، الذي اعتبره والي مناضلا شيعيا، أن يتلقى زيارات سكرتيرين للنقابة الكونفدرالية للمسحليين المحررين «اللدان باضلا دائما ضد النقابة الثورية للملاحين»، A.D حبرود 1 M 404.
- 16 ذكرت السلطات المحلية الترحيلات التالية مشيرة إليها باعتارها تحت ذنب حوادث * في 1925، 16 يونيو؛ 11، 9، 7، 2 و 18 يوليوز؛ 10، 18، 20 و 22 عشت؛ 2، 5، 15، 17، 24 و 30 شتنر؛ 8 أكتوبر؛ 20 و 30 نونر؛ 11 دجنر؛ في 1926، فاتح و 2 و 11 مارس، 11 و 21 أبريل؛ و 20 مايو. كما تمت الإشارة أيضا في ترحيلات الجنود العالدين من المغرب، دون أن تنجم عنها مظاهرات، 21 دجنر 1925 و 15 و 24 مارس 1926. AN F7 13173 و 13176 و 13413.
- 17 «إن ترحيلات الجنود واللذخيرة صوب المغرب قد تمت حتى الآن دون حادث، ولم يتم القيام بأية محاولة للدعاية إزاء الجنود، ولا لعرقلة ترحيلات العتاد واللذخيرة» A.D حبرود 1 M 363-2 (تقرير 4 شتنر 1925). نفس الإشارة في تقرير 4 بوردو 1925.

المعلومات المتعلقة بمحطات الترحيل الأخرى أقل اكتمالاً، فلا يبدو أنه وقعت مظاهرات فعلية بسبب نقل الحنود والعتاد الذي تم من الماهر، ولوريون، وروشفور، ومرسيليا (18)، أو وهران (19).

شبكات الغاية الشيوعية نحو المغرب

كانت الدعاية الشيوعية باتجاه المغرب شبه منعدمة قبل 1925. ففي سنة 1924 وضحت التقارير الشهيرة للحماية (20) التي تُلجُّ على ضرورة حماية البلاد من «العدوى الخارجية» بأن تلك الدعاية توشك على التغلغل داخل الامبراطورية الشريفة عبر قنوات الجرائد التونسية (21) أو الجزائرية (22). فقط ابتداء من الشهور الأولى لسنة 1925، نعتز على أثر إرسال منشور من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي (23). وقد وجهت هذه المنشور سواء إلى مغاربة (24)، أو إلى عسكريين فرنسيين مُرابطين في الحماية (25). إن النص الوحيد لهذه الفترة الذي عثرنا عليه، وهو ذو استلهم معادي للنزعة العسكرية وميل في غاية الكلاسيكية، ينتهي على هذا النحو: «لن تزحفوا ضدّ عدد الكرم والرفيعين الذين يدافعون

18 لاحظ ريك، مسؤول المنطقة المتوسطة، أمام اللجنة المركزية للحزب ضعف ردود فعل السكان: «في مرسيليا، يوجد الحيد على بعد عدة كيلومترات من المدينة، ورغم العمل الدؤوب جدا الذي يقوم به الرماق في الماهر، فإنه يحدث أن يذهبوا إلى المغرب دون أن يكونوا قد تعرضوا للتأثير. يلزم أن تفهموا أيضا وصعوبة حدي أثرتا فيه قبل أن يذهب، وقمنا بإراءه مدعاية حيدة، والذي لا يند، في لحظة الرحيل أية مظاهر من حاسب المدنيين، على الرصيف، نحاسه، أوشيفات معهد مونس — طوريز، السلسلة 142، عصر اللجنة المركزية الموسعة أيام 6 — 8 أبريل 1926

20 التي يلاحظ ج. كرماديلس بصدها بكاء بأنه مادامت قد كانت «خصوصية وسرية»، فإنه لم يكن لديها أي سبب يجعلها تخفي رجوعا شيوعيا محتملا في المغرب لو أن هذا الوجود تم كشفه»، مشار إليه سابقا، الجزء الأول.

21 تقارير شهرية للحماية، فبراير 1924.

22 «إن لوطري ديبون، الجريدة الشيوعية للجزائر العاصمة، المنوعة أحيوا في المغرب، لما قرأه حتى في بلاد سي مطر، بين الموظفين الأهالي الشاب» نفسه، مايو 1924.

23 لقد عثر ج. كرماديلس على أثر ثلاث سلاسل لإرسال الماشير في مارس وأبريل 1925، مشار إليه سابقا، ص 204 — 205.

24 هذه الماشير وجهها لوطري إلى باريس في 2 أبريل 1925، فأحمر بها رئيس الحكومة التي براول مهام وزير الشؤون الخارجية فوراً الداخلية. AN F7 13171. لقد عثر كرماديلس على نفس الماشير موجهة إلى بعض الفرنسيين في فاس

ومكاس وكذا إلى بعض المعاربة في حرسيف وسطا، مشار إليه آفا، ص. 205
25 SHA MAROC FES AI 530 3715 4، آلة الألى العام للرباط، رقم 2290 في 26 فبراير 1925

عن استقلالهم وحققهم في تقرير مصيرهم (معاهدة فرساي). إن عمّال وفلاحى فرنسا يعملون من أجل عودتكم الى البلاد وهم ضدّ كلّ الحروب» (26). لقد كانت الشّروط التي انتقلت ضمنها هذه المناشير نحو المغرب موضوع تحريات، سواء في باريس أو في الموانئ المتوسّطية، وخاصة في مرسيليا، وقد اعتبر أخذهم، يُسمّى جان — بابتيسست سالومي، ويُدعى جان — «عين موسكو» حسب الشرطة — هو الذي يُنظّم نقل مُعدّات الدّعاية الشيوعية نحو إفريقيا الشمالية وسوريا (27)، بواسطة بحّارة شيوعيين أو متعاطفين (28).

كانت السّلطات إذن في حالة استنفار. وكانت العلاقات المباشرة التي رغب الشيوعيون في إقامتها مع المغاربة مُراقَبة على نحو مُشدّد (29). لقد قرّر الحزب إرسال لجنة للتحرّي وجعل المؤتمّر العمّالي للمنطقة الباريسية يحتفي بالاقترح. وكان على هذه اللجنة أن تؤكد للسّكان المغاربة تعاطف عمّال وفلاحى فرنسا ورغبتهم في العمل من أجل سلّم فورى مع الرّيفيين. لكن البعثة التي كان يقودها دوريو (30)، واجهت صعوبات في الأبحار على ظهر

26 مرسل بواسطة الرسالة المشار إليها.

27 A.D. — بوش — دو — رون، M 6 10802 (رسالة 7 نونبر 1925 من المفوض الخاص لمرسيليا الى مدير الأمن العام). إنه سيحوض برنار كرانسيرغ، المسمى جاك، ويبدو أن هذا الأخير كان منتدبا من طرف الأمانة الثالثة حسب كرماديلس، الذي يستند الى بطاقة معلومات للمصالح المختصة، مشار اليه سابقا، الجزء الأول، ص 112.

28 لم يتم تقديم أي مثال من طرف شرطة مرسيليا يدعم هذه التأكيدات، إن لم تكن قضية باناتولوي. فهذا الأخير، الذي كان نوبيا على ظهر تارودانت، اعتقل بوهران في 3 دجنبر 1925، حاملا لطرود كانت قد سلمت له في مرسيليا وتتضمن 219 «إعلانات» مطروقا لمد الكرم كان عليه أن يسلمها الى تاجر بوهران. ولم يفض التحري الذي تم القيام به الى أية نتيجة: فالسمى باناتولوي، الذي يتمتع «بسمعة طيبة على جميع المستويات»، لم يسبق له أن تورط أبدا في أية حركات سياسية أو نقابية. A.D. بوش — دو — رون، M 6 10802 (إثابة قضائية لقاضي تحقيق وهران بتاريخ 14 دجنبر 1925 ومراسلة رقم 4107 و 4116 لمفوض شرطة مرسيليا في 30 دجنبر 1925). يبدو لنا منطوقا أن شكايات تفض ملاحق قد استعملت من طرف الحزب الشيوعي. لذلك، لا يمكننا أن نمنح الثقة لكل معلومات المصالح المختصة التي لم تستند، في معظمها، الى أية واقعة واضحة.

29 أرسل الأمن العام الى والي بوش — دو — رون نسخة من رسالة موجهة الى شيوعي من روين من طرف جان كوييف، أمين صندوق النقابة الاتحادية للسجلين البحريين لهذه المدينة. فقد أراد هذا الأخير، الذي كان يوجد بطريقة عابرة في مرسيليا، الأبحار على ظهر سفينة كانت تنقل الجنود الى المغرب: «هناك ما يمكن فعله، كتب يقول، فقط ينبغي الانتباه، فالشرطة كثيرة حتى على ظهر الباطنة». الأرشيفات المقاتلية، بوش — دو — رون، M 6 10802 رسالة رقم 5288 في 27 يونيو 1925). ويبدو أنه بلغ قصده، لأنه يذكر، في مارس 1926، خلال لقاء نظم بهورودو، بسفر قام به من مرسيليا الى المغرب، على ظهر سفينة كانت تنقل 1500 جنديا. لقد أكد بأن بعض الجنود أنشدوا الأُمّية بصحبة كبير بحضور جنرالين و 150 ضابطا وأن هؤلاء لم يتمكنوا من منع هذه المظاهرة. AN F7 13104 (حيرويد)، محضر الاجتماع العمومي في 27 مارس 1926).

30 في الأصل، كان على المهمة أن تضم سبعة أشخاص، أي برلمانيا واحدا (شيوعيا)، وامرأة (شيوعية) وشيوعيا شابا، باشتراكيا، وعضوين من س.ج.ت. الوحدوية، عضوا واحدا من ال.س.ج.ت. ولم يتمكن الاشتراكي وأحد «الاتحاديين» الآخرين من الذهاب، كما عرضت لومانيي في 4 أكتوبر 1925، دون أن تعطي مع ذلك الترتيب المضبوطة للجنة. إننا

باخرة متوجهة الى المغرب، وكان عليها أن تُغَيَّر، خلال مرّتين، تخطّ سيرها قبل أن تتوجّه الى وهران. وهناك، صار عليها أن تكتفي بالبقاء في القرب الجزائري. هذا ما أفهمها إياه رجال البوليس الذين تعقبوها انطلاقاً من مرسيليا. وقبل ذلك ببضعة أسابيع، كان ذرّك تلمسان قد اعتقل بيير فرناند، عضو هيئة تحرير لومانيي، في اللحظة التي كان يُعبّر فيها الحدود المغربية رفقة فرنسي آخر وريفيين (31).

المساعدة الشيوعية لعبد الكريم

لقد روينا بتفصيل، من جهة أخرى، الاعتقال المتبوع بالطرد من المغرب الذي تعرض له بعض المناضلين المشبهين بكونهم شاركوا في دعاية شيوعية لصالح عبد الكريم داخل الحماية. هل ينبغي المُضَيّ أبعد من هذا؟ هل يجب علينا أن نعتبر بأنه بالرغم من غياب تنظيم قويّ منغري في إفريقيا الشمالية له نقط اتصال في المغرب (32)، بذلّ الشيوعيون الفرنسيون مُساعدة مباشرة للرّيفيين، سواء بمُدّهم بأسلحة و تجهيل مُدّربين عسكريين تحت تصرّفهم، أو بإثارة حركات تأخّي في جبهة المُحاربين؟ للإجابة عن هذه الأسئلة، وخاصةً السؤال الأول، نتوفر على ثلاثة مصادر للمعلومات ذات قيمة غير مُتساوية: مُذكرات المصالح المُختصة، نُصريحات القادة السياسيين الفرنسيين، والتقارير المُنتجة من طرف العسكريين المُرابطين في المغرب.

يعرف هذه الأخيرة بواسطة برقيات المفوض الخاص لمرسيليا: وتضم دوريو، هنري داري، فيلكس لودرو من م.ح.ت، ألير جوريف، أنطونان دويرا ولوسيان ماران. AN F7 13090 (برقية 29 عشت 1925) 13175 (بوش — دو — رول، برقية 30 غشت 1925).

31 يار فيوان، من مواليد الجزائر في 1898، سكيكي سيدي لمارس، وهو ماضل شيوعي وتقالبي. بعد أن طرد في 1924، تم ضمه الى هيئة تحرير لومانيي. وقد ربط علاقة مع أحدهم يدعى حويما، وهو رجل أعمال له نزاعات في المغرب مع شركات زراعية تدعمها الإقامة وأنى يطلب من لومانيي أن تقوم عملة لصالحه! لقد اقترح عليه حويما أن يشركه في شؤونه؛ فقبل فيوان من حيث المبدأ وطلب عطفة من حريته للذهاب الى الجزائر. وهناك التقى من جديد في فاتح يونيو 1925 حويما الذي كان، قبل ذلك، قد وكل من طرف مجموعة مالية لكي يحصل من عبد الكريم على تارلات مسحية. وقد اعتقلا بمنغية، رفقة اثنين من الرّيفيين كانوا عائدين الى البلاد بعد أن اشتعلا كحصادين في المنطقة الورهانية. حسب محضر استمطار فيوان من طرف الشرطة القصصية لتلمسان، بتاريخ 13 يونيو 1925. AN F7 13188.

32 «في مكشأ أن نعمل نهاية حرب الريف لصالحنا، أكد دوريو أمام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، لو في إمكاننا أن نوسع عملنا في شمال إفريقيا حيث كان سيكون لدينا قيادة وحيدة لمجموعة المنطقة (...) ثلاث قيادات (توس)، الجزائر، وهران) ليست في صالحنا تماماً». أرشيفات مههد موريس — طويرق — السلسلة 94، (محضر اجتماع اللجنة المركزية لـ 19 شتنر 1925).

وجهة نظر المصالح المختصة والتصريحات الحكومية

لقد جَهِدَت المصالح المختصة لتأكيد أطروحة مساعدة أجنبية قوية للرفيين. وفيما يتعلق بالتدخل الشيوعي اتهمت الأهمية مثلما اتهمت الحزب الفرنسي. لقد دأبت دوريا على نشر وثائق صادرة عن الكومنترن. هكذا تدعو رسالة بعث بها السكرتير العام للجنة التنفيذية للأهمية الشيوعية الى رئيس الفرع المناهض للاستعمار في 3 يناير 1925 هذا الأخير الى التفكير في إنشاء فرع خاص يكون عليه «دَعْمُ الحركة الوطنية في المَغْرِبَيْنِ معا» (33). وفي تقرير لزيروفيف نوقش في 31 يناير، يبدو أن هذا الأخير قد اعتبر اللُحْظَةَ مواتية للعمل في المغرب : «إن عبد الكريم بسرعة فلا يزوجه ولي آخر ولا القاضي إلا لعارض، لأن أباها بمنزلة الحاضر في البلد انقطع خيره فلا يزوج القاضي بنته إلا بعد إثبات سبب ال، وستؤدي هذه الهزيمة الى تغييرات داخلية في اسبانيا، منها سقوط الحكومة والنظام الملكي. وسيخلو الجو حينئذ لموسكو لتركز عملها ضد فرنسا. فَيَدْعُونَا، أضاف زيروفيف على ما يبدو، سيخلق عبد الكريم بإعلانه الحرب تعقيدات خطيرة لفرنسا. إنه أحد المُوَهِّلِينَ المُهِمِّينَ الذي تتوفر عليه ضيّد هذا البلد وستستعمله» (34). وفي 12 مايو، يبدو أن رئيس الأهمية قد كَتَبَ أيضاً : «إن وكالة الفرع العسكري للجنة التنفيذية مُزَوَّدَةٌ بأعوان أكفاء ومُعَدَّاتٍ دعائية للتأثير الفعّال (كذا) على القبائل المتمردة. لقد دَخَلْنَا في اتّصال مع القيادة العليا للمتمردين وعملنا في الجبهة في متبى التنظيم» (35). إن مصادقية هذه الوثائق مشكوك فيها، هذا أقل ما يمكن أن يُقال (36)، لكنها مُبْلَغَةٌ على سبيل «السّر»، وانتشارها مُنظَّمٌ بِحَرَصٍ كبير، سواء بين

33 AN SOM Aff.polit.2415 (ملكرة حول الدعاية الثورية التي تم بلدان ما وراء البحار، 30 أبريل 1925).

34 نفسه.

35 AN F7 13413-1، ملكرة الأمن العام لـ 15 يونيو 1925، تقدم «ترجمة وثيقة موقعة من طرف زيروفيف»، إن هذه الوثيقة التي مرجعها «اللجنة التنفيذية للأهمية الثالثة، الفرع الاسلامي، موسكو — الكرملين، 12 مايو 1925، رقم 7816/426» موجهة «الى المكتب المركزي الأجنبي للفرع الاسلامي بولن مع نسخ الى فرع المديرين بباريس وإلى الرقيق درويك بقسطنطينة».

36 إن الوثيقتين الأولين ليومي 3 و 31 يناير 1925 مقتطفتان في الواقع من تقارير أو تصريحات مسوبة الى زيروفيف وتوجد في ثنابا ملكرة للمصالح المختصة ثم إعدادها خاصة استنادا الى معلومات مرسلة من طرف «مصلحة الاستعلامات لقوة أجنبية»؛ ويتعلق الأمر احتمالا بمصلحة الاستعلامات الأسبانية. بخلاف ذلك، تم تليغ نص رسالة 12 مايو 1925 من طرف المصالح، لكنه استيعب هامشا خطيا من ديوان مدير الأمن العام الذي وضع : «تبدو (معددة عليه في النص) هذه الوثيقة مضبوطة، لكنها لا يمكن أن تكون بعد صحتها : سيتم إجراء أبحاث بهذا الصدد». في العمق، نجعلنا لفرقتان من هذه الرسالة لفكر في معدة. فزيروفيف يطلب من مراسليه إقامة «صلة مع صحافة المهاجرين البيض لاثارة حملة دفاع عن الجنود والضباط الروس الذين يهلكون بالآلاف في الميادين المغربية». من جهة أخرى ينصحهم بأن يتصرفوا «بحذر، جاعلين الموضوعين وصحافتهم». في المقدمة.

هيات تحرير بعض الجرائد أو في الأوساط البرلانية (37)، ولم يتردّد بانلوفي في قراءتها من أعلى منصة المجلس (38). لقد ورّطت المصالح المختصة الحزب الشيوعي الفرنسي مباشرة في تنفيذ المساعدة المبذولة لعبد الكريم. ويختلف اختيار المركز حيث نُحِزَت المُعَدَّات المُوجَّهة للرّعيم الرّيفي حسب المُجَبِّرين. لقد تمت الإشارة في الغالب إلى مرسيليا (39) ولكن أيضا إلى نيس وكورسيكا (40) أو حتّى تولوز (41). غير أنّ تَوَرَّع المساعدة بالضبط لم يوضَّح دائما. هل تعلق الأمر بإرسال أسلحة أو حتى مقاتلين للقبائل المتمردة كما تؤكد ذلك لاليري؟ لقد أجاب والي الـ بوش — دو — رون، عندما سُئِلَ من طرف وزير الداخلية بأنّ المعلومات المُعطاة من طرف هذه الجريدة هي إمّا مغلوطة أو مستحيلة المراجعة (42).

في الواقع، كانت الاتهامات الأكثر وضوحاً والمتعلقة بالتدخل الأجنبي في الرّيف، تستهدف الإنجليز والألمان، أساساً. فقد اتهمت المصالح المختصة الأوائل على الخصوص بتسليم الأسلحة لعبد الكريم (43)، واتهمت ألمانيا بإرسال عددٍ مُذهِل من المُتدربين العسكريين (44). كما أن تواطؤ الشيوعيين مع الألمان والأتراك كان موضوعاً لبُعض المُذكرات (45). فالرّيف كوميتي، وهو جهازٌ يُسيروه بريطانيون، يتضمّن بين أعضائه، حسب تلك المُذكرات، عناصر

- 37 مذكرة الأمن العام لـ 15 يوليو 1925، المشار إليها سابقاً.
- 38 لقد قرأ رئيس المجلس نص التصريحات المسبوبة إلى زيريف في 31 يناير 1925، والتي أشرنا إليه أعلاه. ولم ينفى إليها ولم ينقص منها كلمة واحدة، دون أن يقول طعناً بأن الأمر يتعلق بوثيقة للمصالح المختصة. مناقشات المجلس، جلسة 23 يوليو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2759 — 2762. وبعد أن أكد دوبو بأن الأمر يتعلق بوثيقة مزورة (نفسه، ص 2765) أكد بانلوفي بأن النص الذي قرأ مقتطف من عرض جلسات اللجنة التنفيذية للأمية الشيوعية، دون أن يعطي مرجعه (نفسه، ص 2780). خلال ذلك، صرح رونوديل: «أريد أن أسلم بأنّ منها (الوثائق) ما يمكن التشكيك في صحته. إنني أشير إلى خطاب زيريف، بالرغم من أننا إذا استغنيا المصادر، فإنه لن يصعب علينا العثور على نصوص لزيريف ولقادة آخرين للأمية الثالثة تتضمن التعليمات التي أشرت إليها بالضبط وهي مشابهة بالخصوص لتعليمات هذه الوثيقة التي سميتموها مزورة»، (نفسه، 2778).
- 39 A.D بوش — دو — رون، M 6 10803 (رسالة وزير الداخلية لـ 4 أبريل 1925) AN F7 13413-1 (مذكرتا 6 يونيو و 23 أكتوبر 1925).
- 40 AN F7 13413-1 (مذكرتا 21 مايو و 9 يوليو 1925).
- 41 يفضل استعماله من أجل العمل في المغرب الأساني مذكرة حول الدعاية الثورية التي تبهم بلدان ما وراء البحار لـ 30 1925، المشار إليها سابقاً.
- 42 AN F7 13413-2 (رسالة رقم 421 في 13 فبراير 1926).
- 43 عن النشاطات المنسوبة إلى كوردون كانينغ، غاردينر و Riff Commitee، أنظر الأرشيفات العسكرية (مثلا SHA VM E 24) وكذا أرشيفات الشرطة (مثلا AN F7 13413 و APP BA 1678)
- 44 أنظر SHA VM E 24 (رسائل ومذكرات مختلفة)
- 45 AN F7 13413.

شيوعية⁴⁶، حتى أن دوريو نفسه، اعتبر الأمر من جهته واقعاً وهماً نفسه أمام اللجنة المركزية على هذا التعاون بين «رفاق شيوعيين، ورأسماليين»، لكن دون أن يكون قوله مقنعاً جداً⁴⁷. وأمام اللجان البرلمانية، ألهم مسؤولو السياسة الفرنسية أيضاً المساعدات الأجنبية التي يستفيد منها الريفيون، لكن بطريقة أكثر إثارة، ولم يكن أمامهم أن يصدقوا حرفياً كل معلومات المصالح المختصة التي أتينا على ذكرها. ومع ذلك، كيف كان بإمكانهم ألا يتأثروا بتواترها ؟ فقبل الهجوم، اقتصر هيرو على الإشارة بأن عبد الكريم «مدعوم بتعزيزات بالمال أو السلاح، آتية في جانب منها من إنجلترا وفي الجانب الآخر من تركيا. لقد تلقينا، في هذه الأيام، ختم قاتلاً، معلومات في متبى الدقة»⁴⁸. بعد أشهر من ذلك، كان بانلوي أقل رزانة في وصفه لبطانة الزعيم الريفي : «عصابة من أولئك الذين سميتهم باللامأجورين : ضباط الجيوش الألمانية، والروسية والتركية، ووطنيين مصريين. إننا نجد هنا ممثلين عن كل الطموحات، كل الاستياعات، وبالأخص كل المغامرات»⁴⁹. أما بريان، فبدا عندما سئل بدوره منشغلاً قبل كل شيء بالحفاظ على العلاقات الفرنسية التركية، والفرنسية الألمانية. وقد كذب وجود علاقات بين عبد الكريم وحكومة أنقرة. فليس هناك، وضّح قاتلاً، سوى ضابطين وضابط صف مطرودين من تركيا يقايلون لدى الريفيين. إن العناصر الأجنبية الرئيسية من أصل ألماني : وهم فارزون من الفيلق الأجنبي الإسباني. لكن الحديث عن تدخل ما لألمانيا في الريف غير صحيح⁵⁰. هكذا امتنع القادة الفرنسيون عن اتهام التدخل السوفييتي مع أنه كان في إمكانهم ذلك. لقد توخوا التمييز بين تشجيعات الدعاية الشيوعية

46 يبدو أن الريف كوسبي كان يضم بين أعضائه آرثريد، كانيغام وغراهام. ويتر كرماديلس الأول عصوا للحزب الشيوعي، والآخرين متعاطفين، مشار إليه، الجزء الأول ص 213، هامش 1؛ أنظر أيضاً ANF 7 13413-1 (رسالة الشؤون الخارجية إلى الداخلية رقم 600 لـ 26 غشت 1925).

47 «لقد حصل عبد الكريم على مساعدة حد فعالة من طرف الدول التي تشارك بطريقها في الحرب، أقصد من طرف إنجلترا. فكل السياسة الإنجليزية منصبة على اللعب مع فرنسا والريف الذي دخل إليه رفاقنا الشيوعيون، ودخل إليه الرأسماليون، فتم استعمال هذه اللجنة لفرض مساعدة لعبد الكريم. إن عبد الكريم لم يعقد كل صلة بالعالم الخارجي ويمكن القول بأن الحصار الذي تم حلقه حول الريف لم يكن له الأثر الكلي الذي كان مرتقباً من الجانب الفرنسي والجانب الإسباني»، أرشيفات معهد موريس - طويريز، السلسلة 142، (محضر اللجنة المركزية الموسعة لـ 6 - 8 أبريل 1926).

48 مجلس النواب، لجنة المالية، جلسة 17 أكتوبر 1924. لم يصف هيرو شيئاً آخر. لنسجل أنه كان قد تلقى، قبل بضعة أيام، في الكي دورساي الذي كان يتحمل مسؤوليته، إبلاغاً من الإقامة العامة للرباط عن «التصرفات الإنجليزية في المغرب»، مؤكداً على أن الهدف المقصود من طرف إنجلترا هو «إبعاد فرنسا من مضيق حل طارق بأي ثمن»، SHA VM E 24 (رسالة أوربان ناي، رقم 1916 في 10 أكتوبر 1924).

49 مجلس النواب، لجنة الشؤون الخارجية، جلسة 17 يونيو 1925.

50 نفسه، جلسة فاتح يوليو 1925.

والمساعدات الفعلية التي أمكن للرّيفيين أن يستفيدوا منها. فَبَعْدَ تصريح بريان الذي أتينا على ذكره، وَضَحَ وزير الشؤون الخارجية رأيَه أمام مجلس الشيوخ : إِنْهُ لا يمكنه أن يَعتَبر مقالات الصّحف الشيوعية مُورَطةً للحكومة السوفياتية، وعندما قاطعه أحد أعضاء المجلس : «والمال الَّذي يُرسِل ؟»، أجاب بريان : «أَنْ يَتِمَّ تَأْكِيدُ احتمال شيء، وَأَنْ يعتمد وزيرُ للشؤون الخارجية، من ديوانه، إلى ذِكر أمر واقع شيء آخر» (51). أما البعثة البرلمانية التي أُرْسِلَتْ إلى المغرب مِنْ طرف لجنة الجيش بالمجلس فكانت أكثر حَذَرًا. لقد امتنعت في تقريرها عن القيام بأدنى إشارةٍ للمساعدات الأجنبية التي أمكن لعبد الكريم أن يتلقاها (52).

شهادة العسكريين

لا شيء مما أتينا على ذكره، يبدو مُقْنِعاً على نحوٍ قطعي، إنه ل يبدو لنا مُمَحْتَمَلًا، لحد الآن، أن تكون الحملة الشيوعية قد اقتضرت على الدّعاية ولم تُفضِ إلى مُسَاعَدَةٍ عسكرية حقيقية لعبد الكريم. لكن لا يمكن أن تُنْتَحَى كَلْبًا فرضية إرسال الأسلحة والدّخيرة والمتطوعين. وهذا معناه أَنَّ تَنْظِيمًا سِرِّيًّا دقيقاً قد تغلّب على المُراقبات العسكرية والبوليسية. يبقى إذن أن تُفَحَصَ المُشْكِل من شِقِّهِ الرّيفي وأن نساأل العسكريين العاملين بالمغرب عن الحضور الشّيعي لدى عبد الكريم. لقد كان عَدَدٌ مِنْهُمْ مُقْتَنِعِينَ، دون ريب، بهذا الحُضُور، وعبروا عن ذلك بأفعالهم وأقوالهم. لكن لم يتعلّق الأمر في أغلب الحالات سوى برأي لم يُدْعَمْهُ أيّ حَدَثٍ جليّ. بخلاف ذلك، لا يمكننا أن نُنتَحَى شهادة بعض ضباط الشؤون الأهلية، الذين مارسوا قيادتهم في منطقتي فاس وتازة. لقد كانوا يتوقّرون، بالفعل، على وسائل استخبارات قريبة بعض الشيء من عبد الكريم. فبطبيب كبي دُوساته، أعَدَّ القبطان دوكريز، في بداية 1926، تقريراً عن تَنْظِيمِ الرّعيم الريفي. إِنْهُ لا يشير فيه لأيّ دعم شيوعي أو روسي، أو هو دَعَمٌ ذو طبيعة مالية، وحتى بهذا الخصوص، يُفَرِّقُ بَأنَّ الأمرَ يتعلّق بإشاعة. وعلى الصّعيد العسكري، يسجل بأن الأسلحة تردّ من الغنائم، ومن ضمنها مدفعية الميدان (53). ولا يقدم رفاقه، القبطان جاكو، والمُلازِمَانِ الأوّلان دوسيني وسُولاّر، رؤساء مختلف مكاتب دائرة تازة الشّمالية، والملازم أوّل مور والضّابط المُترَجِّم كوجي من دائرة كرسيف، من جانبهم،

51 مفاوضات مجلس الشيوخ، جلسة 2 يوليوز 1925، المجلد الرّسمية، ص 1260 — 1272.

52 لقد حرر التقرير، العبر المؤرخ، ولكن الذي تم في أيلول يوليوز دون ريب من طرف النائب المعتدل كي دومونجو. SHA VM RIF 10.

53 SHA MAROC AI FES 530 3711 (تقرير القبطان دوكريز، رئيس مصلحة استعلامات باب المروج، في 19 فبراير 1926).

أي توضيح إضافي (54). وقد أجمَل العقيد هُيو القول بخصوص المعلومات المتعلقة بمساعدات المتطوعين الأجانب : «لقد جرى الحديث كثيراً عن الأجانب الذين يستعملهم عبد الكريم. من وجهة النظر العسكرية، لا يبدو أنَّ هؤلاء قد تميَّزوا إلا كمدافعين، وهتافين، ورسامي طرق. إننا لانعرف أحداً منهم تسلَّم نوعاً من القيادة ، ولو شرفية، حتَّى كليمس الشهير نفسه (كلدا)، الرقيب الفارَّ من فيلقنا. وقد استخدم كليمس على الخصوص لخلق نوى تنظيم دفاعي تَمَّ إنشائها في حبتنا»...».

بعد استسلام عبد الكريم، أجاب الجنرال دوكان، قائد قوات المغرب، وزير الحربية الذي سأله عن الأجانب «الذين أقاموا في الرِّيف» (56). لقد مَيَّزَ سَبْعَ فئات : 1. الفارَّون من الفيلق الأجنبي الفرنسي، وأخصى مِنْهُم اثنين وثلاثين، أغلبهم ألمان، وقد لَعبوا دوراً صغيراً جدّاً، باستثناء الرِّقبين : أوهم وكليمس، «الوحيدَيْن اللَّذَيْن كانا محل ثقة عبد الكريم»؛ 2. الفارَّون من الفيلق الأجنبي الإسباني، وعددهم ثلاثة (57)؛ 3. سبعة فارَّين من جنسية فرنسية، من بينهم المدعو بلاسيد جوكس من الفيلق الثالث للمدفعية، الذي «حصل في الرِّيف على دور من المرتبة الثانية، بالأخص لدى القابذ حدّو، تحت إسم عبد العياشي الإسلامي»؛ 4. أربعة مدنيين فرنسيين، يُعْتَبَرُ إثنان منهم، لاسكوتي و كوتور، بمثابة «داعيتين شيوعيتين»؛ 5. جنود أو مدنيون أجانب، من بينهم زيلتكينس، وهو مُقَدَّم من جيش ليتوانيا، وقد اغتُفِلَ من طرف الإسبان عندما حاول أن يتوغَّل في الرِّيف (58)، وفانسون شيان، مراسل الدَّاعِي إكسبريس، والروداني، وهو شيوعي إسباني طرَدَ من إسبانيا بَعْدَ إقامة النظام الجديد وهودجوس كلالين، طبيب من أصل نرويجي، وهو الذي يمكن أن يكون قد زوَّدَ الرِّيفيين

54 في الموضوع نفسه.

55 نفسه. تقرير موجه من طرف العقيد هيو، قائد منطقة تازة، إلى الجبرال القائد الأعلى للقوات المغربية، بواسطة رقم 1042/RT في 5 مارس 1926. ينبغي أن نسجل أنه في 1941، أعد القبطان برهمار، الذي كان يعمل مغساي تقريراً عن «الأحداث السياسية والعسكرية لـ 1925 — 1926 في منطقة وسط ورغة»، خاصة بالاستناد إلى أرشيفات الدائرة، ونحن لانجد فيه أية إشارة إلى مساهمة أجنبية، شيوعية أو غيرها، مباشرة أو غير مباشرة، في مشروع عبد الكريم، نفسه. AI FES 522 371.

56 SHA MAROC CSTM المكتب الثاني 620 033. إن طلب الوزير وجه تحت رقم 6918/SR في 19 يوليو 1926، وتقرير دوغان تحت رقم 3370/2 في 9 أكتوبر 1926.

57 يوضح التقرير أن هناك بالتأكيد هاربين آخرين تمكّنوا من الدخول إلى بلدهم الأصل عبر طنجة. إن كريمايلس يخصي، استناداً إلى التقارير التي أعدتها الحماية، 37 هارباً من الفرقة الأجنبية الفرنسية، ثم استرداهم خارج 28 أكتوبر 1924 و 9 تم تسليمهم من طرف الاسان إلى الفرنسيين في 1925، مشار إليه سابقاً، الجزء الأول.

58 عمل صد القوات السوفياتية في 1919. انظر لافوليك فرانسيز، دحر 1925، ص 653 — 654.

بالأدوية (59)؛ 6. فازان جزائريان أو مغربيان (60)؛ 7. «عملاء مسلمون»، يُشار إلى حضورهم في الرّيف من باب الاحتمال، لكن لم يحصل ثبوته (61). وقد تحمّ الجنرال دوكان قائلاً: «إنّه كيما يُلَفِّتُ النَّظَرُ أَنْ نلاحظ إلى أيّ حدّ امتنع الدّعاة المُسلمون، أنصار الجامعة الإسلامية، أو شيوخ مصر، وتونس، والجزائر أو تركيا، بوجه عام، عن المجيء إلى الرّيف واكتفوا بإرسال وُعودٍ كاذبة وإعاناتٍ مالية تظلُّ أهميتها مشكوكاً فيها. لقد دُعم عبد الكريم بكلّ تأكيد وفعالية أكبر من طرف الدّعاة والصّحافة الأوربية مِنْهُ من طرف إخوانه المُسلمين.».

التآخي بالأفعال

كانت مشاركة الشيوعيين المدنيين في مشروع عبد الكريم، كما تُستخلصُ من هذه التقارير إذن محدودة جداً. يُضَيَّفُ بأنّه لو كان في أرشيفات عبد الكريم، التي اُخْتُزِرَتْ بعد استسلام الزعيم الرّيفي، أقلُّ شيء يمكن مِنْ تَجَرِّعِهِمْ، لَمَّا تَوَرَّعَتْ السُّلْطَاتُ الفرنسيّة عن استغلاله. يبقى أن نتساءل عن نصيب الدّعاية الشيوعية في انتقال العسكريين إلى صُفوف عبد الكريم. إننا نستعمل هذا التّعبير عن قَصْدٍ، إذ أننا نعلم أن الحزب الشيوعي الفرنسي كان يُلْحِقُ على كونه ضيّدٌ مجرد الفرار من الجيش ويوصي بتآخي الجنود. لقد أكّد بانلوفي في يونيو 1925، أمام المجلس، بأن لا عِلْمٌ لَدَيْهِ سوى بواقعة عصيانٍ واحدة: ففي مركز مطوّق، قُتِلَ الجنود الأهالي ضابط صفّهم الفرنسي وقبِلوا ضابط الصّفّ الجزائري، وسلموا أنفسهم للرّيفيين (62). نشر بيار سيلور بعد سنة من ذلك، في دفاتر البلشفية قائمة أكثر مدعاةً للاندھاش حول التآخي. فهو يؤكّد بأن ثلاث كتائب انضمتْ بأسلحتها وأمتعتها إلى الرّيفيين، منها كتيبتان تنتميان للفيلق الأجنبي والكتيبة الثالثة للفرقة 61 من القناصة المغاربة (63)، وبعد ذلك اقتُتِدَتْ بها فصيلةٌ من القناصة الجزائريين وهذا أضاف قائلاً، دون إحصاء

- 59 تليه أسماء عدد من الأشخاص، المروّجون حيناً لدى المصالح المختصة، منهم اعليز (سارل، ماندي، عارديز، كانيغ، ولانغل وإيطالين (موريا، مالوسي، وماكري).
- 60 هذا الرقم، المزيل لغاية، هو بعيد حنا عن الاحتمال، لكن التقرير يوضح بأن هناك «كثيراً من المشوّهين».
- 61 من بينهم مغربيان: الحاج بوعزة بن عبد السلام، الذي أقام بتونس، والحاج الحيلالي، من أصل ريفي، استقر في القاهرة، وأحد المصريين، حسن مطري، وهو صحفي، لاهيء بسويسرا.
- 62 كان المركز يضم حوالي عشرين جندياً أهلياً واثنين من المدفعية الفرنسيين، وقد قتل هذان الأخيران بنيران الرّيفيين.
- 63 هذا الأخير، المكون من ستائة رجلاً، سلم نفسه للرّيفيين حسب سيلور بعد أن قتل صباطه.

التمردات التي وقعت في العديد من المراكز حيث سُجِّلَ رَفُضُ بعض الجنود للقتال وتقييدهم لضباطهم. لقد تمت حركات التآخي هذه التي هُمَّتْ بِضَعِّعِ مَقَاتٍ من الأشخاص، حسب المؤلف، في أغلبها، قبل شهر غشت 1923 (64). آيَّةُ ثِقَةٍ يُمْكِنُ وَضْعُهَا فِي هَذِهِ الْأَقْوَالِ ؟ يُسَجَّلُ فِي الْبَدَايَةِ، بِأَن لِمَقَالِي سِيلور جانباً سِبْجَالِيّاً : لَقَدْ تَمَلَّقَ الْأَمْرُ بِالرُّدِّ عَلَى سَان — جَاك الَّذِي انْتَقَدَ شَعَارَاتِ الْحَزْبِ وَبِالْبَهْنَةِ عَلَى أَنَّ التَّآخِي نَجَحٌ جَيِّدٌ. أَوْ لَمْ يَغَالِ فِي بَرَهْنَتِهِ ؟ هَذَا مَا بَدَأَ أَنَّ أَغْلَبَ الْقَادَةِ يَعْتَقِدُونَهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَمِ الْعُثُورُ، بَعْدَ ذَلِكَ، عَلَى آيَّةِ إِشَارَةٍ لِحَرَكَةٍ بِالْأَهْمِيَةِ الَّتِي وَصَفَ، فِي مَخْتَلَفِ مُرَاسَلَاتِ الْعَمَلِ الْمُعَادِي لِلزُّعْمَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالْمُعَادِي لِلإِسْتِعْمَارِ الَّذِي خَاضَهُ الْحَزْبُ (65). أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، عِنْدَمَا قَدَّمَ دُورِيو أَمَامَ اللِّجْنَةِ الْمَرْكَزِيَّةِ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي أَمَكَّنَتْهُ اسْتِقْوَامُهَا خِلَالَ سَفَرِهِ فِي الْجَزَائِرِ، بَدَأَ مَنشَغِلاً عَلَى الْخُصُوصِ بِالمَصَاعِبِ الَّتِي تَعْتَرِضُ تَطْبِيقَ شَعَارِ التَّآخِي، وَهَذَا بِالرَّغْمِ مِنْ كَوْنِ الْجُنُودِ ضَيْدَ الْحَرْبِ : «لَقَدْ مُلِّهَ». لِتُورِدُ هُنَا نَصَ مَحْضَرِ اللِّجْنَةِ الْمَرْكَزِيَّةِ : «لَانْدَرِي إِذَا كَانَ الرِّيفِيُّونَ أَمَامَ الضَّبَاطِ الْفَرَنْسِيِّينَ هُمْ الَّذِينَ خَرَبُوا كُلَّ الدَّعَايَةِ الَّتِي قَمْنَا بِهَا لِصَالِحِ التَّآخِي. لَقَدْ عَرَّضَتْ (كَذَا) أَمَامَ الْمُقَاتِلِينَ جِشْتَ الْجُنُودِ الْفَرَنْسِيِّينَ الْقَتْلَ، بِبَطْلُونِ مُتَّقُورَةٍ، وَمَصَارِينِ مَنْدَلَقَةٍ، يُمْكِنُنَا الْقَوْلُ أَنَّ هَذَا أَفْضَلُ سِلَاحٍ لِلدَّعَايَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ ضَيْدَ شَعَارِنَا : التَّآخِي. إِنَّهُ وَضَعٌ يَنْبَغِي أَتَّخِذُهُ بَعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ». رَغْمَ ذَلِكَ، تَحْتَمُّ دُورِيو قَائِلاً، «سَجَّلْنَا بَعْضَ حَالَاتِ التَّآخِي» (66). بَعْضُ الْحَالَاتِ وَلَيْسَ كُنَائِبَ بِأَكْمَلِهَا. وَفِي 15 أَيْرِيلَ 1926، أَكَّدَ نَائِبُ سَان — دُورِي بِأَنَّهُ مِنْ الضَّرُورِيِّ مُوَاصِلَةَ «تَرْوِيجِ شَعَارِ التَّآخِي، لِأَنَّ وَضْعَ الْجُنُودِ أَسْوَأَ بِكَثِيرٍ مِنَ السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ. وَلِأَنَّ هَذَا الشَّعَارَ قَدْ تَغَلَّغَلَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَذَلِّ بِأَيِّ مِثَالٍ يُدْعَمُ تَأْكِيدُهُ؛ بَلْ اكْتَفَى بِالْإِذْلَاءِ بِتَقْدِيرَاتِ أَحْيَدِ مُرَاسِلِيهِ الْجَزَائِرِيِّينَ حَوْلَ عَقْلِيَّةِ الْجُنُودِ (67). يَتَمَكَّدُ شَهْرَتَيْنِ مِنْ ذَلِكَ، أَقْرَضَ ضَمْنِيَا أَمَامَ الْمُؤْتَمَرِ الْوِطْنِيِّ لِلْحَزْبِ، بِأَنَّ حَالَاتِ التَّآخِي كَانَتْ اسْتِثْنَائِيَّةً (68). وَتَوَكَّدَ اسْتِجَابَاتِ الْفَارِيزِ الْمَعْتَقِلِينَ فِي الْمَعْسَكِ الرِّيفِيِّ الَّتِي أَمَكَّنْنَا فَحْصَهَا هَذَا الِاسْتِثْنَائِيَّ : فَهِيَ لَمْ تَكْشِفْ عَنْ أَيِّ حَافِزٍ ذِي طَائِعٍ سِيَاسِيٍّ، أَوْ

64 دَفَاتِرُ السَّلْطَانِيَّةِ، 15 غُشْتَ 1926، ص 1660 — 1662.

65 يَدُو لَنَا الْكُتَيْبَ الصَّغِيرَ الْمَشْهُورَ مِنْ طَرَفِ فِدْرَالِيَّةِ الشَّيْبَاتِ الشَّيْوَعِيَّةِ فِي 1927 : إِلَيْكَ أَيُّهَا الْمَجْنُونُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الشَّعَالُونُ ! (AN F7 13183) وَالْخُصُوصَ بِأَكْلِمِهِ لِلدَّعَايَةِ الْمُعَادِيَةِ لِلزُّعْمَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ ذُو دَلَالَةٍ كَبِيرَةٍ. لَقَدْ امْتَدَحَ التَّآخِي، كَ «سِلَاحٍ حَقِيقِيِّ لِلتَّحَالُفِ الْوُطْنِيِّ» وَأَوْرَدَ الْأَشْثَلَةَ فِي بَعْضَةِ أُسْطُرٍ : كُومُونِيَّةِ بَارِيْسِ، الْحُدُودِ الْوُطْنِيَّةِ فِي 1917، مَلَاوَحِ السَّحْرِ الْأَسْوَدِ، وَفِي 1923 هُنَاكَ الْجُنُودُ الْفَرَنْسِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا يَحْتَلُونَ الرُّورَ وَالَّذِينَ تَأَخَّوْا مَعَ الْعَمَالِ الْأَكْلَانِ وَلَيْسَتْ هُنَاكَ أَذَى إِشَارَةٍ لِحَرْبِ الرِّيفِ.

66 أَرْضِيَّاتِ مَعْهَدِ مَوْرِيس — طُورِينِز، السَّلْسَلَةُ 94، (مَحْضَرُ اللِّجْنَةِ الْمَرْكَزِيَّةِ لـ 29 شَتَّير 1925).

67 نَفْسُهُ، السَّلْسَلَةُ 142، (مَحْضَرُ اللِّجْنَةِ الْمَرْكَزِيَّةِ الْمَوْسِمَةِ لِأَيَّامِ 6 — 8 أَيْرِيلَ 1926).

68 الْمُؤْتَمَرُ الْوِطْنِيُّ الْخَامِسُ لِلْحَزْبِ الشَّيْوَعِيِّ الْفَرَنْسِيِّ، لَيْلَ 20 — 26 يُونِيُو 1926، عَرْضُ، ص 200 — 201.

على الأقل من هذا الطراز⁶⁹. فضلاً عن ذلك، يبدو لنا أن مما له دلالة أن الحرب الشيوعية، المنتبه للمحاكمات السياسية، لم يستوقفه من المحكومين العسكريين، خارج تأثيري الكورني، سوى جوكس، وتيسران وبالأخص كليمس. مع أننا لم نفتتح مطلقاً بكون الرقيب الفيلقي الألماني الشهير، يمثل نموذجاً جيداً لسياسة التآخي وذلك رغم الرغبة العميقة للحزب الشيوعي في الدفاع عنه⁷⁰.

في الختام، نعتبر أن التآخي كان ظاهرة لم تكن ملاحظتها في الجبهة الريفية سوى في عدد قليل من الحالات، واهتمت على الأكثر بعض المراكز التي كانت تضم في المجموع بضع عشرات من الرجال⁷¹. أما التصريحات المعاكسة لهذا الواقع والتي أدلى بها زينويف أمام مجلس الأمة، فمردها لطابع المغالاة الأحق بهذا القائد الشيوعي⁷². ومن الممكن أن تكون الدعاية الشيوعية قد أثرت، بلا مراء، في سلوك الجنود في المغرب بمضاعفتها لحالات العصيان. هذا ما يُستنتج من تصريح لبارتو، وزير العدل، الذي عاد للأحداث بعد سنة من استسلام عبد الكريم، بمناسبة نقاش تم تنظيمه من طرف المجلس حول التحريض الشيوعي، خصوصاً في الجيش. لقد استشهد بإحصاء وضعه وزير الحربية ارتفع فيه عدد العسكريين المحكومين «لخالفاتهم النظام»، بين فاتح يناير 1925 و31 يوليو 1926، أي خلال الفترة المطابقة بشكل ملموس للعمليات ضد الريف، إلى رقم 1371. ويبدو أن هذا الرقم يهم خصوصاً جنود المغرب⁷³. وإذا قارناه بالاشارات التي سبق أن أعطيناها، والمتعلقة بالعقوبات المتخذة

69 SHA VM RIF 3 و4.

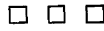
70 كمحمد في 1912 في الفرقة الأحسية الفرنسية، شارك في عمليات «إخماد العثر»، ثم مر في 1920، والتحق إلى سي ورايس، وجعل نفسه في خدمة عبد الكريم في 1923، أي في فترة لم يكن فيها من الرعب الربيعي والقنوات الفرنسية أي نزاع لاثني في قصة هذا المغامر يسمح بافتراض أنه تصرف عن قناعة سياسية. انظر لافريك فرانسيز، يونيو 1926، ص 305 — 308، التي استندت إلى شهادة فاسون شياو، وهو صحفي أمريكي أقام في الريف.

71 للاحظ أن بعض الصحفيين، المتعقبين لهذا النوع من الأخبار والمستعدين لتضخيم أصغر حادث، لم يذكروا أية حالة للتآخي، انظر ح. لادري ديلاشارير، حلم عبد الكريم، باريس 1925، ولفس الكاتب، الشيوعية والريفية الشمالية، 1929. ويظهر روبر — رابو إلى «سوق كامل للدعاية حيث تصل الروح الإبرامية إلى حد الحياة»، الدعاية الشيوعية في الريفية الشمالية، باريس، 1926، ص 22، لكنه لم يعط أي توضيح. ولا حد أية إحصاءة في المقالات الانحائية التي حصصها لافريك فرانسيز للعمليات العسكرية ولا في مقالات أوعست تيبى عن «إخوة» ساحل الريف (دحبر 1925 — يونيو 1926).

72 إنه بوردا، أقوال «شخصية في متبني الكفاءة ومأدوية في العائد السامي توجد باريس» أحدا إياها لحسابه، وحسب هذه الشخصية «أحد الفرار الجماعي أحكاماً لم يسبق أن لوحظت أبداً (التشديد في النص) في أية حرب حتى الآن. بل لقد كانت هناك حالات اعتقلت فيها ممرات نأكلها إلى الحصة»، دورة اللحظة التنفيذية الموسعة الجلسة الثانية لـ 20 فبراير 1926، مراسلة دولية، 9 مارس 1926، ص 274.

73 AN F7 13099.

ضيد العسكريين داخل البلاد، يبدو لنا مرتفعاً بشكل خاص. ومع ذلك، سيكون من باب التعسف إقامة ربط خاص بين التحريض المقموع على هذا النحو والحملة الشيوعية. وبإمكاننا على الأكثر القبول بتأكيد بانلوفي الذي يرى بأنه «من غير المشكوك فيه أن (هذه الحملة) قد أثرت على التحالفات الخطيرة للنظام وللواجب العسكري»⁷⁴، مع ملاحظته أنه في عياب وثائق أكثر وضوحاً⁷⁵، لا شيء يسمح بقياس هذا التأثير.



في بداية 1927، عندما استقبلت عصبة حقوق الانسان ستيك، سألته الاشتراكي كرومباش إن كانت توجد «براهين قطعية على التدخل الشيوعي في الريف». فاكتمل المقيم العام في المغرب، وكأنه جوزيف برديم جديد⁷⁶، بالاجابة: «لم ألاحظ شخصياً أي تدخل شيوعي في الريف. لكنني أعرف بأن الشيوعيين استغلوا أحداث الريف»⁷⁶. وبعد عشر سنوات من ذلك، عندما تحدث روبير مونطاني الى موظفين للسلطة عاملين في إفريقيا الشمالية، أجمّل القول حول المساعدات الأجنبية التي يمكن أن يكون عبد الكريم قد استفاد منها. لقد اعتبر التدخلات الأنجليزية والألمانية جديرة بالاهمال، ولم يعتقد أن من المجدي الإشارة حتى للقرن الذي أمكن تقديمه من طرف السوفييات أو من طرف منظمات شيوعية. وتحتّم مُدير مركز الدراسات العليا الادارية الاسلامية قايلاً: «لقد قيل كثيراً بأن عبد الكريم سُوِّعِدَ من الخارج. إنها واحدة من غرابياتنا المعتادة أن تُفسّر بأسباب خارجية ما عجزنا عن تفسيره بأسباب داخلية»⁷⁷.

القمع

«إن الشيوعيين يطعنون جنودنا من الخلف. ماذا تنتظر الحكومة لكي تتصرف بقوة في باريس، معقل الدعاية الاجرامية؟»، هكذا كتبت لافيكوار، جريدة كوستاف هيرفي،

- 74 مناقشات المجلس، 10 يونيو 1927، الجريدة الرسمية، ص 1834.
75 يجمع الاحصاء الذي يذكره الوزير المعقوبات الخفيفة والأحكام القاسية. وعارة «حرق النظام» نفسها منسوبة في بعض المعنى، تبدو قاصرة على مغادرات المنصب أو على حركات تأخري التي تعتبر خيانة حسب القانون العسكري. وحده تفحص أوضاعيات المهام العسكرية، إذا سمح به يوماً ما، كليل باستجلاء المسألة.
* شخصية اخرجت من طرف الرساء الكاينكاتوري هري مويي وذلك بمثل الرجوازي الصغير الضيق الأنق والمعحب بنفسه
76 دلائل حقوق الانسان، 10 مارس 1927، ص 107 — 109.
77 القضية الريلية وعبد الكريم، محاضرة عبر منشورة ألقيت في 28 مايو 1937، CHEAM رقم 167 مكرر.

اليساري السابق، المتجهج، قبل خمسة عشرة سنة، على «الأوباش الفرنسيين» في المغرب والذي انضم إلى النزعة المحافظة الأكثر تزمناً⁷⁸. ولم تكن صحافة اليمين وحدها التي نادى الحكومة إلى إنزال العقاب القاسي بالشيوخ. لقد كانت تصريحات بانلوفي في مجلس النواب تُقاطِعُ باستمرار من طرف ثواب يُطالبون بإلقاء القبض على كل قادة الحزب (79). بينما صوّت مجلس الشيوخ، بالاجماع تقريباً، على جدول أعمال يطالب بردع «الاثارات المُوجّهة ضدّ الجيش وضيدّ الوطن والكفيلة بتعرض حياة جنودنا للخطر»⁽⁸⁰⁾.

أشكال القمع

لم تنتظر الحكومة هذه الملتزمات للشروع في عمَل قمعي. لقد نبّهت ملزمة أولى بـ 20 مايو 1925 السلطات، بشكل خاص، إلى ترصد تعليق ملصقات ضدّ حرب المغرب من طرف الشبيبات الشيوعية. هذه الملصقات ينبغي تمزيقها، كما ينبغي اعتقال ملصقها والمتواطئين معهم وتسليمهم إلى النيابة⁽⁸¹⁾. وبعد بضعة أيام من ذلك، دعا نصّ ذو صبغة عامة الولاية إلى «القمع الفوري لكلّ المبادرات الجُنْحِيّة التي يمكن أن تقوم بها منظمات متطرفة تسعى إلى إثارة أعمال عُنف أو إلى تحريض العسكريين على العصيان وذلك بسبب عملياتنا العسكرية في المغرب»⁽⁸²⁾. لقد طبقت في الجملة هذه التوجيهات بصرامة. غير أنّها

78 3 يونيو 1925، نفسه، 15 مايو 1925 («الحملة الشنيعة تتلق جنودنا»). انظر أيضاً لوماتان، 15 مايو 1925 («الأقارب مالحانة الشيوعية»)، لوكولوا، 18 مايو («حيانة عطشى»)، لاليري، 3 يونيو («كاسي آجار : «ألقوا بهم في السحب»).

79 انظر خاصة جلسة 23 يونيو 1925، المجلد الرسمي، ص 2759. قبل بضعة أيام، وأمام لجنة الشؤون الخارجية المحيطة لكي تستمع إلى بانلوفي، أكد ديوكس — لانيو (اليسار الراديكالي) : «إن القتل الحقيقيين لجنودنا ليسوا الرقيقين بقدر ما هم الشيوعيون الفرنسيون الذين ورعوا، في ميثاق الذهب (كنا)، ما شير تستهدف تسميم معنوية رجالنا...». وقد قال إدوار سولبي (الكتلة الوطنية)، مرابدا : «يمكننا أن نعود إلى حد المطمئنين وإلى حد المؤلفين». أما فرانكلان بويون (راديكالي — اشتراكي)، وهو رئيس اللجنة، فمخ قال : «نعم إلى حد مؤلفي بعض البرقيات» مجلس النواب، لجنة الشؤون الخارجية، 17 يونيو 1925. بعد بضعة أيام من ذلك، قام روتنديل، الذي لم يقل شيئاً في اللجنة مثل زملائه الاشتراكيين أمام المجلس بالتصريح عن معارضته للمتابعات القضائية، مناقشات، 23 يونيو 1925، المجلد الرسمي، ص 2779.

80 مناقشات المجلس، 3 يوليو 1925، المجلد الرسمي، ص 1258.

81 APP BA 1676.

82 نفسه، (ملزمة 24 مايو 1925) بوضع الملزمة الأولى بأن على المتابعات أن تتم طبقاً للقانون حول الصحافة لـ 29 يوليو 1881 ولقانون 1894 المهدف إلى ردع المناورات الفوضوية. أما الملزمة الثانية فلم ترجع إلا إلى القانون حول الصحافة. لنذكر بأن وزير الداخلية هو الساتور شراميك، المتحمي اليسار الراديكالي. إنه هو الذي أمّن من طرف الصحافة الشيوعية والتحريرية، لكن يبدو لنا أن السيد الحقيقي لسانة بوتي هو جان شاي، فهذا الأخير، الذي كان

تركزت مع ذلك للسلطات الادارية والقضائية هامش تأويل يستمع بإدخال الأمزجة الفردية والعارض المحلية.

سلم الأمن العام لنيابة السين في 24 يوليوز 1925، تقريراً حول «الحملة الشيوعية ضدّ عملات المغرب». وقد استنتج بأن الوقائع «تقدّم على ما يبدو أساساً كافياً للقيام بمحاكمة» لكن «سيكون من حقناً ان تنتظر من الاجراءات القضائية التي يمكن القيام بها في مقرات المنظمات ومساكن المناضلين الرئيسيين وهي عناصر من شأنها تبير عقاب قاسي من طرف السلطة القضائية المختصة». وتبعاً لذلك أُرِفِقَتْ بالتقرير لائحة بالعناوين حيث يمكن لتلك الاجراءات أن تتم (١٨٩). ومنذ شهر مايو صَدَرَ الأمر بالقيام بعدة عمليات تفتيش (١٩٠). وقد اتخذت هذه الأخيرة طابعاً مُنظماً ابتداءً من شهر يونيو، وشملت مناضلي الحزب الشيوعي أو مقراته كما شملت التنظيمات النقابية. فمن مائة وثلاثة وأربعين تفتيشاً تمّ إحصاؤها في يونيو ويوليوز داخل البلاد، بَدَأَ أن ثمانية وستين على الأقل غير مُجدية (١٩١). أمّا عمليات التفتيش الأخرى فسمحت بحجز مُراسلات، وكُراسات ووسائل دعائية. كما تمّ حجز منشور وملصقات في مكاتب البريد وفي المحطات. وفي حالة تعذر حجزها، كانت السلطات تعتمد إلى إطلافيها، لكنّ تمزيقها لم يكن دائماً مُنظماً؛ فكان يتوقف على الوسائل المتوفرة (١٩٢). ولكن أيضاً على التقدير الشخصي لمفوض الأمن (١٩٣). لقد أظهر حَجَزُ الصُحُف، أكثر من أي إجراء آخر، الطابع التقديري لتدخلات السلطة. فكان يحدث أن تكون الجرائد المحجوزة مجرد

مديراً للأمن العام، تمّ تجميعه بالاضافة الى ذلك من طرف شراييك كاتما عاما للوزارة. وقد هُتّت لوراديكال الورير لكونه رَق هذا «الجمهوري» المخلص والشجاع» (7 أكتوبر 1925).

83 AN F7 13171

مثلاً في مونتود، وروين وسيفور. لقد تمّ في 21 مايو حجز أربعين ألف منشور تدعو الحزب إلى التآخي خلال حملة تفتيش لدى دوعال، المطعم الباريسي المعاد للحزب الشيوعي. لكن تمّ إخراج مائة وعشرين ألف أخرى من سلايات معاصرة في الليلة التالية من طرف حوّل عشرة شاذ شيوعيين حوّلوا تحت ملائمتهم، رغم حراسة الشرطة. AN F7 13173 و 13174 إلى كل التفاصيل الواردة في هذه العنق، ما عدا إذا أبدينا إشارة مغايرة، مصدرها الصناديق 13173 إلى 13178 و 13104 إلى 13105 التي تضم، مرتبة حسب المقاطعات، تقارير الشرطة المتعلقة بالدعاية الشيوعية ضد حزب المغرب

85 هذه الأرقام، المستقاة من مصدر نابلي، هي أقل بالتأكيد من الواقع، لأن الكشف الاجمالي الذي أُخذت عنه موسوم بالناسات عديدة، إذا حابهاها بالمعطيات التي تمّ تجميعها حسب المقاطعات.

86 في تقرير لبرك بوكو، في 15 عشت 1925 «لقد مرّنا الاعلانات الصعيرة بالنات، لكن لاإزال منها إذ ألصق منها الكثير».

87 في تروي، آخر مايو، وفي يونيو، 1925، اشتكى الواليان من كون الشرطة لم تطلعهما على تعليق الملصقات الشيوعية ضد حزب المغرب. في سان - كيرتات. لاحظ المفوض أن الملصقات المعلقة في 22 شتنر كانت «متبنة بشكل قايدي».

أوراق مُستَنَسَخَة من طرف خلايا شيوعية للمعامل تكون بمثابة مناشير، لكن الأثر تعلق في الغالب بمرائد مرخص لها قانونياً، ومن أصل محلي (88)، أو صادرة من باريس (89).

لقد قلنا أعلاه بأنّ حرب الرّيف أفسحت المجال لابتداع أغاني شعبية كانت بفضها ذات استلهام سلبي. وقد حرصت قوى الأمن، من شرطة ودرك، على الخصوص، على منع ذيوها. ففي 14 يوليوز 1925، عمّد كيشار، مدير الأمن البلدي لباريس، الى إعطاء تعليماته : «هناك مغنون متنقلون، مرخص لهم أم لا، قد يغنون في مكان عمومي أغنية ضدّ حرب المغرب، فتحروا يدقّة وامنعوا. مارسوا متابعات قضائية، إذا اقتضى الأمر وأرسلوا لائحة المُغنين الى الشرطة البلدية قصّد التشطّيب على لائحة الرّخص». (90). بعد بضعة أيام من ذلك، اعتقلت الشرطة بـ أنبار، مُغنيين مُتَنَقِّلِينَ، كلاهما مكفوفين، كانا يُغنيان : «في المغرب». وفي مطعم بزقة لورك، ثمّ تحرير مُحضّر لفنان مقهى — معني كان قد ردّد قصيدة موتيتوس «الى ضحايا المغرب» التي أبدعها قبل الحرب الكبرى، وذلك لكونه ردّد «أقولاً من شأنها تحريض الجنود على العصيان» (91). لقد وقعت حوادث في الأمكنة العمومية بمناسبة بيع نصوص هذه الأغاني وثمّ اعتقال مُغنيين مُتَنَقِّلِينَ في 8 غشت بيسان — دوي، وفي 11 و12 غشت بباريس (92). ومع ذلك، كان هناك نديوان مُفَوّض الشرطة تردّد في المتابعة القضائية لكون الأسس القانونية واهية. إلا أن وزير الداخلية أمر بتشديد المراقبة (93)، فطلعت النزعة القمعية. كتب الوالي الى مدير الأمن البلدي «يحكم الظروف الرّاهنة، كتبّ الوالي الى مدير الأمن البلدي، يبدو من المناسب منّع الغناء في المكان العام لكل أغنية توميء

88 إن لوكوميس دوفور — أويست (عدد 5 يونيو 1925)، التي كانت إدارتها وهبّة تحريرها بريس، حيث لم يكن توربها بلاتي صمونة ماء، تعرضت لتوقيف هذا التوزيع على بعد 50 كلم، في إيغرو، من طرف مفوض شرطة هذه المدينة. كما تم في 15 يوليوز محطة توركووان ححر عدد من أعداد لوتشيني، لسان حال العدالية الشيوعية للشمال، والتي كانت تظهر دين عوائل في ليل.

89 تم ححر مائة نسخة من لاكانظ في 11 يونيو 1925 بريد بواتي، وألف نسخة من لالاح دوجان لكواك محطة بريس في 5 يوليوز. أما لالان — كارد فقد تم ححرها مد وصولاً، في 9 يوليوز، بابترو، قرب بولويس، وفي 15 يوليوز بتوركووان، وفي فاتح يوليوز تم الماطة ححر ألف نسخة من لالاطاي ساندكالكست، كانت موجهة الى سكرتير القاعة المستقلة لبيست، وهو ماحصل فوضوي، بينا تم في 10 يوليوز بليوب، ححر حرايد فوضوية (غير مشار الى أسانها).

90 APP B4 1676.

91 نفسه.

92 نفسه.

93 رسالة 20 غشت 1925. نفسه.

الى أحداث المغرب. هكذا ينبغي منع أغنية «تحت الشمس المغربية» وكذا أغنية «في المغرب» التي سبق أن كانت موضع منع سابق⁽⁹⁴⁾.
لقد خضعت الاجتماعات العمومية لمراقبة خاصة. فقد ضُغَطَت الولاة على العمد لكي يعمل هؤلاء على منعها. ولم يكن ضروريا أحيانا أن يكون ذلك الضغط قويا، لأن السلطة البلدية كانت تسبق رغبات الولاية⁽⁹⁵⁾. فكان بعض العمد يلجأون للتسويق وبيع الوقت؛ إذ كانوا يرفضون منح المقررات البلدية لمُنْتَظِمي الاجتماع، ولكن يقبلون بتنظيم التظاهرة في الهواء الطلق⁽⁹⁶⁾. يحدث حينئذ أن يتدخل الوالي مباشرة لِمَنْعِ الاجتماع⁽⁹⁷⁾. فيمضي الى حد أن يَسْحَبَ مِنَ الْعُمْدَةِ سلطاته الأمنية⁽⁹⁸⁾. أمّا مُفَوِّذُ الشرطة الذين كان عليهم حضور الاجتماعات المرخص لها والتبليغ بكل مخالفة يرتكبها الخطباء، فكانت ردود فعلهم متنوعة. لقد كان بعضهم يؤكد على الطابع المعتدل للتدخلات أو يعتبرون أن حضورهم يفسر ذلك الاعتدال⁽⁹⁹⁾. وكان البعض يُبْدي وساوس قانونية كانت تمنعهم من تحرير المحاضر⁽¹⁰⁰⁾. بينما بدأ آخرون، بخلاف ذلك، في منتهى القمع⁽¹⁰¹⁾.
يمكن لمؤقف القضاء أن يستحق دراسة خاصة وإن كانت هذه الدراسة صعبة بسبب الشروط الراهنة للوصول الى الأرشيفات. وتظهر المعلومات التي يُمكن استقائها من الوثائق المتوفرة بأن السلطات القضائية أعلنت أحيانا وجهات نظر تسير في اتجاه مختلف جداً للاتجاه الذي كانت ترجوه الحكومة أو ممثليها. هكذا، دُعَتْ تنظيمات نقابية مختلفة،

- 94 مذكرة في شتر (د به توضيح اليوم). نفسه.
95 في أواخر يونيو 1925، أعلن عمدة فالويس بورصة الشغل بالمفتاح لمح انعقاد الاجتماع المظم من طرف لجنة العمل المحلية. وفي الشق، اشتكى الشيوعيون من كين الملبدات، خاصة بلديات كتلة اليسارات، أعاقحت حملة للقاعات التي كان ينظمونها. «إما بالانشاء عن تسليم قاعات العمدة، أو بالضغط على أصحاب القاعة»، تقرير معوي للجنة الجمهورية للحرب الشيوعي للشق مرسل من طرف المفوض الخاص لانس، في 9 يونيو 1926. AN F7 13105 (مورث - إي - موزيل).
96 هكذا كان الأمر في فيمبي (أفيرون)، في 3 يوبه 1925 - أباه 5، 17 و 19 يوليو في لوس - أون - غوهيل (با - دو - كالي)، مون - لاني (هنتسبر) وسان - بريوك - في ليسي - أون - ناروا (مور)، في 7 أكتوبر.
97 في 16 غشت 1925، تم منحه الاجتماع المقرر في عانة ساد - حيرمان من طرف الوالي.
98 إنها حالة العمدة الاشتراكي لأوزاج والعمدة الشيوعي لآلي.
99 أنظر عروض مفوضي شطة ألي، في 7 يونيو 1925، رويس في 9 يوبه، ميتر في 14 يوبه، بيهيكو في 16 يونيو، فالونسيان في 25 يوليو.
100 «بالرغم من أن الخطيب وجه للمحد تحريضا على العصيان (كتنا) فإلى أنه يسعى تحرير محضر صده نظرا لعياب عبه الحصة - فلم يكن هناك حيد في القاعة» (مفوض شرطة ديبان، في 24 أبريل 1926).
101 أنظر عرض مدهشي شطة تيلور في 20 يوبه 1925 (A.D. هوط - غارون M 1136)، فواكس يوبي 26 و 30 يوبه، دوايكيرك في 15 غشت 1925.

اتحادية وكونفدرالية، في بريست الى لقاء مشترك ضدَّ حرب المغرب في 27 يونيو 1925. فتمَّد والي فنستير، وقد سخط لكون العمدة لم يعرف أو لم يُرَدَّ منع هذا الاجتماع، الى رفع المناشير المعلنة عن التظاهرة الى نائب الجمهورية. وقد ردَّ عليه القاضي بأنه في غياب تحريضات واضحة على العصيان أو الخيانة، فإنَّ المثابرة غير ممكنة. فتمَّ اللقاء أمام ألف وخمسمائة شخص. لقد أبدى والي، الذي أرسل محضر هذا الاجتماع الى النيابة، سُخْطَهُ مرَّةً أخرى لكون نائب الجمهورية لم يعثر على أساس اتهام في الأقوال التي صَدَرَتْ عن المُدْرَس كورنيك : مع أنَّ هذا الأخير مُتَطَرَّفٌ معروف جدًّا، كما أكَّد والي في تقريره لوزير الداخلية. وتفسر نفسية مُمَكِّلِي النظام، بجانب العواض المحلية، كون خلافات من هذا النوع قد أُمَكَّنَ حَدوثُها. إنها إن لم تعق القمع، فهي تدخل بعض الحرج على ممارسته. لكنَّ الأمر كان مخالفًا كما يتضح من قرار محكمة نيِّم المُعلن في 3 يوليو 1925.

لقد حكم على أحدهم يُدعى بال من طرف محكمة الجنب بأفينيون بثلاثة أشهر سجنًا و100 فرنك غرامة، لتحريضه لبعض العسكريين على العصيان : إذ اعترف، بالفعل، بأنَّه علَّق ملصقات منشورة من طرف اللجنة المركزية للعمل تدعو الجنود الى التآخي مع الريفين وتندح استقلال الشعوب المُستَغْمَرَة. وقد استأنف المعني بالأمر هذا الحكم. ووضَّحت محكمة نيِّم في قرارها بأنَّ الجُنْحَة المُقرَّرة في قانوني 1881 و1894 لا يمكن أن تُستدَّ الى محاكم الجنب، إلا عندما يكون هدفها فعلاً دعائياً فوضوياً، ثُمَّ أضافت «لا يبدو أبداً أنَّ التحريض الذي يتعلق به الأمر (...) كان يستهدف دعاية فوضوية. (...) ومن جهة أخرى، لا نعتبر في نصِّ المُلَصَّصِ المُجرِّم على أيَّ تجلٍ للمذهب أو لرأي فوضوي بشكل خاص، لأنَّه لا يمكننا طبعاً أن ننعَت بهذه الطريقة الرأي الميثوث فيه حول حقِّ الشعوب المُستَغْمَرَة في الاستقلال ولا الانتقادات الموجهة الى العمل العسكري لفرنسا في المغرب مهما تكن حدة صياغتها». وأخيراً، ختمت المحكمة «لا يتضمَّنُ هذا النصُّ أيَّ نداء الى العنف ضدَّ الأشخاص أو ضدَّ المُمْتَلَكات، بما أنه يدعو الجنود ليس الى تصويب أسلحتهم ضدَّ رؤسائهم، بل فقط الى التآخي مع الريفين». وتبعاً لذلك، ألغى قضاء الاستئناف الدَّعْوَى ومُنَّع المُنَّهَم بالسَّراج الفوري (102). لقد كانت القضية بالغة الأهمية. فيكفي أن يصير قرار محكمة نيِّم مرجعاً قضائياً لكي تنهار كلُّ الأسس القانونية للقمع. لذلك بادر وزير العدل ستيك بالردِّ، فأمر نائب الجمهورية بأنَّ يَطْعَنَ بالتَّقْض (103)، وبمواذاة ذلك، طلب إجراء

102 لقد وجه والي كار نسخة من هذا القرار الى وزير الداخلية في 6 يوليو 1925، AN F7 13176 (كار).

103 لقد أحدهم به المجلس. عقب سؤال ليربون، مناقشات المجلس، 10 يوليو 1925، الجريدة الرسمية، ص 3345.

تحقيق حَوْل قضاة محكمة الاستئناف، فأخبره المفوض الاستثنائي بأن هؤلاء معروفون على نحو شريف وأن موقفهم السياسي «في غاية الاستقامة» (104). ومع ذلك تَقَضَّ مجلس القضاء الأعلى قرار 3 يوليو 1925، وأحال القضية على محكمة الاستئناف بمونبولي التي أَكْثَدَتْ حُكْمَ محكمة أفينيون. وعاد كل شيء إلى مجراه الأول.

حصيلة القمع

فَلْ يُمكن وَضْعُ حصيلة للقمع ؟ لقد بلغ عدد الاعتقالات، حَسَبَ وثيقة أُعْدها الأمن العام في 12 نونبر 1925، 327 في فرنسا و24 في الجزائر. فداخل البلاد، تم أكثر من نصف هذه الاعتقالات في ثماني مقاطعات : السين 63، وهي في أعلى القائمة بنسبة كبيرة، ثم نجد لاندس — إي — لوار 25، الشمال 18، لوار — أنفيرو 16، لاجيرون 14، الهوط — كارون 13، البوش — دو — رون 12، وَلَوَار 11. ويظهر التحليل للمناطق بأن وسط البلاد (المايسيف سنترال والبيي دولا لوار) في المُقَدِّمة، ب 75 اعتقالات، متجاوزا المنطقة الباريسية نفسها 67. ثم يأتي بعد ذلك، بأرقام دُنْيَا بحوالي النصف، الجنوب الغربي، الشمال، والشرق. ثم الجنوب الشرقي ومنطقة الزون — الب، حيث تراوَحَ عَدَدُ الاعتقالات بين 15 و25؛ وأخيراً الغرب الذي لا يتمثل سوى بأقل من عشرة. ومن ضمن 351 شخصاً المُعتَقَلِينَ، تعرض 157 منهم لأحكام بَلَّغَتْ في مجموعها ما يناهز سبعين سنة سجنًا (105). ومع ذلك، لا يُعْتَبَرُ هذا الجَلْدُ شامِلاً : إذ لم يكن في إمكانه أن يُدْخَلَ في اعتباره بشكل كامل القمع الذي مورس بمناسبة إضراب 12 أكتوبر. فنحن نعرف بالضبط بأنه بين 4 و11 أكتوبر، تم 50 اعتقالاً بسبب توزيع منشور أو إصافها (106). وفي يوم 12 أكتوبر وحده تم 167 اعتقالاً، أغلبها بسبب «إعاقة حُرِّيَّة العمل»، وبعضها بسبب «إهانة رجال الأمن» (107). وتظهر هذه الحصيلة فيما يخص بعض المقاطعات أرقاماً أعلى من تلك الواردة في الجَلْدُ العام لـ 12 نونبر (108). وعليه، إذا استندنا للاحصاءات البوليسية، يبدو لنا أن الرُّقْمَ الاجمالي

104 لسجل بأنه باستثناء واحد منهم عمره ثماني وأربعون سنة، كان جميع قضاة المحكمة يتجاوزون الستين (مذكرة 3 عشت 1925).

105 AN F7 13171.

106 منهم ستة عشر في السين وثلاثة عشر في الشمال. AN F7 12919.

107 كانت نسخة الاعتقالات التي تمت في المنطقة الباريسية هذه المرة ساحقة : خمسائة في السين، وعشرون في السين — إي — وار. نفسه.

108 هكذا، أخطر كشف 12 نونبر ثلاثة وستين اعتقالاً في السين وثمانية عشر في الشمال، فيما كانت هذه الأرقام في الأسبوع التالي من أكتوبر وحده وعلى التوالي، مائة وواحد وعشرون وواحد وعشرون.

للاعتقالات التي تمت في 1925، على إثر الترخيض الذي طُوِّر ضدَّ حُرْب المغرب، يمكن أن يصل الى 500، مع هامش للخطأ من صنف 10%. أما فيما يتعلق بالحاكمات فإن رقم 157 المُستَازر اليه أعلاه مُنسَجَم تقريباً مع الاشارات التي قدّمتها لومانيتي (109). لقد كان ينبغي تَكميلَه بالحاكمات التي جرت بَعْد 12 نونبر 1925، ونعرف أن البَعض مِنهَا لم يَنطَلِق فيها إلا خلال 1926.

إن كَانَ قد تَعَلَّر وجود حصيلة كَمية شاملة ودقيقة، فإن في باستطاعتنا تقديم بَعض التوضيحات حَوْل الأشخاص المُعتَقَلين. وبإحدى ذي بدء، ينبغي رفع الالتباس : إذا كان أَغْلَبُهُم شيوعيين — وقد افترضوا كذلك على الخصوص لأنهم اعتُقلوا بسبب توزيعهم لمناشير أو تعليقاتهم لِلصِّقَات منشورة من طرف الحزب الشيوعي — فإن التعميم من شأنه أن يكون تعسفياً. لقد تمَّ اعتقال عَدَدٍ من المناضلين الفوضويين في غشت بالشَّمال (110)، ومنطقة سان — إتيان (111). وشملتهم أَحْكَامٌ من سِتَّة أشهر إلى أربع سنواتٍ سجنًا من طرف محاكم باريس، وأورليانس، وريمس، وتولوز (112). أما المعلومات التي تتوفر عليها بشأن المناضلين المُعتَقَلين أثناء مَظَاهرة 25 شتنبر 1925 بمحطة سان — لازار وبشأن أولئك الذين سَيُعتَقَلون بَعْد بضعة أيام من ذلك بمناسبة إضراب 12 أكتوبر فتسمح بتوضيح بَعض مُمَيَّزَاتِهِم (113). فمن بين 74 شخصا معتقلين في 25 شتنبر، هناك ثلاث نساء؛ وهناك سِتُّ نساء من بين 105 من الأشخاص في 12 أكتوبر بباريس. وكانت نسبة الأجانب 10% في الحالة الأولى، و20% في الثانية؛ ولكن بينما كان 19 مُضْرباً أجنبياً من 20 تمَّ اعتقالهم إيطاليين، تَوَزَّع الفوضويون الثانية على هذا النحو : 4 إيطاليين، إنجليزيان، بلجيكي واحد وبولوني واحد، لقد كان المتظاهرون الفوضويون أكثر شباباً نسبياً مِنْ مُضْربِي 12 أكتوبر : 82% كانت لهم أَقَل من ثلاثين سنة ضدَّ 68%؛ إلا أن الذين لم يكونوا يتجاوزون العشرين كانوا أكثر عدداً نسبياً يوم الأضراب.

- 109 حسب اليومية الشيوعية، كان عدد المحكومين اثنين وتسعين في 4 شتنبر 1925 ومائة وثلاثة عشر في فاتح أكتوبر.
110 هوش — موران — فيليل، ميري، ميشيل، لولور، 21 غشت 1925.
111 بانار، ريجيس، موزيل، نفسه.
112 لقد تم الحكم على لودال، بداديل، ولولا دي ستة أشهر سجنًا ساريس، وكنا على لأكروا وشازوف بأورليان، أما تريشو فثمانية أشهر بتولوز، ولويسيت بأربع سنوات بريمس، نفسه والأضيفات المقاتلة للهوط — غارون، M 969.
113 إنه لمرر بما أن نواحه بين عمود «شيوعي» وعمود «بوسوي» تتعلّق أنه في 12 أكتوبر، كان الحرب الشيوعي، قل كل شيء، هو الذي نادى إلى الأضراب. لكننا لامتقد بأن ظروف اعتقالات 12 أكتوبر تسمح بمواجهة تسيطية على هذا النوع، إن طموحنا ينحصر في أن نعرف على حو أفضل المتظاهرين الذين اعتقلوا لكونهم تظاهروا ضد حرب الريف.

لقد جمعنا في اللائحة إزاءه المعلومات المُقدَّمة عن وهن الأشخاص المُعتقلين، سواء في الأقليم بين مايو ونونبر 1925، أو في باريس (المُظاهرة الفوضوية ليوم 25 شتنبر، وكذا يوم 12 أكتوبر 1925). لنلاحظ أولاً بأن الاعتقالات مَسَّتْ مُحصَّصاً المسؤولين السياسيين والتقنيين الذين لم تتم الإشارة إلى أية مهنة خاصة بهم (هل كانوا كلهم مُداومين؟). مع مراعاة هذا التحفظ، نلاحظ تفاوتاً اجتماعياً أكبر بين الأشخاص المُعتقلين في الأقليم. فبنسبة العمَّال مُرتفعة بالكاد هنا، بينما تشكُّل الثُلثين في باريس. وهناك قطاعان، هما البناء والتعدين، قدَّما نصف التعدادات العمالية في المقاطعات، وقد كان وزنهما النسبي أكثر أهمية في باريس. وتفسر ظروف اعتقالات 12 أكتوبر العدَّة المُرتفعة نسبياً لأحزاب الثقل : لقد تعلق الأمر بمستخدمي نقابة النقل الحضري ويساتقي سيارات (شاحنات وسيارات تسليم البضائع دون ريب)، وهم عناصر مُهمَّة في الاضراب. ومن بين الجُريفيين المُعتقلين في الأقليم، تُسجَّل إلى جانب التجارين وتجارِي الأثاث، الموجودين أيضاً في باريس، إسكافيين وخباطين وحلاقين. أمَّا بخصوص المُستخدِّمين فالتوضيحات زهيدة، باستثناء هذا التوضيح : من بين الفوضويين المُعتقلين في باريس نجد أربعة محاسبين من بينهم امرأة. بينما سجَّلت اعتقالات قليلة بين السكَّكين (خمسة في الأقليم، وإثنان في باريس) والمُدَّرسين (إثنان في الأقليم). أما الصحفيون المُعتقلون (خمسة في الأقليم، وصحفي واحد خلال المُظاهرة الفوضوية لسان - لارز)، وكذا مديرو المطابع (إثنان في الأقليم، وواحد في باريس)، وعمَّال المطابع (أربعة في الأقليم، وثلاثة في باريس⁽¹¹⁴⁾)، ومُتعهِّدو المُلصقات (سبعة في الأقليم، لكن هل كانوا كلهم مُتعهِّدين عُموميين؟) هذه الاعتقالات توضح لنا في الأخير بأنَّ القمَّع توجه على الخصوص إلى الدعاية المكتوبة.

مهن الأشخاص المعتقلين
بمناسبة المظاهرات ضد حرب المغرب

الاقليم		باريس	
العدد	%	العدد	%
اعتقالات تمت بين ماي ونونبر 1925 مظاهرة موضوعة لي 25 شتبر يوم 12 أكتوبر 1925 1925 بسان — لزار			
93	54	45	66
(23)		(16)	
(23)		(24)	
9	5	4	6
(5)		(2)	
(2)		(1)	
(2)		(1)	
14	8	6	9
10	6	5	7
12	7	1	2
35	20	7	10
173	100	68	100
104		6	

الاحتجاجات ضدّ القنّع

لم تكن أقلية الحزب الاشتراكي المجتمع حول موريس موران وحدها التي احتجت ضدّ القنّع (115). فقدّ ثارتُ عُصبةُ حقوق الانسان ضدّ تطبيق القوانين المتعلقة بالمتاورات

115 أنظر خاصة ليتالسل ل 24 و 31 أكتوبر 1925.

الفوضوية على الشيوعيين بخصوص تحريض العسكريين على المصيان (116). كما احتج ليون جوهو على بانلوفي الذي «ترك فضائه ورجال أميه يعاكسون دون أدنى سبب منظمات نقابية ومناضلين. وأحيا تقليد حملات تفتيش بورصات الشغل» (117). أما جوليان فورغ، سكرتير النقابات الكنفدرالية المهوطة — كارون، فاحتج على المحاكمات التي مسّت «رفاقاً عمّالاً شيوعيين وتحريين كانت (لهم) الشجاعة لكي يعبروا عن وجهة نظرهم حول تحري المغرب وسوريا بوجه خاص، وحول الحرب بوجه عام» (118). وقد أدان فرع ليل للحزب الاشتراكي سياسة القمع التي «بقدرها هي مخالفة للقانون، بقدر ما هي مثيرة للسخرية وغير مجدية» (119). أما المجلس البلدي لسان — إتيان، برئاسة السناتور الراديكالي لوي سولبي، فاحتج على حملات التفتيش التي أجريت دون علمه في بورصة الشغل (120). بينما أكد الشيوعي الحر بيتروس فور بأن «تقارير مزورة من طرف الشرطة» هي أساس القمع (121). لكن ما يلفت الانتباه، هو احتجاج النائب الاشتراكي لاباتو أمام المجلس. فقد سخط هذا البرلماني لكون رجال الدرك قدّموا، على إثر اجتماع شيوعي عمومي انعقد بضيعة أولون الصغيرة (المهيوطة — كارون)، التي هو عمدها، لكي يفتشوا في دار عمديته. إنه يعلم جيداً بأن ذلك ثم لأن لسكربتيه في دار العمدية تعاطفات شيوعية — «ذلك شأنه، ولا يعني» — لكن ليس هناك ما يمكن مؤاخذه به (122)، ولا يمكن لهذا بالأخص أن يُبرّر تصرف السلطات. لقد توجّه لوزير العدل، الراديكالي ستيك، أما مجلس النواب فإنه استمع في صمت لتعاير

116 AN مجموعة بانلوفي 190 AP 313 (رسالة 26 أكتوبر 1925 إلى رئيس المجلس) لنسجل بأنه لم يقدّم نشر هذه الرسالة من طرف دلائل حقوق الإنسان وأن مكتب العصبة لم يلق بعد نسخة أشهر لاحقاً، قال مكتوب ناش مقراً: «من الأكيد أننا كما سارع احتجاً أكثر حدة ضد حرب المغرب وضد تطبيق القوانين العادية لو لم يكن زميلنا وصديقنا السيد مانلوف رئيساً للمجلس أو وزيراً للحربية» دلائل حقوق الإنسان، 30 أبريل 1926، ص 206 — 208 (جلسة اللجنة المركزية لفتح أبريل 1926).

117 لوبول، 18 دسمبر 1925.

118 A.D. للهوطة — غارون، 968 M (لقاء س.ح.ت لـ 16 يناير 1926).

119 لورينغي دولور، 7 يوليو 1925

120 AN مجموعة مانلوفي، 186 AP 313. على إثر اعتقال كبير، وكيل طوافيوار سافوايار، بسبب تحريضه للعسكريين على العصيان، دفع المستشارون المدعون الراديكاليون الاشتراكيون والاشتراكيون، في 3 نونبر 1925، على عريضة تفتح على تطلق قائده 28 يوليو 1894 في قمع المظاهرات الفوضوية. نفسه

121 AN F7 13176.

122 تتعلق الأمر بتارسيل بورداخ، الذي كان حده قد أصيب بحرج خطيرة في 1870 وقتل أبوه في 14 — 18. إن له إذن أساماً وحبية للعصيان ضد الحرب. هذا وإذا كان قد تمّ العثور لديه على حوالي خمسة عشر مشواً وحوالي عشرة ملصقات، بالكل في مطروف قليل لاثام موصفاً فإنه لم يقدّم أي تبرير أو إلصاق لهذه الوسائل. مع ذلك، فقد حكم عليه بثلاثة أشهر سجناً لتحريضه العسكريين على العصيان. انظر الأرشيفات المقاطعية للهوطة — غارون، 1136 M (تقرير الدلائل في 8 يوليو 1926).

بملته : «لقد أثبتت إثقتن عندي !...» وإذا بلاياتو يقلق لاتساع التحقيقات البوليسية : «زذ على هذا أن الأمر لا يحدث عندي فقط، إن هذا يحدث في مجموع فرنسا»، وحتّم قائلاً : «صنعوا حدّاً في أقرب وقت ممكن لهذه الأزعاجات التي لا إسم لها. لا تتحدّوا بهذا الشكّل جمهور الشغاليين، إنكم بذلك تجازفون بأن تنهروا في بوادينا الهادئة أشكال سحق كبيرة ومشروعة» (123).

وعلى الصعيد المحلي كان القمع، بالفعل، مناسبة لمظاهرات جديدة. ففي فينستير، نظمت النقابة الاتحادية للتدريس، بمفردها أو مع الحزب الشيوعي سلسلة من الاجتماعات للاحتجاج ضدّ الحكم بأربعة أشهر سجناً في حقّ كاوناشر، وهو مُعلّم بلينون، لكونه قدّم ملصقات ومناشير ضدّ حزب المغرب. وفي الشّير، احتجّت لجنة العمل المحلية بشدّة ضدّ الحكم على أليكسوندر — كيو، سكرتير المنطقة الشيوعية للمركز، ثلاثة أشهر سجناً نافذاً لكونه سلّم رزمة ملصقات إلى مُعلّق ملصقات. لقد رفعت الأمر إلى السلطات والمُنتخبين المحليين، ودعت إلى المظاهرة. وفي 7 فبراير 1926، سارّ حوالي ألف شخص بيورج، وعقدوا لقاءً على كتب من السجن. لقد انضمّ الاتحاد المُقاطعي للس.ج.ت الإصلاحية — التي لم يتوقف الحزب الشيوعي عن انتقاد موقفها خلال تلك الفترة — إلى لجنة العمل وطالب بإطلاق سراح كيو. وفي نانسي، ثمّ تعليق ملصقات جديدة من طرف لجنة العمل المحلية تحتجّ ضدّ الحكم بشهرين سجناً في حقّ جان أليكسوندر، مدير المطبعة العمالية، لكونه أصنّر مناشير ضدّ حزب الرّيف. وفي تروئي، كان خروج مارسيل كوني، سكرتير الـ س.ج.ت الوحديوية للوب، من السجن، بعد اعتقاله غداة إضراب 12 أكتوبر، مناسبة لتجمّع مهمّ. وفي نانت، انعقد يوم 26 فبراير 1926، لقاءً بهدف الاحتجاج ضدّ النظام المفروض على السّجينين فورستبي وتوربان، المحكوم عليهما بسبب عملهما ضدّ حزب المغرب. كما أن المجلس البلدي لسان — جونيان، المجتمع خارج الجلسة «احتج بجولة ضدّ اتهام اثنين من أعضائه طبقاً لقوانين نُعتت بأنها أئيمة من طرف جميع جمهوريي اليسار، ومن بينهم الرّئيس الحالي للحكومة» (124). وكان موقف جماعة سان — يار — دي — كور، بالآندر — إي — لوار — باعثاً على العيرة بشكل خاص.

123 مفاوضات المجلس، 10 يوليو 1925، الجريدة الرسمية، ص 3343 — 3344. سيدافع لاناتو طويلا في 1926. أمام المجلس العام للهوط — غارون، عن رضاء «بهدف إلى الحصول على إطلاق سراح المحكوم عليهم الذين احتجوا ضد الحرب» — «هناك أحكام تشرف الذين يتلقونها» — لكنه لم ينع من طرف وملائه الاشتراكيين والرايكياليين المجلس العام للهوط — غارون. جلستنا 27 شتم 5 أكتوبر 1926، ص 13 — 14 : 429 — 439.

124 A.D هوط — فين، 1 M 184.

لقد نصّح، على ما يبدو، رويسبيار هينو، العمدة الشيوعي لسان — بيار — دي — كور (125)، بتأخي القوات الفرنسية والزيفيين أثناء تجمّع عُمومي نُظِمَ بالبحر يوم 19 يونيو 1925. وإذا توّبع بسبب تحريضه للجنود على العصيان، ثمّ اعتقاله في 30 يونيو. وفي اليوم التالي، عُقِدَ تجمّع احتجاجي أمام دار العمدية ضمّ حوالي ألف شخص؛ أعقبه زحف ستمائة منهم على تور. وفي 25 يوليو، توجه سبكيون من تور وسان — بيار، بالزهرة الحمراء في عروبتهم، إلى البحر ليحضروا الجلسة الجنحية حيث كان على هينو أن يمثّل. لقد تجمّع خمسمائة متظاهر، حسب الشرطة، وخمسة آلاف حسب مراسيل لومانيي (126)، أمام المحكمة قبل أن يتوجهوا إلى بورصة الشغل حيث تمّ ارتجال إلقاء وبعد ذلك تظاهروا أمام السجن. وقد حُكِمَ على هينو بستة أشهر نافذة سجنًا. قبل ذلك بأيام، كان والي آندر — إي — لوار قد بلّغ بأنه ينوي توقيفه عن مهامه كعمدة. فهو يؤاخذ ليس فقط على أقواله — التي تُبرّر اتهامه — بل أيضًا «لكونه وضع وشاحه البلدي أولاً لكي يمثل أمام النيابة وبعد ذلك عند اقتياده لسجن البحر». لقد قام هينو بتوصيل نسخة من هذه الرسالة (127) إلى المجلس البلدي، وردّ عليها في رسالة مفتوحة نشرتها لومانيي. إنه لم ينكّر شيئاً من الأقوال المنسوبة إليه، باستثناء جملة: «تأخّوا معهم» التي قيل بأن المفوض سمعها، والتي اعتبرها اختلاقاً بخصاً، ثمّ تحدّث قائلاً: «لدى رجال الدرك وفي السجن وفي غرفة القاضي وأمام المحكمة، وسواء كنتُ موقوفاً أم لا، فإنني، عمدة سان — بيار — دي — كور بإرادة الشعب وسأبقى كذلك، ووشاحي يمثّل البروليتاريا المضطّهة في شخصي، لتسقط الحرب الامبريالية والمالية للمغرب». (128). ومن جهته، قام المجلس البلدي بالاحتجاج ونظمت مظاهرات جديدة. لقد تحمّ على الوالي أن يتراجع. وعند خروجه من السجن، سيسترد هينو مقعده كعمدة. وخلال ذلك، كانت قد تمت محاكمة عشرة مناضلين آخرين. إن واحداً منهم، يدعى جيار، وهو صديق هينو، كان مُزارعاً من الوادي المنخفض للشير، وملك حوالي عشرة هكتارات حيث كان يتعهّد زراعة مُتعددة ويقوم بتربية بعض المواشي. وقد أثار اعتقاله حركة تضامن بين الجيران؛ فوقعوا على عرائض لاطلاق سراحه وساعدوا عائلته في

125. هذه المدسة الصغيرة، التي بُنيت حول شبكة سلكية هامة قرب تور، كان يقطبها 6617 نسمة في إحصاء 1926.

126. لومانيي، 27 يوليو 1925

127. إن رسالة الوالي مؤرخة في 11 يوليو 1925. وقد أعيد نشر بعضها في سجل المداولات للمجلس في 20 عشت.

128. لومانيي، 21 يوليو 1925.

أشغال الضيّعة. لكن لن يتمكّن احتجاجهم مع ذلك، من تلافي البيع الجبري للملكية بعد بضعة سنوات لتسديد الغرامة التي كان جيوار محكوماً بتأديتها (129).

الانتقادات والانتقادات الذاتية

لم تكن المواقف المتخذة من طرف الحزب الشيوعي تجاه حرب الرّيف تُنتقد فقط تُهاجم بقوة، خارج الحزب. فداخل التنظيم الشيوعي، كانت انتقادات مختلفة تعبر عن نفسها بنوع من الحرية، طوال الحملة، وكانت صحف الحزب توردّها. لقد كانت تصدر عن مجموعات كانت تعترض أيضا على جوانب أخرى من سياسة الحزب الشيوعي، إلى حدّ أن بعضهم بدّوا مجتمعين في معارضة حقيقية، منوعة بـ «اليمنية» من طرف الحزب الذي كان يرى في مطرودي 1924، سوفارين من جهة، وموناظ وروسمر من جهة أخرى، مُرشّدي تلك الحركة. وارتباطا مع هذا الرّفص أو بدونه، دُفّع نقاش أثر داخل الأجهزة القيادية القيادية لأن تراجع، في نهاية 1924، بعض التقاط في الحملة، ولتقوم، تبعاً للغة المتداولة، بتقيد ذاتي ستؤكده بإسهاب أكبر في بحر السنة اللاحقة، بطلب من الأمية. لقد كانت الانتقادات والانتقادات الذاتية تدور حول نقطتين أساسيتين.

□ الدلالة المُعطاة لحرب الرّيف وللدّعم المبدول لعبد الكريم؛

□ صلاحية الشعارات التي أطلقها الحزب وقضية تحقيق جبهة موحدة.

المعارضة داخل الحزب الشيوعي

لقد انتقد بشدة الدّعم الذي قدّمه الحزب الشيوعي لعبد الكريم، كما رأينا، من طرف الاشتراكيين والتحرّرين الفوضويين الذين كانوا في غالبيتهم العظمى، يعتبرون الرّعيم الرّيفي إقطاعياً. وقد انتهى عدد من المعارضين داخل الحزب الى نفس الاستنتاج مع توقعهم في وجهة نظر ثورية، كما يلحّون على ذلك. هكذا عبّر باز، وماهوي ومارسيل روي، عن اتّفاقيهم مع دّعم التمرد الرّيفي، لأن الأمر يتعلّق بـ «حركة فلاحية تطالب باستقلال الرّيف وتعلن إرادتها في القتال للحصول عليه». لكنهم، يقولون موضحين «لا يعني دّعم الحركة الوطنية الثورية الانقياد لعبد الكريم». إن الحزب مخطيء لكونه لم يقيم «بأدنى تحفّظ على العقلية الإقطاعية والدينية التي تحرك الرّعيم الرّيفي»، ولم يُفسّر للجماهير بأن تحرير الرّيفيين لا يمرّ

129 أنظر لوماليني، 3 يناير 1930 بعد حنين سنة لاحقا، أثار ميرجيل جيوار، ابن الماضل الصديق ديو أماما نتيجة هذه الحلقة من القمع: «إن حياتي كلها تغيرت سسها، قال لنا، نأناه لم يكن في إسكالي متابعة دراسية».

فقط عبر قتالهم ضدّ الفرنسيين والاسبان، وإنما أيضاً عبر عمل تربية وتنظيم لطبقة فلاحية مُستَغَلَّة بشكل واسع «ضمن الروح الثورية» (130). لقد ذهب سان - جاك، وهو مناضل مسجل من جزر الاتني، وعضو المجلس المركزي الاستعماري، أبعد من هذا. فَعَدَّ أن ذَكَرَ بأنه ليس لكل الحركات الوطنية، بالضرورة، محتوى تقدّمياً، وأتخذ بَلُوْره الدَّعْمَ اللامشروط الممنوح من طرف الحزب الشيوعي الى عبد الكريم، لم يتردّد في أن يعتبر ظروف استسلام هذا الأخير خيانة حقيقية إزاء المقاتلين الريفيين (131).

لقد انتقدت المعارضة أيضاً صلاحية إشارات الشيوعية التي تساند الجلاء العسكري عن المغرب والتآخي. فقد لاحظ باز وأصدقائه بأن دور شعار ما يتمثل في جمع الجماهير العريضة حول الحزب بهدف العمل. إلا أن شعار الجلاء ليس قابلاً لأن يُفهم: «إن ما ينتجم عنه إذن هو إبعاد الحزب عن الجماهير» (132). أمّا شعار التآخي، فيُظهِرُ بأن قيادة الحزب تُعْتَبَرُ الحَرْبَ كـ «ظاهرة مُجرّدة يمكن أن تُستغفل ضيغها وسائل كفاح صالحة لكل شيء». لقد كان التآخي موافقاً لظروف كفاح بحارة البحر الأسود، في 1919، وكذا لظروف احتلال الرّوز في 1923، لأنه يفترض «نوعاً من التعادل في درجة التطور الاقتصادي للشعوب المتحاربة، وبالتالي نوعاً من التكافؤ في التضج السياسي للجنود الحاضرين. إنه يفترض أيضاً، من هذه الجهة كما من تلك، وجود تنظيم ثوري قادر على ترويج الشعار». إلا أنه، يلاحظ أصحاب الأطروحة، «لا يكون الأمر على هذا النحو عندما يتواجد عمّال وفلاحون من بَلَدٍ دأستالي امبالي وفلاحون يسعون بقيادة زعيم إقطاعي الى تحقيق الاستقلال الوطني» ويختتموا قائلين: «ما كان ينبغي إطلاق شعار التآخي بخصوص حرب المغرب» (133). لقد كان للوريو موقف مختلف. فهو لا يعترض على الشعارات إلا بقدر ما يزعم الحزب أنها شرط الجبهة الوحيدة. وقد ألح على المميزات التي ينبغي توفرها في هذا التكتيك: «إن الجبهة الموحدة ليست تُصنَّعُ أو فُتِحَا. فإذا كان الحزب يقترحها، فإنما يفعل ذلك بشرف وصدق. (...) وهدفه هو أن يجمع كل قوى البروليتاريا في تحالفات مؤقتة، من أجل أهداف محدودة». إلا أن الجلاء العسكري عن المغرب، مثل الجلاء عن الجزائر وعن كل المُستعمرات، يفترض «امتلاك السُلطة عبر الثورة»، «ودكتاتورية البروليتاريا». فهذا الشعار لا يمكن أن يكون إلا «شيوعياً بشكلٍ نوعي». لذا فإن اقتراحه على الاشتراكيين، المعروفين لك

130 لوماني، 17 أكتوبر 1925 (ص. 4 «أطروحة» 30 شمر).

131 أنظر دلائل الشفوية، 30 يونيو 1926، ص 1421 - 1423 و 31 يوليو 1926، ص 1606 -

1608

132 أطروحة، ل 30 شمر المشار إليها سابقاً.

133 في الموضع نفسه

«خصوم للثورة»، «فعل عيشي» و«خطأ سياسي». لقد «دأب» خصوم الحزب «على إظهار أن القصد الأساسي للشيوعيين ليس إيقاف مذبحة المغرب بقدر ما هو النيل من الحزب الاشتراكي» (134).

لقد حظيت المعارضة داخل الحزب، غداة إضراب 12 أكتوبر، بمساندات جديدة. فقد وقع مائتان وخمسون مناضلاً على رسالة موجهة للأهمية استعادت على الخصوص بعض الانتقادات التي وجهت لحملة الحزب (135). وأضافوا بأن المؤتمرات العمالية والفلاحية لم تكن سوى «خدعة لا غير»، ووصفوا إضراب 12 أكتوبر بأنه كان «إخفاقاً محزناً». لتوضّح أصل هؤلاء الـ «250». إن 60% منهم من المنطقة الباريسية، و20% من السين — آنفيريور، و8% من الرّون، و6% من الشمال (136). وعلى الصعيد الجهوي، فإن شغالي البناء والمعادين، هم الذين يتقدمون أكثر حصّة من المقترضين، ثمّ تليهم السكك الحديدية، والمنتجات الكيماوية، والتغذية. لقد كان عدد من الموقعين يشغلون مسؤوليات سياسية — فوجد بينهم عشرة نواب، وثلاثة منتخبتين محليين — ونقابة، لكن لا يوجد أي عضو من الشبّيات الشيوعية بهذه الصّفة ومن جهة أخرى، كانت جريدة الثورة البروليتارية، التي يُنشطها كل من روسمر وموناظ، تتلقى بطيب خاطر انتقادات المعارضين. وقد عدل روجي هيربوس عن شعار التآخي الذي رأى فيه انبعاثاً للهريفية «بما كان فيها من عبث وفضاظة» (137). أمّا موناظ، فقد اتهم من جانبه الحزب الشيوعي بكونه «تحزّب» الحملة ضدّ حرب الرّيف (139).

- 134 رسالة 26 مايو 1925 إلى اللجنة المركزية، دفاتر البلشفية، فاتح عشت 1925، ص 1619 — 1620، (التشديد في النص). خارج الحزب، تنى سوفالين نفس موقف لوريو فهو، مثله مثل هذا الأخير مع مبدأ الجلاء عن المغرب، وهو ما تعرض عليه قيادة الحزب الشيوعي، لكنه ينكر لهذا الشعار قدرته على تهيئة الجماهير؛ إنه «يصلح فقط لمقاومة الفوضى في صفوف العمال». النشرة الشيوعية، 30 أكتوبر 1925، ص 3.
- 135 إن رسالة الـ 250 مؤرخة في 25 أكتوبر 1925، وكوتني، وهو سككي، وبالب السين — آنفيريور، هو الذي حررها (أنظر المؤتمر الوطني الخامس للحزب الشيوعي الفرنسي، ليل، 20 — 26 يونيو 1926، ص 236). حسب سيمار، تم إبلاغ الرسالة للحزب في دجنبر، مع الطلب بأن تشر في طرف ثنائي وأربعين ساعة «كإندلار نهائي» (نفسه، ص 272). وأمام رفض الحزب، نشرت المعارضة رسالتها على شكل منشور من أربع صفحات، في 14 يناير 1926 (AN F7 13090) بعد بضعة أيام من ذلك، أعيد نشر النص من طرف دفاتر البلشفية (عدد مؤرخ في 15 يناير 1926).
- 136 هذا التوزيع يعيد طعنا عن ذلك الذي قدمته إحصائيات الحرب في 1925، أي 25% للمنطقة الباريسية، 61,8% للسين — آنفيريور، 21,8% للرّون، 10% للشمال.
- 137 لافوليسون بروليتاريان، مارس 1926، ص 23.
- 138 نفسه.
- 139 نفسه، فبراير 1926، ص 3. أنظر أيضا أكتوبر 1925، ص 30.

لقد سَعَتْ قيادة الحزب الشيوعي إلى الرُّدِّ على هذه الانتقادات. فمنذ أواسط صيف 1925، في فترة كانت تَنتَظِرُ فيها مِنَ المؤتمرات العمالية والفلاحية أن تُؤلِّيَ أهمية كبيرة لحملتها ضدَّ حرب الرِّيف. عَدَلَتْ عن المسألة الرِّئيسية، مسألة الجبهة الموحدة، التي توجد بصدها في خلاف مع المعارضة. مهملة «الحلقات الثانوية والمسائل المتعلقة بالتفاصيل» فقد كانت المعارضة تودُّ اقتراح وحدة العمل على الاشتراكيين على أساس شعار واحد هو شعار السلم. إلا أن اللجنة المركزية صرحت بأنه حتى مع افتراض أن الحكومة الفرنسية يمكن أن تُصَمِّمَ عليه، فإن السِّلْم وإن كان سينجم عنه انخفاض عدد الضحايا والتخفيف من زيادة الضرائب. فهو لن يكفي لتحسين وضعية البروليتاريا بشكل واقعي لأن التحسُّن الجوهري مُستحيل في ظل النظام الرأسمالي. فمطلب الجلاء العسكري عن المغرب، مثل مطلب إقامة المراقبة العمالية في فرنسا، يصطدمان بالحُكْم البورجوازي. إنهما يقودان، بالفعل، إلى الثورة، لكنَّ الجماهير تفهَمُ بأنَّ تَعميرَ وَضْعِيَّتِها متوقَّف على الكفاح من أجل هذين المَطلَبَين : «يستحيل على البروليتاريا الفرنسيَّة أن تنتصر على بورجوازيها الكبيرة والامبريالية دون التحالف مع المُضْطَّهدين المُستَعمَرين الذين يريدون الكفاح من أجل تحرُّرهم الشامل». (140). بخلاف ذلك، من البديهي أن الزعماء الاصلاحيين لا يريدون السَّير في هذا الطريق. إن تكتيك الجبهة الموحدة يَتطلَّب تعبئة الجماهير للكفاح وعزْلها عن الزعماء الذين، بارتباطهم مع البورجوازية، لا يريدون القتال. «نعم» تَمَّة فُتِحَ داخل الجبهة الموحدة، لكنه ليس الفُتْحُ البئس الذي ينصبه الشيوعيون للزعماء الاشتراكيين. لكنه الفُتْحُ الذي ينصبه التاريخ للقادة ولأحزاب التي لا يمكنها الكفاح مع البروليتاريا بحكم ارتباطها مع البورجوازية» (141). فالجبهة الموحدة إذن ليست اتفاقاً مع الحزب الاشتراكي لأهداف محددة في إطار الدولة الرأسمالية، إنها ليست كارتيلاً جديداً يُرغِمُ كلَّ طَرَفٍ على اعتبار متطلبات الآخر، وعلى التَّقصُّص من أهدافه الخاصة. فالمتطلبات مُوجَّهة هُنا عَبرَ كفاح ثوري يُعتَبَر الحزب الشيوعي وَحْدَهُ مُهيأً لقيادته. لقد عبرت المؤتمرات العمالية عن رغبة المشاركين في السير في هذا الطريق؛ ولا تعتبر لجنة العمل التي تُحدِثُ منها «تحالفاً بين الأحزاب، بل قيادة عليا للتعبئة الثورية تحركها الرُّوح الشيوعية» (142).

إنه لفي متبى الوضع أن يُبرِّر الحزب الشيوعي شعاراته، بتموقعه في منظور ثوري. لكن يَبْقَى الالتباس قائماً : هَلْ يعني إزْغَام الحكومة الفرنسية على الجلاء عن المغرب،

140 دفاثر البلشفية، ناتج عشت 1925، ص. 1569.

141 نفسه، ص. 1570.

142 نفسه.

اضعاف الامبريالية فقط أم أن الحزب الشيوعي يعتقد بأن الأمر يتعلق بضربة فاصلة ؟ إنه السؤال الذي طرّحه المعارض، في نفس الوقت، على اللجنة المركزية : هل يفكر الحزب في تحويل حرب الرّيف الى حرب أهلية للاستيلاء على الحكم ؟ (143)، لقد اعتبرت سيمار بأن طرّح السؤال بهذا الشكل هو من باب الاستفزاز. وكان لابد من انتظار بضعة أشهر لكي يُقرّ، تحت ضغوط الأهمية، بأن قيادة الحزب أبدت حول هذه النقطة توجّهاً «يسارياً» هو الذي سمح، في الواقع، بتأويل مماثل.

«تصحيح» القيادة

مع ذلك، فمنذ خريف 1925، تحلى قادة الحزب الشيوعي جزئياً عن تصلّبهم. ليس لكونهم عدّلوا عن إدانتهم لتوجّهات «اليمين»، بالعكس. لكن بينما ظلّت الهوة تنحرف بين إيمارضة وقيادة للحزب، بدت هذه الأخيرة متأثرة ببعض الانتقادات. مثلاً، انتقاد كونها قد بالغت بشكل كبير في تعدادات العمال المُتميّلين في المؤتمرات. لقد أقرّ سيمار، في التّدوة الوطنية لأكتوبر، بأن «الأرقام المُتّهمة كانت مرتفعة بالتأكيد»، أمّا فيما يتعلق بمُضربي 12 أكتوبر، فقد أنكر تضخيم عدّدهم وأكد بأن القيادة اكتفت بنشر الأرقام المُبلّغة إليها من طرف تنظيمات القاعدة (144). لم يكن أمر مراجعة تكتيك الحزب وارداً، ولكن تمّ الشروع في تطوّر. أو لم يُحدّد سيمار الجبهة الموحدة بعبارة جديدة، وذلك بحديثه عن «وفاقي ليس على برنامج ينكر الصّراع الطبقي، ولكن على شعارات مقبولة من طرف العمال الاشتراكيين» (145). وستعمق ندوة فاتح دجنبر تبعات هذا الموقف (146). لقد ذكّر الحزب الشيوعي بأن شعارتيّ التّآخي والجلاء عن المغرب مطابقتان لعقيدته، وأنه لا يمكن أن يتخلّى عنهما. لكنه أكّد بأن الأمر لا يتعلق فقط بإطلاق شعارات صحيحة، بل بتحديد طريقة ترويجها وجمع الجماهير حولها. وقد أظهرت التجربة بأن الجلاء والتّآخي كانا شعارين «مُتقدّمين جداً» على الجماهير، وأنه بالتّالي كان من الخطأ قرض قبولهما كشرط للجبهة الموحدة. هذه الأخيرة،

143 رسالة 9 عشت 1925، الموجهة من طرف المعارضة الى اللجنة المركزية والملحقة بمحضر اجتماع 18 غشت (مساء)،

أرشيفات معهد موريس — طوريغز — السلسلة 93

144 نفسه، السلسلة 90 (محضر المنتدى الوطني لأيام 18 — 21 أكتوبر 1925 بايفري).

145 نفسه.

146 نفسه، السلسلة 91 (محضر المنتدى الوطني لفاتح دحر 1925. انظر أيضاً لوماني، 4 دحر 1925 (مقال

تران)، 5 دحر (مقال سيمار) وبالأخص 6 دحر (رسالة مفعوسة الى مناصلي الحزب، موقعة من طرف المنتدى الوطني الاشتراكي واللجنة المركزية).

سعى أن تكون، من الآن فصاعداً، مقترحة على الأساس الوحيد لـ «السلم الفوري» في المغرب.

في الشهر الأول من 1926 ضاعف الحزب من ثقته الذاتي. ففي تشرية داخلية ألح على ضرورة تحقيق الجبهة الموحدة دون صدم الجماهير. فلانتزاعهم من تأثير الزعماء الاصلاحيين، لا ينبغي الاكتفاء بشتم هؤلاء، لأن «العمال الذين انتخبوا هؤلاء الزعماء والذين لا تزال لديهم الثقة فيهم، لن يُنصتوا إلينا». ومن جهة أخرى، ينبغي «أن نُدخل في الاعتبار واقع كون الجماهير ليست بُعْد شيوعية، وأنها لن تنصت إلينا إذا اقترحنا عليها الجبهة الموحدة على أساس برنامجنا الثوري الكامل». ومعنى هذا أن على الجبهة الموحدة أن تقوم على شعارات «أكثر تواضعاً»: وشعار السلم الفوري يبدو الأكثر مواءمة لهذا الوضع (147). على الحزب إذن أن يُنتج خطابين في آن واحد: فعليه أن يستمر في الدفاع عن مُحاجة ثورية، شيوعية بمصر المعنى، تتضمن شعاري التآخي والجلاء عن المغرب. لكن عند توجيهه للاشتراكيين، ووجوه عام اليسار غير الشيوعي، عليه أن يدعوه لتشكيل جبهة موحدة من أجل عمل مشترك مُنحصر في مطلب السلم. إذا كان هذا التقدير الذاتي قد تمَّ فهمه في مجموع المناطق (148). فإننا نسجل رد فعل المسؤول عن الفدرالية المتوسطة الذي اشتكى من كون الحزب قد سقط بعد ندوة دجنبر، ويتعلل تصحيح الخط «في المفعول العكسي: لقد صار لنا شعار السلم الفوري؛ وهذا جيد للجماهير. لكننا لم نعد نرى شعاري التآخي والجلاء (...) لقد سمعت في بعض اللقاءات الحديث عن السلم الفوري لكنني لم أسمع أبداً عن الجلاء. وقد أحسنا، في الغالب، عند عرض هذه الشعارات، بَعْد فهم كَلِّي بين أعضاء الحزب. إنها ملاحظات مُكثرة» (149). يُسجل أخيراً بأن هذا التطور الجديد وافقته نظرة أكثر وضوحاً لنشاط الفدراليات في كفاحها ضدَّ حرب الريف. لقد أعطى التشهير من

147 نشرة أخبار الحزب الشيوعي، عدد 6، 25 فبراير 1926، ص 119. مشدد عليه في النص AN F7 13104.

148 يشهد بذلك تقرير رابول كالاس في 25 مايو 1926 للمنتدى الجهوي للفدرالية لانتكوسيان لـ 18 يونيو: «إذا كانت الشعارات مثل: الجلاء العسكري عن المغرب، التآخي، تتقدم كثيراً على الجماهير، فإن الجماهير لا تفهمها ولا تحقق الجبهة الموحدة معنا. وإذا كنا نريد أن تقل هذه الجماهير حلولنا الثورية، فينبغي أن نتواصل معنا. إن اختيار شعارات منفردة معناه جعل الجبهة الموحدة مستحيلة. فالشعار هو ذلك الذي يمكن من جمع الطبقة العمالية حوله. ويبدو جيداً أن الشعار الصحيح في لحظة حرب المغرب كان هو: السلم الفوري في سوريا وفي المغرب». AN F7 13105 (بني - أوريوطال).

149 تدخل روك، مسؤول المنطقة المتوسطة، أمام اللجنة المركزية الموسعة لأيام 6 - 8 أبريل 1926. أرشيفات معهد موريس طرويتز، السلسلة 142.

طرف المعارضة تتألمح المنتظرة. وقد امتنعت قيادة الحزب عن ترديد صدّي التصريحات الموسومة بارتياح كبير.

التقاش أمام الأهمية وأمام مؤتمر الحزب

لقد اعتبرت المعارضة بأن «تصحيح» ممارسة الجبهة الموحدة الذي أُعلن عنه من طرف ندوة فاتح دجنبر، بمثابة «ارتدادة» لقيادة الحزب، لتبني وجهة النظر التي كان لوريو وأصدقائه يدافعون عنها حتى ذلك الوقت. «لاشيء أكثر خطأ من هذا»، ردّ ثران (151)، وسعت قيادة الحزب الشيوعي، بمؤازرة الأهمية، للبهنة على أنّ ثمة «هوة» تفصلها عن «اليمين». وبالفعل، فقد اجتمعت اللجنة التنفيذية المؤسّسة للأهمية في أواخر فبراير 1926، وتحصّصت جانباً من جلساتها لمناقشة سياسة الحزب الشيوعي الفرنسي أمام حزب الرّيف. لقد تم اجتماع الأهمية هذا في فترة هيمنت عليها الصّراعات على السّلطة داخل الحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي. فقد انتهى المؤتمر الرابع عشر لهذا الحزب، المنعقد في ديسمبر 1925 بهزيمة «المعارضة الجديدة» التي كان يقودها كلّ من زينوفيف وكامينيف، والتي أدّنت لكونها تلتقي على المستوى العقائدي مع الحركة التروتسكية. وطبعاً يدخل فحص اللجنة التنفيذية لسياسة الحزب الفرنسي وللمواقف المُعبّر عنها من طرف الـ «250» الذين حَكّموا الأهمية في هذا السياق. إنّنا نترك المؤرخي الأهمية همّ توضيح العلاقات المُعقّدة التي كانت قائمة حينئذ بين الأهمية الشيوعية والحزب الفرنسي. وسنكتفي، من جانبنا، بسلسلتين من الملاحظات: تتعلق الأولى بالخط السياسي الذي يتجهه الحزب الشيوعي الفرنسي و«المعارضة» بخصوص حزب الرّيف. فلا تعتبر اللجنة التنفيذية من الضروري القيام بتحليل حقيقي للوضع المغربي ولشبهات التمرد الرّيفي في إفريقيا الشّمالية وفي فرنسا. لقد اكتفت بتصريح مبدي – «عندما تنور قبائل مقاتلة ضدّ امبريالية الميتربولات وتخوض حرباً من أجل استقلالها، فإن علينا أن نقاتل ليس زعمائها، المشربين ربّما ببعض التعصبات، بل الامبريالية التي تُسعى لاستعبادها» (152) – وبتحية «الحمّلة الرّائعة والشّجاعة للحزب ولـ س.ج.ت

- 150 هكذا تميز التقرير المعدي المقدّم الى مؤتمر المنطقة الميوية لـ 24 يناير 1926 بارتياح خاص وفريد «إسرا واهون بأنه كان لنا، أمام الحملة المغربية، موقف حرب شيوعي حقيقي. () ونشّ تعتقد بأنه نادراً ما تم القيام بعملية مثل هذه المواجهة» AN F7 13105 (الزون) لقد رفضت لومانيي في 7 فبراير إعادة نشر هذه التصريحات وقلصت بصرامة من الأرقام التي قدّمتها العدلية لتوضيح حملتها. هكذا ذكرت أنه تم توزيع ثلاثة آلاف مشور بدل ثلاثين ألفاً، وخمسة آلاف إعلان صغير بدل ستين ألفاً، وأكثر من خمسين اجتماعاً، بدل ستين
- 151 حوار على «الرسالة المفتوحة» لماتح دحمر 1925. دقاتر البلشفية، 21 يناير 1926، ص ص 230 – 234
- 152 تقرير اللجنة التنفيذية للأهمية الشيوعية عن المسألة الفرنسية مراسلة دولية، 25 مايو 1926، ص. 709.

الوحدوية ضدَّ حُرِّيِّ المغرب وسوريا» (١٩٦١). وأكذت أطروحات قيادتها المناهضة لليمين، لكن لبث رئيس اللجنة التنفيذية في تدخلاته، كما في تقريره حول المسألة الفرنسية، في مؤقِف سجالي. لقد نُسبَ التشهير بـ «العبد الكرمية» إلى «عقلية بورجوازية صغيرة»؛ وهو يلتقي بتصور الامبريالية. كما أن الاعتراضات التي صاغتها المعارضة ضدَّ شعارات الحزب تُثبت إدائتها بطريقة إجمالية. لقد قصَّد سيمار إلى القول بأنَّ حاجة بار حول التآخي - التي انتقدتها بقسوة - هي مُحاجَّة اليمين بأجمعه (١٩٤١). لقد أورد زينوفيف انتقاد الـ «250» حول الجلاء عن المَغْرِب مُتبعاً لإياه بالجملة التالية: «لَم لا الجلاء عن نيس، عن سافو وعن كورسيكا؟» الواردة في نص «المُعَارَضَة» بعد حوالي مائة سطر، والتي تستند إلى الشعار «الطائش تماماً للجلاء عن الألباس واللورين»، وهذا ما سمح لرئيس الأُممية بأن يؤكد بأن الأمر يتعلق بـ «خطاب اشتراكي - وطني» (١٩٥٥). ولم يتم التذكير بانتقاد لورويو المُتعلِّق بالجبهة الموحدة إلا للتنديد بتصريحه الذي يرى بأنه «لا يمكن تحقيق الجبهة الموحدة فوق رؤوس الرِّعَاء». لقد كان هذا موقفاً انتهازياً على نحو نموذجي (١٩٥٦).

لقد أُثير أيضاً خطر الجِرَافِ يساري من طرف الأُممية. سيكون معلوماً أن ترى هنا رأياً مُعاكساً لادانتها لـ «اليمين». فقد احتلت هذه الادانة حيزاً كبيراً في النقاشات، وثُمَّ إعلانها بقوة، في حين أن «الأخطاء اليسارية المتطرفة» تُثبت مُعالجتها بإيجاز وتتسامح كبير. لقد قامت قيادة الحزب الفرنسي، منذ أواخر 1925 بتبيين أخطائها اليسارية، لكن كان ذلك بمناسبة مُراجعة تكتيك الجبهة الموحدة. وحتى هنا أظهرت بأنَّ الأمر كان يتعلق بمخاطبة شباب، يمكن تفهيمها جيداً في فترة كان الحزب يتقاتل فيها بمفرده ضدَّ الحزب. ويظهر استمرار تران في مهاجمة «اليمين» جيداً، بأنه لم يكن وارداً أن يُوضَّح في نفس المستوى الخطأ اليساري والخطأ الانتهازي. لقد مضت الأُممية أبعد من هذا القَدْر الذي أكَدَّت فيه بأنَّ «الأخطاء اليسارية المتطرفة» ناجمة عن تقدير مُبالغ فيه للوضع الثوري: «ونزوع تران إلى تحويل الحرب الاستعمارية إلى حَرْب أهلية وهو تحويل في رأيه قريب الحدوث نسبياً، يعتبر في تلك الظروف المُحدَّدة خطأ سياسياً فادِحاً». لكنَّ اللجنة التنفيذية نَسَبَتْ هذا الخطأ إلى

153 نفسه، ص 706.

154 «هكذا يبدو بار وأصدقائه في اليمين موضوعاً ضد إهراء الامبريالية «المتحضرة» من طرف الشعوب «المتخلفة» التي لن يتمكن الجنود من التآخي معها». مراسلة دولية، 10 مارس 1926، ص 279. انظر أيضاً تقرير اللجنة التنفيذية المشار إليه سابقاً، نفسه، ص 709.

155 مراسلة دولية، 9 مارس 1926، ص 275. لقد رجعت الملاحظة إلى زينوفيف؛ على أية حال، فإن تقرير اللجنة التنفيذية أعاد الاستشهاد إلى سيمار. تقرير مشار إليه، ص 709.

156 نفسه، ص 711.

«التّفصّص في تجربة الحزب في الصّراع الطبقي»، وهي مستعدة لِقْفَرَانِه، لأنّه «سبّب ضرراً يسيراً نسبياً للحزب»، بالرّغم من أنّه كان من نتيجته عزّله عن «بعض الشرائح العمّالية والمورجوازية الصّغيرة» (١٩٦١).

تتعلّق الملاحظة الثانية بالمشاكل التي يطرحها سيّر الحزب. وهي مسألة تتجاوز كثيراً حقل دراستنا، لكن ينبغي أن نتحدّث عنها قليلاً، لأنها تضيء المصاعب الموجودة في إعداد وتطبيق حملة الحزب الشيوعي الفرنسي ضدّ حُرْب الرّيف. فبالنسبة للمعارضة، يكمن سبب الأخطاء السّياسية التي شهّرت بها في «ازدراء القادة لرأي الحزب». إذ لم تناقش أية جمعة، وأيّ مؤتمر أو أيّ مجلس وطني كفاءات الكفاح ضدّ حُرْب الرّيف وأهدافه. وهذا بسبب «نزعة بيروقراطية صارخة وسلطوية وطائفية» (١٩٨١)، متجسّدة في «مكتب سياسي مُطلق السّلطة» عرف كمي يُنشيء «جهازاً» تحت إرادته على الصعيد الجهوي والمَحَلّي، (١٩٥٩). هذا هو ما يُفسّر إخفاق الحزب في أن «يعثر على متقلّد للجماهير» (١٩٥٠). لقد ردّ الحزب مُركّداً بأنّ «اليمين يثور ضدّ النظام الشيوعي الحقيقي» (١٩٦١). فاليمين ليس خطيراً فحسب بآرائه، ألّح سيمار، «ولكن بالأخصّ بعمل التجزئة والتّخريض الخارجيّ الذي يواظب عليه بارتباط مع العناصر المطرودة من الـ النشرة الشيوعية لسوفارين و الثورة البروليتارية لموناظ ورومر» (١٩٦٢). لقد شجعت اللّجنة التنفيذيّة للأمية الاشتراكية الحزب الفرنسي على العمل «بقوّة» ضدّ اليمين، لكنها لفتت انتباهه الى واقع أن «هذا اليمين ليس منسجماً بتاتاً». وإذا كانت قد أدانت مجموعة سوفارين دون لبس فقد سلّمت بكون تأثير مجموعة لوريو – باز – دونوا من جهة ومجموعة الثورة البروليتارية من جهة أخرى، يُفسّر بسبب الانحرافات اليسارية للحزب وغياب الديمقراطية الداخليّة، وهي أخطاء يُعتبّر الحزب الشيوعي الفرنسي مدّعوا لتضحيّتها (١٩٦١).

- 157 تقرير عن المسألة الفرنسية، مشدّ إليه سابقاً، ص 705.
158 رسالة 30 مارس، 1925، ملحقّة بمجموع احتجاج اللّجنة المركزيّة لـ 29 يوليو 1925 أرشيفات معهد موريس طرزيو، السلسلة 93
159 جواب على «الرسالة المفتوحة» المشدّ إليه سابقاً.
160 نفسه.
161 دلائل اللّشعة، 21 سـ، 1926، ص 230.
162 مراسلة دولية، 10 مارس 1926، ص 279 («محاضر بين الحزب الفرنسي واسترالياته».)
163 تقرير عن المسألة الفرنسية، مشدّ إليه سابقاً، ص 711.

تَعُدُّ أربعة أشهر على دَوْرَةِ اللجنة التنفيذية، انعقد المؤتمر الوطني للحزب الشيوعي الفرنسي بليبس. في غضون ذلك، كان عبد الكريم قد سَلَّم نفسه للقوات الفرنسية، بينما واصلت قيادة الحزب عملها في إعادة التنظيم، تحاشية بمضاعفة خلايا الاستقطاب. وبالنسبة للمناضلين، أثارت حملة الحزب ضدَّ حَزْب الرِّيف سؤاليْن : ماذا كان مفعولها وأية دروس يمكن استخلاصها منها على صعيد العمل المناهض للاستعمار ؟ هل قوَّى هذا الكفاح الحزب الشيوعي وأية تبعات ستنتج عن ذلك على صعيد سيرو ؟

1. لقد اعتبر أندري مارتى التحريض الذي طوره الحزب الشيوعي غير كافٍ (١٩٤٤). بينما اكتفى شقيقه ميشيل بالتأسف لكون ذلك التحريض قد تحفَّ إبان هجوم ربيع 1926. أما دوريو فاعتبر أن فعالية الدعاية كانت محدودة لِعَامِلَيْن : من جهة غياب انغراس شيوعي داخل الحماية قابل لأن يتصدى لعمل الإدارة لدى الأهالي المغاربة وأن يُسهِّل تفكك الجيش الفرنسي (١٩٦٦)؛ ومن جهة أخرى، عَدَم كفاية «العمل المناهض للزرعة العسكرية» التي لم تسمح بخلق الشروط الضرورية لتنفيذ تعليمات التآخي. هذا وقد توقَّف نائب سان - دوني عند الجانب الأيمن لهذه الحملة : «لَقَدْ طَرَحَتْ مُشْكِلَةُ الحزب أمام الجماهير المُسالمة» (١٩٦٧). وقد أُلح علي، وهو العضو الأفريقي الشمالي الوحيد الذي تحدَّث حول المسألة، على إرادة انعتاق الشعوب المُستعمَرة التي لا يشكُّل التمرُّد الريفي سوى مضطرا لها. لقد اعتُبر أن على الحزب أن يُسَاعِدَ الحركات الوطنية بقدر ما يكون توجُّه هذه الأخيرة في صالح الجماهير. وهذا يُستتبع مُجْهُوداً من جانب الشيوعيين لِبَرَأَةِ «الشروط الخاصة بِكُلِّ مجموعة من السُكَّان» (١٩٦٨)، وانتباهاً أكبر لمطالب الجماهير الفلاحية، وتكوين أُطر قادرة على التضال داخل المُستعمرات.

- 164 المؤتمر الوطني الخامس للحزب الشيوعي الفرنسي، ليل، 20 - 26 يونيو 1926، عرض مختزل، ص 155 - 156.
- 165 نفسه، ص. 120.
- 166 بعد أن جرد لكون الحزب ! يكن يتوهم على «ارتباط سياسي مظلم مع الشعب الذي كنا نؤاروه» وذلك «لأسباب مالية وتقنية كان من الصعب التعلل عليها» («أسباب» لم يوضحها نائب سان - دوني ولم تثر فضول أي أحد من المثقريين) أنظر أعلام، الفصل الرابع، أضاف دوريو بأن هذا الارتباط كان سيمكِّن من «إنجاز عمل تفكيك خطير داخل الجيش الفرنسي، بواسطة الريفيين أنفسهم» ومن التوصل «في كل القائل المغربية لمعها من مساعدة الإدارة الفرنسية، كما فعلت ذلك، حتى في الريف». نفسه، ص 201 - 202.
- 167 نفسه، ص. 203.
- 168 نفسه، ص 551 - 552. من المهم أن نلاحظ أن على يستعيد هنا فكرة عر عنها بقوة ش. أندري جولياد مند 1921، أنظر البشارة السبعوية، 7 يوليو 1921، ص. 469.

2. هل نَحْرَجُ الحِزْبُ أَكْثَرُ قُوَّةً من الحملة التي خاضتها ضِدَّ حَرْبِ الرِّيفِ ؟ إنّه، حسب بيار سيمار، قد ضاعَفَ نفوذه، دون أن يَسْتَقْبِدَ مع ذلك مباشرة من هذا الوضع (169). فليس فَحَسْبُ لَمْ «يُنْهَشِ اليسار الاشتراكي» بما فيه الكفاية، بل سَجَّلَ أيضاً انخفاضاً في عدد أعضائه تعدداته يُناقِضُ الزيادة التي يستفيد منها الحزب الاشتراكي (170). لقد تُسَبَّ سكرتير الحزب الشيوعي المسؤولية مِنْ جهةٍ «للعناصر الفرعية» التي غادرت الحزب، ومن جهةٍ أخرى للمتاعِبِ التي نَحِمَتْ عن إعادة التَّنْظِيمِ. وإذ لاحظ كثيرٌ من المندوبين أن شعار التَّائِخِي أُبْعِدَ عن الحزب الشيوعي بَعْضُ المُنَاضِلِينَ، عُبِّرَ على، المشغول بالوضع الجزائري (171) عن ابتهاجه لهذه «التَّنْقِيَةِ» (172). لكن داخل البلاد، لم يَرِ لاموران، ولارونو، اللذان يُبْدِيَانِ مع ذلك استقلالاً كبيراً في الرَّأْيِ، بأن انخفاض عدد الأعضاء راجع للسياسة المغربية للحزب. لقد كان أكثر انشغالا بالاضطرابات التي تنجب عن تعدد خلايا المؤسسات وبالأَسَالِيبِ السُّلْطَوِيَّةِ للقيادة ولسُؤُولِي الفدراليات. وعُبر سيمار عن يقينه بأن الحزب الشيوعي سَيَقْوَى بمواصلة إعادة تنظيمه وبالسَّعْيِ لأن يكون دائماً قريباً من الجماهير. وعليه أن يَطوِّرَ تكتيكه للجهة الموحدة التي تَبَرَّرُها أهمية القاعدة العمالية التي يتوقَّرُ عليها الحزب الاشتراكي والس.ج.ت. جهة موحدة مُتَخَلِّصَةٌ من أخطائها اليسارية، والتي على محتملها «البروليتاري» أساساً أن يُنَحِّيَ الانحرافات الانتهازية التي يمكن أن تقود الحزب الشيوعي إلى الانقياد لـ «الفرق داخل تنظيمات البورجوازية الصغيرة والكتلة الشهيرة لليسارات» (173).

يتطلب هذا التوجُّه جِزْئاً مُنْتَظِماً على نَحْوِ أَفْضَلِ، ولا يَحْتَمِلُ، أن يكون بداخله، من الآن فصاعداً، معارضة دائمة للقيادة. لقد عَلِمَ المُؤْتَمِرُونَ بأنَّ هذا «الثَّقَوِي» للحزب تُرْجِمُ بإبعاد كل من سوزان جيرو وتران من المكتب السياسي، طَبَقاً لِلرَّجَاءِ الذي عُبِّرَتْ عنه الأُمِّيَّة. لكن موران، وهو معارض معتدل، اندهش لكون الضَّرْبَةِ أصابتهما وحدهما، في حين دافع كوثي، مُمَثِّلاً «اليمن»، عن حرية تعبير «الاتجاهات» داخل الحزب. لقد أَظْهَرَ بأنَّ

169 نفسه، ص 12 — 13. يعطي طوريث، الذي لا يريد أن يقال بأن تأثير الحزب قد قل بين الجماهير، كمثال انتخبات المندوبين المجهين في حوض نا — دو — كالي لنفسه، ص. 129.
170 يتكلم سيمار عن محبة وخمسين ألف عضو (لنفسه، ص. 273) وهو ما يعني انخفاضاً قدره عشرة آلاف عضو بالمقارنة مع بداية 1925 (انظر AN F7 13096). إنه يوضح بأن أكثر الخسائر كانت «في فئة الطبقات المتوسطة» (لنفسه، ص 12) لكن بما أن هذه الفئة لا تمثل حسب تقديره سوى 5% من أعضاء الحزب، فإنه يسمي أن نستنتج بأنها غادرت الحزب الشيوعي بأكملها تقريباً.

171 وضع سيمار بأن فدرالية الجزائر فقدت ثلاثة أرباع مساحتها... لنفسه.

172 نفسه، ص 549.

173 نفسه، ص 16 — 20.

الأهمية الشيوعية استصوبت الانتمادات التي وجهتها المعارضة ضد تصور الجبهة الموحدة التي طوّرها الحزب الشيوعي في 1925. أما هومبيدو، وهو ممثل آخر لـ «اليمين»، فقد اعتبر نقد القيادة الذاتي غير كافٍ وصرح بغياب الديمقراطية داخل الحزب. لقد أزره رونو جان، أحد المناضلين الأكثر احتراماً من طرف المؤتمر، الذي أكد بأن الشعارات ضد حزب الريف لم تُناقش من طرف اللجنة المركزية، وأن ثلوث دجنبر حول «التصحيح» استُبدِعت على عجل، وأن أخطاء الحزب ناجمة عن مركزته المفرطة (174).

تشهد هذه التداخلات بالحرية الكبيرة للمؤتمر. لكن تحذير سيمار كان صريحاً، فالانتقادات والاقتراحات ممكنة الطرح داخل الحزب. ولا يمكن من الآن فصاعداً أن يتم التعبير عنها باستعمال منابر غير شيوعية أو ينشر بيانات مثل رسالة الـ 250. وغير واري أكثر قبول تنظيم اتجاهات داخل الحزب. لقد طلب دوريو، في معرض حديثه عن المعارضة أمام اللجنة المركزية لـ 18 غشت 1925، «القيام بتبادل وجهات النظر لتتفرغ بأية لهجة شعاعيل هؤلاء الناس» (175). حيث أن ذلك سيمار اعترضه على إجراءات الطرد التي كان يطالب بها نائب سان - دوفي. وإذا كان صحيحاً أن كثيراً من المناضلين كانوا يمشون، سنة 1925، وسواس الطرد، فإنه يبدو بأن هذا الأخير لم يهتم في الواقع، سوى عدد قليل منهم خلال الحملة ضد حزب الريف. لقد طرد كل من موهي وروجي هيريس، في يناير 1926؛ في حين أن المناضلين الروينيين: روان وإنجلر وجيرمين كوجون طردوا في أوائل 1927، وكوتني في أبريل 1929. فبطريقة تدريجية إذن فقط ستعمل القيادة الجديدة للحزب الشيوعي الفرنسي على فرض نظام أكثر صرامة، ولو كان بشمن انفصال مناضلين مخلصين (176). لقد شكّلت حملة الحزب ضد حزب المغرب، ونجاحاته كما مصاعبه وإخفاقاته مرحلة مهمة في طريق «بلشفيت» ه. لعلها دون ريب، الدلالة التي أعطتها كل من الأهمية الشيوعية وقيادة الحزب الشيوعي الفرنسي لتعيين طوريز، رئيس اللجنة المركزية للعمل، على رأس دائرة التنظيم للحزب.

174 نفسه، ص 110 - 112.

175 أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 93، محضر اجتماع اللجنة المركزية لـ 18 غشت 1925

176 ستيسي س. ج. ت. الوندية موقفاً متوازناً، كما تشهد بذلك حالة شاملان، ويستمر هذا الأخير، الذي طرد من الحزب الشيوعي في شتنبر 1924 في الضال داخل س. ج. ت. الوندية، حيث كان فيها ضمن الأقلية؛ وفي مؤتمر بورو لـ 1927، اقترح بالثارة حملة المنظمة القارية ضد حزب الريف. لقد انتهت القيادة الكونفدرالية على الخصوص بكونها ارتكبت خطأ فادحاً، في تلك الفترة، بمطالبتها بين حملة استعمارية وحرب بين أمم امبريالية، وبكونها سمعت عمال لـ س. ج. ت. الوندية، بدعائها عن شعار التآخي، من أن يسموا إلى حركة الاحتجاج (انظر المؤتمر الرابع لـ س. ج. ت. الوندية، بورو، 19 - 24 شتنبر 1927، ص 39 - 42) لقد انتقد جيد بشدة، لكنه سيطر داخل الـ C. G. T. U إلى غاية 1931

خاتمة

أمام تمرد عبد الكريم، ردت عائلات اليسار الفرنسي بشكل متنوع. لقد كانت خشية اليساريين الليبرالي والراдикаلي كبيرة. فقد اعتقدوا جدياً بأن عبد الكريم يهدد الإقامة الفرنسية في إفريقيا الشمالية. وتوغلت الحكومات المنحدرة من انتصار كتلة اليسارات، تدريجياً في طريق حرب شاملة ضدّ الرّيفيين رغم أنها لم تكن لها المسؤولية البديّة في العمليات، ولم يكتف كل من باندو في وبريان، خلافاً لما أُشيع، بإرسال التعزيزات التي طلبها ليوطي، بل أثرا الأساليب الهجومية المُنادى بها من طرف بيتان، وتفاوضاً مع اللجنة الاسبانية الحاكمة من أجل تنسيق للعمليات سمح بإخضاع القبائل المتمردة والحصول على استسلام الرّعيم الرّيفي. هكذا أعفاهما انتصار الأسلحة، رغم احتجاجات البعض، من الوفاء بالوعد المعطاة للرّيفيين والمتعلقة بإقرار وضع خاص بالريف ليس هو وضع الحماية. ثم هناك سبب آخر للازتياع : لقد مكّنتهما حرب الرّيف من التخلص من ليوطي ووضّح الحماية تحت سلطة شخص مدني. ولأن واحداً من مقريهما، وهو ستيك، هو الذي خلف أول مقم عام، فإن الراديكاليين رغبوا في أن يسلك المغرب طريقاً جديداً. وقد اعتقدوا أن انشغال العسكريين بإخضاع مراكز التمرد سيؤدي الى إضعاف نفوذ الحيش في الميدان السياسي داخل الحماية وسيشرع بإسناد المسؤوليات العليا، للسلطات المدنية، وكان على هذا التطور أن يسهل في رأيها تنمية الاستعمار ومضاعفة حركة الأعمال وتقوية الروابط الاقتصادية مع الميتروبول. وبشكل متوازي، كان ينبغي أن يتوفر لفرنسي المغرب مزيد من الحرية على نحوٍ بشكل أفضل وإحاطة المقيم بأرائهم وتمكينه من أن يمارس تجاه الأهالي سياسة حُرْم نِير.

أما موقف اليسار الاشتراكي فقد كان مُعقّداً. لقد كان غالبية أعضائه في البدء حسّاسين تجاه نوع من الوطنية : فعندما تُهاجم فرنسا، سواء كان ذلك على ضفاف الرّين أو على ضفاف ورغة، يُسارع الجميع الى الدّفاع عنها، دون اهتمام بالباقي. لقد كانت حماية الجمهورية في المغرب واقعا لم يكن الوقت بعد للتراجع عنه، إذ أنّ الأهالي سيخسرون أكثر ممّا سيحسون بذهاب فرنسا. ولا يمكن مُساومة الحكومة حول سُبُل ضمان سلامتها. لكن الاشتراكيين كانوا حسّاسين أيضاً تجاه كأصوات أخرى : أصوات النزعة السّلمية، وإلى حدّ ما أصوات معاداة النزعة الاستعمارية. فمنذ الاشتباكات الأولى، طالبوا بفتح المفاوضات مع عبد الكريم، وبالنسبة للعديد منهم كانت ويلات الحرب تتغلب على الدّلالة التي تمنحها الأطراف المتنازعة لمركتها. لقد رفض بعضهم التصويت على الاعتداءات العسكرية ثم انضمّ

إلهم، أغلب المنتخبين الاشتراكيين وبعد ذلك لحق بهم جميعهم وذلك تحت ضغط القاعدة. وأُتيحت مبادرات مختلفة سواء في الأوساط التحررية والفوضوية أو في أوساط الحزب الاشتراكي للاحتجاج ضد الحرب، وعديدة هي الفدراليات الاشتراكية التي طالبت بقطيعة نهائية مع الحكومة والعودة إلى المعارضة. ومهما تكن المظان التي غدوها تجاه عبد الكريم، الذي رفضوا أن يروا فيه ديمقراطياً يدافع عن استقلال شعبه، فإن غالبية الاشتراكيين — ومعهم عدد من مناضلي عصبة حقوق الإنسان — قد تأثروا بعزيمة الريفين في القتال من أجل حريتهم. لقد كانوا مؤيدين للحكم الذاتي وحتى لاستقلال الريف، الذي كانوا يرونه ملائماً لصيانة الحماية. لكن الانتصار الفرنسي — الإسباني بؤذ هذه الأحلام. فقد أظهر بقوة النظام الاستعماري الفرنسي الذي لم يكن مستعداً لأي تنازل، وقوى معسكر أولئك الذين كانت لهم ثقة عمياء في الرسالة الحضارية لفرنسا في المغرب بحيث لم يعينوا لها أي حد، وأجلوا انتعاق السكان الأهالي إلى وقت غير مسمى.

وفي اليسار المتطرف، رأى الحزب الشيوعي في حرب الريف تأكيداً لتحليلاته وأطروحاته التي دافع عنها منذ إنشائه من طرف الأمية الثالثة. فمن جهة، استهدفت الامبرياليان الإسبانية والفرنسية بسط هيمنتها على أرض لم تكن حتى ذلك الوقت خاضعة، بحيث تتمكنان من الاستحواذ على ثرواتها المعدنية. ومن جهة أخرى، لم يكن الريفيون بقيادة عبد الكريم يدافعون عن استقلالهم فحسب، بل كانوا يعبرون عن رغبة الشعب المغربي قاطبة في الانعتاق من التأثير الاستعماري. ومن مصلحة البروليتاريا الفرنسية، التي هي ضحية لنفس الامبريالية، أن تتضامن مع كفاح القبائل المتمردة. وكل أولئك الذين لا يشاطرون هذا التحليل وهذا الاستنتاج، وخاصة زعماء التنظيمات الإصلاحية، يُستعون كمتواطئين مع الامبريالية. على هذه الأسس، أطلق الحزب الشيوعي حملة ليس فقط في سبيل السلام الفوري، ولكن من أجل الجلاء عن المغرب، ودعا إلى تآخي المقاتلين. لقد ظلت هذه الحملة نموذجية في تاريخ الحزب الشيوعي الفرنسي، مهما تكن الانتقادات التي عبر عنها كثير من القادة الشيوعيين أنفسهم. نموذجية بإرادتها في استنهاض الرأي ضد حرب استعمارية، وبمجهودها التنظيمي، واتساع المظاهرات والتجمعات العمومية التي تم تعهدها في البلاد والتي وجدت سندها أساساً في الشبيبات الشيوعية وفي الثقافات التابعة لـ س.ج.ت. والحدوية. ونموذجية أيضاً بتفاني مناضليه ضحايا القمع الممارس من طرف السلطات العمومية. لكن نتائج هذه الحملة لم تكن في مستوى آمال القادة. فباستثناء حالات قليلة، أخفق نداءهم إلى تأسيس حبة موحدة، بحكم حذر الاشتراكيين، ولكن أيضاً بحكم تعصب القيادة الشيوعية التي لم تتصور وحدة العمل إلا على شكل انحراط غير مشروط في شعاراتها. وسوف تفر بخطئها

وَنُصِّحَ من موقفها، لكن بعد فوات الأوان. هذا لم يجز الاضراب الذي نظمته الحزب الشيوعي في 12 أكتوبر 1925 ضد حرب الرّيف سوى صدّي محدود خارج الأوساط التي تسودها الـ س.ج.ت.ال وحدوية ولم يتوصّل الى أن يحرك بصمومة سوى بضعة مئات آلاف من الشّعّالين. ويبدو فشل الحملة واضحاً أيضاً إذا اعتبرنا بأنّه لم يكن لها، رغم الاشاعات التي روجت، أيّ تأثير على توجّه الجنود وسير العمليات العسكرية، وأن تعليمات الثّانعي على الخصوص لم تُسمع. وأخيراً، إذا كان الحزب نفسه قد خرج من هذه التجربة أفضل «نشاطاً» فإن أ. ماري قد كتب «أن المغرب، سينشط الحزب» (177)، — فإن ذلك كان بضمن انفصال عدد من المناضلين المختلفين مع سياسته أو الذين لم يقللوا بالزّامات انضباط حزبي غداً منذ ذلك الوقت فصاعداً وطيداً.

الفصل الثامن

اليسار الفرنسي وعمليات إخماد الفتن

(1926 — 1934)

من 27 مايو 1926، يوم استسلام عبد الكريم، الى 16 مارس 1934، وهو التاريخ الذي أُلقت فيه آخر قبيلة متمردة الأسلحة، لم تتوقف الحرب، عملياً، في المغرب. وإذا كان اليمين قد رأى بأن العمل المباشر ضيقاً «المنشقين» المغاربة لم يكن مقدراً بما يكفي من الحزم، فإن اليسار كان منقسماً على نحو عميق. أما الراديكاليون والجمهوريون الاشتراكيون، فيمنحهم الدَّعم والمُشاركة للحكومات الناجمة عن تصفية الكارتيل، كانت لهم مسؤولية بارزة في قيادة العمليات العسكرية التي سعوا الى التقليل من أهميتها بتقديمها على أنها مجرد عمليات استتباب الأمن⁽¹⁾. وشجب إن الشيوعيون والاشتراكيون، الذين سيلتحق بهم لوقت قصير الراديكاليون الشباب، المرامي الامبريالية والحرب الحقيقية التي تخفيها أسطورة إخماد الفتن. ما جدوى براهينهم ؟ كيف تُفسَّر تقوية التيار الاستعماري وسط اليسار المعتدل ؟ وأخيراً، كيف رَدَّ الرأي العام على الحملة التي طورها الحزب الشيوعي أساساً ضد حرب المغرب ؟ هذه هي الأسئلة التي يدعوننا لإنهاء الغزو والمقاومة المغربية الى طرحها.

اليسار الفرنسي أمام المقاومة المغربية

لم تستأثر العمليات العسكرية بين 1926 و 1934 بانتباه الطبقة السياسية والرأي العام بنفس الدرجة التي استأثرت به خلال حرب الريف. ف «الفترات الحرجة» هي تلك التي

1 لا ينبغي لعدم الاستقرار الوزاري (عشرون حكومة في الفترة التي مهمتنا) أن يخفي استقرار نسبي في المصالح الوزارية التي كانت تتوقف عليها الحماية على المغرب وسير العمليات العسكرية. فبين مايو 1926 ومارس 1934، أي في أقل من ثماني سنوات، تم شغل الشُّرُون الخارجية أساساً من طرف بريان (خمسة سنوات وثمانية أشهر)، بول — بونكور (ثلاثة عشر شهراً)، وهيو (سنة أشهر) والحربية من طرف مانفرد (ثلاث سنوات وأربعة أشهر)، ماحينو (سنتين)، دالادي (خمسة عشر شهراً) وبول — بونكور (سنة أشهر).

فرضتها الأنباء المتعلقة بالصعوبات التي اعترضت تقدم القوات الفرنسية واستجابات الحكومة التي أثارها. هكذا سبّز في مايو - يونيو 1929 بشكل خاص قضية آيت يعقوب، والعمليات التي شنت في جبل صاء، خلال النصف الأول من 1933.

قضية آيت يعقوب

بين 1926 و1928، شغل الحزب الشيوعي وحده، وإلى حد ضئيل، الحزب الاشتراكي، بمواصلة العمليات العسكرية. بالنسبة للحزب الشيوعي، اعتبرت حرب الريف مُستمرّة، رغم استسلام عبد الكريم (2). وفي الواقع، لقد توزّعت المعارك الأخيرة التي خاضتها القوات الفرنسية في هذه المنطقة في مجرى النصف الأول من 1927؛ مُنذ ذلك الوقت، لم تُعدّ هناك، رُسمياً عمليات عسكرية، في جبال الأطلس، وفي تافيلالت، وهي آخر مواقع التمرد، بل تُؤغل سلمي. ويوضح باللو، وزير الحربية، الأمر أمام المجلس في 28 يونيو 1928: «يرتكز عمل القوات الفرنسية «قبل كلّ شيء على شقّ الممرات والطُرق وجعلها تمرّ بالضبط، وقدر الامكان، قرب المُرتفعات. ومن جهة أخرى، وحتى نحافظ بشكل أفضل على هؤلاء السُكّان الذين لا يطلبون سوى حمايتنا، نقوم ببعض العمليات البسيطة ولكنها مهمة من الوجهة التكتيكية العسكرية لأن هذه المرتفعات التي نقوم باحتلالها تصلح لأن تكون معقلا لعمل دفاعي» (3).

لقد أقرّ بيرتون بأن تقدّم القوات الفرنسية، تم في بعض المناطق دون إراقة دماء «لقد ثُمّت تفرقة السُكّان ورشوتهم» بحيث تمّ احتلال سوس على هذا النحو. «لكن بموازاة هذا التوغّل السلمي، كان هناك استعمال للقوة»: لقد شُنّت عمليات حقيقة في الأطلس المتوسط وفي تادلة، وذكر الخطيب الشيوعي «قصفاً مفاجئاً» تعرّضت له منطقة بني ملال، ولأنه «وقع في يوم سوق، فقد تسبّب في حالة دُعر وسط السُكّان» (4). ونهبت المجموعة الاشتراكية، من جهتها، من طرف آل لونكي الذين تلقوا رسالة من إيف فارغ تروي بتفصيل نفس الحدث الذي ينسبه إلى استفزاز للعسكريين سهله غياب ستيك المؤقت، راجياً منهم عمل ما في وسعهم ل «إيقاف كل هذا، بإحداث أكبر ضجّة ممكنة، لأن انفعال الأهالي

2 لاكاربون، 25 يوليو 1926، 10 أبريل 1927.

3 مناقشات المجلس، 28 يونيو 1928، الجريدة الرسمية، ص. 2101.

4 نفسه، ص. 2100 (إد. بيرتون يستشهد لدعم أقواله لـ لاليجي ماروكان لـ 15 فبراير 1928). انظر أيضا حوبير: «الحرب تستألف في المغرب»، دفاير البلشفية، يونيو 1928، ص 517 - 524 ولومانيي لـ 8 يوليو 1928 التي نشرت نداه للحرب والشيوات الشيوعية بشهر بالعمليات المرتقة ضد الأطلس المتوسط وتافيلالت «التي اقتصر سكانها على مع الدحول على العزلة».

كبير في الدار البيضاء»^(١٥). أمّا روزنديل، فعند أن عبّر عن موافقته على الأعمال التي لها كهدف وحيد معاقبة «التهابيين» شجّب باسم الحزب العمليات الجارية «المُسَمَّاة مناورات والتي لها طابع عمليات عسكرية»، هذه العمليات التي بوشر فيها، على كل حال، دون علم التّرلمان^(١٦).

انفجرت في يونيو 1929، قضية آيت يعقوب. فأتت «عملية استطلاع» في أحد أودية الأطلس الكبير، فوجيء طابور فرنسي يقوده المُقَدَّم إيمانويل من طرف المُتمردين فقتل غالبية أفرادهم^(١٧). لقد كان التأثير كبيراً؛ وعاد المغرب ليتصدّر «الصفحة الأولى» من الجرائد؛ بينما طالب الشيوعيون، والاشتراكيون والراديكاليون باستجواب الحكومة. وكان بانلوفي وبريان لا يزالان مسؤولين عن السياسة المغربية باعتبارهما وزيريْن للحرية والشؤون الخارجية؛ لكنهما كانا ينتميان تلك المرة لحكومة بوانكاري التي انسحب منها الراديكاليون مُلتَجِحِينَ بالاشتراكيين في المعارضة. مع ذلك، ولأنّ كليهما جمهوريان اشتراكيان فقد ظلّا، بالنسبة لعدد كبير من البرلمانيين، ودون شك في نظر قسم من الرّأي العام، رجُلَيْ يسار، وخاصةً بحكم سياستها الخارجية «السُّلمية». إن هذا لا يعمل سوى على إبراز أكثر للتناقش الدائر في الصحافة كما في البرلمان، وهو الأول من نوعه حول القضية المغربية منذ 1926.

لقد حاكمت تشكيلات اليسار الثلاث العمليات العسكرية الفرنسية وأجمعت على شجب طابعها الهجومي. بخلاف ذلك، اختلفت أحكامها حول التمرد المغربي وخاصة حول الحلول التي توصل للخروج نهائياً من «وكر الزناير المغربي»^(١٨). فأما بانلوفي الذي واصل التأكيد على أن الحكومة متمسكة بالتوغل السلمي — «بكل الوسائل التي عليها أن تتخذ هذا التوغل: الطريق، السكة الحديدية، التجارة، التعاون الاقتصادي وأيضاً الطبيب» — فإنه يعلن أنه «لم يأمر أبداً، ولم ينصح أبداً، ولم يقبل أبداً بعمليات غزو أو بمغامرات تحت أية ذريعة»^(١٩)، ارتأى اليسار مجابهة الحكومة بلغة الوقائع أي الاحتجاج ضد الطابع الهجومي اللفظ، وحتى «الاجرامي» للأعمال الممارسة من طرف الجنود الفرنسيين. لقد صرح كاشان بأن الأمر يتعلق بـ «حملة عسكرية كبيرة وبوسائل جبارة»^(٢٠)، في حين أكد نوبيل، وهو

5. جاسي إيف فارح كلامه قائلاً: «تصرفوا بسرعة، لأنّ الحارر ستستمر»، رسالة في 14 فبراير 1928 أبلغ بها ر.ج. لوسكي المؤلف.

6. مناقشات المجلس، 28 يونيو 1928، الجريدة الرسمية، ص. 2096.

7. تقدر الخسائر — من قتل ومفقودين — بحوالي مائة رجل وقد هلك المقدم إيمانويل في التوغل

8. طلت العارة تستعمل، في سنة 1929 هذه، من طرف لوبيلور (13، 14، 23 يونيو).

9. مناقشات المجلس، 14 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص. 2069 انظر كذلك 25 يونيو، الجريدة الرسمية، ص. 2192.

10. نفسه، 14 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص. 2067.

اشتراكي، بأنه من غير الممكن أن يكون المقدم إيمانويل قد توغل بمثل ذلك العمق في المنطقة المتحررة دون علم القيادة (11). أكا دالاديي فقد تقدم بتدخل قوي وضع فيه المجلس أمام مسؤولياته : «إذا لم تضع حدا لهذه السياسة، فإنها تجازف بجر نفسها وجر البلاد إلى سلسلة من المغامرات الدموية» (12). لقد شهر اليسار بـ «فريق حرب» (13). وادعى الاشتراكيون، رفقة بعض الراديكاليين، وجوده في المغرب، خاصة في الأوساط العسكرية (14). كما ورطوا رفقة الشيوعيين مسؤولية بانلوفي (15) التي سعى كثير من الراديكاليين، هذه المرة، إلى فصلها عن مسؤوليات الأركان العامة (16). وأخيرا، فإنهم جميعهم يؤكدون على «المؤازرات الخاصة» التي يلقاها فريق الحرب هذا في الصحافة الميثروبوليتانية. لكن المسؤولية البديية للعمليات تقع على عاتق أوساط رجال الأعمال. فإذا كان الشيوعيون والاشتراكيون يتهمون الرأسمالية الاستعمارية بإلهاام السياسة العدوانية للحكومة (17) فإن الراديكاليين لم يريدوا أن يبقوا منسحجين، كما يشهد بذلك، على الخصوص، تدخل دالاديي (18) وبالأخص مقال مهم لفرانسوا دوتيسان (19).

ماذا يمثل التمرد المغربي بالنسبة للحكومة ؟ أية صورة كونتها عنه أحزاب اليسار ؟ حسب الأطروحة الرسمية، التي عبر عنها بريان، «لاتزال في المغرب قبائل عديدة غير خاضعة وينبغي أن نقول بلا مراء بأن الحوادث لاتزال كثيرة الوقوع. فئمة عصابات غير منتظمة تنقض على إحدى المناطق، وتختطف السكان، وتطالب بالقدييات، وتنهب وتضرم النيران...»

11 نفسه، ص. 2068.

12 نفسه.

13 الصاعرة لدالاديي، نفسه، 21 يونيو 1929، الجلسة الثانية، الجريدة الرسمية، ص 2142.

14 نفسه، 14 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص. 2068 (نيل)، 21 يونيو 1929، ص ص 2138 و 2140؛ لوبيلير، 15 يونيو 1929، لوفر، 13 و 22 يونيو 1929؛ لايوبيليك، 15 و 17 يونيو 1929؛ لينوفيل، 25 يونيو 1929 و 27 يونيو 1929.

16 تحلاف لايوبيليك، حريدة الكفاح الجديدة لدالاديي، المضادة كثيرا لباتلوفي (أنظر خاصة 26 و 29 يونيو 1929)، اهتمت كل من لوفر ولينوفيل قل كل شيء بطمأننة الرأي العام حول أهمية معارك المغرب.

17 أنظر مناقشات المجلس، 21 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص. 2136 (كاشان)، لوبيلير، 15، 18 و 22 يونيو 1929.

18 أنظر مناقشات المجلس، 14 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص. 2068

19 لقد أحاب فرانسوا دوتيسان حريدة لوفيل : «عندما يمكن لنا بأن التجمعات المالية والاقتصادية لم تسع في أية لحظة إلى ممارسة الضغط على السلطات العمومية وإلى إرضاء رغباتها الفعنة، فإنه يتم إنكار ما هو مدتيبي. فكل الشركات التي لها مصلحة في ساء القطار العام للصحرَاء، وكل الشركات الكبرى المهتمة بشبكة الملاحة الحورية فوق القارة الافريقية، وكل شركات التنقيب تسمى بحارة أن يخلو لها الحال وأن تتسكن من العمل على كلفتها في البلدان التي لم يتم بعد تطويعها من طرف قواتنا. يتعلق الأمر بأن يرى إذا كنا سنبدل أرواحا عديدة ونلقي أيضا عنات الملايين في هذا المشروع من أجل إرضائها الفوري.» إذا كانت الحكومة لم تشهر بـ «ساويرات هذه التجمعات الاقتصادية بهدف العزو الكامل للمغرب (لأنه) يوحد في أعليتها نفسها مدتيبي هذه الاتحادات القوية ونواب متعاطفين معهم في العمق». لايوبيليك، 27 يونيو 1929.

20. هكذا تبدو الفكرة التي قدمتها الحكومة عن التمرد — مع أنها تلاقت في 1929 أن نتحدث عن الموضوع بإسهاب — قريبة جدا من تلك التي عبر عنها ممثلو مجموعتي الوسط واليمين اللتين تساندان سياستها وتعتبران الثائرين بمثابة قطاع طرق يستأهلون عمليات أمنية. أما أحزاب اليسار فقد اتفقت، من جهتها، على اعتبار التمرد ظاهرة ذات طابع سياسي، لم تتمكن الحكومة من تقدير أهميتها وهي ظاهرة تعبر بكل بساطة عن معارضة فئة من السكان المعارضة لتقدم الجنود الفرنسيين (21). ويمضي الشيوعيون أبعد من هذا بتبريرهم لهذه المقاومة وامتداحهم لها. فهذه القبائل كما يقول مارسيل كاشان مصرحاً، «ترفض الخضوع للثغر، أولاً لأن لها شعوراً حاداً بالاستقلال. لكنها تعرف أيضاً بأن الأراضي الجماعية التي هي في حوزتها حالياً، سيستحوذ عليها الغازي غداً، لأنه بحكم كونها جماعية، فإنه يعتبرها دون مالك» (22). بالنسبة للحلول المقترحة بقيت الاختلافات التي لوحظت إبان حرب الريف قائمة. بل استفحلت أكثر. فيضع الدالديني السياسة المغربية للحكومة المقيم لوسيان سان في الطرف المعارض «للعمل الرائع الذي أنجزه ستيك في المغرب» (23). وما يقدره في العمل الذي قام به المقيم العام السابق، هو رزائته، وحذره، اللذان لم يعرف خلفه ولا العسكريون المتحللون حوله، الاحتفاظ بهما. في العمق، يبدو الدالديني، دون أن يقول ذلك بوضوح، مؤيداً لأسلوب «الخطوات الصغرى» الذي نصحه به باتلوفي. هذا الأسلوب الذي لم يجد أي تجلٍ في العمليات الجارية. وقد دعا الحكومة باسم فريقه «إلى تطبيق سياسة إخماد الفتن، سياسة تكون منهجية، صبورة ومتساعمة، هي وحدها القادرة على أن توفر في نفس الوقت أمن المعمرين والأهالي» (24). أما الاشتراكيون فكانوا يرددون لو يتم إحلال «أساليب سلمية حقاً، أي أساليب تفاوض» (25) محل كل العمليات التي يتم القيام بها، ولو يتم الشروع في أشغال ذات نفع عام قمين بأن تحسن مال السكان (26). وبالنسبة للشيوعيين، لا يمكن التكلم عن إخماد الفتن: وفي هذا الصدد قال كاشان مؤكداً: «إن توغلكم ليس سلمياً ولا يمكن أن يكون أبداً كذلك. فلا يتم التوغل سلمياً في بلد يريد سكانه أن يظلوا أحراراً ومستقلين». ف «التوغل السلمي المزعوم»، الذي يمتدحه اليوم كل من الاشتراكيين والراديكاليين و«الحملة العسكرية الكبرى» المرجوة من طرف اليمين، يعتبران معا «شكلين لعمل نفس الامبريالية».

20 مناقشات المجلس، 25 يونيو 1920، الجلسة الثالثة، الجريدة الرسمية، ص. 2216

21 «كان على كل توغل في المغرب أن يثير مقاومة سكان المنطقة الخاصة بقواتنا»، لوبولير، 13 يونيو 1929.

22 مناقشات المجلس، 21 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص ص 2135 — 2136.

23 نفسه، ص. 2141.

24 نفسه، 25 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص. 2221.

25 لوبولير، 14 يونيو 1929.

26 مناقشات المجلس، 21 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص. 2140 (بغير).

ثمة حل واحد : الجلاء واستقلال المغرب (27). وإن الاشتراكيين، المعارضين صراحة لهذا الموقف، يؤكدون بأن سياستهم وحدها «مطابقة لفكر جوريس» (28). وكما وضع ذلك ريفير أمام المجلس، هناك في المغرب حاليا «نوع من الأمر الواقع. فليس جميع مواطنينا — وهم عديدون هناك — مجموعون ومصاصو دماء. لقد بذل كثيرون منهم مجهودا جديرا بالاحترام الخاص، وقد رأيت بعض المعمرين الذين يستحقون عطفنا. لذلك، لا يمكن القبول بهذه العبارة التبسيطية جدا التي تم ترديدها : الجلاء اللاشروط». ثم أضاف الخطيب الاشتراكي : «يمكنني أن أؤكد أيضا، باسم كثير من الأهالي الذين استفسرناهم، بأنهم يعتبرون أنفسهم أسعد من السابق» (29).

في الواقع، لم يكن الشيوعيون أنصار مبدأ كل شيء أو لا شيء. فإن كانت صيغة الجلاء عن المغرب تترجم فكرهم على نحو عميق، إلا أنها لم تكن مطابقة للوضع، وكانوا يعرفون هذا جيدا حتى أن كاشان اكتفى في نهاية خطابه، بالمطالبة بإنهاء «المهجوم والترحيل السريع للقوات الفرنسية والجزائرية» (30). ولم يترددوا في ضم أصواتهم للراديكاليين والاشتراكيين حول ملتصق قدمه الاشتراكيون ينص على القيام بتحقيق حول أحداث المغرب ثم حول ملتصق قدمه دلاديبي يعبر عن الرغبة في تلافي تكرار أحداث مؤسفة بذلك الشكل «أحداث آيت يعقوب»، و«يدعو الحكومة إلى أن تطبق في المغرب سياسة لإخماد فتن منهجية، صمورة ومتساعمة، هي وحدها القادرة على أن توفر في نفس الوقت أمن المعمرين والأهالي وتسمح بتطور البلاد في الهدوء والسلم» (31).

لقد اتحد اليسار، إذن في 1929 لكي يفرض السياسة المغربية لبيان وبانلوفي، لكن هذا اللقاء الاستثنائي كان خاليا من أي وهم : فالأحزاب مختلفة حول الموقف الذي ينبغي اتخاذه أمام التمرد المغربي، وسيعمل تواصل العمليات العسكرية في السنوات اللاحقة على إبراز هذه الاختلافات لدرجة أنه سيشكل أحد المواضيع الرئيسية للمجابهة بين أحزاب اليسار الثلاثة.

27 نفسه، المجريدة الرسمية، ص 2137.

28 إنه عواد كير لـ ليهيلو (25 يونيو 1929).

29 مناقشات المجلس، 21 يونيو 1929، الجلسة الثانية، المجريدة الرسمية، ص 2139.

30 نفسه، ص 2137.

31 نفسه، 25 يونيو 1929، المجريدة الرسمية، ص 2231.

مسؤوليات راديكالية، تصليب الشيوعيين، انقسامات اشتراكية

رغم المقاومة وإراقة الدماء التي طبعت سنة 1929، استمر تقدم القوات الفرنسية في اتجاه تافيلالت وتادلة، بطريقة منهجية، ولن يتم إخضاع معظم المقاومة المغربية، المتجمعة في جزء من الأطلس الكبير، إلا سنة 1933، في أعقاب عمليات تمثلت على الخصوص في المعارك التي دارت في جبل صاغرو، في حين ستستمر الجيوب الأخيرة للـ «متمردين» الذين تحركوا إلى الجنوب الغربي، بين الأطلس الصغير والمحيط الأطلسي، في القتال حتى ربيع 1934. لقد بدأ اليسار منقسما أكثر من أي وقت مضى. وكان الراديكاليون قد انضموا إلى معسكر اليمين المتطرف. وفي الجهة المعاكسة، شدد الشيوعيون موقفهم، وحكموا بقسوة على الاشتراكيين، مصنفيهم من بين الأنصار العلنيين أو الملتصقين للحزب المغربية. وفي الواقع، ترددت الحزب الاشتراكي بحكم انقسامه في اتخاذ موقف قوي، رغم ضغط أقلية كانت وجهات نظرها قريبة من وجهات نظر الشيوعيين.

منذ مغادرة طارديو للسلطة، في 1932، صار الراديكاليون في الحكومة. فلم يعد واردا بالنسبة لهم السماح بالاعتراض على العمليات العسكرية الجارية في المغرب؛ زد على هذا أنه كان لهذه الأخيرة طابع دفاعي بحصر المعنى، وقد استعاد دلالي حريا تقريبا توضيحات بانلوفي وبريان، التي كان يعتبرها، قبل أربع سنوات غير مقبولة: «لايتعلق الأمر في المغرب مطلقا بحرب حقيقية... إن (عددا من القبائل) مكونة، لن أقول من لصوص، ولكن من رجال متمردين على نفوذنا، يلوذون بالجبال ومن هناك يقومون من حين لآخر بغارات، بأعمال نهب ضد القبائل التي قبلت الحماية الفرنسية أو حتى طلبتها (...) وفي هذه الحالة، عندما يكون علينا أن ندافع عن القبائل الصديقة، نجد أنفسنا مرغمين على التدخل» (32).

لقد استحسن الصحافة الراديكالية هذا الاجراء دون تردد، سواء تعلق الأمر بـ لاريوبليك هـ لامييل روش، بلوفر هـ لجان بيو (33)، الذي سيصير مع ذلك عضوا للجنة رعاية الوطنيين المغاربة الشبان، أو بليرونفيل هـ التي أضفت لهجة حربية خاصة على سردا لعمليات «إخماد الفتن» التي تشن بتميزات كبيرة من المدفعية ضد جبلين لائذين بالمغاور (34). لكن هناك تحفظ مع ذلك، ففي صفحة خاصة من لاريوبليك، كانت تخصص وقتذاك للمغرب

32 نفسه، 30 يبرير 1933، الجريدة الرسمية، ص. 3273.

La République *
l'Ouvrier *

33 فتية 1933.

L'Fre nouvelle *

34 ليريونفيل، 21 غشت 1933.

مرة كل شهر (35)، هاجم أحدهم يدعى أ. نيلو بقسوة مصلحة الشؤون الأهلية ناعنا إياها بأنها «جهاز محمد للفتن (...) لا يمكن أن تكون له سوى وظيفة حرية لكي يتوصل إلى إخضاع المنشقين» (36). بينما ابتهج مارازاني، رئيس الفدرالية الراديكالية للمغرب، لكون الانشقاق «قد تكسرت شوكته تقريبا» بفضل المقيم العام سان الذي عرف كيف «يحقق دماء جنودنا بقدر ما سمحت له بذلك المبادرات المتبورة أحيانا لأن كان عامة متعطشة للنصر والمجد»، تساءل نيلو في عمود مجاور : «منذ 1928، ينبغي إحصاء الخسائر الفرنسية في التخموم الصحراوية بالمئات. ترى هل يتطلب إخضاع مئات من العائلات المنشقة خسائر من هذا القبيل ؟» (37). لقد مثل هذا الصوت الناشئ الخلافات التي ستنتج فيما بعد في صفوف الراديكاليين عن غو «السياسة الأهلية» وبروز حركة الشبان المغاربة. لكن في الوقت الراهن لم يكن له داخل الحزب أي صدى.

لقد لاحظ الشيوعيون أن العمليات العسكرية لاتزال متواصلة بنفس وقعها الدموي وأنها لم تقطع دابر المقاومة لدى «الشعب المغربي» (38). وقد صرح غابريل ييري من منصفة المجلس «إن الجبليين الذين تشن عليهم الحرب يريدون العيش أحرارا» وأضاف قائلا : «إنني أكرر، باسم حزبي، بأننا نجد هذه الإرادة في متبى الشرعية، وأنها لانتعقد بوجود أدنى مصلحة مشتركة بين شغالي فرنسا والمستفيدين من المغامرة المغربية التي نشهر بها هنا» (39). فإلى جانب تأكيد الشغاليين الفرنسيين على تعاطفهم وتضامنهم مع أولئك الذين يكافحون للحفاظ على أرضهم وحريةهم، يكون عليهم أن يظهروا إرادتهم في توجيه ضربة قوية للامبريالية (40). إذ في نية هذه الأخيرة التعجيل بالغزو النهائي للمغرب، ليس فحسب لكي تحسن مواقعها الاقتصادية، بل لأن السيطرة الكلية على الأرض المغربية تشكل عنصرا هاما من ترتيبات الحرب الأوروبية الجديدة التي يمتصها (41). وبقيام الشيوعيين الفرنسيين بتعبئة الشغاليين

35 إن تحريرها تسهر عليه الفدرالية الراديكالية الاشتراكية للحماية.

36 لايسار، 2 يوليو 1933.

37 نفسه، 5 غشت 1933، أنط كذلك، لعس الأسب، «سيلو وصل ما انقطع»، 2 شتن 1933.

38 أنظر لوماني، 14 أكتوبر 1930، 11 يونيو 1931، 18 يناير 1932، 14 غشت 1933.

39 مناقشات المجلس، 30 يونيو 1933، المحررة الرسمية، ص 3272.

40 أنظر لوماني، 25 فبراير 1933، 19 يناير 1934.

41 «إن النقل السليم للسلم، ولكن قبل كل شيء لحديد إفريقيا السوداء نحو الساحل المتوسطي ضرورية أولية بالنسبة لفرنسا في حالة حرب امبريالية في أوروبا. إلا أن هذا النقل لا يمكن أن يتم بالسرعة والأمر الضروريين إلا إذا عدت سيطرة الامبريالية الفرنسية على الحزيرت المغرى كاملة، سواء تعلق الأمر بالنقل الحربي أو بالنقل المسافر أو بالنقل بواسطة السكك الحديدية» دفاقر البلشفية، فاتح غشت 1933 (د كلزني، «الحرب في المغرب» ص 1312 - 1320). وكان أوتافيو (باريس) أقل استلهاما عندما تحدث في المراسلة الدولية (2 دجنر 1933، ص 1212 - 1213) عن تزويد المغرب للمتيروبول بالبنترول والصحة وإنتاجهما كان «تذلك معدما تقريبا».

من أجل الجلاء و«الاستقلال الفوري» سيعملون على إضعاف امبريالهم الخاصة «التي ستقصفها القوة لمقاومة كفاح شغالي الميتروبول»، وسيجئون «الشعب المغربي كحليف في كفاح (هم) المناهض للامبريالية» (42).

لقد ترجم تصلب الحزب الشيوعي من خلال موقفه تجاه الاشتراكيين والراديكاليين. فهو يؤكد على مسؤولية حكومات «اليسارات» في حرب المغرب. فهي برأيه تواصل «عمل» ليوطي: «كل البورجوازية الفرنسية متضامنة، عندما يتعلق الأمر بالقتل والقتيل» (43). لكن الانتقادات القاسية يخصص بها الحزب الاشتراكي. إنه يذكر مرارا بـ «موقفه الاستعماري» (44)، ويؤاخذ على كونه «متواطئا» في الحرب. لقد تطورت الانتقادات ابتداء من صيف 1933 واستمرت حتى أبريل 1934. فقد تحدثت لومانيتي عن «نفاق الزعماء الاشتراكيين» الذين يشفقون على الضحايا ومعلنين عن رجائهم في نهاية المعارك، في حين يدعمون حكومة دلادبي المصممة على مواصلة العمليات مهما يكن الثمن (45). ففي شتنبر 1933 تبنى المجلس الإداري الدائم للحزب الاشتراكي بيانا يتهم الحكومة بتوريط فرنسا في «حرب حقيقية» مرغوب فيها من طرف العسكريين ورجال المال، وذلك دون موافقة البرلمان: «إن الصحافة الرأسمالية الكبرى تخفي ببراعة الطابع الحقيقي (للعمليات العسكرية)، مكثفة بتحقيق الأهالي التعساء الذين يدافعون عن مساكنهم». «ويعلن الحزب الاشتراكي في هذا البيان عن احتجاجه الساخط ضد هاته العمليات العسكرية الاجرامية الخرقاء»، وسيطرح السؤال من منصة البرلمان بمجرد الشروع في السنة التشريعية الجديدة (46). يتعلق الأمر هنا بالنسبة لأندري فيرا، المكلف بالقضايا الاستعمارية لدى الحزب الشيوعي، بـ «بيان مخادع» توقف فيه فقط عند كونه يهاجم الأركان العامة لكي يبريء مسؤولية دلادبي: «كيف يتأتى الكفاح ضد الحرب عندما يكون هنا الأول هو التغطية على الحكومة المخدعة على الحرب بالاتفاق معها» (47)؟ وفي أوائل 1934، أخذ الشيوعيون الاشتراكيين مرة أخرى بـ «تجاهل»

42 دقاتر البلشفية، مقال مشار إليه.

43 لومانيتي، 11 يوليوز 1933. لقد تم تقديم سارو وويل — بونكور من طرف اليومية الشيوعية كـ «حلايين للشعب المغربي» 25 فبراير 1933. انظر كذلك 8 عشت، 27 و 39 شتنبر 1933.

44 نفسه، 14 أكتوبر 1930، 9 عشت 1933 (الصفحة 4 عصفه بأكملها، تحت إشراف أندري فيرا، لظهور «الأحزاب الاشتراكية في نجدة الاستعمار» — 20 نونبر 1933 (ضد الحزب الاشتراكي للمعرب «التشيع بالمساوية (و) الذي يشارك في جهاز الاضطهاد الامبريالي مباشرة» 29 نونبر 1933 «الحزب الاشتراكي من أجل الاضطهاد الاستعماري»).

45 14 يوليوز 1933.

46 لومبولير، 7 شتنبر 1933، مغرب، شتنبر 1933، ص 24.

47 لومانيتي، 8 شتنبر 1933.

الحرب، ذاهبين، أحيانا، الى حد اتهامهم بأنهم لم يتكلموا عنها أبدا : «لم تكتشف الجريمة الناطقة باسم الحزب الاشتراكي حرب المغرب إلا البارحة أي في فاتح أبريل 1934» (48).

يظهر فحص موقف الحزب الاشتراكي بأن التأكيدات الشيوعية ثابتة في جزء منها، ومبالغ فيها، بل مغلوطة، في جانب آخر.

(1) لنذكر بأنه ظهرت في فترة الثلاثينات تيارات عديدة للرأي داخل احزب الاشتراكي بخصوص السياسة الاستعمارية (49). ونلاحظ تقدما للأطروحات الاندماجية، دون أن يكون في إمكاننا مع ذلك تصنيف جميع أنصارها ضمن المواقف «الاستعمارية» التي يقف عندها بعض قادة الفدرالية الجزائرية (50). ويعتبر كل من جان لونكي وزيرومسكي مثلا، أكثر تحميذا من فيلسيان شالاي أو مارسو يغير لتوجيه البلدان المستعمرة نحو قانون استقلال داخلي، وحتى نحو نظام استقلال على المدى القريب جدا. ومهما تكن الاختلافات المذهبية التي تفرق بين القادة الاشتراكيين فكلهم يجمعون على إدانة أطروحة الجلاء عن الأراضي المستعمرة وخاصة منها المغرب. ولم تأت سنوات الثلاثينات بالنسبة لهذه النقطة بأي جديد.

(2) فيما يتعلق بسير العمليات العسكرية في المغرب، نلاحظ في مقام أول أن الحزب الاشتراكي عبر عن شتجه لتلك العمليات تحت حكومتى لافال وطارديو بتعابير معتدلة نسبيا (51). ثم أبرزت انتخابات 1932 التي جاءت بأغلبية يسارية الى المجلس، وأدت الى وصول الراديكاليين للحكم، انقسام الاشتراكيين بين مناصرين للمشاركة في المسؤوليات الوزارية ومعارضين لها. لقد تلافى أغلبية الحزب الماضي بعيدا في انتقاد الحكومات الراديكالية. لكن ها أن شابا ومناضلا متحمسا، هو روبر — جان لونكي، الذي قرر بأن يخصص جزءا هاما من نشاطه لمشاكل المغرب الكبير، لم يتبنى نفس التحفظ (52). لقد تمكن من التعبير في لوبوبلير بقوة لاختلاف في شيء عن قوة الشيوعيين، عن شهادته حول التوغل السلمي : فهذا الأخير، كتب قائلا، «يتم بطلقات المدافع والرشاشات وبمعمونة قصف جوي فظيع. إن قرى بأكملها تباد بنسائها وأطفالها (...) وتمنى قواتنا بخسائر عديدة (...) فهذه الحرب ترضي أثرياءنا المعمرين الذين يأملون في مساحات جديدة من الأراضي المشتراة من مغاربة تعساء

48 نفسه، 2 أبريل 1934

49 نجل عل تحليل ماريلا سميدى «الاشتراكيون الفرنسيون والمشكل الاستعماري بين الحزبين»، المجلة الفرنسية للعلم السياسي، المجلد 18، عدد 6، دجنر 1968، ص 1115 — 1154.

50 مثل سيانفاريني، أنظر بشكل خاص مقاله : «الاشتراكية والاستعمار» في لافي سوبالست، عدد 113، 13 أكتوبر 1928، ص 12 — 14.

51 أنظر لوبوبلير، 17 يناير، 28 أبريل و10 مايو 1932.

52 عن ر.ح. لونكي (اس. جان لونكري) وصلاته بالمغرب والوطنين المغاربة، أنظر الجزء الثالث.

ومطرودين بأجناس الأتمان» (53). وفي أبريل 1933، عاد من سفر جديد إلى المغرب وحمل لحزبه معلومات عن «المعارك الدامية» التي ترتبت عن غزو جبل صاغرو (54). وفي المجلة التي كان يديرها، وهي «مغرب»، دعا المغاربة الشباب بالكتابة فيها، فوصف أحدهم «المتمردين» بأنهم «مضايقون في حريتهم ومرغمون على العيش في حيز محدود حيث يقومون تحت طغيان زعيم أجنبي» (55). لقد جعل ر.ج. لونكي، وبعض أصدقائه وهم دانيال كيران، مورييس وماكدالين باز، الجريدة اليومية الاشتراكية، تشهر بشدة، خلال الصيف، بالعمليات التي تشن في الأطلس الكبير (56). كما استعمل مغرب لكي يضغط على الحكومة: «لقد نفذ صبرنا (...) يلزمنا إفهام حكومة «اليسار» بأننا نريد: 1) أن نعرف بالتتالي وبشكل دقيق ما يحدث في المنطقة العسكرية. 2) أن يتم الكبح الفوري للعسكريين وإيقاف هذه الحرب التي لاتندور إلا لهدف واحد: تمكين مجموعات مالية قوية، مثل شنالدر ودوكروز، من المناجم، وتمكينها أيضا من بيع عتادها الحربي لقواتنا بثمن باهظ. (...) ونطالب بأن ترسل لجنة برلمانية متمتعة بكل السلطات، فورا، إلى المنطقة العسكرية، مهما يكن رأي السيد دلادبي الذي اعتقد أن عليه أن يرفض مؤخرًا الترخيص لبرلمانيين بالذهاب للتحقيق في المنطقة العسكرية، وهو ما يحملنا على الاعتقاد في خطورة الوقائع التي يرام كتمها بأي ثمن (...) لقد طلبنا ولازلنا نطلب من الحكومة بأن تعمل على إيقاف هذه الحرب!» (57).

3) كانت المجموعة البرلمانية الاشتراكية أبعد ما تكون عن مشاطرة وجهة النظر هذه. ففي 30 يونيو 1933، أفسحت حزب المغرب المجال لنقاش أمام المجلس (58)، فلم تنتدب

53 لوبويلر، 22 غشت 1932.

54 أنظر مغرب، شنتر 1933، ص. 1

Maghreb *

55 «إن السعادة التي يراد حلها اليكم ليست في النهاية سوى السعادة الحمراء: فالقوى والتجمعات الدولية غريبة، وقاتل بأكملها مدمرة، وآلاف العائلات التي كانت تتكون منها، عدت مفلسة ومرغمة على الوئس» بعد أن صمقت بالقوة الجوية والقوة الأرضية مغرب، أبريل 1933، ص 34 — 36 (قدور، «إخماد الفتن»).

56 لوبويلر، «كفى من الدم المراق في المغرب» 13 يوليو 1933؛ «الدم لأزال يسيل في المغرب» 14 يوليو؛ «عشرة قتل آخرون وإثنان وعشرون جرحوا في المغرب» (...) ونعرف أي موت يوحه «القنود» للذين يأتون لغزو وطنهم 8 غشت؛ «إن «التوغل السلمي» يبدو بكل واقعه الكره» 9 غشت. إنه ليس «شيئا آخر سوى مشروع لصومبة كبرى لعائلة الرأسمالية الاستعمارية ومناسبة لبعض ذوي الرتب العسكرية لكي يرغبوا شارلات وفياشون بدم الخنود الفرنسيين والأهالي المتصاء. (...) إن صمت الحكومة ذو دلالة وستزعمهما على الخروج من هذا الصمت سواء أرادت ذلك أم لم ترده»، 11 غشت.

57 مغرب، شنتر 1933، ص. 2.

58 بمبادرة من كيرنو الراديكالي، وعازيل بيري، الشيوعي، اللذين طالبا باستفسار الحكومة. فنسند 1929، لم تتر العمليات العسكرية في المغرب أي نقاش برلماني وأمام لجنة الشؤون الخارجية للمجلس، المختصة لسماع عرض لكبير، الذي كان حديث العودة من المغرب؛ (أنظر أدناه)، امتدح فييو سياسة التوغل السلمي «التي تسمح لنا باحتلال»

المجموعة الاشتراكية أيا من أعضائها للمنصة، لدرجة أن الحزب الشيوعي وحده اهتم السياسة المغربية للحكومة (١٩). وعند الدخول البرلاني رفضت استفسار الحكومة كما طالبت بذلك اللجنة الإدارية للحزب الاشتراكي، وبالرغم من تذكير جان لونكي بذلك (٦٥). إن الحزب الشيوعي لم يكن يأبه تماما لأقامة فروق بين القادة الاشتراكيين : «أه ! نعرف هذا جيدا. إنه خطأ المجموعة البرلمانية، هيا إذن ! الحزب الاشتراكي كله مدان» (٦١). وإذا بلومانيتي تقوم بمقارنات في منتهى الاعتباط، متهمة مغرب بالاتفاق مع الحكومة (٦٢)، ولونكي ورونوديل بكونهما يعارضان التخلي عن العمليات العسكرية (٦٣).

4) تبقى نقطة هامة. خلال الشهور الأولى من سنة 1934، كان التباين صارخا بين تعاقب المقالات المخصصة لحرب المغرب من طرف الصحافة الشيوعية (٦٤) وصمت الاشتراكيين. لقد تابع الحزب الشيوعي حملته حتى أواخر شهر أبريل. إلا أن آخر القبائل المنشقة أُلقت السلاح في 16 مارس. لقد نهت لومانيتي قراءها : ينبغي الاحتراز من التصريحات الرسمية؛ فالحرب لم تضع أوزارها بعد، بل هي ممتدة إلى وادي الذهب وموريطانيا؛ لنغادر المغرب (٦٥). لقد ضمننت هذا الموقف تقديرا مغاليا لقدرة مقاومة المغاربة أمام الوسائل العسكرية الهائلة المستعملة لاختضاعهم (٦٦)، ألا ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار أيضا الضغط، القوي على الخصوص في تلك الأشهر الأولى من 1934، الذي كان يمارسه الحزب الشيوعي

عموم المغرب، دون إراقة الدم وبأن محصل في الوقت نفسه على ثقة وإعزاز القبائل الأكثر احتراماً. فرد عليه جان لونكي بأن «التوغل لم يكن دائما سلميا» وأورد أقوال الجنرال بوكيس : «بلازم إنهم هؤلاء الناس تفوق فرنسا بطلقات المدفع» مجلس النواب، لجنة الشؤون الخارجية، محضر جلسة 16 سوبر 1932.

59 أنظر أعلام. استهدف استفسار كيزنو في الواقع دعم سياسة الحكومة.

60 لوبيلير، فاتح نونبر 1933.

61 لومانيتي، 14 يوليوز 1933 (مشدد عليه في النص).

62 نفسه، 23 يونيو 1933 (في تحفي ليووانير : «في المغرب»؛ عن ليووانير ومغرب، أنظر الجزء الثالث.

63 نفسه، 9 غشت 1933 (ص 4، «السياسة الاشتراكية — الأيهتالية في إفريقيا الشمالية»).

64 ثم استرعاذ انتباه قراء لومانيتي الى حرب المغرب بمعدل التي عشرة مرة في شهر يناير، سب مرات في فبراير، ست عشرة مرة في مارس وخمس عشرة مرة في أبريل وذلك بأشكال مختلفة (مقالات، تعليقات صحفية، صور).

65 شعار رد أيضا في 16 أبريل.

66 في 7 مارس 1934، أكدت لومانيتي بأن هناك «تمردات تتدلع حلف طواير العزلة الامبياليين (...) وأن الكفاح يمتد الآن من تافيلالت الى الأطلسي».

على الاشتراكيين لحملهم على قطع العلاقة براديكاليي الحكومة (67)، والتوجه نحو وحدة عمل كانت الجماهير تفرضها تدريجياً على الأركان العامة للحزبين (68).

يبدو جيداً بالنسبة للاشتراكيين أن كل شيء انتهى منذ أمد طويل. فبالنسبة لروبير – جان لونكي، الذي لا تعتبر معاداته للنزعة الاستعمارية محل شبهة، ليس بالأماكن قلب موازن القوى داخل المغرب. وهو يعتبر، من جهة أخرى، أن معركة المغاربة انتقلت منذ الظهور البريري الصادر في 1930، إلى الصعيد السياسي (69). ولم يكن أغلب الاشتراكيين يرون إلى البعيد. ترى هل يفسر رفضهم لتشديد مهاجمتهم لسياسة الحكومة باعتبارها التكتك العام فقط ؟ يبدو لنا أن رفضهم ذلك كان يعبر عن موافقتهم العميقة على القضاء على الفرد. لقد كانوا ينفرون في مجموعهم دون ريب من استعمال القوة؛ لكن يبدو أنهم كانوا مدفوعين بقوة إلى الاعتقاد بأن الشيوعيين ويسار حزبهم يبالغون حول أهمية العمليات العسكرية الجارية. وقد عمل الصمت الذي لزمته الفدرالية الاشتراكية للمغرب، في هذا الشأن، على طمأننتهم، ألا يعتبر رفاقهم بالمغرب أول المقتنعين بأن مقاومة الثائرين لم يعد لها أي دلالة سياسية وأن من مصلحة هؤلاء إلقاء السلاح والسماح لفرنسا بمتابعة عملها الحضاري ؟ أو لم يحمل إميل فاندرفيلد نفسه، الذي عاد مخلوب اللب من سفر إلى المغرب، ضماناً الاشتراكية الدولية للحماية (70) ؟ إن تطور موقف عصابة حقوق الإنسان إزاء «إخماد فتن» المغرب ينير الفرضية التي نصوصها هنا حول انزلاق الأغلبية الاشتراكية نحو مواقف أكثر تفهماً لأهداف الاستعمار بالمغرب.

67 كان الحرب الشيوعي وقتذاك يدرج كلا من الراديكاليين والاشتراكيين الأحرار في «السطافيسقراطيين»؛ وكان الضغط على الحرب الاشتراكي يستعمل بعمق هذا المصير السحالي : «بتواطؤ الحرب الاشتراكي، شنت حكومة سطايفسكي الحرب على مائتي ألف معري (...) إن قبائل الجنوب المغربي تقاتل بسلحها النظام الشنيع المثلل باستحقاق من طرف فضيحة سطايفسكي» لومانيي، 10 فبراير 1934. «متى سيحجب رئيس الحكومة وزير الحرية، وزير الشؤون الخارجية في حكومة سطايفسكي عن أسفلتنا المنددة حول قتل مغاربة الجنوب ؟» نفسه، 12 يناير 1934.

68 «لجندب العمال الاشتراكيين، الذين لا يقوم حزبهم بشيء صد المحرم الرأسي، لكي يحتجوا معنا» لومانيي 27 فبراير 1934. «لجندب العمال الاشتراكيين لكي يحتجوا معنا. حبة موحدة برويتانية صد الحرب من أجل الجلاء عن المغرب» نفسه، 11 مارس 1934. إن على العمال أن يحققوا «الحبة الموحدة للعمل داخل لجان نضال ضد الفاشية والحرب» نفسه، 12 مارس 1934.

69 أنظر الجزء الثالث.

70 في مقالين ظهر في لادويش التلورية، أنظر الجزء الثالث.

تطور عصبة حقوق الانسان

لقد انصرفت الفترة التي كانت العصبة، مهروزة بعمق بحرب الريف، تستفسر فيها الحكومة بقوة وتطالب للريفيين بحق إدارة أنفسهم بحرية. والرد الذي خصت به، في أوائل 1930، اقتراح شارل جيد، الرامي إلى إطلاق سراح عبد الكريم — «(هذا الرجل الذي حكم عليه بدون مقاضاة والذي كان ينبغي أن يعامل في الأكثر كأسير حرب)» (71) — ذو دلالة في هذا الصدد. فقد أكد كيزنو، السكرتير العام، في تقريره «لا يمكن أن نقول بأنه كانت هناك حرب؛ كان هناك تمرد أو انشقاق، وهو ما كان يسمح لنا بإعدام عبد الكريم عند أسره بدون قيد أو شرط. ثم لابد من التفكير في المصير الذي كان سيلقاه على يد السلطان، لو كان هذا الأخير هو القاضي الوحيد. وإذن فإن عبد الكريم محظوظ جدا في نهاية الأمر لكونه لم يتعرض سوى للنفي، وكل ما يمكن للعصبة أن تطلبه، «هو أن يكون هذا النفي لطيفا وإنسانيا قدر الامكان» (72).

منذ ذلك الوقت، لم يعد واردا بالنسبة للعصبة أن تتحجج على مبدأ العمليات العسكرية. لكن ذلك لم يمر دون مصاعب، خصوصا مع فليسيان شالاي، نصير الاحتجاج على العمليات العسكرية الجارية (73)، وفي نونبر 1932 عند عودته من سفر إلى المغرب، عبر كيزنو أمام العصبيين عن الإعجاب الذي يحس به تجاه «العمل الخارق» الذي أنجز من طرف ضباط الشؤون الأهلية لدى القبائل. لقد قام بتقديم لوحة مثالية؛ ثمة طرقات بنيت، وأسواق فتحت، ومراكز ترميض أعدت. لقد سهّل التركيب الديمقراطي للبربر عملية إخماد الفتن : ف «ما إن تشكل أغلبية قوية لصالح الخضوع، فإن الأقلية تقبل أو تهاجر إلى قبيلة مجاورة تظل متمردة، فيصير في مكتة الجيش أن يتقدم دون مخاطر». لا تزال هناك دون ريب بعض مناطق الانشقاق ويمثل إخضاعها بعض الصعوبات؛ إذن هناك «يلوذ المحكوم عليهم، والفارون، أو المتعصبون للاستقلال؛ لكن التقدمات سريعة بصفة عامة» (74).

مع ذلك، كشف النقاش الذي أعقب عرض كيزنو، عن ارتباط العصبيين، ففكتور باش يشك «بأن المنشقين يسلمون أنفسهم لنا عن اقتناع عميق بالزايا التي تحملها إليهم. لكن هل حادتهم السيد كيزنو ؟ هل يعرف ما يدور في سرائرهم ؟ فهم لا يمكن أن ينظروا إلى الفرنسيين إلا كفزاة، ومن حقهم أن يعترضوا بكل الوسائل على نظام لم يختاروه» (75).

71 دلائل حقوق الانسان، 10 يناير 1930، ص 15 (عرض جلسة المكتب لـ 5 دجنبر 1929).

72 نفسه، 10 مايو 1930، ص 302 (عرض جلسة المكتب لـ 20 مارس). مشدد عليه في النص.

73 أنظر نفسه، 10 دجنبر 1932، ص 738.

74 الدلائل، 20 فبراير 1933، ص 117 — 119 (معرض جلسة اللجنة المركزية لـ 17 نونبر 1932).

75 نفسه.

أما إميل كان، المقتنع بمبدأ التوغل السلمي، فبدأ منشغلاً مع ذلك بمعرفة ما إذا تم استعمال الرشوة، وهو ما يجعل الخضوعات، في رأيه، قصيرة الأمد. بينما ارتأى لايري، من جانبه، أن يعارض معاملات ضباط الشؤون الأهلية بأساليب أولئك «الذين يقدمون من فرنسا لوقت وجيز مصممين على الاستفادة من عبورهم للمغرب لربح الشارات» (76). وبالنسبة لبارتيلمي، «أن يكون التوغل سلمياً أم عنيفاً، فإن الأمر يتعلق في كل الأحوال بغزو» (77). وطلب من العصبة ألا تقيم تمييزاً بين الأسلوبين وأن تعترض على كل غزو جديد؛ إذ يكفي، في الأكثر، الحفاظ على المواقع المكتسبة. لكن كيرنو رجل سياسة براغماتي، تتغلب لديه الفعالية — ينبغي فهم الفعالية بمعنى تقوية الحضور الفرنسي — على مسائل المبدأ والأخلاق (78). فدافع عن فحوى تقريره مؤكداً بأنه سأل الأهالي؛ فقد سعى لكي يعرف أسباب خضوعهم، فأجاب البعض بحذر: «هذه إرادة الله». وقال البعض له: «إن للفرنسيين مدافع ورشاشات»، وأخيراً صرح آخرون: «لكي نحصل على السلم واستمتع في سلم بنجار عملي». إن هناك دون ريب فئتين من العسكريين في المغرب «لكن الفئة المسموعة أكثر فأكثر والتي يجب الانتصاف لها على الخصوص هي فئة ضباط الشؤون الأهلية الذين يعرفون البلاد، واللغة، والعادات ورجال البلاد، والذين يذلون الجهود للاقتناع، لا للقتال». ألا ينبغي حماية الفرنسيين المستقرين هناك، وكذا «الأهالي الهادئين»، من «النهابين»؟ أما بالنسبة للرشوة، فهذا صحيح: «إذ يتم إعطاء هدايا صغيرة وبعض المؤن للأهالي الوافدين إلى الأسواق، كما يتم منح امتيازات لأهم للزعماء»؛ فقد كان من عادة ليوطي أن يقول، كما ذكر كيرنو بذلك بأن ذلك يكلف أرخص كثيراً من طلقات المدفع (79). وإذا بالقرار الذي تم تبنيه من طرف العصبة يشهد بأن اليقظة القلقة للعصبيين قد تراجعت أخيراً أمام ضرورة طمأننة النفس وطمأننة الرأي بإعطائها شهادة رضى للعمل الفرنسي في المغرب: فاللجنة المركزية تعتبر «بأن أساليب التوغل السلمي عبر الطريق، عبر السوق، عبر الطبيب، قد أعطت نتائج مرضية وأن هذا التوغل السلمي ينبغي أن يحل في كل الأحوال والأمكنة، محل التوغل بالأسلحة» (80).

في مارس 1933، بعد أن أعلنت الصحافة نبأ هجوم قامت به القوات الفرنسية في المغرب، اعتبر الرئيس فكتور باش بـ «أنه من غير المقبول أن تشن عملية عسكرية من هذا

76 نفسه.

77 نفسه.

78 «هل كان الذهاب إلى المغرب خطأ أم صواباً؟ إنه مسموح طبعاً بطرح السؤال. لكنا فيه» نفسه.

79 نفسه.

80 نفسه، 20 دجنبر 1932، ص. 756.

القبيل دون أن يكون ذلك في علم البرلمان والبلاد» (81). ودعا العصبة لأن تطلب توضيحات من وزير الحربية. وبموازاة ذلك، تم استفسار فدرالية المغرب؛ وبعد أن ذكرت هذه الأخيرة عددا كبيرا من القتل والجرحى، «احتج» المكتب «مرة أخرى على أساليب التوغل العسكري التي تبقى المغرب في حالة حرب» (82). لكن احتجاجها لم يستمر، فبعد أن واجه وزير الحربية بالصمت الإجراءات التي قامت بها العصبة، صيرت هذه الأخيرة شهورا طويلة، ثم اعتبرت، في الأخير، أنه ليس في مستطاعها «التدخل بشكل مجدي على (أساس) معلومات الصحافة التي ليس في مقدورها ضمان صحتها» (83).

قيمة حجج اليسار حول أساليب «إخماد الفتن»

هل تتوفر على معلومات تسمح بتقدير قيمة الحجج التي أدلى بها اليسار حول «التوغل السلمي» في المغرب؟ يمكننا، على الأقل، أن نسعى لأضائة النقاشات التي تمحورت حول الأساليب المستعملة لاختضاع المغرب. كما يمكن مقارنة التصريحات الرسمية ببعض الملفات التي من المحتمل أن الطبقة السياسية كانت قد اطلعت عليها، على الأقل جزئيا. حول هذين الجانبين المرتبطين بشكل وثيق، وهما مسؤولية العمليات العسكرية والدلالة المعطاة لـ «الانشقاق» ولـ «إخماد الفتن»، تقدم أرشيفات بانلوفي، بالفعل، توضيحات هامة (84).

(1) أولا، إنها تؤكد صحة الأطروحة التي دافع عنها ممثلو اليسار والمتعلقة بالطابع الهجومي للعمليات المشنونة في 1929. فقد انحطت هذه الأخيرة فعلا في مخطط تم إنضاجه والتحضير له طويلا من طرف الأركان — العامة :

□ في مذكرة بتاريخ 7 مارس، يعتبر المارشال فرانشي ديسيري، المفتش العام لافريقيا الشمالية، أن من الضروري، من جهة، احتلال هضبة وادي العبيد، في تدلة، ومن جهة أخرى احتلال تافيلالت، «مكان الأسلحة الطبيعي للجيش التي تأتي لتقلق مواصلاتنا مع الجنوب المغربي ومع التراب الجزائري لعين الصفرة»؛ وهذه العملية الأخيرة «ناضجة»، وقد وضح مراحلها (85)؛

81 نفسه، 10 أبريل 1933، ص 236.

82 نفسه، 25 — 30 مايو 1933، ص. 359.

83 نفسه، 30 مارس 1934، ص 229.

84 AN مجموعة نانلوفي 207 AP 313.

85 نفسه، «وضعية المغرب في نهاية 1929. عمليات عسكرية مرتقطة»، (نسخة أصلية من البحث).

□ في 14 مارس، طلب المقيم العام لوسيان سان موافقة الشؤون الخارجية على العمليات التي كان يرغب في القيام بها، يتعلق الأمر حسب قوله، بـ «توطئات صغيرة» ينوي تنفيذها في أراضي الجنوب، وتستهدف من جهة، احتلال بلاد آيت حديدو في زيز الأعلى، وفي وادي آيت يعقوب، ومن جهة أخرى احتلال الجرف والفرنة، غرب أرفود. وتبدو له هذه العمليات «مطابقة كلياً لروح التعليمات التي تلقاها من الحكومة» وهي، كما قال موضحاً، «لاتورطنا في شيء في مسألة تافيلالت التي لا يمكن النظر فيها حالياً» (86).

□ لقد استشارت الشؤون الخارجية وزارة الحربية، وفي 22 مارس، علق فرانشي ديسيري، في مذكرة لبيتان، نائب رئيس المجلس الأعلى للحربية، على اقتراحات المقيم العام. لقد لاحظ بأنه من العمليتين المرتقبين، تجاوز الأولى، وهي عملية آيت حديدو، بأن تكون مكلفة من أجل نتيجة هزيلة. أما بالنسبة للعملية التي تستهدف الجرف والفرنة، ذكر بأنها «تدخل في البرنامج الذي عرضه عليه : إنها تبدأ محاصرة تافيلالت» (87).

أجاب وزير الحربية في 6 أبريل 1929 بأنه لا يتعرض على البرنامج المقدم، فأعطت الشؤون الخارجية موافقتها للمقيم العام (88).

هكذا، فمن جهة، أعطى وزير الحربية موافقة على عمليات عسكرية في الجنوب المغربي يعرف طابعها الهجوم، وبعد خمسة عشر يوماً ذكر وزير الشؤون الخارجية المقيم العام بأن السياسة العسكرية للحماية ينبغي أن تظل دفاعية بمصر المعنى (89). وطبعاً، هذا التوجيه الأخير هو الذي أورده بريان أمام المجلس. على الصعيد المحلي، ذكر المقيم العام السلطة العسكرية بأنه قد صدرت «تعليمات من الحكومة تمنع أعمال القوة المنفذة بوسائل ثقيلة و(أنه) لن يتم النظر هذه السنة سوى في توطئات ذات طابع سلمي بشكل واضح، تطلبها قبائل راجية حمايتها، وتنفذ بتعاون وثيق وصادق معها» (90). تظهر الممارسة بأن مختلف درجات القيادة كان لها تأويل مطاطي لهذه التعليمات. لكن في هذه الحالة الخاصة نسجل بأن احتلال الجرف والفرنة تم في 8 أبريل؛ وهذا معناه أن البرنامج الذي أوصى به فرانشي ديسيري وصادق عليه المقيم العام والشؤون الخارجية والذي يتضمن أيضاً «محاصرة تافيلالت»، قد دخل حيز التنفيذ قبل التعليمات أرقامية.

86 نفسه، رسالة رقم 189/CMC في 14 مارس 1929. التشديد منا.

87 نفسه، التشديد منا.

88 نفسه، برقية رقم 640 في 9 أبريل 1929.

89 برقية 23 مارس 1929، المشار إليها آنفاً.

90 SHA MAROC CSTM 22002 (رسالة رقم 262/CMC تاريخ مانت مايو 1929 من المقيم العام إلى الحراير)

القائد الأعلى لغوات المغرب).

وحول ظروف اشتباك آيت يعقوب نفسها، تورد المراسلة الموجهة من الرباط إلى باريس بشكل صريح مسؤولية الجنرال فرايدنبرغ، المتهم من طرف اليسار، والمدافع عنه من طرف وزيره (91).

(2) من جهة أخرى، توضح التقارير المعدة من طرف الأركان العامة الطابع الوهمي لـ «التوغل السلمي» الذي يتباهى به وزير الحربية. فيشكل مترابط، تعيد هذه التقارير لـ «المنشقين» صفة «محاربين» التي تابر كل من بانلوفي وبريان على نفيها. لقد كتب فرانثي ديسبيري في تقرير بتاريخ 20 يونيو 1929: «إن المغرب لا يزال بعيد الخضوع؛ ويتطلب إخماد الفتنة استعمال القوة» (...) فالافتتاح لا يعرف سبيلا إلى سكان محاربين بالجبل مثل سكان المغرب إلا إذا قهروا أولا بالقوة» (92). بعد بضعة أيام من ذلك، توجه بيتان للوزير بقوله: «إن القضية المؤسفة لآيت يعقوب تضع الأصبع على وهم ومخاطر ما اصطلح على تسميته بـ «التوغل السلمي» (...) هذه العبارة (...) لا تخدع سوى الناس غير المجريين. فعلى كل عسكري واع بمسؤولياته، في بلد حديث الاحتلال، أن يكون دائما في حالة قتال في أفضل الظروف، وإلا فإن التوغل المسمى سلميا يقود دوما إلى نكبة. واستنتاجي، سواء قبل أم رفض، هو أن الجبهة الجنوبية للمغرب هي حاليا جبهة قتال. (...) وأماننا يوجد عدو» (93). بعد أربع سنوات من ذلك، لاحظ الجنرال ثيفيني بأن القوة وحدها يمكن أن تقطع الدابر: «كما منشقي تازكزاوت في 1932، وصاغرو في 1933، فإن منشقي الأطلس الكبير سيمتعون أولا عن المفاوضات، ولن يقع استسلامهم احتمالا إلا بقوة الضرورة، وذلك بعد بضعة ردود فعل قوية تكسرها بسهولة بأسلحتنا الأوتوماتيكية، ومدافعنا المركزة في المواقع المختارة، وطيراننا المداوم على الارتباط بجندونا، وأمام استحالة تكسير الأزمة التي ستشتد عليهم، سيعمد المتمردون، منهكين بالجوع والعطش، ومبادين بالنار، وبعد أن يكونوا قد أنقذوا الشرف، إلى الاستسلام أخيرا. حيثئذ سنجردهم من أسلحتهم ونكون بذلك قد أقمنا فتنة الجبل بأكمله» (94).

تعكس هذه الأحكام لزعماء الجيش الفرنسي رأي الجيش التقليدي. هل يجب أن نعارضها، كما قصد كيرنو إلى ذلك، بوجهة نظر ضباط الشؤون الأهلية، الاختصاصيين في

91 أطر 313 AP 207 AN (رسالة رقم 312/CMC في 13 يونيو 1929)

92 313 ap 207 AN (تقرير رقم 5/5 المجلس الأعلى للحرب حول «إخماد الفتن في المغرب»).

93 نفسه، رسالة رقم 1579/S في 24 يوليو 1929 (تشدد عليه في النص)

94 لافرانس ملغور، 29 يوليو 1933. «في الأطلس المتوسط، ذكر الجنرال كيوم، لم تأت أية قبيلة إلينا بحركة عفوية. ولم تستسلم أية واحدة دون أن تقاتل، وبدون أن تستسلم بعضها ورسائل مقاومتها عن آخرها». اليوم المغاربة واتحاد فتن الأطلس المتوسط (1912 - 1933) باريس، 1946، ص 73.

التهدة ؟ لنضع الكلام هؤلاء : ولنبدأ بموريس لوكلاي (٩٥)، الذي عندما دعي في 1928 لالقاء محاضرة في هذا الموضوع أمام رفاقه الشبان، وضع الأشياء في نصابها : إن «التوغل السلمي» «عبارة حقيقية بصورة مطلقة، لأن مشاريعنا سلمية في غاياتها. فأن تضطروا عند تنفيذها الى ممارسة القوة وأن تدوي من أجلها طلقات البنادق، فإن هذا لايفير شيئا من المعنى العميق للعمل نفسه، ولا من الكلمات التي تشير اليه» (٩٦). أما القبطان سعيد كنون فينصح ببعض التقنيات للتهدة يعتبرها مهياة على الخصوص للطبع البربري : «إن الوسيلة الوحيدة للتعجيل بالخضوع (...) هو أن يكون في مراكزنا خيالة عديدين جسدرون وقادرون على اختطاف القطعان ومنع المراعي وحقول الحرث، أي باختصار، تفجير الدواوير الثائرة ثم منحهم عذر الفقر، الذي بدونه لايمكنهم الاستسلام بدون تلميح شرفهم» (٩٧).

في أطروحة دكتوراه في القانون دافع عنها في 1934، وصف بيار فاليري، قبطان الشؤون الأهلية، بدقة متناهية، مختلف أساليب التهدة (٩٨). إنه يميز على الخصوص العمل السياسي الذي يستهدف جلب تعاطف الزعماء أو إذا تعذر ذلك إثارة بعضهم على البعض الآخر، والعمل الاقتصادي؛ ويكتسي هذا الأخير شكلين متعارضين : شكلا سلطويا حيث يرافق الضغط العسكري تدابير الحصار، و«شكل اجتذاب» يتضاءل معه العمل العسكري. لكن فاليري يعتبر أن الحصول على خضوع القبائل دون اللجوء الى القوات النظامية يشكل «للأسف الحالة الاستثنائية. ففي أغلب الأوقات، يكون على العمل العسكري أن يمد يد العون للعمل السياسي» (٩٩). وإذا يشير الى خطاب كيزنو، في مجلس النواب، الذي طالب فيه بتعميم أساليب «التوغل السلمي» يؤكد الضابط الطابع الخيالي لهذا الرجاء، إذ أن القبائل غير مستعدة مطلقا لقبول الهيمنة الفرنسية (١٠٠).

- 95 صابط استحضارات من طراز آخر وأحد ملهمي السياسة البربرية للوطني وهو مؤلف روايات وقصص قصيرة وحكايات مغربية.
- 96 عن التوغل، محاضرة أُلقيت في الطور الاعدادي لمصلحة الشؤون الأهلية، في 3 أبريل 1928، الدار البيضاء، 1928، ص 6 (مشدد عليه في النص)
- 97 قبائلي من الحرائر، تطوع في يناير 1902، وصار ملازما في أكتوبر 1912 ومتد 1910 قصى كل مأموريته تقريبا في البادية بالمغرب. ألف على الخصوص، الجبل البربري (الرباط، 1933) الذي طهر في يناير 1929 في استعلاعات استعمارية.
- 98 الجبل البربري، مشار اليه، ص 328 (مشدد عليه في النص).
- 99 الغزاة والمغزرون في المغرب؛ مساهمة في الدراسة السوسيولوجية للاتصال الشعوب، باريس، 1934.
- 100 مشار اليه سابقا، ص 102 — 103.
- 101 نفسه، ص. 83.

لايعلل مسئولوا السياسة المغربية أنفسهم إذن بأي وهم حول واقع «التوغل السلمي». فالخشية من البرلمان ومن الرأي العام هي التي تفسر، حسب الجنرال كيوم، «سياسة جمود» السلطات المدنية والعسكرية وذلك مباشرة بعد حرب الريف،⁽¹⁰²⁾ كما تفسر ابتداء من 1928، الانحفاء المنظم للطابع الحقيقي للعمليات العسكرية المشنونة ضد المنشقين⁽¹⁰³⁾.

تقوية التيار الاستعماري

من المحتمل أن الطبقة السياسية لم تكن غافلة عن الدعاية الحكومية وأنها كانت تخبر بوقائع إخماد الفتن، كما تم التذكير بها بفضل شهادات ضباط الشؤون الأهلية. كيف نفسر، في هذه الحالة، التفهم المفصح عنه أكثر فأكثر من طرف قطاع من اليسار الفرنسي تجاه العمليات العسكرية التي كان يراقبها بعين يقظة حتى قضية آيت يعقوب؟ هل يفسر الاهتمام الطارئ الممنوح للمسائل ذات الطبيعة الاقتصادية من جهة، وذات الطبيعة الاستراتيجية من جهة أخرى، هذا التطور؟

ثقل المصالح الاقتصادية

لايفصل تاريخ غزو المغرب عن المشاريع الكبرى الموضوعة من طرف مجموعات اقتصادية قوية لكي تضمن لنفسها السيطرة على الفروات الحقيقية أو المفترضة للامبراطورية الغنية. هل ينبغي الذهاب أبعد من هذا وإقامة علاقة سببية واضحة بين مشاريع الأبنك والشركات الكبرى والعمليات العسكرية التي شنتها القوات الفرنسية للحماية؟ وهل يتوجب علينا، من جهة أخرى، أن ننسب تقوية التيار الاستعماري إلى تواطؤ بين هذه المجموعات الاقتصادية وبعض القادة السياسيين لليسار؟

عن النقطة الأولى، ادعى مجموع اليسار الشيوعي والاشتراكي، الذي انضم إليه اليسار الراديكالي لوقت قصير، كما رأينا، أن الهجمات التي شنت خصوصا في الأطلس الكبير، وتافيلالت، وتادلة، وصاغرو، كانت مبررة بالرغبة في الاستئثار بالفروات المعدنية، والمصادر المائية، والأراضي الصالحة للاستعمار. لقد قدم هذه الاتهامات بشكل عام، وعندما كان يعطيه شكلا دقيقا، على نحو استثنائي لم يكن يرفقها بأي عنصر إثبات. لقد كان الأمر

102 مشار إليه آفا، ص 86.

103 نفسه، ص ص 250 - 251.

بالنسبة للكثيرين بديها دون شك. لذا لايسع المؤرخ المتشدد أكثر، ولكن المحروم من تصريحات القادة السياسيين والعسكريين ومن أرشيفات الأبنك والشركات الكبرى وهذا هو الأسوأ — أن يقدم اليوم سوى توجيهات عامة تبقى بحاجة الى البحث.

الأبحاث المنجمية

على الصعيد المنجمي، ينبغي أن نسجل بأن النظام القابل للتطبيق في المناطق الحساسة لم يكن يعوق التنقيب عن المناجم. لقد أرفق منذ 1923، المنع المبدي للأبحاث المنجمية في هذه المناطق،¹⁰⁴ برخص خاصة للتنقيب اعزقت : فمنحت ترخيصات من طرف قائد المنطقة المعني للمعتمدين من طرف مصلحة مناجم الحماية؛ ولا ينبغي إغفال العلاقات التي تكونت في ظل هذه القوانين، داخل المناطق المنازع فيها من طرف القبائل المتمردة وذلك بين المنقبين، الذين يمثلون الشركات المنجمية الكبرى، والضباط المكلفين بقيادة عمليات إخماد الفتن. فهذه العلاقات تغذي وعي الشؤون الأهلية بضرورة امتداد النشاط العسكري الى نشاط ذي طابع اقتصادي.

لقد تم إنشاء الشركات المنجمية للأبحاث والاستغلال في حالات كثيرة قبل سنوات عديدة من إخماد الفتن في الأراضي المعنية :

□ منجم الحديد لخنيفرة. في 1925، تمكنت مصلحة مناجم الحماية، بوسائلها الخاصة، من أن تستكشف، في قلب منطقة متمردة، منجما هاما للحديد، قرب خنيفرة. وفي مايو 1926، طلب اتحاد مكون من عدد من الشركات المنجمية والمعدنية الفرنسية أن يستند اليه هذا المنجم. في غشت 1927، انخرط بنك باريس والبني با والشركة العامة للمغرب في هذا الاتحاد الذي سيأخذ عما قريب اسم نقابة المناجم والصناعات بالمغرب. وبينما كان المنجم المظموع فيه لايزال في منطقة خطيرة¹⁰⁵، سعت السلطات العمومية بواسطة مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية¹⁰⁶، الى إشراك مصالح أجنبية «مؤهلة بالاشتراك الذي كان لها في النشاط المنجمي الشريفي» مع المصالح الفرنسية¹⁰⁷. لقد جرت محادثات انتهت في

104 «... جمعا، في مناطق الخطر بين منع التنقيبات المعدنية ومع المضاربات العقابية، معد عنها مرهد من الأحكام، الأمر الذي هه هدها الأساسي» (رسالة لوطي في 4 يوليو 1914 الى وزير الشؤون الخارجية، في منطقة الخطر، دراسة (مرفوعة) لمصلحة تشريع الإقامة العامة للرباط، 1952، ص. 10

105 سطل هالك الى غاية 1929

106 إن مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية، مشروع استعلاي للدولة، تم إيشاؤه من طرف الحماية في دحور 1928، لاثارة المبادرات الخاصة، وتوزيع القرض المعدني على المشاريع التي تطله وأخذ مشاركة أقلية في رأسمال بعض شركات الاستغلال عند الاقتضاء.

107 إننا نعيدون عن طرد الأحكام «هدها الأساسي» حسب لوطي

الأخير إلى إنشاء شركة الدراسات والاستغلال المنجمية لتادلة، وهي نموذج متميز للتمركز العمودي (108).

□ **منجم المنغيز لسوس وسيرو.** رغم الميع الرسمي للتنقيبات في هذه المنطقة، تمكن منجميون عديدون وشركات قوية من العثور على آثار معدنية بواسطة بعض الأهالي وبعض الأوربيين القلائل الذين، عدا العسكريين، كانوا متواجدين هناك بحكم وظائفهم: وهم سائقون في قطاع الأشغال وناقلون على الخصوص. بهذا يفسر الامتياز في استكشاف المنجم الأكثر سهولة في المنطقة، وهو الامتياز الذي حول بشكل خاص للشركة العامة للنقل والسياحة المسماة ستيام. ودون انتظار فتح المنطقة، ولو جزئيا، شكلت ستيام، منذ مارس 1930، شركة تسمى شركة تيفنوت - تيرانيمين، لدراساتها واستغلالها المحتمل (109). ولم يكن تدخل الشخصيات المغربية البارزة عديم التأثير على شروط إسناد المناجم وفتح المناطق الخطرة:

□ **منجم الكوبالت في بوعازرو.** يعتبر الحسين الدمناقي، وهو بورجوازي كبير ذو تكوين عصري، وقريب بالزواج من المجموعة الصناعية جاني، أول من اكتشف، سنة 1925، الكوبالت في بوعازرو، بالأطلس الصغير، جنوب ورزازات (110). ولأن هذه المنطقة كانت ممنوعة أمام أشغال التنقيب، لم تحصل شركته وهي الشركة المنجمية للمغرب، على ترخيص للبحث واكتفت بتحليل عيناتها. إلا أن باشا مراكش، التهامي الكلاوي، الذي كان المنجم يوجد في منطقة نفوذه، وجان إيبينا، الذي كان يوجد خصوصا على رأس آل ستيام، السالفة الذكر، تابرا بدورهما للحصول على فتح المنطقة وعلى الأولوية في الترخيصات. وذلك لمصلحتهما الخاصة. لقد سعت القبائل، التي اعتبرت نفسها دائما مالكة لباطن الأرض، إلى اعتراض الأشغال التي كان الكلاوي قد شرع فيها بتغطية من العميد شاردون، رئيس المنطقة. لكن في

108 شركة الدراسات والاستغلال المعدنية لتادلة، وهي شركة شريعية مجهولة الاسم أنشأت في 19 يوليوز 1930، وكانت تضم من بين مدبريها ممثلين عن ملك باريس ويايى نا وأحدهم كان رئيسه، وعن الألمان العالية لروين، ز شاتيون - كومونري، وعن شركة موقطلا الحديد، وعن شايدر وشركاه، وعن شركة السكك الحديدية للمغرب، عن الشركة السليكية دوكري - مايباي، وعن الشركة التجارية للسليكا، وعن المجموعة الموصلية مولر وعن مكتب الأنعام والمساهمات المعدنية. هو مهر وموشوسي، صبح حديثة للتنظيم المعدني الألفيقي، باريس، 1933، ص 196 - 200.

109 نفسه، ص 203 - 204.

110 عن شخصية الحسين الدمناقي ونشاطاته يسمي الرجوع إلى اللوحة التي أعدها المقدم لوبانج، قائد دائرة إركان في 1948. SHA AT SAC 711 313. وتستفي المادة الأساسية لهذه الفقرة من هذه اللوحة، وكذا من التقرير «البري» للقطاع شين عن باشا مراكش (1938)، ويقع في (1940) - الذي تم إبعاده ودحا من طرف السيد فانتون مونتيني.

باريس، عملت الحكومة، المشغلة فحسب بالنزاع بين المجموعتين، على إجبارهما على التفاهم، وهكذا تم، في فاتح أكتوبر 1931، إنشاء الشركة المنجمية لبوعازر والكمارة التي عين الكلاوي رئيسا لمجلسها الإداري.

□ منجم المنغنيز لايميني. منذ استكشافه سنة 1918، أثار هذا المنجم اهتمام شركات دولية مهمة. وكان يوجد في منطقة خطيرة، ولو أنه على بعد 70 كيلو مترا من قصبة تيلويت، مركز قيادة كلاوة. وسيسعى باشا مراكش، «مزدريا قوانين الجماعات» التي لها حقوق معتادة على هذه المناجم إلى الاستفادة من تدخلاته. فحصل في 21 يناير 1928 من شركة مقطع الحديد على عقد يخول له 5% من المعدن المنتوج. ثم ظهرت منافسات أخرى، فشجعت إدارة الحماية على مفاوضة بين مختلف المجموعات أدت، منذ نهاية شتبر 1929 وقبل أي فتح للمنطقة، إلى إنشاء شركة بحث واستغلال (111).

هل من المجازفة التفكير بأن الشركات الفرنسية والدولية المعنية، وكذا حلفاءها، مارسوا في هذه الحالات نوعا من الضغط على الحكومة الفرنسية لتعجيل بعمليات إخلاء الفتن ؟ لقد كان ذلك في مصلحتها، لكن كان في مقدورها أيضا، دون شك، إبراز المصلحة العامة للاقتصاد الفرنسي، الخاضع للخارج في تمولياته بالمنغنيز والمعادن الأخرى. مهما يكن، فإن الدور الذي لعبته الدولة، سواء في مرحلة التنقيب المنجمي أو في مرحلة إنشاء شركات استغلال، يسمح بتصويب الخطأ التي كان اليسار يفسر وفقها : فالدولة لاكتفتي بالخضوع لضغط المجموعات الخاصة. بل تتوفر على قدرة للمبادرة لا يمكن إغفالها. فجميعها لشركات كانت حتى ذلك الوقت متنافسة، وباستقطابها لجهوداتها، ساهمت بشكل واسع في تنمية قدرة تدخل تلك الشركات، وإذن في تنمية تبعيتها الخاصة ومن جهة أخرى أضفت بفضل سياستها في المشاركة صبغة مصلحة عامة على القرارات العسكرية والإدارية التي تساهم في جرد الثروات المنجمية واستغلالها.

اتساع الاستعمار الزراعي

إن الضغط الممارسة من طرف المعمرين (112)، بهدف التعجيل بالعمليات العسكرية تجلت هنا بقوة، دون أن يكون اللجوء إلى مؤازرة الأيبيك والشركات الكبرى ضروريا دائما. لقد

111 شركة ش بهية محبولة الاسم للدراسات المعدنية

112 انتقل عدد المعمرين من 1600 في أواخر 1925 إلى 2800 في أواخر 1929، وانتقلت المساحات المملوكة من 500 000 إلى 700 000 هكتار تقريبا. وبين 1930 و1934، تاربع انتهاء العمليات العسكرية ضد الثغور المغربي، إرداد عدد المعمرين حوالي 500، والمساحات المملوكة - 150 000 هكتار.

تعرضت أساليب إخماد الفتن المستعملة من طرف ستيك، والمعتبرة عديمة الفعالية، لادانة شديدة من طرف غالبية المعمرين الذين تطور هيجانهم بشكل خاص بين نهاية 1927 ونهاية 1928⁽¹¹⁶⁾، أي خلال الفترة التي عرفت فيها العمليات العسكرية توقفا نسبيا⁽¹¹⁴⁾. فبالنسبة لهم، صار انعدام الأمن باديا للعيان. ويؤكد اتحاد الجمعيات الزراعية للمغرب الذي يضم حوالي ثلاثين تجمعا في ملتقى أعمال تم اعتماده في 28 نونبر 1928 «أن هناك شعورا كامنا بالتمرد والمخومات السريعة، لا يزال متجذرا بقوة في عادات قبائل الداخل، وبالتالي ينبغي كبحها»؛ ويطالب بالحاج بأن يعود العمل بمبدأ المسؤولية الجماعية للقبائل، ويعتبر في الأخير «أن من الضروري التوصل إلى إخماد نهائي للفتن في المغرب»⁽¹¹⁵⁾.

هذا الاتحاد للفتن ضروري فعلا إذا كانت هناك رغبة في تأمين أراضي جديدة للاستعمار، خاصة في تادلة، حيث يوفر سقي سهل بني عمير للحرث مستغلا خصبا، لكن ينبغي، قبل ذلك، الاحتلال النهائي للمرتفعات الجبلية التي تشرف على السهل والتي تشكل «مقل المقاومة البربرية»⁽¹¹⁶⁾. لقد انضاف هنا إلى ضغط المعمرين، دون ريب، ضغط شركة الطاقة الكهربائية للمغرب، وهو فرع مستقل لبنك باريس والبني با، منحتها الحماية في 1923 إنتاج الطاقة الكهربائية ذات التيار العالي ونقلها. فقد قامت الطاقة الكهربائية للمغرب بجدد الثروات المائية للبلاد وأدخلت، في برنامجها، بناء مركب مائي - كهربائي ضخم على وادي العبيد في أطراف تادلة، حيث أمكنها أن تقوم سنة 1927، في قلب المنطقة التي ينعدم فيها الأمن بالاستكشافات الأولى⁽¹¹⁷⁾.

حساسية القيادة العسكرية والأوساط السياسية اليسار بالمصالح الاقتصادية

لا تتوفر على وثائق كافية لتقدير وزن الاعتبارات والمصالح الاقتصادية في سير العمليات العسكرية. على مستوى القيادة العليا العامة، سنأخذ شهادة الماريشال فرانشي ديسبري فقد

- 113 احتجحات العربة الفلاحية للرباط في 5 نونبر 1927؛ جمعية المزارعين ومرتبي المواشي لتادلة ووادي زم، في 15 دحور 1927، جمعية معمري سيدي سليمان في 5 شتبر 1928؛ العربة التجارية للقيطرة في 15 شتبر 1928، معمري شمال المغرب في 29 شتبر 1928. أندري كوليز، حمايتا المغربية، باريس، 1930، ص 318 - 319.
- 114 في مجموع الفترة 1912 - 1934، تعتبر سنة 1928 هي التي سجل فيها رقما أقل عدد من الحوادث في الجبال الفرنسي ستة وأربعين قتيلا وإثنا وثمانين جريحا (الفرنك فرانسيوز، استعلامات استعمارية، عشت - شتبر 1936، ص 141). لكن كوليز، الذي هو معمر عجز، يرى بأنه «في كل يوم يقتل مجزى، أو أحد الأنصار (المحمد من طرف القوات الفرنسية»، مشار إليه سابقا، ص 318.
- 115 نفسه، ص. 319.
- 116 «إن الرعة في استصلاح سهل بني عمير دون السيطرة على هضبة وادي العبيد مثل الرعم باستغلال لاجمائي دون التحكم في مرتفعات أوفيري لأند من احتلال الحبل» نفسه، ص 494.
- 117 النشرة الاقتصادية والاجتماعية للمغرب، أبريل 1949، ص 186. التجهيزات الكبرى، الدار البيضاء 1954، ص 192.

كانت الأهداف التي عينها للقوات الفرنسية في 1929، كما رأينا تتمثل في احتلال تافيلالت وشعاب واد العبيد. ولم يكن للأولى في نظره سوى أهمية استراتيجية (118)، لكن مقرر ميزانية الشؤون الخارجية بالبرلمان شدد على «الغزوات المعدنية الهائلة» للمنطقة التي تفرض تأمين «السلامة الكاملة للقوافل» (119). وقد شاطرته لجنة الشؤون الأهلية هذا الرأي (120). بخلاف ذلك، لا تفسر العملية الثانية في رأي فرانشي ديسيري، سوى بكونها «تسمح باستغلال الأراضي الغنية للضفة اليسرى لأم الربيع» (121).

هل ثمة أسباب تدعو للاعتقاد بأن قسما من رجال السياسة المنتمين لليسار الفرنسي كانوا متأثرين على الخصوص بالحجج الاقتصادية للتهدئة، لدرجة أن بعضهم كتبوا وساروسهم التقليدي وأبدوا تفهما لآراء العمليات العسكرية الجارية؟ بالنسبة لروبير - جان - لونكي، هذا أمر لا ريب فيه، فقد لاحظ، بعد لوماني، تجردا للعمل العسكري منذ وصول الراديكاليين للحكم، واعتبر أن من المسلم به تواطؤهم مع بنك باريس والبنكي با، هذه الأداة الممتازة للسيطرة الرأسمالية على المغرب (122)، لكن الواقع يبدو لنا أعقد من هذا. من البديهي أن جميع البرلمانين تقريبا، باستثناء الشيوعيين، كانوا متأثرين بالحجة المقدمة من طرف أحدهم الذي دافع أمام المجلس عن مشروع قرض شريفي، ألا وهي حجة كون المغرب «يمثل سوقا كبيرة، على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لفرنسا» (123). لقد كان كثيرون منهم مهيين للاعتقاد بأن تفوق العمليات العسكرية يشترط الحفاظ وتوسيع موارد الحماية التي تشغل بفرنسا «عشرات الآلاف من الشغاليين من كل الفئات» (124). هل يمكن أن نذهب أبعد من هذا وأن نعتبر بأنه كانت توجد بالنسبة لبعض رجال السياسة مصالح شخصية في الرهان؟ يمكننا أن نذكر بأنه كان يجلس على مقاعد اليسار المعتدل والراديكالي، دون ريب رجال ذوو صلة وثيقة بمجموعات مصرفية أو صناعية. وكان بعضهم يوسعون

118 AN 207 AP 313 «حدث» 7 مارس 1929. س.

119 وثيقة برلمانية رقم 4875، المجلد 4875، المجلد 4875، 1928، ص 1491.

120 في دراسة مؤرخة في دحر 1927، حم الملام أول كرليس حديثه قائلا بضرورة احتلال تافيلالت، لأسباب سياسية، ولكن أيضا لأن الوقت قد حان لد «المغرب النافع» ل «أماس الأعمال، والتجار والصناعيين (الذين يهتمون بالزوارات المعدنية للحدود والتي لا تعمل سوى على استئجار إكسكافاتهم)، لا فائدة في التوسع، استثمارات استعمارية، مارس

1928، ص 189

121 «حدث» 7 مارس 1929.

122 «إنه لعرب أن نسمح بأنه في كل مرة تصعد حكومة راديكالية إلى الحكم، تستأنف حرب الغزو في المغرب. يعرف بأن ملك باريس وباني ما هو سيد المغرب. ويعرف بأنه يرغم دعم السياسة الراديكالية. هل هذا هو التفسير؟» مغرب، شتم 1933، ص 2. أنظر أيضا، ر.ج. لوبكي في لوبولير، فاتح أبريل 1934.

123 تقرير هنري لوران وثائق برلمانية : مجلس النواب، رقم 6843، المجلد 4875، 19432، ص 602.

124 نفسه.

نشاطاتهم الى المغرب. فليون باريتي مدير شركات عديدة (125)؛ وبويوكس لافون، سليل عائلة كبيرة من الصياغة وصيرفي هو الآخر، وهو مدير البنك الفرنسي في المغرب، المختص في الشؤون العقارية، نعلم أيضا بأنه في الوقت الذي كانت تشن فيه عمليات عسكرية جديدة، منحت تجزئات استعمارية من طرف الحماية لمسيحي، وهو عضو راديكالي في مجلس الشيوخ، ووزير سابق إيمان الزحرف على فاس، ومقرر لجنة المالية، ثم رئيس لجنة الجيش، ومدير صحيفة راديكالية بلوهارى سماها لافولوني * (126).

هذه الاشارات تبقى مجزأة جدا، وقد يمكن البحث في إقامة ترابطات أخرى. لكن ما يبدو لنا أكثر أهمية هو اعتبار كون المصالح المالية والسياسية والعلاقات الشخصية قد اتفقت حينئذ على تشجيع تقوية التيار الاستعماري. فقد كان النواب وأعضاء مجلس الشيوخ للجزائر المرتبطون بالأساط الاستعمارية المنتمين لليسار الراديكالي يتمتعون لذى زملائهم في الحزب والبرلمان بقوة إقناع متأنية من المعرفة المنسوبة لهم للوسط الاستعماري أكثر من كونها صادرة عن مصالحهم الخاصة. وشكل ليون باريتي — الذي كانت جريدة لوتون * والصحافة الاستعمارية تدعوه بـ «نائب المغرب» — مجموعة برلمانية مغربية تنتمي الى تيارات سياسية مختلفة (127) وجمعية اعتادت أن تجتمع كل شهر، حول مائدة غداء، لتناقش شؤون الحماية. ويبدو لنا أنه كانت لأحد أعضائها، وهو فرانسوا بيترى، مكانة خاصة. إنه لم يكن رجل يسار، لأنه كانت تنقصه كثير من مقوماته؛ لكن خلال الفترة التي تعيننا — من نونبر 1929 إلى نونبر 1934 — شارك في تسعة دواوين وزارية حيث كانت له حقائب المستعمرات، والمالية، والحرية، لقد ظل هذا المعاون السابق للوطني قريبا من الحماية؛ فهو مدير (الروبال أو ستريمان) للمناجم، التي ستأخذ مكانا هاما في استغلال ثروات باطن

125 شركة الملاحة المخلطة، شركة أحواض وفازن مرسيليا، الشركة العقارية الفرنسية — الأفريقية. ونظرا لاشارة قدمها صحافة اليسار المتطرف، لم يكن ملابتي وقتذاك مديرا للشركة المرسيلية للقرض.

* La Volonte

126 216 هكتارا في المغرب المسيحي، و100 هكتار في تادلة ليوهارى، وذلك حسب ما أوردته ريفوليسون بروليهامان (10) غشت 1933). فيما يتعلق بهذا الأخير، ذكرت لوكانار أولشيفي، بالتوصية التي كان موضوعها بواسطة رسالة موجهة في 12 يوليو 1930 من طرف أندري طاردو، رئيس الحكومة، الى المقيم العام (28 مارس 1934). ولأن ديواري كان معروفا في قضية سطايفسكي، عبر غابريل حيربان، مراسل لاجون ريفوليك، وهي صحيفة مسيحية ديمقراطية، من المغرب حيث يعمل مدرسا، عدة أيام فيزاير 1934، عن استنكاره: «نمكن أحدهم يدعى ديواري من الحصول على منطقة دار ولد زيلوح (تادلة)، بواسطة أعلى التدعيمات، على قطعة أرض من 4000 هكتار، موجهة لتزويد «الدفاع الوطني» بالخروج... أو لاحتلال سمعة سيد الساعة» 11 فبراير 1934.

* Le Temps

127 كانت هذه المجموعة تفر. في 1932 حسب أ. بيتر مائة وواحدا وثلاثين نائلا، لالهريك فرانسيز، دجبر 1932، ص 730 — 731.

الأرض المغربية، بينما كان أخوه مديرا للبنك التجاري للمغرب. وقد خولت له سلطته في المسألة المالية وصفاته كمتحدث لا مع صيتا دائما. يلزمنا أيضا أن نأخذ بعين الاعتبار العلاقات التي كانت قائمة بين رجال الأعمال للمغرب والحزب الراديكالي. لقد ظل أنطوان ماس، وهو صيني بالدار البيضاء ومؤسس أهم مجموعة صحفية للمغرب، عضوا بالفدرالية الراديكالية للون؛ أما ابنه بيار فجاهد ليحتفظ بفرع الدار البيضاء داخل تيار اليمين. وكان ينتمي لهذا الفرع أيضا لوبو، رئيس الغرفة الفلاحية. وقد استقبلت اللجنة المركزية لصناعي المغرب، المؤسسة سنة 1934، بمجرد استقرارها، ميسيمي الذي كان في مهمة رسمية بالمغرب، وروكس — فرايسينغ، سناتور وهران (128).

لقد تمكن النفوذ المكتسب من طرف هذه المجموعات من عرقلة مجهودات وعمل بعض الفئات المعادية للاستعمار والتي كانت ما تزال موجودة داخل اليسار الراديكالي. والشاهد على ذلك هو تطور لاهيوليك جريدة دلاي منذ أن صار إميل روش، الذي ينشط الفدرالية الراديكالية للشمال، مديرا لها. فهذه الجريدة التي كانت تشهر في 1929، بقلم فرانسوا دوتيسان، بـ «مناورات مجموعات الأعمال بهدف الغزو الكامل للمغرب»، احتفت بعد بضع سنوات، بالامكانيات الممنوحة للرأسماليين عبر استغلال ثروات الحماية (129).

الاعتبارات الاستراتيجية

لا تتوفر حاليا على وثائق تسمح بإضاءة كافية للعلاقات التي أمكن أن تقوم على هذا النحو بين بعض الساسة والادارة وأوساط الأعمال المعنية بـ «إخماد الفتن» واستغلال المغرب، على كل حال، سيكون من التهور أن نعزو موقف جزء من اليسار الفرنسي تجاه التمرد المغربي فقط لتواطؤات من هذا القبيل. إذ هناك اعتبارات أخرى، من طبيعة استدلالية.

موقف بول — بونكور

كاشتراكي سابق ابتعد عن أصدقائه بالحزب الاشتراكي، صوت بول بونكور بانتظام على الاعترافات العسكرية الضرورية لغزو المغرب، لكن قضية أيت يعقوب أثارت غضبه الشديد. فأق ليقول من منبر المجلس بأنه تعب من أن يكون «موضوعا دائما في الخيار بين

128 نشرة اللجنة المركزية لصناعي المغرب، عدد 2، 1934. إن ثلاثة نواب راديكاليين وهم إلبيل، كريسيل، ورولان، هم الذين راقوا في 23 فبراير 1935 وفدا عن هذا الجهاز عدد بار لامل، وزير الشؤون الخارجية. نفسه عدد 5، (1935).

129 لاهيوليك، 14 فبراير و28 مارس 1933 ب و 20 يونيو 1934.

أن يفارق أصدقاءه (هـ) أو أن يغادر رأيا تم إبدائه غالبا بشكل متهور» وبالتالي ضم صوته الى أصوات زملائه الشيوعيين، والاشتراكيين والراديكاليين لادانة سياسة إخماد الفتن التي كان ينهاها كل من بانلوفي وبريان (130)، بعد ثلاث سنوات من ذلك، صار يتحمل مسؤوليات بارزة في الحربية، ثم في الشؤون الخارجية على مستوى اقتراح وتسيير العمليات العسكرية الأحيية التي رأينا كيف كانت دموية بوجه خاص (131). لقد بدت له القرارات التي اقتنع بانفاذها، خاصة في أواخر 1933، ضرورة ليس فحسب بالنسبة للوضع في المغرب بل أيضا من طرف الوضع الدولي. فمنذ قطيعة ألمانيا مع مؤتمر نزع السلاح وعصبة الأمم، بدا له النزاع بين فرنسا وألمانيا حتميا. وعليه، صار من أبسط مبادئ الحذر إنهاء عملية إخماد الفتن المغربية حتى لا يكون هناك اضطراب لتجميد جزء من القوات الفرنسية فوق تراب الحماية وحتى يسمح للمغرب بمساعدة الميتربول (132) عند الاقتضاء.

ينبغي تلقي شهادتي بول - بونكور، والجنرال كيوم الذي يعززه (133)، المكتوبتين معا بعد الحرب العالمية الثانية، باحتراس دون ريب، لكن لا يبدو لنا مع ذلك أنه بالإمكان تنحيتهما بسرعة. إذ يشهد تطور موقف اليسار من القطر العابر للصحراء فعلا بالاهتمام المتزايد الذي كان يوليه للاعتبارات الاستراتيجية.

القطر العابر للصحراء

يستجيب مشروع ربط سككي بين النيجر والبحر الأبيض المتوسط للحاجيات العسكرية بقدر استجابته للحاجيات الاقتصادية. إذ بإمكان هذا الربط أن يشكل أداة أساسية في خدمة «التهديفة الفرنسية»، كما يمكنه أن يسهل تعبئة الوحدات المتمركزة في إفريقيا ونقلها في حالة نشوب نزاع أوروبي. لقد نشأ المشروع وتطور بمساندة الأوساط السياسية

130 مناقشات المجلس، 25 يونيو 1929، الجلسة الثالثة، المجلد الرابع، ص. 2218.

131 كان زهرا للحرية في حكومة هيو، من 3 يونيو إلى 14 دجنبر 1932، ووريرا للشؤون الخارجية من 18 دجنبر 1932 إلى 27 يناير 1934 في الحكومة التي ترأسها، ثم في الحكومات التي قادها على التوالي دالادي، سارو وشروتون.

132 ج. بول - بونكور، بين حريين، باريس، 1945 - 1946، الجزء الثاني، ص. 408 - 409.

133 تطلب القيادة العليا إنهاء العمليات في 1934، حتى يمكن تحويل الى جهات أخرى القوات المنددة بالمغرب. الحبال كيوم، مشار إليه، ص. 87.

المعتدلة (134). وذلك دون اكتراث اليسار أو حتى بمعاداته (135)، لكنه لم يفلح في الخروج إلى حيز الواقع. رغم الضغط الجبار الممارس على السلطات العمومية، وسيمده احتلال تافيلالت بقوة جديدة (136)، منذ ذلك الوقت صار قسم من اليسار مفتونا به، وعندما بادر مائتان وسبعة وعشرون نائباً، بتحريك من روكس - فرايسينغ، بدعوة الحكومة إلى بناء القطار العابر للصحراء بصورة مستعجلة، كان محسبان منهم يجلسان على مقاعد الراديكاليين والاشتراكيين الأحرار (137). صحيح أن المشروع الذي دافع عنه أندري هيس سيفرض من طرف المؤتمر الراديكالي لأكتوبر 1933، لكن لم تكن الفكرة هي التي قسمت المؤثرين بقدر ما كانت أساليب تنفيذها، خصوصاً أن «الفريق المغربي» كان يعمل في ذلك الوقت على تحضير تخطيط آخر للسكة الحديدية للقطار العابر للصحراء (138).

ابتداء من 1935، سيولي مجموع اليسار تقريباً، من الراديكاليين إلى الشيوعيين، اهتماماً متزايداً للدور الاستراتيجي الذي تلعبه بلدان ما وراء البحار، وبالأخص إفريقيا الشمالية، في حالة نشوب نزاع أوروبي، وسيكون لهذا الاعتبار، كما سنرى، انعكاسات خطيرة على الموقف الذي كان لهذه الأحزاب إزاء الحركات الوطنية. لنسجل بأننا نشهد حالياً مع العمليات العسكرية الأخيرة في المغرب، تغيراً في اتجاه قسم من اليسار لصالح الجيش. ويمكن القول أن معاداة الراديكاليين للنزعة العسكرية قد ولت: فمن الانتقادات اللاذعة ضد ليوطي، والتشهير بمؤامرات الأركان العامة في 1929، صارت هناك منذ ذلك الوقت مشاعر قريبة جداً من التباهي الوطني سيسمح التعبير عنها بالدفاع عن سياسة التهدئة المغربية لدى الرأي العام.

- 134 أنشأت لجنة القطار العابر للصحراء في يونيو 1927 ووضعت تحت رئاسة الكونت إد. دو ولرد؛ بينما أشرف على كتابتها العامة روبر - راينو، وسرعان ما صار روكس - فرايسينغ الناطق بلسانها في مجلس النواب، لافريك فرايسيز، استعلامات استعمارية، يونيو 1927، ص 223.
- 135 أنظر المعارضة الاشتراكية في مناقشات المجلس، 23 يونيو 1927 المجلة الرسمية، ص 3176 (لونغاسي) والمعارضة الشيوعية، نفسه، 21 يونيو 1929، المجلة الرسمية، ص 2136 (كاشان) والانتقادات الراديكالية، لالويس، 16 غشت 1930. أما «اليسار الاستعماري» فقد انضم إلى المشروع منذ أواخره الأول مع موريو والاربي، ثم فويلبط، ولي 1930 مع ستيكوم وميسيمي.
- 136 من بين الأسباب التي كانت تدفع إلى احتلال تافيلالت، يورد باغانو، مقرر ميزانية الشؤون الخارجية لسنة 1928، سبب تنفيذ مشروع القطار العابر للصحراء. فإذا تم احتيار وهران كرأس للخط ارتد رأي المجلس الأقل للدفاع الوطني) فإن التخطيط سيحاكي تقريباً تافيلالت: «يبدو أن هذه الراحات إذن بمثابة شروط مسبق لتنفيذ مشروع القطار العابر للصحراء» وثيقة برلمانية، رقم 4875، المجلة الرسمية، ص 1491.
- 137 أي حوالي خمسون راديكالياً اشتراكياً، وعشرون راديكالياً حراً وخمسة عشر اشتراكياً حراً. وثيقة برلمانية، رقم 1372، ملحقة بمحضر الجلسة الثانية لـ 7 فبراير 1933، ص 165 - 167.
- 138 انظر لاليجي ماروكان، 26 و 29 أبريل 1934.

الرأي لعام وعملية إخماد الفتن

خلال صيف 1933، لفتت الثورة البروليتارية «، وهي مجلة ذات نزعة تروتسكية، الانتباه إلى «اللامبالاة المطلقة والصمت المتواطىء» الذي تدور فيه العمليات العسكرية الجديدة بالمغرب. وقد اهتمت على التوالي كلا من الحزب الاشتراكي، وهو «حزب سلمي على نحو بارز كانت تكفي كلمة منه لإرغام دلادبي على إيقاف الحرب» والحزب الشيوعي، الذي يكثف بالدعوة إلى «مؤتمرات ذات فرجة كبيرة (...)» حيث تلقى خطاب ضد الحرب بصفة خاصة، وضد الفاشية بصفة عامة، لكنه يمتنع بالفعل عن مواجهة الحرب الموجودة، الحرب المغربية، بكفاح ملموس ومخصص» (139). ويبدو فعلا أن النداء الذي تم إطلاقه بواسطة البيان الاشتراكي في شهر شتنبر لصالح التحريض لم يكن مرفقا بأي توجيه واضح ولم ينجم عنه تأثير. بخلاف ذلك، قام الحزب الشيوعي، الأكثر تهيؤا في هذا الإطار، بتنظيم حملة عبر قناة تنظيماته ينبغي رصد حصيلتها.

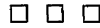
الحملة الشيوعية

لقد وضعت منذ 1927 الشبيبات الشيوعية وهي أداة الحزب المفضلة ضد المشاريع العسكرية، دعايتها ضد حرب المغرب ضمن منظور أكثر عمومية وهو منظور النضال ضد الامبريالية، المسؤولة عن الحروب الاستعمارية، مثلما هي مسؤولة عن الحروب الأخرى التي هي متهمه بالتحضير لها ضد الاتحاد السوفياتي. لقد استهدفت تلك الدعاية المجندين، والبحارة والجنود. وأفسحت المجال أمام مخططات أوسع (140)، كما تطورت عبر صحافة متخصصة (141).

La Révolution prolétarienne *

- 139 لافوليسون مولياريان، 25 يوليو 1933 («الحرب الجديدة للمغرب»).
- 140 تم إعطاء أمثلة منها من طرف نشرة الفدرالية، وهي نشرة داخلية لفدرالية الشبيبات الاشتراكية (عدد 3، أكتوبر 1927، محصص في معظمه للحملة المعادية للزعة العسكرية، في AN F7 13143، عدد آخر (1930) في AN F7 13184). أنظر أيضا «خطاطة درس للقاء على المجندين الشيوعيين» في المعادي البلشفي للزعة العسكرية، كُتب منشور من طرف فدرالية الشبيبات الشيوعية في أكتوبر 1927، محصص في معظمه للحملة المعادية للزعة العسكرية، في AN F7 13143، وعدد آخر (1930) في AN F7 13184، أنظر أيضا «خطاطة درس للقاء على المجندين الشيوعيين» في المعادي البلشفي للزعة العسكرية، كُتب منشور من طرف فدرالية الشبيبات الشيوعية في أكتوبر 1932 (AN F7 13185).
- 141 لاكاربون، أسروعة؛ لباح دوجان لوكوان، نصف شهيرة للملاحين؛ لوكويسكري، كانت تظهر مرتين في السنة.

ومناشير (142)، وكراسات (143). وتؤكد النداءات الموجهة للمحتدين والعسكريين على التضامن الأساسي الذي يربطهم بالمستعمرين: فهم جميعا ضحايا الرأسمالية، ويرفضهم للذهاب إلى ساحات القتال أو تتأخيم هناك مع الذين يؤمرون بحاربتهم، يكونون قد تمكنوا من «إنقاذ جلدتهم»، ومحموا في نفس الوقت بانعتاق الشعوب الواقعة تحت الهيمنة. منذ ذلك الوقت فصاعدا لم تعد تتم الإشارة إلى حرب المغرب إلا باعتبارها مرجعا مثلها مثل حرب سوريا أو أحداث الصين، ناهيك عن أن هذه الأخيرة بدأت تأخذ تدريجيا مكانا أكبر. لكن هوس عدوان ضد الاتحاد السوفياتي هو الذي كان يهيمن في تلك الفترة، وشعار التآخي قد خلط منذ ذلك الوقت بين رفض مقاتلة «المستعمرين» كخطوة أولى نحو التحرر، والانتقال إلى صفوف الجيش الأحمر، تمهيدا للثورة (144).



لقد سعى الحزب الشيوعي إلى إعطاء أساس جماهيري للاحتجاج على العمليات العسكرية في المغرب. عبر قناة العصبة الفرنسية ضد الامبريالية والقمع الاستعماري. فقد أنشأت العصبة، كما رأينا في 1927 ومع ذلك، يبدو أنها لم تبتد اهتماما خاصا بأحداث المغرب إلا ابتداء من سنة 1933 (145). ولم يكن لديها مندوبون في الحماية، لكن كانت ليو واثير، المحركة الرئيسية لمكتبها المركزي (146)، عضوا في لجنة الدراسات المسماة بالعصبة الفرنسية

- 142 نجد بها في مختلف صاديق الأرشيفات الوطنية، خاصة في 13184، 13145، 13144 F7
- 143 أنظر على الخصوص: إيلك أيا المجند، إيلك أيا الشغال، (1931)، 13185.
- 144 أنظر لوكيسكري، أكتوبر 1927 ومارس 1931 وبالأخص مستقل في اتجاه الجيش الأحمر وهو كتيب منشور من طرف فدرالية الشيوعية أعيد فيه نشر الخطاب الذي ألقاه النائب الشيوعي بيرون في المجلس، في 2 دجنبر 1930، خلال مناقشة مشروع قانون يتعلق بفتح اعتمادات من أجل حاحيات الدفاع الوطني. 13145 AN F7 و إلى المصروع أيا الرفاق، كتيب مشار إليه (1931)، يصبح بالتخصيص مد التكة لـ «التآخي مع العمال والشعوب المستعمرة والانتقال الجماعي إلى صفوف الجيش الأحمر» (ص 27)
- 145 مع ذلك، تم في 1929 توزيع منشور من طرف «فرع الشباب» للعصبة، يرجع إلى «البحر الجديد (الذي) ش مؤخرًا في المغرب» AN SOM SLOT FOM III 50.
- 146 كانت ليو واثير، المزدادة باسم ليوني بيرجر، سنة 1886، سوزغ — أود — بريس، عصابة الحرب الشيوعي الفرنسي وكان لديها، حسب أندري فيرا ور ح لوبكي، استقلال «مالي كبير، فكانت تخصص وقتها دون كلل لشاغلات بضالية. وبدو أنها كانت قل وصول هنر إلى الحكم، سكرتيرة عامة للجنة الشاذلات إلى مدرسة الفرنسية — الألمانية؛ وقد اهتمت بنشاط بعصبة النساء من أجل السلم. كما كانت تهم حصصا بالبلدان العربية، مسافرت إليها بانتظام، وستكون في 1934 — 1935، مع فريسيس حورداد، الذي كان عضوا مثلها في الحرب الشيوعي الفرنسي، وروبير — جان لوبكي، الاشتراكي، مشقة للعديد من اللقاءات والتجمعات ستجتمع معظمات السار والوطن الأمازيغة الشماليين. أنظر الجزء الثالث.

لمكافحة الحرب والفاشية والتحقيق في «عملية إخماد الفتن»، وذلك رفقة هنري بونطون، سكرتير الفدرالية البهيدية الاتحادية (147). وتختلف استنتاجات تقريرهما بشكل محسوس عن التحليل الشيوعي المعتاد: فـ «المتحدون» سيخضعون فوراً إذا تخلفت فرنسا عن سياسة القوة وضمنت لهم أرواحهم وأملاتهم. لكن البنك اعترض على هذا وسعى إلى تمديد العمليات مستعملاً أسلوب الخداع (148). وقد شددت ليو وانير في مقالتهما التي وجهتها إلى المولد «أسبوعية هنري باربوس، على قسوة الحرب - «حيث يتجابه الضباط الفرنسيون والزعماء المنشقون ويتبادلون الكمائن وحيث يعامل الأسرى بمنتهى الوحشية» (149) - كما شددت على بؤس الأهالي الذين ينتهي الغزو إلى تجريدهم من أملاكهم (150). إلا أن العصبية لم تنتظر سفرها لكي تحتج بقوة على العمليات المسماة بـ «إخماد الفتن» (151). لقد نددت بأولئك الذين اعتبرتهم أنهم «المستفيدون» من هذا الوضع: معمرين أثرياء، شركات رأسمالية، جنرالات. وشهت بمخاطر نزاع بين القوى الامبريالية يكون المغرب هو تعلقها، وطالبت بانسحاب القوات وبحق الشعب المغربي في الاستقلال (152). ونادت وفق هذه الأسس إلى اتحاد «الشغاليين السلميين، والاشتراكيين، والفوضيين، والشيوعيين، والذين لا حزب لهم» الذين دعمتهم إلى تقوية صفوفها وتوقيع عرائض قامت بترويجها (153). لقد عاقتها في هذا العمل الصعوبات التي تلاقيها كل حركة جماهيرية في تعبئة مناضليها والحذر، إن لم يكن العداء الذي استثارته مبادراتهما لدى اليسار غير الشيوعي بصفة عامة (154). وفي نهاية 1933، لاحظت العصبية «قلة اهتمام الجماهير بالأحداث الجارية في المستعمرات (هـ) ممكن ضعفاً» (155).

147 لوموند، 24 يونيو 1933 إن الورد كان يضم، حسب تقرير للشؤون الخارجية، عصر ثالث، غاستون يدي، ماس-س. ح. ت. AN SOM SLOT FOM III 45 (تقرير 12 أكتوبر 1933)

148 لوموند 24 يونيو 1933.

Monde *

149 نفسه، 2 شتنبر 1933.

150 نفسه، 26 عشت 1933.

151 نشرة العصبية...، فبراير 1933، فاتح مايو وفاتح يوليو 1933. جريدة الشعوب المضطهدة، نونبر 1933، يناير - فبراير، مارس وأبريل 1934.

152 نشرة...، مارس 1933، شين، أبريل 1933 («المطالبة بالاستقلال من أجل الشعب المغربي، حق الشعوب في تقرير مصيرها هذا الحق الذي صرحه ملايين الأشخاص بأنفسهم من أحله»). جريدة الشعوب المضطهدة، نونبر 1933، يناير - فبراير ومارس 1934 («الحل عن المغرب، المغرب للمعارضة»).

153 نشرة...، فبراير 1933؛ لاني دولاليك، (يناير أو فبراير 1934). طلت جريدة الشعوب المضطهدة كذلك من قرائنها في عددتها لمايو - يونيو ويوليو - عشت 1934 أن يقوموا بتوزيع لوائح العرائض وأن يساهموا حالاً إذا اقتضى الأمر حتى يمكن للعمل الذي تقوم به العصبة ضد حرب المغرب أن يستمر ويتطور.

154 أنظر دلائل حقوق الإنسان، 30 نونبر 1932، ص ص 713 - 714

155 لاني دولاليك، عدد 2، دجنبر 1933.

وعندما ينضم مناضلون اشتراكيون وسلميون وغير منظمين الى عصبة أمستردام - بليل تدريجيا، فإن حوافزهم كانت تكمن خصيصا في المشاكل الداخلية والظرف الأوربي : فقد شكل الكفاح ضد الفاشية الفرنسية وضد الفاشية الدولية، وتهديد حرب أوربية قطبين محركين لايضاهيهما الكفاح ضد العمليات العسكرية في المغرب.



أعطى استمرار العمليات العسكرية في الحماية، أخيرا، فرصة للحزب الشيوعي لكي يتوجه مباشرة للأفارقة الشماليين حتى يؤكدوا تضامنهم مع المعركة التي يخوضها المغاربة ضد تقدم القوات الفرنسية. إننا لا تتوفر على ما يكفي من الوثائق لتقدير تعاقب هذه النداءات. يمكننا أن نفترض بأنها كانت مرتبطة بالأخبار التي كانت ترد الى فرنسا حول وضع العمليات العسكرية وأن نلاحظ بأنها تمت على الخصوص خلال سنوات 1928، و1929 و1933. وتسمح لنا المناشير التي عثرنا عليها في الأرشيفات بإضاءة مفيدة لسياسة الحزب الشيوعي تجاه المشكل الوطني المغربي.

لقد انشغل الشيوعيون في وقت مبكر جدا بالتوجه للجنود المستعمرين. غير أنه من النادر أن نعتز على نداءات تهمهم بوجه خاص. إن النداء المعنون بـ **ابراهيم، قناص الغريقي** يسترعي الانتباه على الخصوص، لأنه، بالإضافة الى تموقعه في إطار الدعاية التقليدية المعادية للنزعة العسكرية التي كانت تطورها الشبيبات الشيوعية، سعى للجاذبة على المشاكل التي كان يطرحها استعمال الأفارقة الشماليين من طرف الجيش الفرنسي في المغرب. فهو يحكي قصة، قصة ابراهيم، الذي لم يتم توضيح أصله : فيعد أن انتزع من قريته، اقتيد الى الثكنة حيث صار قناصا؛ وقد تعلم «فظاظات ذوي الرتب العسكرية» ثم أرسل بسرعة «الى بلد شبيه ببلده يدعى المغرب». ولأن المغاربة يريدون البقاء أحرارا، كانوا يقاتلون ضد الغزاة مثلما كان يفعل جد ابراهيم. لكن، تحت تهديد مجلس الحرب «أطلق ابراهيم النار على المغاربة وساعد المستعمرين على سحق إخوانه». وبعد المغرب أرسل لقتال السوريين الذين كانوا يكافحون هم أيضا من أجل الاستقلال، ثم لقتال ابعمال ابلدين كانوا مضربين في فرنسا. لقد كان مأل ابراهيم أكثر مشقة من مأل مجندي الميتروبول : فدون مال ودون ترخيص، لم يكن في إمكانه أن يزور عائلته، وبينما كان الجنود الفرنسيون يتمتعون بالحرية بعد ثمانية عشر شهرا، تم الاحتفاظ به هو طيلة أربعة وعشرين شهرا من الخدمة : «كل هذه الآلام وكل هذه المظالم جنحت بإبراهيم الى التفكير : حيثل تبن له أن أولئك الذين اقتادوه للثكنة، ثم أرسلوه الى

المغرب، وإلى سوريا، وإلى فرنسا كانوا أعوان المعمرين الذين سرقوا أرض أبائهم، وأعوان أرباب الشغل الكبار والحكومة الذين يضطهدون ويقضون بالبؤس على الجزائريين والتونسيين، والمغاربة، وعمال فرنسا.» إن الاستنتاج واضح : عليه أن ينضم إلى إخوانه وإلى الفرنسيين الذين يكافحون ضد الامبريالية. وسيطالب مع القناصة والجنود الفرنسيين بتحسين وضعيتهم : وذلك بالزيادة في الراتب، وتقديم تغذية أفضل، وإلغاء المعاملات السيئة، ومساواة فترة الخدمة. «لكن إبراهيم يعرف، فوق ذلك، بأن استقلال بلده وحده قمين بأن يرجع له هو نفسه وإخوانه الحيزرات التي استحوذ عليها الامبرياليون، كما يمكن أن يرجع لهم الحريات. لذلك سعى إلى إفساد نظام جيش عدوه، وإفساد الامبريالية، وقام بترويج فكرة جيش وطني شعبي سيعمل على تحرير بلده» (1961).

هناك نداء آخر، من المحتمل أن يكون قد جاء عقب النداء السابق ببعضه أشهر، وقد توجه لـ الجزائريين، والتونسيين، والمغاربة (1957). لقد كان له شكل برهنة من ثلاث نقاط : ففي مقام أول، تم التذكير بوضعية الأفارقة الشماليين الذين أدخلوا «بالقوة» في الجيش الفرنسي وتمت مجازيتهم بالقبائل المستقلة التي تقاتل في الجنوب المغربي، مواصلين بذلك معارك الريف. لقد تم هنا إرفاق التشهير بالامبريالية بمستندات دقيقة. أما النقطة الثانية فاستهدفت ضرورة تجاوز الانقسامات الموجودة بين الأفارقة الشماليين المقاتلين ضمن الجيش الفرنسي والمتعمرين المغاربة. بينما دعت الحفائمه إلى التآخي مع المغاربة الثائرين وربطت «استرداد الأراضي التي سرق منكم من طرف الامبريالية وخدامها» بالحصول على الاستقلال. هكذا يشكل هذا النص ملخصا متناسكا ومتينا للأطروحات التي كان يروجها الشيوعيون حول حرب المغرب، مع عدم احتفاظه سوى بتلك المتعلقة بالأفارقة الشماليين.

بموازاة المتأشير الموجهة للعسكريين الأفارقة الشماليين العاملين بالمغرب، تم إرسال ندائين من باريس إلى السكان المغاربة. وإذا كان فحواهما عاديا - إذ تعلق الأمر بتوضيح كون الكفاح الذي يخوضه مقاتلو الأطلس ضد «الامبريالية الفرنسية» هو في صالح الشعب

156 RSD 91. تم إرسال نسخة من المنشور بالفرنسية من طرف رئيس الأركان الجهوي للدار البيضاء في 6 فبراير 1928 إلى الأركان العام بالرباط. وقد تم العثور على نسخة بالفرنسية، وبالغربية في الظاهر، في تذايبات الفرقة السادسة المراقبة بكوسيان، فأرسلت من طرف المفوض الخاص ليربي إلى الأركان العام لباريس، وفي 25 فبراير 1929 AN F 13144.

157 كان يعمل كميون - «الحزب الشيوعي، 120، نفقة لافاييت، باريس» المقر المركزي للحزب الشيوعي) ويشير إلى اسم وعنوان المطبعة. إما حد منه نسخة أصلية بالفرنسية في AN F 7 13171 ومن جهة أخرى بحث بعضه من طرف الشؤن الخارجية، بواسطة رسالة رقمها 1451 في 27 غشت 1928 إلى الإقامة العامة للرباط، مع توضيح أنه قد سحب منه مائة ألف نسخة. SHA MAROC AI FES 530 3715.

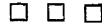
المغربي قاطبة - فإن شكلهما قد اختلف عن اللهجة المألوفة للدعاية الشيوعية. لقد كانت هذه الأخيرة تسعى تقليدياً إلى إدانة العمليات العسكرية الفرنسية وتحسيس المقاومة المغربية. وتبعاً لذلك، لم تكن تلح أبداً على الصعوبات التي يلاقيها مقاتلو الريف والأطلس، باستثناء استنكارها لأساليب الحرب التي كانوا ضحاياها. إن منشوري يا أيها المغاربة ويا أيها الشعب المغربي روحاً مغايراً : لقد أظهرنا الحرب من الداخل، إن أمكن القول فالأول على الخصوص، موسوم بحزن عميق، سواء تعلق الأمر بملاحظته انعدام تفهم الشعب المغربي للمعركة التي يخوضها الريفيون، أو بوصف تبعات انتصار «الامبرياليين» والهزيمة المحتملة لآخر مقاتلي الأطلس (158). أما النص الثاني فكان أقل تشاؤماً. فإذا كان يعود لانقسام وعزلة الريفيين وهما السبب الأول لخسارتهم (159)، فإنه يلح في ضرورة أن يساعد جميع المغاربة إخوانهم في الأطلس وأن يتحدوا وراء زعيم حربي وحيد. وأخيراً، يؤكد لهم صداقة وتضامن العمال الفرنسيين، الذي هم مثلهم «مستغلون من طرف الرأسمالية» (160).

ومن جهتهم، دعي السكان الجزائريون والتونسيون إلى إظهار تضامنهم مع المقاتلين المغاربة، خاصة بواسطة الملتصقات والمناشير (161). «إن على أمتنا الأفريقية، الراسفة في الأغلال والعبودية، أن توجه كل عنايتها الودية نحو الشعب المغربي، بطل الحرية والسياس من بين كل الذين يقاتلون الامبريالية الفرنسية». قسمة عمليات ذات نطاق واسع تنهياً للقضاء على «مقاومتهم» (162). وقد دعا الشيوعيون في تونس، البروليتاريين العرب والأوربيين، الدستوريين والاشتراكيين إلى إظهار استنكارهم (163).

- 158 SHA MAROC RSD 79 et 91 (منشور موحدة «إلى معظم تجار مدينة فاس» ووجهت بسج عديدة منه تم حجبها في البلاد، إلى الرباط من طرف رئيس منطقة فاس، تحت رقم 102/RC5/2 في 24 أبريل 1928).
- 159 «... لا تنسو بأنه طالما استمر الوفاق بين الريفيين، تمكن هؤلاء من هزم الامبريالية الفرنسية ! لا تنسو أيضاً بأن النصر النهائي كمال سيكون حليفهم لو ساعدتهم بقية إخوانهم المغاربة ! ولا تنسو أيضاً بأنهم اهزموا لأنه تم رزع بنور الصرقة في صدمهم ولأنهم لم يتلقوا أية مساعدة من الشعب المغربي ! ليكن هذا الدرس، القادح الثمين، عوة لكن هذه المرة، على الأقال، حتى تعملوا على تحرير المغرب من أغلال الامبريالية...» SHA RSD 79 et 91 (رُبع إلى الأمانة العامة من طرف المفوض عميد أمن الرباط تحت رقم 4561 في 26 أبريل 1928).
- 160 تقوينا اللهجة العامة لهنين المشوريين إلى التفكير بأهبا حروا من طرف أفارقة شماليين وأن الصين اللذين تتوفر عليهما ترهما من العربية.
- 161 أنظر ملصق «الدم يسيل في المغرب» المعلق بالجرائد العاصمة في أواخر 1929، AN F7 13144 والأعلانات الصغيرة التي عثر عليها بالقصوران في أبريل 1927، SHA MAROC AI FES 532 375.
- 162 SHA MAROC RSD 79 (Iib). ترجمة منشور بالعربية «مورع في 6 أكتوبر 1933 من طرف شيوعيين أهالي في أحياء تونس». إنها المرة الأولى التي يعترف فيها في هذه النصوص الدعاية على عبارة «أمة أفريقية». ومن جهة أخرى، تم نعت المتمردين المغاربة أيضاً بـ «الشجعان الثوريين»، وهي عبارة غير مستعملة كذلك.
- 163 نفسه.

فشل الحملة

إذا كانت دعاية الحزب الشيوعي الفرنسي تشهد باستمرار عدائه لغزو المغرب، فإنها لم تفرض إلى أية مظاهرة جماهيرية أو أي عمل ملموس، من شأنهما التذكير بالحملة ضد حرب الريف ولو من بعيد. لقد كانت قيادة الحزب واعية بهذا النقصان. ففي 1929، لاحظت الفدرالية الشبيبات الشيوعية بأنه «منذ استئناف العمليات العسكرية (في المغرب) بدأ عمل الحزب والشبيبات وهنا ولم يباشر بما يكفي من الاستمرارية. فحتى الآن، ترى الفدرالية، سجلت الحكومة انتصارا بما أن البروليتاريا الميتروبوليتانية وشعوب إفريقيا الشمالية لم تقم بأي رد فعل أو تقريبا وذلك لضعف تمجيدها من طرف تنظيمها الطلائعي» (164). وفي 22 غشت 1933، نشرت لومانييتي بلاغا مطولا للسكرتارية يدعو إلى «تنظيم الاحتجاج الشعبي بجميع أشكاله ضد حرب المغرب». وبعد أن نوه هذا البلاغ بتضامن الشغالين الفرنسيين مع الشعب المغربي، طالب بتعبئة حقيقية للمناضلين : في خلايا المؤسسات، ولجان الدوائر، وداخل حذكة أمستردام - بلاليل. وعي ابشبيبات، ولدى البلديات وفي البرلمان، وأعلن عن اقتناعه بأن «كل شيوعي، وكل تنظيم للحزب، سيعرفان كيف يتصرفان لاجتذاب المناضلين إلى العمل مثلما كان عليه الأمر في 1925-1926» وفي أكتوبر، طالب هنري مكارتي بأن يتم الشروع في عمل توضيحي كبير «داخل الحزب وخارجه، وذلك لفهم البروليتاريا أن عليها أن تتموقع صراحة إلى جانب المغاربة وأن تساهم بكل الوسائل المتوفرة لديها في اندحار الامبريالية الفرنسية وانتصار «المتمردين». ينبغي النضال قبل كل شيء بمظاهرات جماهيرية ثورية ضد إرسال العتاد الحربي إلى المغرب» (165). وأخيرا، في اللحظة بالذات التي وحدث فيها القبائل المنشقة نفسها مرعومة على إلقاء السلاح، كتب أندري فيرا أيضا : «ينبغي منع نقل العتاد الحربي والذخيرة إلى المغرب، وينبغي أن يوضح للجنود دورهم وواجبهم» (166).



هل ينبغي أن ننسب الصعوبات التي تمت ملاقاتها في تعبئة المناضلين ضد حرب المغرب، وبصفة عامة، ضعف تأثير الحملة الشيوعية إلى السمات الخاصة لهذه الحملة ؟ لقد

- 164 حياة الفدرالية، عدد 12، يونيو 1929 (AN F7 13181).
 165 دفاثر البلشفية، فاتح أكتوبر 1933 («الحرب في المغرب» ص 1312 - 1320)، مشدد عليه في النص.
 166 نفسه، 15 مارس 1934 («إلى مساعدة المغاربة في الكفاح» ص 338 - 347) بين 1927 و 1934، لم يحد عن نقل الجنود والعتاد الحربي والذخيرة إلى المغرب أي حادث حسب علما، فلا الصحافة والمطبعات الشيوعية، إلا الأرشيفات التي استندت عليها ما حدثت عن ذلك.

أظهرت التجربة أن تضامن المصالح الليبراليين الفرنسية والفلاحين المغاربة المكافحين من أجل حريتهم فكرة لم تحظ بتقبل عام (167). ويتعقد المشكل ابتداءً من اللحظة التي يراد فيها إعطاء تعبير ملموس لشعور التضامن هذا. لقد احتفظ الحزب بشعار التآخي مع أنه أقر في 1926 بأن تقبله من طرف الجماهير كان سيئاً، وبما يفسر هذا الحفاظ بالدعوة إلى الالتحاق بصفوف الجيش الأحمر، في حالة نشوب حرب ضد الاتحاد السوفياتي. ألا يمكن أن يثير هذا التقارب بين الحرب في المغرب والحرب الأوربية المحتملة ضد الاتحاد السوفياتي، من جهة أخرى، بعض التحفظات لدى غير الشيوعيين؟ وأخيراً، ألا يمكن للتهجمات على الزعماء الاشتراكيين الشديدة غالباً، أن تحد من انضمام مناضلي القاعدة إلى سياسة الجبهة الوحيدة المنصوص بها من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي؟ حتى لو كانت تلقى صدى إيجابياً في بعض الأوساط الثقافية، مثل الجماعة السورالية (168).

يلو أن هذه المصاعب لم تغرب عن قيادة الحزب. ففي بداية 1930، انتقدت اللجنة التنفيذية الأومية الشيوعية للشبان الشيوعيين الشباب الفرنسيين الذين «اعتري الضعف عملهم المعادي للاستعمار والامبريالية» وشهت بـ «خطر اليمين الأكثر تبديداً»، وهو الذي يتجلى بالخصوص في غياب عمل قوي معاد للنزعة العسكرية، لكن أيضاً بخطر اليسار، الموسوم بالطائفية، والازمات في «اللاشرعية الإدارية، بدون مررات حدية للاعتزال فيها» (169). فبسبب موافقهم المتياسرة، تم إبعاد ثلاثة أعضاء من المكتب السياسي للشيبيات الشيوعية، وهم نيديليك، ولولاندي وكاريسميل (170). وفي نونبر 1931، عزت نفس السلطة نقصان الدعاية المعادية للنزعة العسكرية والعمل من أجل السلم لمجموعة باري - سيلور (171). ومع ذلك تشهد النصوص التي ذكرناها أعلاه بأن الطائفية لم تنته أبداً وأنها استمرت في الظهور إلى غاية نهاية الحملة الشيوعية ضد حرب المغرب.



- 167 «لحارب العقلة الاستعمارية في صفوفنا!» طلب هنري كارتري لوماني، 25 يناير 1933.
168 أنظر منشور «لأنهذه إلى المعرض الاستعماري» AN SOM SLOT FOM III 5.
169 رسالة مفتوحة إلى جميع فروع الأومية الشيوعية للشباب، مرفقة بقرار رئاسة المجلس الأعلى للجنة التنفيذية للأومية الشيوعية للشباب حول تقرير اللجنة المركزية للشيبيات الشيوعية للفرنسا، كتيب، من 16 صفة (1930) AN F7 13184.
171 رد اللجنة التنفيذية للأومية الشيوعية للشباب على الشبيات الشيوعية للفرنسا (ميسكو، نومبر 1931، كتيب مسجور في مائة وثلاثين ألف نسخة AN F7 13185). «منذ سنوات عديدة، تم إهمال العمل المعادي للاستعمار الذي يقوم به الحرب بطريقة غير مقبولة إلى مجموعة باري - سيلور - ليريرا في هذه المسألة أكبر المسؤوليات» دفاتر الشفوية، فاتح مارس 1934، ص 334 وما يليها.

مهما يكن نقصان الحملة الشيوعية ضد عملية إخماد الفتن، ومهما تكن أخطاؤها، فإن هذه الأخيرة لم تسهم، في رأينا، سوى بقسط ضئيل في عدم اهتمام السكان الفرنسيين بالعمليات العسكرية الجارية في المغرب. وتفسر هذه اللامبالاة في نظرنا، إلى حد بعيد، بالضعف النسبي للخسائر الفرنسية. ففي الواقع، إذا رجعنا إلى الأرقام الرسمية نلاحظ بأن عدد القتلى الذي يبدو أنه قد كان 2504 خلال سنتي 1925 و 1926، كان 1818 خلال فترة 1927 - 1934. لكن إذا كانت هذه الأرقام تهم الخسائر «الفرنسية»، فإن هذه الأخيرة مست من جهة بعض الأوربيين، ومن جهة أخرى بعض «الأهالي»؛ إلا أنه، بالمقارنة مع المجموع، انخفضت نسبة الخسائر الأوربية كثيرا : فنجد 37,3% بالنسبة لـ 1925 - 1926، و 26,9% في 1927 - 1929 و 21,3% في 1930 - 1934 (172). لقد استدعى الاستعمال الأكثر كثافة للجنود الأهالي، وبالأخص لـ «الاضافيين» المغاربة، الذي تفصح عنه هذه الأرقام ردي فعل متناقضتين كلياً لليساار الفرنسي.

من جهة، ندد أراغون بـ «البورجوازية الفرنسية (التي) تجد أن من الخلق أن ترمي البربر بإخوانهم من الجزائر أو حتى من المغرب» (173)، بينما تحدث ر - ج. لونكي عن «هؤلاء التعساء المغاربة «المجندين» من طرفنا، والمؤطرين بما يشبه حراس المساجين، الذين يرغمون على القتال ضد إخوانهم، والذين هم أول من يرسلون، طبعا، إلى الهجوم، إلى المذبحة» (174). وفي الجهة المعارضة، أرتأى كيرنو أن يطعن زملاؤه في عصبة حقوق الإنسان بتوضيحه لهم بأنه بفضل كثافة الوحدات الأهلية المستعملة في العمليات العسكرية، فإن الخسائر الفرنسية قليلة نسبيا (175). لكن هذا الإرتياح يتجلى دون ريب و بصلافة هادئة في هريان «التي تمثل ضمن اليسار «جريدة النخبة» : «إن ما يسترعي الانتباه هو العدد القليل للجنود والضباط الفرنسيين. أكثر من 80% من الجنود هم من الأهالي ! لقد وجب على الفرنسيين أن يتسلحوا بكثير من الديبلوماسية منذ 1912، وفي كل مرحلة من الغزو، بحيث استفادوا من الكراهية

172 استعلامات استعمارية، غشت - شتنبر 1936، ص. 141، وتقرير ميسيبي أمام مجلس الشيوخ (وثيقة برلمانية، 1932، رقم 704، المجلد الرسمية ص 1023 - 1036).

173 نظرات، 15 غشت 1933، مستشهد به من طرف مغرب، شتنبر 1933، ص 39

174 مغرب، شتنبر 1933، ص 2. عن شروط حلب «المتطوعين المرمين» أنظر لنفسه، مارس 1933، ص 38 - 39.

Marianne *

175 دفاتر حقوق الإنسان، 20 فبراير 1933، ص 117 - 119. إن هذا القول لم يثر أية ملاحظة من أعضاء اللجنة المركزية.

التبادلة بين القبائل، فتمكنوا من أن يجندوا أفرادا مغاربة يقاتلون، باختصار، ضد إخوانهم الذين لا يزالون متمردين وذلك «من أجل السلطان ومن أجل الجمهورية». (176). هل من المغامرة أن نفكر بأن رد الفعل الثاني هذا تطابق وقتذاك مع شعور أغلبية الفرنسيين ؟

في الحقيقة، كانت المعارك الأخيرة التي خاضها اليسار المتطرف الشيوعي والاشتراكي ضد العمليات العسكرية في المغرب في الاتجاه المعاكس للرأي العام. لقد فهم الراديكاليون هذا جيدا، وهم الذين ساهمت صحافتهم، الى حد لا يستهان به، في هذا «التوسيع للوعي الاستعماري» الذي لاحظته راوول جيراردي ابتداء من الثلاثينات (177). لقد تبدلت الفترات التي كانوا يهتمون فيها العمل «السلموي» والطوية الطبية ليهان أو لباتلوفي. فصاروا يسعون من الآن فصاعدا الى إخماد القلق والوساوس التي يمكن أن تثيرها مقاومة المغاربة للتوغل الفرنسي والتي كانوا يرجعون صداها قبل سنوات من ذلك. لقد تم صرف اهتمام الجمهور عن العمليات العسكرية لصالح أصغر المسائل ذات المنفعة الاقتصادية أو السياحية، وتم شد خياله وحساسيته الى مفاتن اللون المحلي وإلى بطولة فروسية تخفي فظاعات الحرب (178) وكان كل شيء صالحا للالهة، وبينما كانت تدور معارك طاحنة ضد المنشقين قصفت القوات الفرنسية خلالها تجمعات سكانية مغربية، لم تزد جريدة مثل لوفرو في أن تنادي قراءها لأن يتعاطفوا مع مآل... الحمير الذين يسيء الأهالي معاملتهم (179). وقد كان استسلام آخر زعماء الانشقاق مناسبة لاستعادة المقاومة المغربية، والتأكيد على الطابع المغلوط لقتالها، وذلك ضمن تأويل أسطوري يمتدح القوة والشهامة الفرنسيين (180).

176 ماريان، 18 أبريل 1934.

177 الفكرة الاستعمارية في فرنسا 1871 - 1961، باريس، 1972، ص 118 وما يليها.

178 إن لاحظنا الرأي، كأثر من بين آثار أخرى، نحو الحوانت المرعة والكربة لمبارك حل صاغرو لكي لا ينفذ سوى عوت القبطان «ورثايل مغلوطا في برسه الأحمر». وقد أوردت ماريان مع ذلك، في تحقيق مطول عن المغرب، «أغالي حرب بالسة، مرتحلة في السوات الأخيرة مي طرف النساء البهريبات ولا تزال مسموعة في الكسوات الى اليوم : أنها القذائف، لقد حفرت المدينة، لقد رأيت حدران الأحمر تنهار على الأرض يا للأمكنة النيسة، إنها لن تعرف السعادة أبدا ! بها أيا الرجال الأحرار، سآتي عندك لأرضي شياهي»، لكن دون إساقفة أي تعليق ودون إبداء أدنى تحفظ حول العمليات العسكرية، 18 أبريل 1934.

L'Oeuvre *

179 14 يونيو 1933، رسالة مفتوحة الى السيد المقيم العام للمغرب، من طرف هيلين كوسي.

180 أنظر ماريان، مقال مشار اليه، عن حمي «روح المقاومة البهيرة النهائية». أما إذا عادت ليرتد، الى الماضي، لتكررت عبد الكريم و... عبد القادر : «كما عبد القادر في الحزائر من قل، كان عبد الكريم في المغرب عدوا محيلا. وقد جعلنا من كليهما صديقين لنا. إنها نتيجة يمكن أن تمنحنا عليها أكثر من قوة استعمارية» 2 يوليو 1933.

خاتمة

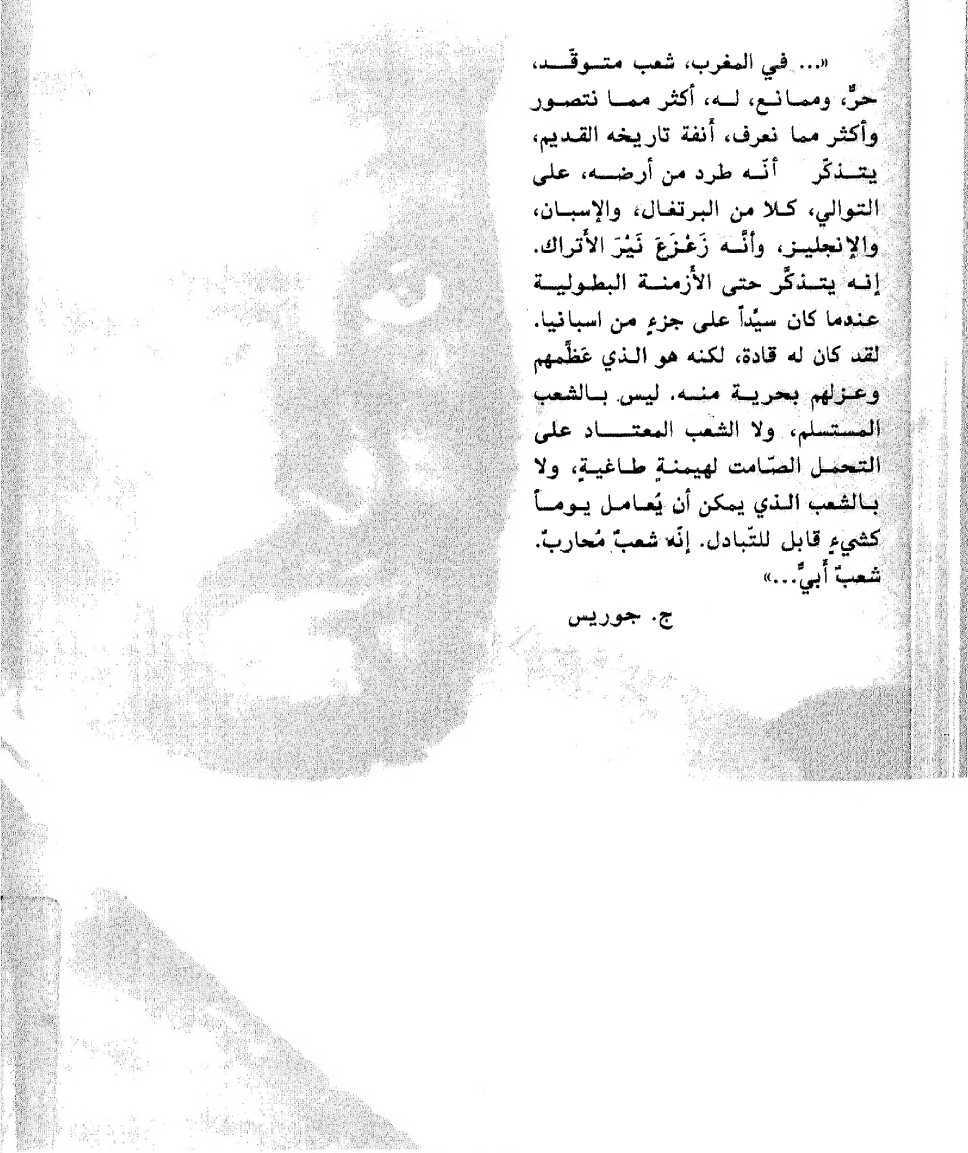
خلال السنوات الخمس عشرة التي تلت نهاية النزاع العالمي الأول جابهت حربُ الريف وعمليات إخماد الفتن في المغرب اليسار الفرنسي بالمشكل الوطني المغربي. لقد جنحت المصالح المختصة، منذ الثورة الروسية وإنشاء الأمم المتحدة، إلى نسب المقاومة المغربية إلى الدسائس البلشفية، رغم أن الحضور الشيوعي كان ضئيلاً في الحماية. لكن من المؤكد أن شروط سياسة معادية للاستعمار، في فرنسا، تغيرت على نحو عميق فقد انحاز الحزب الشيوعي علانية، باسم معاداة الامبريالية والتضامن بين بروليتاريا البلاد والسكان الواقعين تحت الهيمنة الاستعمارية، للمقاتلين المغاربة وطالب بالجلء عن المغرب. مع ذلك لم يتمكن التحريض الذي طوره من تغيير مجرى الحرب. أما اليسار غير الشيوعي فكان منقسماً وسرعان ما اقتنعت عناصره الأكثر اعتدالاً، والمدرية من طرف الراديكاليين والجمهوريين الاشتراكيين، بضرورة إلحاق المملكة الشريفة بالامبراطورية الاستعمارية الفرنسية وبعمل كل ما في الامكان للحفاظ عليها. لقد اعتبر الاشتراكيون الحماية أمراً واقعاً ومرحلة ضرورية لتحرر الشعب المغربي. لكن كثيرين منهم كانوا يدينون، بقوة أحياناً، العمليات العسكرية.

انتهت الحرب في 1934. وسيتواصل تجريد القبائل من السلاح لسنوات طويلة، بينما الإدارة ستحافظ حتى نهاية الحماية على وجود منطقة خطيرة. لكن بعد ما يناهز ربع قرن، تمكنت القوات الفرنسية من التغلب على مقاومة عسكرية منظمة، وقد كتب أ. برنار «سيكون الانشقاق من الآن فصاعداً، داخل المغرب لا في حدوده» (181). وبالفعل، فمنذ أربع سنوات، ومع إعلان الظهير البربري، نعلم بأن هناك في المدن الرئيسية، وخاصة في فاس، شباناً مغاربة يتحركون وسيأخذ احتجاجهم، ذو الطابع السياسي، تدرجياً، محل الانشقاق المسلح، الذي لن يكف إلا مع الاستقلال. وستتموقع مختلف تيارات اليسار الفرنسي انطلاقاً من مواقفها تجاه الشباب الوطني والحركة الوطنية المغربية.

— صَادِرَات —
دار توبقال للنشر
توزع في
البلاد العربية
— وأروبا —

دار توبقال للنشر

خليل 3 (لافيليت)، زنقة 15، رقم 24،
الدار البيضاء 05 (المغرب).
الهاتف . 24 06 05



«... في المغرب، شعب متوقد،
حر، وممانع، له، أكثر مما نتصور
وأكثر مما نعرف، أنفة تاريخه القديم،
يتذكر أنه طرد من أرضه، على
التوالي، كلا من البرتغال، والإسبان،
والإنجليز، وأنه زرع نير الأتراك.
إنه يتذكر حتى الأزمنة البطولية
عندما كان سيداً على جزء من إسبانيا.
لقد كان له قادة، لكنه هو الذي عظمهم
وعزلهم بحرية منه. ليس بالشعب
المستسلم، ولا الشعب المعتاد على
التحمل الصامت لهيمنة طاغية، ولا
بالشعب الذي يمكن أن يُعامل يوماً
كشيء قابل للتبادل. إنه شعبٌ محاربٌ.
شعبٌ أبي...»

ج. جويس